تلخيص البيان
فى مجازات القرآن

تصنيف
الشريف الرضى

حققه وقدم له وصنع فهارسه
محمد عبد الغنى حسن

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابى الحلبى وشركاه
القاهرة — ١٩٥٥

مَكْتَبَةُ لِسَانُ العَرَب

أ. علاء الدين شوقي

رابط بديل

lisanerab.com

www.lisanarb.com

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

تلخيص البيان

في مجازات القرآن

تصنيف
الشريف الرضي

حققه وقدم له وصنع فهارسه
محمد عبد الغني حسن

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه
القاهرة — ١٩٥٥

الطبعة الأولى
« جميع الحقوق محفوظة »
١٣٧٤هـ — ١٩٥٥م

الشّريفُ الرّضيّ

بينَ مجازاتِ القرآنِ وَالحديث

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المجازات فى القرآن

لعل أول كتاب وأقدمه فى « مجازات القرآن» هو الكتاب الذى صنفه أبو عبيدة بهذا العنوان . فإن هذا الراوية من أسبق الرواة إلى التصنيف والتدوين ، لأنه جاء بعد قتادة بن دعامة السدوسى (المتوفى سنة ١١٧ هـ) . وأبى عمرو بن العلاء (المتوفى سنة ١٥٤ هـ) وهما لم يخلفا لنا أثرا مكتوبا ، وإنما كانت الأخبار تنقل عنهما مشافهة . أما أبو عبيدة معمر بن المثنى (المتوفى سنة ٢٠٩ هـ) فقد ترك بعده طائفة من الكتب زادت على المائة ، كما عدها صاحب « الفهرست » . ومن حسن الحظ أن يطبع كتابه « مجاز القرآن » طبعة محققة لأول مرة فى المكتبة العربية [١] .

وليس كتاب أبى عبيدة فى مجازات القرآن بالمعنى الاصطلاحى الذى تناوله الشريف الرضى فى كتاب « تلخيص البيان ، فى مجازات القرآن » وهو ذلك المعنى الذى يوضع اصطلاحا فى مقابل « الحقيقة » كما فعل البيانيون فى تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز . لا! ليس كتاب أبى عبيدة فى مجازات القرآن بهذا المعنى . ولكن لفظة « المجاز » عنده تساوى طريق الجواز إلى فهم اللفظة القرآنية ، فهو أقرب إلى تفسير غريب القرآن منه إلى الكشف عن وجوه البيان فيه بالمعنى الذى يريده البيانيون [٢] . فالمجاز القرآنى ــ عند أبى عبيدة ــ لا يعدُو أن يكون

---

(١) حققه السيد فؤاد سزجين الأديب التركى بجامعة أستنبول بمعاونة المستشرق ريتر ، ونشره السيد سامى الخانجى بالقاهرة سنة ١٩٥٤ .

(٢) نؤكد هنا أن « مجازات القرآن » لأبى عبيدة لا يدخل فى علوم البيان . وقد وهم مؤلفا « الوسيط فى الأدب العربى » حين ذكرا ذلك فى ص ٢٢٩ وعدا مجازات أبى عبيدة أول كتاب دون فى علوم البلاغة والبيان . والحق أنه تفسير لألفاظ القرآن على طريقة اللغويين لا البيانيين ...

تفسيراً لألفاظ القرآن ومعجما لمعانيه . و إذا شئنا أن نأخذ أبا عبيدة بنص كلامه فإننا لانجد أصرح من مقدمته فى الدلالة على ما ذهبنا إليه . فإنه يقول : (فلم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبى صلى الله عليه وسلم أن يسألوا عن معانيه ، لأنهم كانوا عرب الألسن ، فاستغنوا بعلمهم عن المسألة عن معانيه ، وعما فيه مما فى كلام العرب مثله من الوجوه والتلخيص . وفى القرآن مثل ما فى الكلام العربى من وجوه الإعراب ، ومن الغريب ، والمعانى) (١) .

ومالنا ومقدمة أبى عبيدة لنستدل منها على أن المجاز عنده هو تفسير المعنى من غير نظر إلى الاصطلاح البيانى الذى لم يظهر فى القرن الثانى الهجرى ، و إنما ظهر على شكل لمع متناثرة قليلة فيما كتبه الجاحظ أولا ، وفيما كتبه ابن قتيبة بعده فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » وكان ذلك فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ؟ نقول : مالنا ومقدمة أبى عبيدة مع أن كتابه كله بين أيدينا فنرى فيه أنه يعنى بالمجاز تفسير المعنى للألفاظ القرآنية ؟

و يتناول القرآن كله من فاتحة الكتاب فالبقرة فآل عمران سورة سورة، فيعرض مافى كل سورة من الألفاظ يشرحها شرحا لغوياً و يفسر غريبها و يقيم إعرابها ، ذاكرا من الشعر العربى الفصيح مايؤيد المعنى الذى ذهب إليه ، كقوله فى مجاز قوله تعالى: ﴿ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [أى مُوجع من الألم ، وهو فى موضع مُفعل . قال ذو الرمة :

و يرفع فى صُدور شمرْدلاتٍ . يصُكُّ وُجُوهَها وَهَجٌ أَليمُ

الشمردلة : الطويلة من كل شىء] (٢) .

وكقوله فى مجاز قوله تعالى : ﴿ فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ : [أى بغيهم وكفرهم ، يقال : رجلٌ عَمِهٌ ، وعامِهٌ ، أى جائر عن الحق . قال رؤبة :

ومَهمهٍ أطرافُهُ فى مَهْمَهِ أعمى الهدى بالجاهلين العُمَّه] (٣)

---

(١) صفحة ٨ من « مجازات القرآن » لأبى عبيدة . (٢) مجازات أبى عبيدة ص ٣٢ .
(٣) المصدر السابق ص ٣٢ .

وكقوله فى مجاز قوله تعالى : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ ﴾ : [سُقُوه حتى غلب عليهم ، مجازه مجاز المختصر ؛ أشربوا فى قلوبهم العجل : حب العجل :][1] وأين هذا من كلام الشريف الرضى فى هذه الآية : [.. وهذه استعارة ، والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة فى حب العجل ، فكأنها تشربت حبه ، فمازجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشيء الملذوذ : وحذف حب العجل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرب العجل على الحقيقة] .

وكقوله فى مجاز قوله تعالى : ﴿ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي ﴾ : [أى يجيبونى ، قال كعب الغنوى :

وداعٍ دعا يامن يجيب إلى الندى ... فلم يستجبه عند ذاك مجيب

أى : فلم يجبه عند ذاك مجيب][2] .

وكقوله فى مجاز قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ : [وهى مصدر عال فلان : أى افتقر ، فهو يَعيل . وقال :

وما يَدْرِى الفقيرُ متى غناهُ ... وما يدرى الغنىُّ متى يَعيل][3]

وكقوله فى مجاز قوله تعالى : ﴿ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ) : [مجازها : أن كل شيء غَيَّب عنك شيئاً فهو غيابة . قال المنخل بن سبيع العنبرى :

فإن أنا يومًا غيَّبتنى غيابتى ... فسيروا مسيرى فى العشيرة والأهل

والجب : الركية التى لم تطو ، قال الأعشى :

لئن كنت فى جب ثمانين قامة ... ورُقِّيت أسباب السماء بسُلَّمِ][4]

وكقوله فى مجاز قوله تعالى : ﴿ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ : [مجازه : لأستميلنهم

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٧ . (٢) المصدر نفسه ص ٦٧ .
(٣) مجازات القرآن لابى عبيدة ص ٢٥٥ . (٤) المصدر نفسه ص ٣٠٢ .

ولأستأصلنهم ، يقال : احتنك فلان ماعند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره ، أخذه كله واستقصاه] [1] .

وأين هذا من قول الشريف الرضى فى هذه الآية : [وهذه استعارة على بعض التأويلات فى هذه الآية ، وهو أن يكون الاحتناك ههنا افتعالا من الحنك . أى لأقودنهم إلى المعاصى كما تقاد الدابة بحنكها غير ممتنعة على قائدها ، وهى عبارة عن الاستيلاء عليهم ، والملكة لتصرفهم كما يملك الفارس تصرف فرسه ، بثنى العنان تارة ، وبكبح اللجام مرة . وقال يعقوب فى « إصلاح المنطق » : حنك الدابة يحنكها حنكا ، إذا شد فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به ، وقد احتنك الدابة ، مثل حنكها ، إذا فعل بها ذلك . وقال بعضهم : لأحتنكن ذريته ، أى لألقين فى أحناكهم حلاوة المعاصى حتى يستلذوها ويرغبوا فيها ويطلبوها ، والقول الأول أحب إلى . وقال بعضهم : لأستأصلن ذريته بالإغواء ، ولأستقصين إهلاكهم بالإضلال ، لأن اتباعهم غيه ، وطاعتهم أمره يؤولان بهم إلى موارد الهلاك ، وعواقب البوار . وقال الشاعر :

نشكو إليك سنة قد أجحفت   واحتنكت أموالنا وجلَّفت

أى أهلكت أموالنا ، ويقال : احتنكه ، إذا استأصله وأهلكه . ومن ذلك قولهم : احتنك الجراد الأرض : إذا أتى على نبتها . وقيل أيضا : المراد بذلك لأضيقن عليهم مجارى الأنفاس من أحناكهم ، بإيصال الوسوسة لهم ، وتضاعف الإغواء عليهم . ويقال : احتنك فلان فلانا : إذا أخذ بمجرى النفس من حنكه ، فكان كالشبا فى مقلته ، والشجا فى مسعله] [2] .

يتضح من هذه الأمثلة التى نقلناها هنا من « مجازات القرآن » لأبى عبيدة ماقرناه من

(١) المصدر نفسه ص ٢٨٤ .

(٢) انظر ذلك فى كتاب « تلخيص البيان » فى مجاز هذه الآية من موضعها فى سورة بنى اسرائيل .

أنه استعمل « المجاز » بمعنى التفسير ، وأن المجاز البيانى المقابل للحقيقة لم يكن فى حسبانه وهو يصنف فى مجازات القرآن ، وأن عنوان كتابه قد يوهم القارئ بأنه أول من ألف فى المجاز البيانى للقرآن ، مع أن منهجه فى الكتاب بعيد عن ذلك بعدا عظيما .

وإذا صح ماذكره صاحب « الفهرست » من أن لأبى عبيدة كتابا اسمه « غريب القرآن » فليت شعرى أين يكون موضوع هذا الكتاب من كتابه فى مجازات القرآن ؟ أليس كتاب المجازات هو فى الحق كتابا فى غريب القرآن أو فى تفسير ألفاظه ؟ فهل يكون الكتابان اسمين على مسمى واحد؟ أو قد يكون ابن النديم وَهِمَ فحسب أن « غريب القرآن » لأبى عبيدة هو كتاب آخر غير المجازات له ؟

على أن ممايزيد المشكلة تعقيدا أن صاحب « الفهرست » لم يذكر كتاب « مجازات القرآن » لأبى عبيدة وهو يسرد أسماء الكتب المؤلفة فى معانى القرآن ومشكله ومجازه [1] ، ولكنه ذكر كتاب « معانى القرآن » لأبى عبيدة . فهل يكون هذا الكتاب هو « مجازات القرآن » الذى تم طبعه أخيرا ، أم يكون كتابا آخر غيره لا يزال مستسرا فى ضمير الغيب . ؟

(١) الفهرست لابن النديم . طبع القاهرة ص ٥١

الجاحظ ومجازات القرآن

لعل الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ هو أول من استعمل المجاز فى القرآن بالمعنى المقابل للحقيقة ، وهو ذلك المعنى القريب جد القرب مما استعمله البيانيون المتأخرون ، وبهذا كان أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ هو أول مصنف عربى استعمل لفظتى المجاز والاستعارة على نحو يقرب مما قصد بهما عند البلاغيين . فهو لا يريد بكلمة المجاز ذلك المعنى الذى قصده أبو عبيدة بالتفسير ، ولكنه يريد ذلك الشىء المقابل للحقيقة . ونراه فى مواطن متفرقة من كتابيه « الحيوان » و « البيان والتبيين » يشير إلى المجاز والاستعارة إشارات تعد أول ماسجل منهما بالمعنى البيانى فى المؤلفات العربية . حتى ليعد الجاحظ بذلك أول رائد للبلاغة العربية بمعناها الاصطلاحى الذى أخذ يتطور على الزمن حتى بلغ قمته على يد السكاكى ، والقزوينى وغيرهما من أعلام البلاغة الفنية .

ولعل من أوائل اللمع البيانية عند الجاحظ قوله فى « الحيوان » : [باب آخر فى المجاز والتشبيه بالأكل ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا ﴾ وقوله تعالى عز اسمه : ﴿ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ وقد يقال لهم ذلك ، وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحلل ، وركبوا الدواب ، ولم ينفقوا منها درهما واحدا فى سبيل الأكل ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ﴾ وهذا مجاز آخر][1] .

ولا يكتفى الجاحظ بهذه اللمعة البيانية الواضحة بل يضيف إليها بابا آخر فى مجاز الذوق : [وهو قول الرجل إذا بالغ فى عقوبة عبده : ذق ! وكيف ذقته ؟! وكيف وجدت طعمه ؟ ! وقال عز وجل : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴾ . . . . وقال يزيد بن الصعق :

---

(١) الحيوان . بتحقيق عبد السلام هارون . ج ٥ ص ٢٥

وإن الله ذاق حلوم قيس فلما ذاق خفتها قلاها

رآها لا تطيع لها أميرا فخلاَّها تردد فى خلاها

فزعم أن الله عز وجل يذوق . . . . وللعرب إقدم على الكلام ، ثقة بفهم أصحابهم عنهم ، وهذه أيضاً فضيلة أخرى .

وكما جوزوا لقولهم أكل وإنما عضَّ ، وأكل وإنما أفنى ، وأكل وإنما أحاله ، وأكلَ وإنما أبطل عينه ـ جوزوا أيضا أن يقولوا : ذقت ما ليس بطعم ، ثم قالوا : طعمت لغير الطعام . وقال العرجى :

وإن شئت حرَّمت النساء سواكُم وإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى ، وَمَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّى ﴾ يريد : لم يذق طعمه] [1]

« فالمجاز عند الجاحظ هو استعمال اللفظ فى غير ما وضع له ، على سبيل التوسع من أهل اللغة ، ثقة من القائل بفهم السامع . »

وقد حلت هذه النظرة الجاحظية البيانية كثيراً من المشكلات التى قامت بسبب التعبيرات القديمة . فقد أنكر المنكرون وعلى رأسهم الحسن قول القائل : طلع سهيل ، أو برد الليل ، وقالوا فى إنكارهم: إن سهيلا لم يأت بحر ولا ببرد . وكره مالك بن أنس أن يقول الرجل عن الغيم والسحاب : ما أخلقها للمطر ! ولكن الجاحظ يرى أن إخراج الكلام على وجه المجاز يحلُّ المشكلة ويقيم الكلام على وجه سليم ، فهو يقول عن التعبير الأول : ولهذا الكلام مجاز ومذهب . وهو يقول عن التعبير الثانى : وهذا كلام مجازه قائم ، ويقول عن مثال آخر مما ينكره المنكرون : وهذا الكلام مجازه عند الناس سهل .

والحق أن الجاحظ قاس هذه العبارات على نظائرها فى كلام العرب فوجد لها دعامة من

---

(١) المصدر نفسه ص ٣١ ، ٣٢ .

الصحة وسندا من القياس السماعى الصحيح ، فإن العرب من قديم تقول : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . والشاعر العربى يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

ولكن المنكرين أنكروا لمعنى دينى قائم فى نفوسهم ، وهو إسناد الأفعال جميعها إلى الله تعالى ، تنزيها له عن أن يشركه غيره فى فعل ، أو يشاركه فى خلق ، فاحتج لهم الجاحظ بشواهد من اللغة تجيز ماذهبوا إليه من الاستعمال . أما لفظة «استعارة» التى يكررها الشريف الرضى فى كل آية فيها مجاز ، فقد كان الجاحظ ـ فيما نعلم ـ أول من استعملها بمعنى تسمية الشىء باسم غيره إذا قام مقامه . فكان بذلك ـ أيضا ـ ممهدا للبيانيين ، ورائدا فى البلاغة العربية . فإن هذه اللفتات البيانية الوجيزة كانت الأساس الذى بنى عليه صرح البيان العربى ، وأخذه الأعاجم فجعلوا منه موضوعا عتيدا لصناعة البيان والبلاغة .

وتصادفنا فى بعض كتب الجاحظ أمثال هذه الإشارات البيانية الاستعارية ، كقوله : [وقال عز وجل : ﴿ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴾ والعذاب لايكون نزلا . ولكن لما قام العذاب لهم فى موضع النعيم لغيرهم سمى باسمه ... وقال الله عز وجل : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ وليس فى الجنة بكرة ولاعشى ، ولكن على مقدار البكر والعشيات . وعلى هذا قول الله عز وجل : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ﴾ والخزنة الحفظة ، وجهنم لايضيع منها شىء فيحفظ ، ولا يختار دخولها إنسان فيمنع منها ، ولكن لما قامت الملائكة مقام الحافظ الخازن سميت به] (١) .

وكقوله وهو يشرح أرجوزة يقول فيها صاحبها :

وطفقت سحابة تغشاها تبكى على عراصها عيناها

---

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ١٥٣ . طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

[وطفقت : يعنى ظلت . تبـكى على عراصها عيناها . عيناها ههنا للسحاب . وجَعَل المطربكاء من السحاب على طريق الاستعارة وتسمية الشىء باسم غيره إذا قام مقامه][1] .

هذه اللمع البيانية عند الجاحظ لا نراها من الـكثرة بحيث تكون مذهبا بيانيا قائما بذاته ، و إنما كانت معالم طريق لمن جاءوا بعده ، فقد أفاد منها تلميذه ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ ه وخاصة وهو يتحدث عن ألفاظ القرآن فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » .

(١) المصدر السابق ص ١٥٣ .

جاء بعد الجاحظ تلميذه أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦)، ويشير ابن قتيبة إلى هذا التتلمذ على الجاحظ بقوله فى « عيون الأخبار » مثلا فى أكثر من موضع: [وفيما أجاز لنا عمرو بن بحر من كتبه، قال] (١).

وقد توسع التلميذ فى نظرته إلى الاستعارة والمجاز أكثر من أستاذه قليلا، وخطا باللمع البيانية عند أستاذه الجاحظ خطوة وسعت دلالات كثير من الألفاظ والاصطلاحات التى أخذت تظهر بعد ذلك بالتدريج فى علوم البلاغة، فنراه يقول فى كتابه « تأويل مشكل القرآن »: [وللعرب المجازات فى الكلام، ومعناها طرق القول ومآخذه. ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم لمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سنراها فى أبواب المجاز، إن شاء الله تعالى](٢).

ثم نراه يعقد بعد ذلك بابين أولهما فى «المجاز» وثانيهما فى « الاستعارة » فيتحدث عن المجاز فى القرآن، ويكثر من الأمثلة القرآنية يخرجها تخريجا مجازيا يبعدها عن الاصطدام بالحقيقة، ولا يكتفى بالقرآن وحده، وإنما يذهب إلى الإنجيل فينكر من يرون من النصارى أبوة الولادة فى قول المسيح عليه السلام: (أدعو أبى، وأذهب إلى أبى)(٣)، ويفسر هذا القول

(١) عيون الأخبار جـ ٣ ص ١٩٩، ٢١٦، ٢٤٩.
(٢) تأويل مشكل القرآن. طبع عيسى الحلبى ص ١٥، ١٦
(٣) المصدر نفسه ص٧٦.

تفسيرا مجازيا فيقول: [ولو كان المسيح قال هذا فى نفسه خاصة دون غيره، ماجاز لهم أن يتأولوه هذا التأويل فى الله ـ تبارك وتعالى عما يقولون علواً كبيرا ـ مع سعة المجاز، فكيف وهو يقوله فى كثير من المواضع لغيره؟ كقوله حين فتح فاه بالوحى: « إذا تصدقت فلا تعلم شمالك بما فعلت يمينك، فإن أباك الذى يرى الخفيات يجزيك به علانية، وإذا صليتم فقولوا: يا أبانا الذى فى السماء! ليتقدس اسمك، وإذا صمت فاغسل وجهك وادهن رأسك لئلا يعلم بذلك غير أبيك ». وقد قرأوا فى الزبور أن الله تبارك وتعالى قال لداود عليه السلام: « سيولد لك غلام يسمى لى ابنا، وأسمى له أبا » وفى التوراة أنه قال ليعقوب عليه السلام: « أنت بكرى. وتأويل هذا أنه فى رحمته وبره وعطفه على عباده الصالحين كالأب الرحيم لولده][1].

والحق أن الاشتغال بفهم القرآن الكريم ومدارسته وتفسيره كان سببا قويا لظهور هذه المجادلات المجازية الاستعارية ظهورا متميزا فى عصر ابن قتيبة، وهو عصر بدأ علم الكلام فيه يتميز بظهور طائفة من المتكلمين من أمثال ابن الهذيل العلاف (المتوفى سنة ٢٣٥) وأبى على محمد بن عبد الوهاب الجبائى (المتوفى سنة ٣٠٣). فقد كان علماء الكلام شديدى الجدل أقوياء العارضة، وكانت لهم فى الله وصفاته وأفعاله وذاته وفى العدل والجبر والاختيار آراء لا بد لها من الفهم البيانى القوى ليؤيدوا بها وجهات نظرهم. فحين يلتقى المفسرون بقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً﴾ فمنهم من يقول بالكلام على وجه الحقيقة لا على سبيل المجاز، بدليل توكيد الفعل بالمصدر تكليما، ومنهم من يقول بالكلام على وجه المجاز. ويقول ابن قتيبة فى إرادة الكلام هنا على حقيقته: [إن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا توكد بالتكرار. فتقول: أراد الحائط أن يسقط، ولا تقول: أراد الحائط أن يسقط إرادة شديدة. وقالت الشجرة فمالت ولا تقول: قالت الشجرة فمالت قولا شديدا. والله تعالى يقول:

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ٧٦

﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ فوكد بالمصدر معنى الكلام ، ونفى عنه المجاز][1] .

ويدافع ابن قتيبة عن المجاز فى القرآن دفاعا قويا فيقول : [وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب ، لأن الجدار لا يريد[2] ، والقرية لا تُسأل[3] . وهذا من أشنع جهالاتهم. وأدلها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم ، ولو كان المجاز كذبا ، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلا ، كان أكثر كلامنا فاسدا . لأنا نقول : نبت البقل، وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل ، ورخص السعر . ونقول : كان هذا الفعل منك فى وقت كذا وكذا ، والفعل لم يكن وإنما كُوِّن. ونقول : كان الله . وكان بمعنى حدث ، والله جل وعز قبل كل شىء بلا غاية ، لم يحدث فيكون بعد أن لم يكن .

والله تعالى يقول : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ وإنما يُعزَم عليه .

ويقول تعالى : ﴿ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ ﴾ وإنما يُربح فيها .

ويقول : ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ وإنما كُذِّب به][4] :

ويصل ابن قتيبة فى دفاعه عن المجازات فى القرآن إلى قمة الدفاع حين يقول : [ولو قلنا للمنكر لقوله : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ ﴾ : كيف كنت أنت قائلا فى جدار رأيته على شفا انهيار : رأيتَ جدارا ماذا ؟ لم يجد بدا من أن يقول : جدارا يَهُمُّ أن ينقض ، أو يكاد أن ينقض ، أو يقارب أن ينقض . وأيًّا ما فقد جعله فاعلا . ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى فى شىء من لغات العجم إلا بمثل هذه الألفاظ .

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٢ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى فى سورة الكهف : « فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه » .

(٣) إشارة إلى قوله تعال فى سورة يوسف : « واسأل القرية التى كنا فيها ».

(٤) تأويل مشكل القرآن ص ٩٩ .

وأنشدني السجستاني عن أبي عبيدة في مثل قول الله : (يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ) :

يريد الرمح صدر أبي براء ويرغب عن دماء بني عقيل

وأنشد الفرّاء :

إن دهرا يلف شملي بِجُمْلٍ لزَمَانٌ يَهُمُّ بالإحسان

والعرب تقول : بأرض فلان شجر قد صاح ، أي طال . لما تبين الشجر للناظر بطوله ودل على نفسه ، جعله كأنه صائح ، لأن الصائح يدل على نفسه بصوته][1] .

فهذا السبيل الذي سلكه ابن قتيبة في مجازات القرآن هو السبيل الذي أفضى إلى تطور الدراسات البلاغية البيانية عند ابن المعتز (المتوفى سنة ٢٩٦ هـ) وعند الشريف الرضي في كتابه هذا الذي نقدم له ، وعند الجرجاني (المتوفى سنة ٤٧١هـ) وهو مؤلف « أسرار البلاغة » ، في علم البيان ، و « دلائل الإعجاز » في علم المعاني ، وعند السكاكي (المتوفى سنة ٦٢٦ هـ) حين ألف كتابه المشهور : « مفتاح العلوم » ، وعند ابن الأثير[2] (المتوفى سنة ٦٣٧ هـ) حين ألف كتابيه المشهورين : « المثل السائر » ، و « البرهان في علم البيان » .

أما الباب الذي عقده ابن قتيبة للاستعارة في كتابه « تأويل مشكل القرآن » فهو لا يقل إمتاعا ولا فائدة عن باب المجاز ، وتكاد ألفاظه تكون هي الألفاظ التي استعملها البيانيون بعد هذا . اسمعه مثلا وهو يقول : [فالعرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاورا لها أو مشاكلا . فيقولون للنبات : نوء . لأنه يكون عن النوء عندهم ... ويقولون للمطر : سماء . لأنه من السماء ينزل ، فيقال : مازلنا نطأ السماء حتى أتيناكم . قال الشاعر :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٠ . (٢) هو ضياء الدين بن الأثير .

ويقولون : ضحكت الأرض . إذا أنبتت ، لأنها تبدى عن حسن النبات ، وتنفتق عن الزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر ، ولذلك قيل لطلع النخل إذا انفتق عنه كافوره : الضحك ، لأنه يبدو منه للناظر كبياض الثغر . ويقال : ضحكت الطلعة . ويقال : النَّوْر يضاحك الشمس لأنه يدور معها .][1] .

ثم يمضى ابن قتيبة فى الكشف عن بعض الاستعارات فى القرآن الكريم ، كالاستعارة فى قوله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ) وقوله : (وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً) وقوله : (وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً) وقوله : (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) وقوله : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ) أى كان كافرا فهديناه ، وقوله : (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاساً) وغير ذلك من عشرات الآيات التى كشف ابن قتيبة عما بها من استعارة ، على نحو ماصنع الشريف الرضى هنا فى كتابه هـذا ، وقد استغرق هذا الباب أكثر من أربعين صفحة من كتاب ابن قتيبة .

وتمضى السنون بعد وفاة ابن قتيبة سنة ٢٧٦ هـ ويمضى القرن الثالث بما فيه من موجات أدبية لغوية نحوية كلامية ، وبمن فيه من أمثال أبى عثمان المازنى ، وثعلب ، والزجّاج ، وابن الأنبارى ، والسجستانى ، والمبرد ، وغيرهم ، ويجىء القرن الرابع بمن فيه من أمثال ابن خالويه (المتوفى سنة ٣٧٠هـ) ، وأبى بكر الزبيدى (المتوفى سنة ٣٧٩هـ) ، وابن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢هـ) ، والسيرافى (المتوفى سنة ٣٦٨هـ) ، وأبى على الفارسى (المتوفى سنة ٣٧٧ هـ) ، وأبى حسن الرمانى (المتوفى سنة ٣٨٤ هـ) وغيرهم فلا نجد كتابا ألف فى « مجازات القرآن » من هؤلاء الأعلام المشتغلين باللغة والنحو . ونرى الشاعر العلوى الأبى الشريف الرضى ينصب همته ، ويلقى عزمه بين عينيه ، فيصنف كتابا فى « مجازات القرآن » هو الذى نقدم له بهذه المقدمة الطويلة وعنوانه :

---

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٣ .

« تلخيص البيان فى مجازات القرآن »

ظل هذا الكتاب الثمين سرا مطويا فى ضمير الغيب إلى أن وقع السيد محمد المشكاة على نسخة خطية لكتاب يبحث فى آيات القرآن الكريم بعنوان الاستعارة. وقد محا الزمان عنوان المخطوط، [1] كما عاثت أيدى البلى فى بضع صفحات منه انتزعتها من المخطوط، فظن السيد المشكاة ـ أول الأمر ـ أنه لمؤلف قديم من الشيعة، ولكن لم يخطر على باله أن ذلك المؤلف الشيعى المعتدل الرأى، الكثير النصفة، العف اللسان هو الشريف الرضى. فلما مضى فى قراءة المخطوط، لاحظ أن المؤلف يحيل على كتاب له اسمه «حقائق التأويل»، وهنا قطع الشك باليقين، واستظهر عن ثقة أن هذا المخطوط الباحث عن الاستعارات فى آى القرآن الكريم هو كتاب الشريف الرضى الذى ظل قرابة عشرة قرون مفقودا، والذى يشار إليه فى مراجع كثيرة بأنه من كتب الشريف الرضى التى خلفها تراثا غاليا فيما خلفه للفكر العربى من تراث قيم.

ولم تكن الإحالة على كتاب « حقائق التأويل » فى هذه المخطوطة هى وحدها المفتاح الذى كشف عن حقيقة صاحبها وشخصية مؤلفها الشاعر العلوى الفحل، فهناك بعض المواطن يشير فيها المؤلف إلى كتابه « مجازات الآثار النبوية »، ولاشك أن المجازات النبوية هى للشريف الرضى وقد طبعت من زمن فى بغداد مرة، وطبعت فى مصر طبعة محققة ومعلقا عليها بقلم المرحوم الأستاذ محمود مصطفى الذى اشتغل بتدريس الأدب العربى فى كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية. فلم يعد بعد ذلك مجال للشك فى حقيقة صاحب الكتاب.

---

(١) تفضل صديقى الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى الأستاذ بجامعة القاهرة فأهدى إلى ـ فيما حمله من ألطاف إيران بمناسبة اشتراكه فى مهرجان ابن سينا ـ مخطوطة مصورة من كتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » هى التى ننشرها اليوم نشرا علميا، ونقدم لها بهذه المقدمة التحليلية التى تقوم بذاتها كتابا مستقلا جعلنا عنوانه « الشريف الرضى بين مجازات القرآن والحديث » فله أجزل الشكر بما أتاح لنا من نشر كتاب الشريف الرضى، الكاشف عن وجوه البيان، وأسرار البلاغة فى كتاب الله الكريم.

على أن هاتين الإحالتين ليستا وحدهما الدليل القاطع على صحة انتساب هذا المخطوط لمؤلفه الشريف الرضى ، وقد يكونان وحدهما قاطعين فى الدلالة ، إلا أننا نسوق من الأدلة الحاسمة والبراهين الجازمة مايقطع بأن هذا الأثر العلمى النفيس هو للشريف الرضى لالغيره ، وأنه ـ رحمه الله ـ ترك فى طى الكتاب من قواطع الأدلة مايشير بصراحة إليه ، ويدل بقوة عليه .

فهو يقول فى كلامه عن مجازات سورة الرحمن : [وقد كان والدى الطاهر الأوحد ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوىّ رضى الله عنه وأرضاه سألنى عن هذه الآية (١) فى عرض كلام جر ذكرها ، فأجبته فى الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها] .

وما من شك فى أن أبا أحمد الحسين بن موسى الموسوى هو والد الشاعر العلوى الشريف الرضى . وقد لقب بالطاهر الأوحد ـ كما يذكر ولده المصنف ـ وكان هذا اللقب مما لقبه به أبو نصر بهاء الدولة (٢) بن عضد الدولة بن بويه الذى كان سلطانا على العراق فى سنة ٣٧٩هـ بعد وفاة أخيه أبى الفوارس شرف الدولة بن عضد الدولة بن بويه .

وأكثر من هذا فإنا نجد المصنف يقول فى موطن آخر من المخطوط وهو يتحدث عن الاستعارة فى سورة ص : [وقال لى الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى ـ أدام الله توفيقه ـ عند بلوغى عليه فى القراءة من مختصر أبى جعفر الطحاوى إلى هذه المسألة] (٣) والمعروف أن الشيخ أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمى كان أستاذا للشريف الرضى ، وكان شيخه فى الحديث كما أشار هو إلى ذلك أيضا فى كتابه « المجازات النبوية » (٤) .

وفوق هذا فإنا نرى المصنف يقول فى معرض الحديث عن مجازات سورة النحل :

---

(١) هى آية « سنفرغ لكم أيها الثقلان » من سورة الرحمن .
(٢) هو بهاء الدولة لابهاء الدين كما ذكر خطأ فى بعض المراجع الحديثة .
(٣) هى مسألة مسح الرأس كله أو بعضه . وقد عرضت هذه المسألة فى خلال الحديث عن قوله تعالى فى سورة ص « فطفق مسحا بالسوق والأعناق » .
(٤) المجازات النبوية . طبع القاهرة ص ١١٥ .

[وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن جنى رحمه الله يقول ...] ويقول فى مجازات سورة طه : [وهو مما سمعته من شيخنا أبى الفتح النحوى عفا الله عنه] . ومن المقطوع به أن أبا الفتح عثمان بن جنى (المتوفى سنة ٣٩٢ ﻫ) والذى كان إماما فى النحو والعربية ـ كان شيخا للشريف الرضى ، وقد أكثر الشريف النقل عنه فى كتابه « المجازات النبوية » . وقد عده الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى ـ مؤلف موسوعة الغدير ـ أستاذا له وجعل ترتيبه الخامس فى قائمة أساتذته ومشايخه [1] .

بقى من أدلة الاستشهاد بالشيوخ والأساتذة دليل أستاذه قاضى القضاة أبى الحسن [2] عبد الجبار بن أحمد ، فإن المصنف يذكر فى معرض الحديث عن استعارات سورة الكهف هذا الشيخ المعتزلى الأصولى قائلا : [وفيما علقته عن قاضى القضاة أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد ـ أدام الله توفيقه ـ عند قراءتى عليه كتابه الموسوم بتقريب الأصول] ونرى الشريف الرضى فى « المجازات النبوية » يشير إليه إشارة التلميذ إلى شيخه ، مما يقطع بأن مصنف هذا المخطوط هو بعينه مؤلف المجازات النبوية ، وهو الشريف الرضى رضى الله عنه .

هذه هى الأدلة المادية القاطعة بأن هذا المخطوط الذى نطبعه اليوم هو للشريف الرضى. بقيت بعض القرائن التى نضيفها إلى الدلائل القطعية لا لتعزيزها وتوكيدها ـ فهى بغير حاجة إلى توكيد ـ بل لنستكمل بها سبيل التحقيق العلمى فى مخطوط لم تترك لنا عاديات الأيام اسمه ، ولم تبق على اسم مؤلفه . فإننا نلاحظ فى كتابنا هذا « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » أسلوبا أدبيا عاليا يمشى مع الأسلوب العلمى فى درب واحد . وقد اجتمع هذا فى الشريف الرضى بما لم يجتمع لغيره من المؤلفين ، فإن العبارة هنا أدبية متأنقة واضحة الحجة ، بينة المعالم لا تشوبها عجمة ، ولا يعيبها غموض ، ولا يشينها إبهام . اسمع قوله فى قوله تعالى : ﴿وَالشُّعَرَاءُ

---

(١) الغدير ، للشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى ج ٤ ص ١٦٢ طبعة النجف .

(٢) كذا فى الأصل. وهو فى الأعلام للزركلى : أبو الحسين . وكذلك جاء فى « الغدير » ج ٤ ص ١٦٣ .

يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ : [وهذه استعارة ، والمراد بها ـ والله أعلم ـ أن الشعراء يذهبون فى أقوالهم المذاهب المختلفة ، ويسلكون الطرق المتشعبة ، وذلك كما يقول الرجل لصاحبه إذا كان مخالفا له فى رأى ، أو مباعداً له فى كلام : أنا فى واد وأنت فى واد .أى أنت ذاهب فى طريق ، وأنا ذاهب فى طريق . ومثل ذلك قولهم : فلان يهبُّ مع كل ريح ، ويطير بكل جناح ، إذا كان تابعاً لكل قائد ، ومجيبا لكل ناعق . وقيل إن معنى ذلك تصرُّف الشاعر فى وجوه الكلام من مدح ، وذم ، واستزادة ، وعتب ، وغزل ، ونسيب ، ورثاء ، وتشبيب . فشبهت هذه الأقسام من الكلام بالأودية المتشعبة ، والسبل المختلفة .

ووصْفُ الشعراء بالهيمان فيه فرط مبالغة فى صفتهم بالذهاب فى أقطارها ، والإبعاد فى غاياتها . لأن قوله سبحانه : يهيمون ، أبلغ فى هذا المعنى من قوله : يَسْعَوْنَ أو يسيرون . ومع ذلك فالهيمان صفة من صفات من لا مسكة له ، ولا رجاحة معه . وهى مخالفة لصفات ذى الحلم الرزين ، والعقل الرصين] .

فالعبارة هنا أنيقة ، وفيها ضرب من المزاوجة التى يعرفها كل من قرأ للشريف كتابه فى المجازات النبوية ، أو قرأ له بعض ما نشر من رسائله .

على أن قارئ المجازات النبوية ، وقارئ مجازات القرآن هنا يجد أن القلم الذى جرى هنا هو بعينه الذى جرى هناك ، وأنهما جميعا ينبعان من معين واحد ، هو ذلك الفيض البليغ الذى كان يقطر به قلم الشريف شعرا أو نثرا . فإن فى أسلوبه من العلو ما يناسب علو نسبه ، لأن من خصه الله بهذا النسب النبوى الكريم يأبى أن يميل عن مستوى العلو فيما يأخذ بسبيله من قول أو فعل .

على أن النَّفَس فى مجازات القرآن والمجازات النبوية يكاد من لطفه ورَوحه ووحدة متنفَّسه يدل على أن الكتابين لكاتب واحد . فلا تجد فى أى من الكتابين ضرباً من

المعاظلة أو التفيهق أو التعقيد أو ما إليها مما يعيب القول وقائله ... ولـكنك واجد فيهما من الأدب وحسن الذوق ولطف النقد وسلامة المنهج ، ونصوع البيان وكثرة الاستشهاد وتطبيقه المجزِّ ما يدل على مقام المؤلف ومنزلته من البلاغة ، وموضعه من الفصاحة . ولو كنت لا تعرف أن الشريف الرضى شاعر من الفحول العباقرة لجزمت بأن مؤلف هذين الـكتابين لا بد أن يكون شاعرا ... فإن الرقة فى معالجة موضوع المجازات النبوية والقرآنية لا تصدر إلا عن شاعر رقيق . إلا أنها رقة مازجها العلم الغزير ، وصاحبتها المعرفة الأدبية ، وناصرها الفقـه الإسلامى ، وظاهرَها النحو واللغة ، فاجتمع من ذلك كله قوام معتدل سليم لـكتابين سيظلان على مدى الدهور مفتاحا لبلاغة القرآن والحديث النبوى ، من حيث اشتمالهما على أبدع الاستعارات وأعجب المجازات .

والآن وقد فرغنا من صحة انتساب هذا المخطوط إلى الشريف الرضى ، فقد يقول قائل: وما أدراكم أن هذا المخطوط هو كتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » ؟ فقد يكون كتابا آخر للشريف الرضى غير التلخيص . ونحن نقول للمعترض : على رسلك ! فإن كتب الشريف الرضى معروفة ، ما طبع منها وما لم يطبع ، وقد ذكروا له فى كتب الدراسات القرآنية كتاب « حقائق التأويل فى متشابه التنزيل » وكتاب « معانى القرآن » وكتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » . وقد طبع « حقائق التأويل » فى النجف ، وكتب الشيخ عبد الحسين الحلى النجفى[1] ترجمة للشريف الرضى صدر بها الجزء الخامس من هذا التفسير المطبوع . أما « معانى القرآن » فلم يطبع ، ويجوز أن يكون هو بعينه كتاب « حقائق التأويل » فاختلط أمره على مترجميه وكتاب سيرته . فلم يبق إلا كتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » وهو هذا الـكتاب الذى بين يديك ، وفيه من الحديث عن استعارات القرآن الـكريم ما يقطع بكونه كتاب الشريف الرضى فى مجازات القرآن .

(١) وهو غير الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى العالم المعاصر الذى ألف موسوعة « الغدير » ، وقد ظهر منها إلى الآن تسعة أجزاء فى طبعة العراق ، ومثلها من طبعة إيران .

هذه الطبعة من تلخيص البيان

إذا قلنا : إن هذه الطبعة التى بين يديك ـ أيها القارئ الكريم ـ هى أول طبعة لكتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » فإننا لا نعدو الحق فى قليل أو كثير ، فقد ظهر الكتاب قبل ذلك بطريقة « الفوتوتيب » ، أى أن المخطوطة الوحيدة نفسها صورت وظهرت كلها مصورة كأصلها ، مع مقدمتين لناشر الكتاب السيد محمد المشكاة ، والأستاذ حسين على محفوظ ، ومع الفهارس للآيات والمطالب والأعلام والأمثال والأمكنة والألفاظ والأشعار . وقد طبعت المقدمتان والفهارس بطريقة الحروف المطبعية ، أما متن الكتاب نفسه فقد طبع مصوراً كما هو بأصله على النسخة الوحيدة فى العالم التى كان يملكها السيد محمد المشكاة .

لهذا لم نكن مجافين للحقيقة حين قلنا إن هذه الطبعة التى نقدمها لك هى أول طبعة لهذا الكتاب ، فإن طبعة إيران المصورة عن المخطوطة لا تعدو أن تكون نثاً وتكثيرا للمخطوط نفسه ، بحروف الناسخ نفسه ، وبخطه ، وبأوهامه فى النسخ ، وبترميجه للكتابة ، وبغير ذلك من العقبات التى لا تيسر الاستعانة بالكتاب ، ولا تحقق المنفعة منه على وجه صحيح سليم .

على أننا هنا نعيذ أنفسنا أن ننقص ذرة من قيمة الجهد العلمى العظيم الذى بذله السيد محمد المشكاة فى إخراج المخطوط على الصورة التى خرج بها ، والهيئة التى ظهر عليها . فإن تلك الفهارس التى صنعها ونسقها وافتن فيها وبذل لها من الجهد ما يقدره المنصفون ـ تدل على روح علمية أصيلة فى نفس السيد المشكاة ، كما تدل أكبر الدلالة على أكيد رغبته فى تيسير النفع بهذا الكتاب بأدنى جهد وأيسر مشقة . إلا أن عيب هذه الطريقة التصويرية فى نشر المخطوطات أنها تعرض أمام عينى القارئ أصلا محرفا ، ونصا غير مقوَّم ولا مصحح . فقد لاحظت أن أغلب ما فى المخطوطة المصورة من الشعر محرف مشوه فى الصفحات المصورة ،

ولعل الزمن أعْجَلَ السيد محمد المشكاة فلم يتسع له الوقت لتصحيح هذه الكثرة الكاثرة من الأخطاء والتحريفات وهو يفهرس لأبيات الشعر التى استشهد بها المؤلف فى كتابه ...

ففى مجازات سورة « الطارق » استشهد الشريف الرضى ببيت من الشعر شطره الأول هكذا :

* وجاءت سِلْيمَ لارَجْع فيها *

فأعاده السيد المشكاة فى فهرس الأشعار كما هو ، مع أن تصويبه :

* وجاءت سِلْتِمٌ لارجع فيها *

والسِّلْتِم بكسر التاء المثناة الفوقية هى الداهية أو السنة الصعبة .

وفى مجازات سورة « الزمر » جاء هذا البيت لأبى ذؤيب الهذلى :

ولا شبوب من الثيران أفرده عن كَوْره كثرةُ الإغراء والطَّرَد

فأعاده الناشر هكذا :

ولا شبوب من النيران أفرده عن كَوْرَة كثرة الأغراد والّطردِ

والبيت ـ كما صححناه فى المتن ـ هكذا :

ولا شبوبٌ من الثيران أفرده عن كَوْرِه كثرةُ الإغراء والطَّرَدُ

والشَّبوب من الثيران هو المسنُّ منها ، والكَوْرُ : هو القطيع من الحيوان،فهى الثيران جمع ثور ، لا النيران جمع نار كما أثبته المحقق .

على أن كثيرا من الآيات القرآنية وردت محرفة من الناسخ فى المصورة المطبوعة ، وقد فات المحقق الفاضل أن يصحح خطأها و يقيم عوجها ... ولعله أحسن الظن بناسخ المخطوطة فوثق به فى مقام لا يحمد فيه الوثوق ، وخاصة حين يحقق المرء نصا قرآنيا كريما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !

ولسنا هنا بسبيل تعداد الآيات المحرفة فى المخطوطة المصورة ، والتى فات المحقق الفاضل أن

يردها إلى صواب موضعها وصحة أصلها، ولـكننا نذكر هنا بعض هذه التحريفات، دفعا لتهمة التجنى على رجل لا تحملنا أسباب التقدير لعمله إلا إلى الثناء عليه والإشادة بجهده ، وسبحان من تنزه عن السهو وتعالى عن الخطأ !

الآية محرفة	الآية صحيحة
وضُربت عليهم الذِّلة	ضُربت عليهم الذِّلة
فلا تقعد معَهم حتى يخوضوا	فلا تقْعدوا معهم حتى يَخُوضُوا
واستبقوا الخيراتِ	فاسْتَبقوا الخيْراتِ
و إذا أذقنا الإنسان منارحمة	ولئن أذقنا الإنسانَ منَّا رحمةً
إنى أَخاف عليكم عذاب يوم محيط	و إنى أخافُ عليكم الخ
يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة	و يستعجلونك الخ
ولما تراءى الجمعان	فلما تَرَاءى الجمْعان
فافتح بيننا و بينهم فتحا	فافتح بينى و بينهم فتحا
وجعَلنا الجبال أوتادا	ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا

إن هـذه الـكثرة من الآيات القرآنية الـكريمة المحرفة تؤكد ماندعو إليه و يدعو إليه التحقيق العلمى من شدة الحذر فى الاطمئنان إلى نص المخطوط وخاصة فيما يتصل بالقرآن الـكريم والحديث الشريف والآثار والأشعار ، فإن المرء قد يكون جيد الحفظ لـكتاب الله تعالى ، ومع هـذا فقد يلتبس عليه الأمر ، فيخلط آية بآية ، أو يبدل حرفا بحرف ، مما يوسوس به الوهم أو يوحى به الظن ، وأسلم الطرق فى ذلك هى الرجوع إلى كتاب الله نفسه ، أو إلى طبعة موثقة من الحديث نفسه ، حتى تطمئن النفس إلى عملها .

ولقد لقى صديقنا المحقق المدقق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون (١) ـ جزاه الله عن العلم خيرا ـ

(١) انظر كتاب « تحقيق النصوص ونشرها » للأستاذ عبد السلام هارون ص ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ وهو كتاب ثمين فى هذا الموضوع .

كثيرا من التحريفات لآيات من القرآن وهو يحقق طبعته الثمينة من كتاب « الحيوان » للجاحظ، وهى تحريفات تؤكد لنا أن الاعتماد على الحافظة فى رواية القرآن الكريم قد يفضى غالبا إلى الوقوع فى الخطأ، وهو مما لا يجوز للمسلم ارتكابه مع توفر حسن النية لديه، فلا بد دائما من الرجوع إلى المصحف، ولا بد من أن يطمئن الناقل شيئا من القرآن إلى أنه نقل عن المصحف نفسه، لا عن حافظ أو راوٍ مهما كان حفظه، فإن أمور الذاكرة عجيبة فى هذا الباب.

ومن أعجب تحريفات الجاحظ القرآنية فى كتابه « الحيوان » :

خطأ الآية	صوابها
« فلما أتوا على وادى النمل »	« حتى إذا أتوا على وادى النمل »
« إنى مبتليكم بنهر »	« إن الله مُبتليكم بنَهَرٍ »
« ثم اسلكى سبل ربك ذللا »	« فاسْلكى سُبُلَ ربك ذُلُلاً »
« فلما جاء أمرنا وفار التنور »	« حتى إذا جاء أمرُنا وفار التنُّور »
« هو الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً »	« الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً »
« وأنهار من ماء غير آسن »	« فيها أنهارٌ من ماء غير آسن »
« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جانٌّ ولّى مدبرا ولم يعقب ، يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين »	« وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقِّب ، يا موسى لا تخفْ إنى لا يخاف لدىَّ المرسَلون »

لقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغة[1] أن الشريف الرضى - رضى الله عنه - حفظ القرآن بعد أن جاوز ثلاثين سنة . فهل نقول إن هذا الحفظ المتأخر للقرآن قد جرّ إلى هذه التحريفات فى « تلخيص البيان » ، أم إنها تحريفات من الناسخ الذى قد يكون اعتمد فى نسخ الآيات على حافظته فخانته الحافظة ؟؟ .

(١) انظر « شرح ديوان الشريف الرضى » طبع عيسى الحلبى وشركاه، ص ١٤

والحق أن السيد محمد المشكاة قد بالغ فى حسن الظن بناسخ المخطوطة مبالغة أفضت به إلى أن يترك تحقيق النص جانبا ، وأن يهتم بالفهارس البديعة أكثر من اهتمامه بإصلاح الهفوات وتصحيح التحريفات ! وهي فهارس نرى من حشو الكلام أن نزيد فى قدرها ، وأن نشيد بها ، وأن نكرر الثناء على صاحبها .

وقد بلغ من حسن ظن السيد المشكاة بهذه النسخة الخطية الوحيدة أنه قال فيها : [إنها نسخة مهذبة ... إلا أنها مع ذلك لا تخلو من أغلاط قليلة لايسلم منها أى ناسخ] ، وتلك شهادة الرجل الكريم حين يحسن الظن بالناس و بالأشياء ! فالحق أنها نسخة مملوءة بأغلاط كثيرة ستظهر من الهوامش الكثيرة التى سيلقاها القارئ هنا فى هذه الطبعة المصرية .

والحق أننا كدنا نحسن الظن بالنسخة وناسخها حينما وقعت العين لأول وهلة على خطها الواضح المقروء فى سهولة و يسر ، ولكننا آثرنا جانب الحذر والحيطة على جانب الإحسان بالظن ، حين يكون حسن الظن مفضيا إلى مشايعة المخطىء ، ومتابعة المحرِّف ، ومجانبة المصيب !

والحق أن تصحيح الآيات القرآنية لم يتعبنا قدر ماأتعبنا تقويم النص و إصلاح الشعر ، ورد أكثره إلى قائليه الذين أغفلهم الشريف الرضى رحمه الله ، ثقة منه بعرفان الناس فى زمانه لهذه الشواهد ولأصحابها . ولكن بعضا من هذه الشواهد الشعرية قد خفى قائلوه حتى على السابقين من المفسرين والأدباء ومؤلفى كتب الشواهد، وصاحب « لسان العرب » نفسه ! مع أنه أكثر مصادرنا ومراجعنا فى أبيات الاستشهاد . ومع ما بذلتُ من جهد فى سبيل تحقيق نسبة الشعر المستشهد به إلى قائليه ، فقد بقيت بضعة أبيات لم أقف لها على أثر فى كتب المراجع التى يجدها القارئ فى فهرس خاص فى آخر الكتاب ، ولعل الله يتيح لها من القراء الكرام من يزيح عنها نقاب الخفاء ، فيسهم فى التحقيق بما توجبه وشائج العلم وروابط الفكر ، وهى وشائج مجابة الدعاء ، وحقوقها واجبة الأداء .

القيمة العلمية والأدبية لهذا الكتاب

أشار الشريف الرضى فى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » إلى كتابه هذا : «تلخيص البيان فى مجازات القرآن » إشارة تحمل رأى المصنف فى تصنيفه قال فيها : (فإنى عرفت ما شافهتنى به من استحسانك الخبيئة التى أطلعتها ، والدفينة التى أثرتها ، من كتابى الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القرآن ، وأنى سلكت من ذلك محجة لم تسلك ، وطرقت بابا لم يطرق ، ومارغبتَ إلىَّ فيه من سلوك مثل تلك الطريقة فى عمل كتاب يشتمل على مجازات الآثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله ...[1]) .

وظاهر هذه العبارة أن هذا ليس رأى الشريف الرضى فى كتابه «تلخيص البيان» ، ولكنه رأى الذى يخاطبه فى مقدمة المجازات النبوية ...! وأيًّا ما كان الأمر فإن الحق أن الشريف الرضى سلك فى « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » محجة لم تسلك ، وطرق بابا لم يطرق. فإن كتابا قائما بذاته مستقلا بنفسه لم يظهر فى مجازات القرآن كما ظهر كتاب الشريف الرضى فى أخريات القرن الرابع الهجرى . وقد ذكرنا قبلا أن « مجازات القرآن » لأبى عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ هـ، لا يدخل فى باب المجاز بمعناه البيانى ومدلوله البلاغى المقابل للحقيقة عند علماء البيان ، ولكنه يستعمل المجاز بمعنى التفسير والتأويل لمعانى القرآن ، سواء أكانت واردة على سبيل الحقيقة أم على سبيل المجاز البيانى .

أما إشارات الجاحظ وتلميذه ابن قتيبة إلى المجازات والاستعارات القرآنية بالمعنى الاصطلاحى عند البيانيين فلم تكن إلا لمعا بيانية منثورة فى « البيان والتبيين » ، « والحيوان » ، « وتأويل مشكل القرآن » ، ولم تأخذ ذلك المنهج القائم الكامل الذى سلكه الشريف الرضى فى « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » .

---

(١) المجازات النبوية . طبع مصر . ص ١٩

ومن هنا كان « تلخيص البيان » أول كتاب كامل ألف لغرض واحد ، وهو متابعة المجازات والاستعارات فى كلام الله كله سورة سورة وآية آية . ومن هنا كانت القيمة العلمية لهذا الكتاب الذى لم يؤلف مثله فى هذا الغرض . فهو يقوم فى التراث العربى الإسلامى وحده شاهدا على أن الشريف الرضى خطا أول خطوة فى التأليف فى مجازات القرآن واستعاراته تأليفا مستقلا بذاته ، ولم يأت عرَضا فى خلال كتاب ، أو بابا من أبواب مصنَّف .

ويظهر أن الله شاء أن يظل كتاب مجازات القرآن للشريف الرضى وحده ، وأن يتفرد بهذه المزية فلا يشركه كتاب عربى آخر فى مجازات القرآن . فقد ذكر صاحب « كشف الظنون » أن لعز الدين بن عبدالسلام سلطان العلماء المصرى الشافعى الدمشقى (المتوفى سنة ٦٦٠ هـ) كتابا اسمه « مجاز القرآن » ، وأن جلال الدين السيوطى (المتوفى سنة ٩١١ هـ) قد اختصره وسماه : « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » فأين كتاب العز بن عبد السلام ؟ وأين مختصر السيوطى له ؟ وهل هو فى مجاز القرآن بالمعنى الذى قصده أبو عبيدة ؟ أم بالمعنى البيانى الاستعارى الذى انفرد الشريف الرضى بالتصنيف فيه ؟ الحق أن مصادرنا تسكت سكوتا مطبقا عن كتاب « مجاز القرآن » للعز بن عبد السلام . ولعله ضاع فيما ضاع من تراث الإسلام .

والحق أن السيوطى المؤرخ ـ رحمه الله ـ وهو يترجم لنفسه بنفسه فى كتابه « حسن المحاضرة » جـ ١ ص ١٨٨ ذكر ثبتا شاملا بأسماء كتبه ورسائله ، فلم يذكر فيه اسم كتاب « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » الذى ذكر صاحب « كشف الظنون » أنه اختصره من كتاب « مجاز القرآن » لعز الدين بن عبد السلام . فكيف يفوت السيوطى نفسه أن يسجل لنفسه كتابا اختصره لسلطان العلماء قبله ؟ مع ما نعرفه من مبلغ حرص السيوطى على أن لا يفوته فى هذا الثبت الجامع كتاب واحد من كتبه ؟

إن السيوطى نفسه ـ فى كتاب آخر من كتبه ـ يساعدنا على حل هذا اللغز . ففى كتابه

« الإتقان فى علوم القرآن[١] » وفى الفصل الذى عقده للحديث عن حقيقة القرآن ومجازه يقول هذه العبارة عن المجاز القرآنى : (وقد أفرده بالتصنيف الإمام عز الدين بن عبد السلام ، ولخصته مع زيادات كثيرة فى كتاب سميته مجاز الفرسان ، إلى مجاز القرآن) .

فكيف نعلل إغفال السيوطى لذكر كتابه هذا عن مجاز القرآن فى ثبت مؤلفاته الذى ذكره فى ترجمة حياته فى كتابه « حسن المحاضرة » ؟ يبدو أن العلة من اليسر والوضوح بحيث لا تثير شكا ولا خلافا ولا إلغازا ؟ فقد كتب السيوطى كتابه « حسن المحاضرة » قبل أن يؤلف « مجاز الفرسان إلى مجاز القرآن » ، الذى يبدو أنه صنفه بأخرة من عمره ، ومن هنا لم يدرجه فى ثبت مؤلفاته لأنه كان لا يزال مستكنا فى طوايا المجهول المغيَّب .

على أن ابن شاكر الكتبى لم يذكر فى « الوافى بالوفيات[٢] » ـ وهو يترجم لعز الدين ابن عبد السلام ـ أن له كتابا فى « مجاز القرآن » مع أنه ذكر له « القواعد الكبرى » و « القواعد الصغرى » و « مقاصد الرعاية » و « مختصر نهاية المطلب » وغيرها ، فلماذا أغفل ابن شاكر الكتبى كتاب مجاز القرآن لعز الدين بن عبد السلام ؟ مع أن موضوع المجازات القرآنية نادر فى التأليف الإسلامى العربى ؟ .

الحق أن هذا الإغفال قد أوقعنا على عشوة من الأمر ، وحيرة من الرأى . وليست هذه بأول حيرة وقعنا فيها ونحن ننقب عن مجازات القرآن فى المصادر والمراجع ، فقد أوقعنا حاجى خليفة ـ صاحب كشف الظنون ـ فى حيرة أخرى وهو يذكر لنا فى حرف التاء من حروف المعجم كتابا باسم « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » للشيخ رضى الدين العزى ! ! فما هو هذا الكتاب الذى يتفق اسمه واسم كتاب الشريف الرضى الذى نقدمه اليوم إلى القراء الكرام محققاً مصححا مفهرسا ؟ ومن هو الشيخ رضى الدين

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى جـ ٢ ص ٣٦ (٢) الوافى بالوفيات جـ ١ ص ٢٨٨ .

العزّيّ هذا الذى يقول صاحب « كشف الظنون » إنه مؤلف كتاب « تلخيص البيان عن عن مجازات القرآن » ؟؟ .

الحق أننا فى داجية من الأمر مظلمة ! فإن ملاچلبى ـ أو حاجى خليفة صاحب « كشف الظنون » ـ لم يذكر لنا « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » للشريف الرضى الذى يعرف المسلمون جميعا بأنه للشريف الرضى ، والذى صرح الشريف نفسه فى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » بأنه صنع هذا على غرار ماصنع فى كتابه « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » .

والذى نعرفه عن صاحب « كشف الظنون » أنه بحاثة عن الكتب من طراز نادر فى تاريخ التراث الفكرى العربى ، فكيف فاته أن يذكر للشريف الرضى كتابه « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » الذى ذكره الشريف وأشار إليه فى كتابه « المجازات النبوية » ؟

إن حاجى خليفة لا يذكر للشريف الرضى إلا كتابا واحدا يسميه « المجاز » ، وهو بهذه التسمية المفردة يوقعنا فى حيرة أخرى ؛ فأى المجازات يعنى ؟ أهو مجاز الحديث النبوى ؟ أم هو مجازات القرآن، الذى صرح الشريف الرضى نفسه بأن عنوانه هو «تلخيص البيان عن مجاز القرآن » ؟؟

إن قراء « المجازات النبوية » فى الأمم الإسلامية كلها كانوا يعلمون حق العلم أن للشريف الرضى كتابا هو « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » ، ولكنهم لم يروه ولم يطلعوا عليه ، إلا حين يجوز الاطلاع على الغيب ! حتى جاء السيد الجليل محمد المشكاة ، فوفقه الله إلى العثور على نسخة خطية لهذا الكتاب الذى ينطق بالأدلة القاطعة التى

لا تثير شكا ولا تقبل نقضا بأنه للشريف الرضى، كما أشرنا إلى ذلك قبلا بما لا يتسرب الوهم إلى خلافه

فكيف سكت صاحب كشف الظنون عن ذكر « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » ، للشريف الرضى ؟ وكيف نسب كتابا بهذا الاسم نفسه إلى الشيخ رضى الدين العزى ؟ فمن هو هذا الشيخ رضى الدين العزي ياترى ؟

لقد أضنانى البحث فى كل مظنة وغير مظنة من كتب التاريخ والتراجم والطبقات ، فلم أجد للشيخ رضى الدين العزى ذكرا ولا أثرا . وهنا لم أجد غير الظن بأن صاحب كشف الظنون يكون قد وهم فى الاسم فحرفه هذا التحريف ، أو يكون الاسم محرفا تحريفا مطبعيا حين طبع كشف الظنون فى استنبول سنة ١٣١١ ﻫ

بقى بعد هذا الكلام الطويل أن نثبت القيمة العلمية والأدبية لكتاب « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » للشريف الرضى بعد أن حققنا صحة الكتاب وصحة نسبته للشريف الرضى ، وتفرُّدَه فى التراث الفكرى الإسلامى بمكان التحدث عن مجازات القرآن الكريم ، كما تفرّد كتاب « المجازات النبوية » للشريف أيضا بحديثه عن مجازات السنة النبوية .

* * *

إن إعجاز القرآن فى ألفاظه وأساليبه ومعانيه من الحقائق الخالدة التى أطبق المسلمون عليها ، وقد سلك فى التعبير سبلا هى مما ألفه العرب ، ولكن فصحاءهم وبلغاءهم أعجز من أن يأتوا بمثله ولو ظاهر بعضهم بعضا . فهذه المسالك اللطيفة والدروب الدقيقة ، والغرائب العجيبة فى التعبير ، والنكت البلاغية الخفية والظاهرة ، مَنْ يرفع الستر عنها ، ويكشف النقاب عما حوته من روعة الجمال ، وقدسية الجلال ؟ وهذه الأسرار البلاغية فى

كتاب الله، مَن يُطلع دفائنها ويخرج خزائنها ويعرضها عرض الصيرفى الخبير والناقد البصير ؟

وهذه الاستعمالات القرآنية العجيبة مَنْ يجد لها فى لغة العرب ماجرى القرآن على مسنونه، حتى لايكون هذا الكتاب الكريم بدعا مما اعتادته العرب من وجوه الكلام ؟

وهذه المجازات القرآنية مَنْ يميط اللثام عن حقيقتها، ويزيح الشُّبَهَ الناجمة من سوء فهمها ؟ألم يفهم قوم من قوله تعالى: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ معنى التناسخ . مع أن الله ـ كما يقول ابن قتيبة فى تأويل مشكل القرآن ـ لم يرد فى هذا الخطاب إنسانا بعينه، وإنما خاطب جميع الناس كما قال: ﴿ يَاأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ كما يقول القائل: يأيها الرجل! وكلكم ذلك الرجل. فأراد أنه صوَّرهم وعدَّلهم فى أى صورة شاء ركَّبهم من حسن وقبح، وبياض وسواد، وأدمة وحمرة .

وهذه الاستعارات القرآنية مَنْ يكشف عن حقيقتها فيبين أن ظاهر اللفظ لم يقصد، وإنما قصد غيره لعلاقة ؟ ففى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾ لم يقصد ظاهر الكلام من الكشف عن السوق حقيقة، [وإنما المقصود أنه يكشف عن شدة من الأمر ـ كما قال قتادة ـ أو عن أمر عظيم كما قال إبراهيم النخعى . وأصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى معاناته والجد فيه شمَّر عن ساقه . فاستعيرت الساق فى موضع الشدة][1]

وفى قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ مَن الذى يبين لنا أنه المقصود ليس تطهير الثياب حقيقة وإنما القصد تطهير النفس من الذنوب، فكنى عن الجسم بالثياب لأنها تشتمل عليه؟[2] ثم قد تكون الثياب هنا بمعنى الأزواج، لأنَّ الله قال فى آية أخرى عن الأزواج: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ واللباس والثياب بمعنى واحد، فكأنه تعالى أمر النبى

---

(١) تأويل مشكل القرآن . لابن قتيبة ص ١٠٣ . (٢) المصدر السابق ص ١٠٧ .

عليه السلام أن يستطهر النساء، أى يختارهن طاهرات من دنس الكفر، ودرن العيب، لأنهن مظان الاستيلاد، ومضام الأولاد [1].

وهذه الأساليب القرآنية والمقاصد البيانية اللطاف، مَنْ يفسِّرها بما يزيح لثامها ويوضح أعلامها، فيبين لنا مثلا أنَّ القصد من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ أى لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين، لأنهم كأنفسكم، أو أن القصد من قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ أن الله عز وجل يسم وجهه يوم القيامة بالسواد جريا على مذاهب العرب حين يقولون: وسم فلانا بميسم سوء. أى سبَّه سبةً قبيحة ونثا عليه فاحشة، يريدون: ألصق به عارا لا يفارقه، كما أن السِّمة لا تمَّحى ولا يعفو أثرها كما قال جرير

لما وضعتُ على الفرزدق ميسمى وعلى البَعيث جدعتُ أنف الأخْطَل

أى أنه وسم الفرزدق وجدع أنف الأخطل بالهجاء، أى أبقى عليه عارا باقيا مثل الجدْع والوسم؟؟

لقد تناول المفسرون والمؤولون السابقون أمثال هذه الأساليب والتعبيرات بالشرح والتفسير، ملتمسين لها فى لغة العرب أمثالا وأشباها. ولكن هذه التأويلات والشروح لم تنتظم القرآن كله سورةً سورةً من أوله إلى آخره، ولكنها كانت تأتى متفرقة متناثرة فى أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين. وهؤلاء كانوا يفسرون اجتهادا منهم أوسماعا من رسول الله، الذى لم يكن يفسر شيئا من القرآن إلا آيات تعد، علَّمهن إياه جبريل [2]

فهذا على بن أبى طالب كان أكثر الخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم ـ تفسيراً للقرآن الكريم، حتى روى مَعْمر عن وهب بن عبدالله بن أبى الطفيل قال: «شهدت عليا رضى الله عنه يخطب ويقول: سلونى! فو الله لا تسألونى عن شىء إلا أخبرتكم. وسلونى عن كتاب الله. فوالله مامن آية إلا وأنا أعلم أَبِلَيْلٍ نزلت أم بنهار؟ أفى سهل أم فى جبل [3]

---

(١) تلخيص البيان. فى تفسير مجازات سورة «المدثر». (٢) تفسير الطبرى ج ١ ص ٢٩

(٣) مناهل العرفان فى علوم القرآن: للزرقانى ج ١ ص ٤٨٣.

وهذا ابن عباس رضى الله عنه يسأل عن معنى آية أو لفظة من القرآن الكريم فيجيب عن علم غزير تحقيقا لقول النبى فيه : « نعم ترجمان القرآن أنت » . فقد رُوى أن رجلا جاء ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ فقال : اذهب إلى ابن عباس ، ثم تعالى أخبرنى ! فذهب فسأله فقال ، : « كانت السموات رتقا لاتمطر ، وكانت الأرض رتقا لاتنبت، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات » فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره بجواب ابن عباس . فقال : « قد كنت أقول : ماتعجبنى جراءة ابن عباس على تفسير القرآن . فالآن قد علمتُ أنه أوتى علما » [1]

فتأويل مجازات القرآن وتوضيح أساليبه والكشف عن أسرار البلاغة فيه ، وتحليل استعاراته هو عمل بدأه الشريف الرضى متناولا القرآن كله وفق ترتيب السور فى المصحف الذى بين أيدينا ، ومتناولا كل آية فيها مجاز وَفقْ ترتيبها من السورة التى هى فيها . ومن هنا حق لنا أن نقول : إن الشريف الرضى فعل فى مجازات القرآن مافعله الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ فى تفسير القرآن ، من حيث وضع التفسير لكل آية من كتاب الله أو جزء من آية مرتبة حسب ترتيب المصحف [2]

على أننا ننتهز هنا هذه الفرصة لنقول إن « مجازات القرآن» لأبى عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنه ٢٠٩ قد أصبح ـ بعد طبعه الآن ـ أقدم التفاسير المطبوعة لكتاب الله ، وأنه أسبق من تفسير الطبرى بعشرات من السنين

* * *

ولسنا نعد « تلخيص البيان » للشريف الرضى تفسيرا للقرآن بالمعنى الكامل الصحيح لكلمة التفسير، لأنه لم يتناول القرآن الكريم كلمة كلمة كما فعل الطبرى

(١) المصدر السابق ص ٤٨٤ .

(٢) قد يقال إن الفراء المتوفى سنه ٢٠٧ هو أول من فسر كتاب الله آية آية حسب ترتيب المصحف كما يفهم ذلك من نص ساقه ابن النديم فى الفهرست ص ٦٦ ، ولكن ذلك ليس قاطعا فى القضية .

والنسفى والقرطبى والبيضاوى وابن كثير وغيرهم ، ولكنه كان يعرض القرآن كله سورة سورة ، فيستخرج من كل سورة الآيات التى فيها مجاز بيانى ، ويكشف عما فيها من وجوه المجاز والاستعارة والبيان . وقد تكون السورة مثلا مائتين أو أكثر من الآيات ، فلا يخلص منها على المجاز إلا بضع عشرات من الآيات ، أما بقية الآيات التى ليس فيها مجاز فلم يتعرض الشريف الرضى لها ، ولكنه يسقطها من سمط السورة . وقد يحدث أن تكون سورة قرآنية قد خلت من المجاز جملة ، فيشير المصنف إلى ذلك قائلا : « وليس فى هذه السورة شىء من غرض كتابنا هذا » أو « ولم نجد فى هذه السورة شيئاً من المعنى الذى قصدنا إليه » أو غير ذلك من العبارات الدالة على خلو السورة من المجاز ، كما فعل فى سورة « عبس » و « الانفطار » وغيرهما .

على أننا إذا أعرضنا جانبا عن ذكر المجازات البيانية فى « تلخيص البيان » فإننا نجده بجانب ذلك قد خدم اللغة خدمة لا ينتظر صدورها إلا من مثل الشريف الرضى فى علو كعبه وثبوت قدمه فى لغة العرب . فهذا الفيض الغزير من العبارات الفصاح والألفاظ اللغوية ، والتراكيب التى جرت من العربية فى الصميم ، والاستعمالات التى صح ورودها عن العرب الفصحاء البلغاء ـ هـذا الفيض الفياض من الذخيرة اللغوية الحية فى الأمثال والتراكيب ، قد فاض به « تلخيص البيان » فيضانا كانت مظنته فى كتب اللغة لا فى مجازات القرآن ، ولكن الشريف الرضى بحر صادف فى القرآن الكريم محيطا لا تنفد مادته ولا ينضب معين القول فيه ، فملأ كتابه باستعمالات عربية فصيحة ساقها دعما لقضيته وسندا لمسائله ، فاجتمع من ذلك هذا السيل اللغوى الذى لا تغبُّ فواضله ...

وأين لنا بمثل الشريف الرضى ليزخر كتابه بأمثال هذه الاستعمالات :

أخذت المرأة قناعها : أى لبسته . وأخذتُ هذا الأمر باليد : أى بالسلطان . وأعطيتُه

رجلا بريشه : أى بكُسْوَته . وأكلت الضبعُ القومَ : أى نهكتهم سنة الجدب . وأنا بعين الله : أى بمكان من حفظه . وبكينا فلانا بأطراف الرماح : أى طلبنا دمه وأدركنا ثأره . والقوم بيوتهم رياء : أى متقابلة . ودُورُ بنى فلان تتراءى : أى تتقارب . وعلى وجه فلان قبول : أى كل ناظر إليه يقبله قلبه وتسر به نفسه . وفلان عندى بالميزان الراجح : إذا كان كريما عليك أو حبيبا إليك . وفلان يمشى على وجهه : إذا كان لا ينتفع بمواقع بصره . وهفا حلم الرجل : إذا احتد عند الغضب . ونفح الفرس فلانا بحافره : إذا أصابه إصابة خفيفة ولم يبلغ فى إيلامه الغاية . وهذه المرأة فى حبال فلان : أى فى ملكه وأسره . وهو عربى قلبا : أى عربى صريح النسب . وفلان على الواضحة من أمره : إذا كان عالما بما يورده ويصدره ؟

أين لنا بمن يدون مئات من الاستعمالات الفصاح فى كتاب يتحدث عن مجازات القرآن ؟ لقد دل الشريف هنا على أنه واسع الاطلاع فى العربية ، عليم بأسرارها ، خبير بدقائقها ، ملم باستعمالاتها ، وأنه تثقف ثقافة لغوية بعيدة الأصول ، عميقة الجذور . وحسبه أن يكون من بيت الرسول العربى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهو مدينة العلم[1] . وأن يكون جده على بن أبى طالب باب مدينة العلم ، وأن يكون من أساتذته السيرافى المتوفى سنة ٣٦٨هـ ، وأبو على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ ، وأبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى سنة

(١) قال صلى الله عليه وسلم . « أنا مدينة العلم وعلى بابها ، ولن تدخل المدينة إلا من بابها » المجازات النبوية طبع مصر ص ١٥٨ .

٣٩٢ هـ ، وأبو الحسن على بن عيسى الربعى المتوفى سنة ٤٢٠[1] هـ ، وعبد الرحيم بن نباتة الخطيب العربى المعروف المتوفى سنة ٣٩٤ هـ وغيرهم .

ثم هـذه الشواهد الشعرية الـكثيرة المبثوثة فى تضاعيف كتاب « تلخيص البيان » والتى ترتد بنسبها إلى أبى ذؤيب الهذلى ، وأبى كبير الهذلى ، والأفوه الأودى ، وامرىء القيس ، والنابغة الذبيانى ، وعبـدة بن الطبيب ، وعنترة العبسى ، والمتنخل ، وملاعب الأسنة ، و بقيلة الأكبر الأشجعى ، وأبى المندى ، والعديل بن الفرخ ، وطرفة ، والحطام ، وذى الرمة ، وعمر بن أبى ربيعة ، وجرير وغيرهم من أساطين الشعر العربى الذين يحتج بهم ويستشهد بأقوالهم ـ ألا تدل هذه الـكثرة الـكاثرة من أبيات الاستشهاد على أن الشريف الرضى ضارب فى أعراق الأدب العربى بأوفر السهام ، وأنه ينزع إلى صميم العربية بأعراق وأعراق . فما استشهد بشاعر واحد من المولدين ـ على كثرتهم ـ فى عصره وقبل عصره . ولـكنه وقف بغاية الاحتجاج عند العصر الأموى ، فلم يجاوزه إلى العصر العباسى ، الذى انقطع فيه الاستشهاد بالشعر العربى بما بدأ يدخل فيه أو يطرأ عليه من العوامل التى نحّته عن مكان الاستشهاد ، ومقام الاحتجاج .

أما الأحاديث النبوية التى استشهد بها الشريف الرضى فى مقامات الاستشهاد فلم تبلغ من الـكثرة مايجعلها ظاهرة واضحة المعالم فى الـكتاب ، إنها ستة أحاديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكلهن صحيح الإسناد . فحديث: (اللهم اشدد وطأتك على مضر) أى أغلظ عليهم عقابك ، وضاعف عليهم عذابك ، حديث صحيح السند ذكره ابن حنبل فى « المسند » عن سفيان عن الزهرى عن سعيد عن أبى هريرة ، وقد رواه ابن سعد

---

(١) فى المجازات النبوية طبع القاهرة ص ٢٨٣ أن الربعى توفى سنة ٤٣٥ : وهذا خطأ صوابه ماذكره القفطى فى « إنباه الرواة » بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم من أنه توفى سنة ٤٢٠ . ج ٢ ص ٢٩٧ . وهـذا موافق لما ذكره جورجى زيدان فى « تاريخ آداب اللغة العربية » ج ٢ ص ٣٠٤ ، وما ذكره العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى فى الغدير ج ٤ ص ١٦٢ .

فى « الطبقات » عن الفضل بن دكين عن سفيان بن عيينة عن بقية الإسناد السابق ، ورواه مسلم فى صحيحه عن طريق يونس عن الزهرى عن سعيد بن المسيب ، ورواه البخارى من أوجه كثيرة عن أبى هريرة رضى الله عنه. وقد أورد الشريف الرضى من هذا الحديث مايحتج به لقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ أما نص الحديث كاملا فهو ـ كما جاء فى مسند ابن حنبل : (لما رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الأخيرة من صلاة الصبح قال : اللهم أَنْجِ الوليد بن الوليد ، وسَلَمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة ، والمستضعفين بمكة . اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف)(١)

أما حديث : (أنا برىء من كل مسلم مع مشرك لا تراءى ناراهما) فهو من صحيح أبى داود ، وقد رواه هشيم ، ومعمر ، وخالد الواسطى . وقد أورده الشريف غير تام ، كعادته فى إيراد مايحتج به . ونص الحديث كاملا كما فى سنن أبى داود : (بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأسرع فيهم القتل . قال فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فأمر لهم بنصف العقل ، وقال : أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين . قالوا : يارسول الله ! ولم ؟ قال : لا تراءى ناراهما)(٢) وقد أورد الشريف الرضى هذا الحديث فى كتابه « المجازات النبوية » ليكشف هناك عما فيه من استعارة(٣) .

أما قوله عليه الصلاة والسلام « وهل ترَكَ عقيل لنا من دَار » الذى ساقه الشريف

---

(١) المسند لابن حنبل ، بتحقيق المحدث الجليل الشيخ أحمد محمد شاكر ، ونشر دار المعارف بمصر جـ ١٢ ص ٢٥٠ ــ الحديث رقم ٧٢٥٩ . وانظره فى « صحيح البخارى » جـ ٢ ص ٢٦

(٢) سنن أبى داود جـ ١ ص ٢٦١ .

(٣) المجازات النبوية ص ١٩٨ .

الرضى فى معرض الحديث عن قوله تعالى فى سورة « ق » : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ) فهو من الأخبار النبوية التى أضنانا العثور عليها فى مظان كثيرة ، حتى كاد اليأس يصرفنا عن مواصلة البحث . إلى أن هدانا الله للوقوف عليه فى كتاب « إمتاع الأسماع » للمقريزى . وقد قاله النبى عليه السلام يوم فتح مكة حين مضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما ، وقيل : يا رسول الله ! ألا تنزل منزلك من الشعب ؟ فقال : وهل ترك عقيل لنا منزلا ؟ وكان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل إخوته(١) .

وهذا خبر لم تأت به كتب التاريخ والسيرة والمغازى التى بين أيدينا ـ على قدر اطلاعنا ـ فكان للعثور عليه « فى إمتاع الأسماع » للمقريزى فرحة بعد طول المراجعة ، وكثرة التنقير . وقد أفادنا السيد محمد المشكاة محقق المخطوطة المصورة فائدة جليلة حين ذكر هذا الخبر النبوى نقلا عن « تفسير التبيان » للشيخ الطوسى (طبع طهران جـ ٢ ص ٦١٤) .

وبمثل هذا الخبر النبوى نستطيع أن نقول إن « تلخيص البيان » قد ذكر من أنباء فتح مكة ـ على الإيجاز ـ ما لم تذكره أكثر المراجع التاريخية وأكبرها وأقدمها تدويناً لحوادث الرسول . وكذلك كان شأنه حين ذكر قوله عليه الصلاة والسلام : (إنكم تموتون كما تنامون ، وتبعثون كما تستيقظون) فهذا الحديث النبوى البليغ هو من خطبة

---

(١) إمتاع الأسماع جـ ١ ص ٣٨١ .

النبي عليه السلام ، وهى أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام . والخطبة كاملة فى كتاب « جمهرة خطب العرب » جـ ١ ص ٥١ ، وقد نقلها صاحب الجمهرة عن « السيرة الحلبية » جـ ١ ص ٢٧٢ ، وعن « الكامل » لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٧

أما حديث (نعوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر) الذى ساقه الشريف الرضى فى خلال الحديث عن مجازات سورة الزمر ، فهو من الأحاديث التى أوردها المصنف فى كتابه الآخر « المجازات النبوية » وهو الحديث رقم ١٠٧ من الطبعة المصرية . وقد ساقه الشريف الرضى فى « تلخيص البيان » غير تام ، وتمام الحديث ـ كما فى المجازات النبوية ـ : (اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحَوْر بعد الكور ، وسوء النظر فى الأهل والمال) .

ويقتضينا التحقيق فى سبيل الحق هنا أن نقول إن « الحَوْر » هى بالحاء المهملة المفتوحة والواو الساكنة ، وهو النقصان ، و « الكَوْر » بفتح الكاف هو الزيادة . فنقط الحور بالجيم المعجمة فى نسخة إيران المصورة(١) هو وهم لا محل له ، وخاصة بعد وجود الحديث صحيحاً فى المجازات النبوية وفى معاجم اللغة(٢) .

القراءات فى تلخيص البيان

يلاحظ المتأمل عند أدنى نظر إلى هذا الكتاب أن الشريف الرضى يورد كثيراً من الآيات على قراءات غير القراءة فى المصحف الذى بين أيدينا . وهى قراءات صحيحة غير شاذة ، لأنها للأئمة السبعة المروية قراءاتهم بالتواتر ، وهم ابن عامر المتوفى بدمشق سنة ١١٨ هـ ،

(١) انظر صفحة ٩٠ من فهارس « تلخيص البيان » المطبوعة تصويراً فى إيران .
(٢) انظر « أساس البلاغة » للزمخشرى مادة (حور) .

وابن كثير المتوفى بمكة سنة ١٢٠هـ، وعاصم بن أبى النَّجود المتوفى بالكوفة ـ أو بالسماوة ـ سنة ١٢٧هـ، وأبو عمرو بن العلاء المتوفى سنة ١٥٤هـ، وحمزة بن حبيب الزيات (المتوفى بحلوان سنة ١٥٦ هـ، ونافع بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٦٩ هـ، والكسائى المتوفى سنة ١٨٩ هـ.

ففى سورة البقرة نجد هذه الآية: ﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنوا وما يخادِعُونَ إِلَّا أنفُسَهُمْ﴾ وقراءة حمزة والكسائى وعاصم وابن عامر: ﴿وما يَخْدَعُون﴾.

وفى سورة النساء نجد هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بفعل المفاعلة وهى قراءة.

وفى سورة الأنعام نجد هذه الآية: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ ٱللَّيْلِ سَكَنًا﴾ أى أن جاعل بصيغة فاعِل، وهى قراءة رويس عن يعقوب، وبها يقرأ أهل المدينة، أما قراءة حمزة والكسائى والحسن وعيسى بن عمر فهى ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱللَّيْلَ سَكَنًا﴾ وهى القراءة التى نقرؤها نحن.

وفى سورة الأعراف ذكر الشريف الرضى قراءة « ورياشا » مع قراءة « وريشاً » فى قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾.

وفى سورة يونس نجد قراءة « فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ » من الجَمْع، بَدَلاً من « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ » من الإجماع. والأولى هى قراءة عاصم الجحدرى، وهو غير عاصم بن أبى النجود، وقد روى عنه عيسى الثقفى من أصحاب القراءات الشاذة.

وفى سورة هود يروى الشريف الرضى قوله تعالى: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ

مِنَ ٱلْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ بكسر الواو المشددة ، ومسوَّمين بفتحها ، والكسر هو قراءة أبى عمرو وعاصم وابن كثير، والفتح هو قراءة بقية السبعة

وفى سورة التحريم ذكر المصنف رضى الله عنه قراءة «نُصوحا» مع قراءة « نَصوحا » بضم النون فى القراءة الأولى وفتحها فى الثانية فى قوله تعالى : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾ والضم هو قراءة أبى بكر بن عياش قرأها عن عاصم بن أبى النجود .

وقس على ذلك كثيرا من الآيات التى أوردها الشريف الرضى على بعض القراءات السبعة الصحيحة . وقلَّ أن نراه يلجأ إلى قراءة شاذة كما صنع فى قراءة « فاجْمَعُوا أمركم » التى أشرنا إليها سابقا .

ولا شك أن هذه القراءات التى روى بها الشريف الرضى فى كتابه هذا تجعل منه مرجعا لمن يطلبون معرفة القراءات ،وتضيف إلى قيمة الكتاب قيمة جديدة يهتم بها طلاب القراءات .

إفاضة الشريف الرضى فى البيان

لقد كان يقال عند مؤرخى الأدب فى الخمسين الماضية : إن « مجازات أبى عبيدة » هو أول كتاب فى علم البيان تناول كتاب الله من الناحية البيانية فيه . ولقد تابع مؤرخو الأدب أستاذنا الشيخ أحمد الإسكندرى ـ رحمه الله ـ زمانا طويلا ونقلوا عنه كلامه هذا الذى ذكره فى كتابه « الوسيط » . فلما طبع كتاب «مجاز القرآن» لأبى عبيدة فى عامنا هذا بتحقيق الأديب التركى فؤاد سزكين بجامعة استنبول و بمعاونة المستشرق ه. ريتر. تبين أن «مجاز القرآن» لأبى عبيدة ليس إلا تفسيرا وجيزا لألفاظ القرآن الكريم ، وليس فيه من المعانى البيانية

فى كتاب الله ما يُغرى به عنوانه ، وما يوهم بأنه « أول كتاب دون فى علم البيان » كما ذكر ذلك فى « الوسيط » للأستاذين أحمد الإسكندرى ، ومصطفى عنانى .

وعذر القائلين بهذا ومن تابعهم على هذا الرأى أنهم لم يطلعوا على « مجازات القرآن » لأبى عبيدة ، وقد كان مطويا فى ضمائر الغيب ، ولم يأخذوا إلا بظاهر عنوان الكتاب ، وبما صنعه ابن النديم من عدّه كتاب أبى عبيدة فى كتب مجازات القرآن .

على أن الله قد أذن لمجازات أبى عبيدة أن يرى النور فى هذه الطبعة الوثيقة المحققة التى نشرها السيد سامى الخانجى ، فخدم بها الحقيقة خدمة لا تقل عن خدمته لكتاب الله تعالى بنشر هذا الأثر القديم ، الذى أصبح الآن أول وأقدم كتاب فى تفسير معانى القرآن الكريم ، بعد أن كان تفسير الطبرى له مكان الأقدمية فى هذا

ولكن أبا عبيدة ـ رحمه الله ـ لم يكن فى تفسيره هذا ـ أو فى مجازاته ـ طويل النفَس، ممدود الأمراس . فهو يوجز فى تأويل اللفظة القرآنية إيجازا قد يبلغ فى أكثر الأحيان إلى حد وضع اللفظة المفسِّرة مكان اللفظة المفسَّرة . كقوله فى تفسير سورة آل عمران .

﴿ لِيَجْعَلَ اللهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ الحسرة : الندامة .

﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ ﴾ أى إذا أجمعت.

﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يُغَلَّ ﴾ : أنْ يُخَان.

﴿ لو نَعْلَمُ قِتَالاً ﴾ : أى لو نعرف قتالا .

﴿ فادْرَءُوا عَنْ أنْفِسكُمْ ﴾ : أى ادفعوا عن أنفسكم .

﴿ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ ﴾ : يختار .

﴿ سَيُكْتَبُ مَا قَالُوا ﴾ : سيحفظ .

ولا يزيد أبو عبيدة على هذا التفسير اللفظى كلمة واحدة توضح المعنى ، أو تؤيده من شواهد العرب، أو توثقه برأى بعض المفسرين السابقين عليه . ويمضى فى الكتاب كله على هذا الضرب من الإيجاز كأنه يفصِّل التفسير على القدِّ ، لا يزيد على الكلمة المفسرة حرفا . . . وإن كان فى كثير من الألفاظ يزيد الشرح ويسوق الشاهد من شعر صحيح فصيح يحتج به ، ويُعرِب اللفظة على الوجه الذى يستقيم به المعنى المراد ، ويذكر اللغة أو اللغات فى اللفظة القرآنية (١)

فإذا انتقلنا إلى ابن قتيبة ـ فى القرن الثالث ـ فى « تأويله لمشكل القرآن » وجدناه يطيل الشرح ويتوسع فى التفسير ويزيد فى بيان المعنى بما يتضح به المراد . وإذا كان الكلام لا يبين إلا بالمثال، فإن مثلا واحدا هنا هو أبلغ فى الدلالة على ما نقول، فإن أبا عبيدة فى « مجاز القرآن » يفسر قوله تعالى فى سورة النساء ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ بقوله : [الفتيل الذى فى شق النواة] (٢) ولا يزيد على هذا حرفا واحدا يبين مرامى هذه الآية ، على حين أن ابن قتيبة فى « تأويل مشكل القرآن » يقول فى هذه الآية : [والفتيل ما يكون فى شق النواة ، والنقير النقرة التى فى ظهرها ، ولم يُرد أنهم لا يُظلمون ذلك بعينه ، وإنما أراد أنهم إذا حوسبوا لم يُظلَموا فى الحساب شيئا ، ولا مقدار هذين التافهين الحقيرين] (٣)

---

(١) انظر الصفحات ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٣٤ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٣١٦ من « مجاز القرآن » لأبى عبيدة . (٢) مجاز القرآن لأبى عبيدة ص ١٢٩ . (٣) تأويل مشكل القرآن ص ١٠٤ .

فإذا انتقلنا إلى الشريف الرضى ـ فى القرن الرابع الهجرى ـ وجدناه يفيض فى الشرح ، ويتوسع فى التأويل بما لا يكشف عنه إلا الموازنة بين هؤلاء الثلاثة فى مواضع متحدة ، وآيات بعينها من كتاب الله .

فأبو عبيدة يقول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ﴾ من سورة الإسراء : [مجازُه فى موضع قولهم : لا تمسك عما ينبغى لك أن تبذل من الحق ، وهو مثل وتشبيه] على حين أن الشريف الرضى يقول فى مجاز هذه الآية : [وهذه استعارة . وليس المراد بها اليد التى هى الجارحة على الحقيقة ، وإنما الكلام الأول كناية عن التقتير ، والكلام الآخر كناية عن التبذير . وكلاهما مذموم ، حتى يقف كل منهما عند حده ، ولا يجرى إلا إلى أمده ، وقد فسر هذا قولهُ سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾] .

وأبو عبيدة يقول فى تأويل قوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ : [الخيط الأبيض هو الصبح المصدق ، والخيط الأسود هو الليل ، والخيط هو اللون][1] ثم لا يزيد على هذا كلمة واحدة فى تفسير هذه الآية ، على حين أن الشريف الرضى يقول فى بيان مجازها : [وهذه استعارة عجيبة . والمراد بها على أحد التأويلات : حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل ، والخيطان ههنا مجاز ، وإنما شبها بذلك لأن خيط الصبح يكون فى أول طلوعه مستدقا خافياً ، ويكون سواد الليل منقضياً مولياً ، فهما جميعاً ضعيفان ، إلا أن هذا يزداد انتشاراً ، وهذا يزداد استسرارا] فهل ترك الشريف الرضى ـ رضى الله عنه ـ بهذا الشرح اللطيف ، والبيان الدقيق ، والبلاغة

---

(١) مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ص ٦٨ .

الواضحة مجالا لسائل ، أو محلا لمستوضح عن التعبير هنا بالخيط ؟ اللهم إنك واهب البيان ، ومعطى البلاغة بقدَر لـكلٍّ لسان ! .

ومثال آخر حتى تجرى الموازنة إلى مداها ... وهو قول أبى عبيدة فى تفسير قوله تعالى : ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ﴾ من سورة آل عمران : [تنقص من الليل فتزيد فى النهار ، وكذلك النهار من الليل][1] . فاسمع هنا قول الشريف الرضى فى مجاز هذه الآية الـكريمة : [وهذه استعارة ، وهى عبارة عجيبة جداً عن إدخال هذا على هذا ، وهذا على هذا . والمعنى : أن ما ينقصه من النهار يزيده فى الليل ، وما ينقصه من الليل يزيده فى النهار . ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ . لأنه يفيد إدخال كل واحد منهما فى الآخر ، بلطيف الممازجة ، وشديد الملابسة] فنقْصُ هذا من ذاك هو المعنى المشترك المردَّد بين أبى عبيدة والشريف الرضى . أما النـكتة البلاغية الدقيقة فى التعبير بلفظ الإيلاج بدلا من لفظ الإدخال ، فهو مراد بعيد جاء متأخراً عن عصر أبى عبيدة ، ولـكنه لم يجد أحسن من الشريف الرضى فى التعبير عن لطف مسلـكه ، ودقة سبيله .

وخذ أى آية شئت ـ أيها القارىء الـكريم ـ من كتاب الله العزيز ، وتتبعها عند أبى عبيدة فى مجازه ، وعند ابن قتيبة فى مشـكله ، وعند الشريف الرضى فى تلخيص بيانه ، فإنك مؤمن معنا فى النهاية بأن سليل البيت النبوى الـكريم كان أغزر الثلاثة بياناً ، وأفصحهم لساناً ، وأبلغهم فى التعبير عن مرامى القرآن بعبارة أدبية مشرقة ناصعة ، يتضح فيها ذوق الأديب ، ورقة الشاعر ، وحسُّ البليغ ، أكثر مما يتضح فيها فقه اللغوى ، وعلم النحوى . . .

---

(١) مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ص ٩٠ .

خذ قوله تعالى فى سورة آل عمران : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ واسمع ما يقوله فيها أبو عبيدة : [أى لم يلتفتوا إليه . يقال : نبذتَ حاجتى خلف ظهرك ، إذا لم تلتفت إليها . قال أبو الأسود الدؤلى :

نظرتَ إلى عنوانه فنبذتَه كنبذكَ نَعْلاً أَخْلَقَتْ من نِعَالكا]

ثم اسمع ما قاله الشريف الرضى فى كتابنا هذا : [وهذه استعارة . والمراد بها : أنهم غفلوا عن ذكره ، وتشاغلوا عن فهمه ، يعنى الكتاب المنزل عليهم ، فكان كالشىء الملقى خلف ظهر الإنسان ، لا يراه فيذكره ، ولا يلتفت إليه فينظره] .

الحق أن أبا عبيدة لغوى ، على حين أن الشريف الرضى أديب شاعر مطبوع ! .

وخذ قوله تعالى فى سورة الأنعام : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ ٱللَّيْلِ سَكَنًا ، وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ واسمع ما يقول أبو عبيدة هنا : [منصوبتين ؛ لأنه فرق بينهما و بين الليل المضاف إلى جاعل قولهُ : سكنا . فأعملوا فيهما الفعل الذى عمل فى قوله : سكنا ، فنصبوهما كما أخرجوهما من الإضافة][1] ثم اسمع واقرأ هنا ما كتبه الشريف الرضى : [وهذه استعارة ، والمعنى شاقُّ الصبح ومستخرجه من غسق الليل . وقوله سبحانه : فالقُ الإصباح ، أبلغ من قوله : شاق الإصباح ، إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق ، ألا تراهم يقولون : انشق الظُّفر ، وانفلق الحجَر . وقوله تعالى : ﴿ وجاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً ﴾ استعارة أخرى ، ومعناها على أحد القولين أنه سبحانه جعل الليل بمنزلة الشىء المحبوب الذى تسكن إليه النفوس وتحبه القلوب . يقال : فلانٌ سَكَنُ فلانٍ ، على هذا المعنى . والتأويل الأخير يُخرج الكلام عن معنى الاستعارة ، وهو أن يكون المراد أنه تعالى جعل الليل مظنة لانقطاع الأعمال ، والسكون بعد الحركات] .

---

(١) مجاز القرآن ، لأبى عبيدة ص ٢٠١ .

ألا ترى أن أبا عبيدة فى مجاز هذه الآية الكريمة أو فى تأويلها — لم يكن أكثر من نحوى إمام فى النحو ، يبين لنا كيف انتصب الشمس والقمر باسم الفاعل « وجاعل » . وأن اسم الفاعل لما أضيف إلى مفعوله الأول وهو كلمة الليل جُرَّتْ بالإضافة ، على أن المعطوف على هذا المفعول الأول نصب لأن محله النصب .

أما الشريف الرضى فقد خرج فى هذه الآية من زمرة النحو والنحاة لأنه أديب شاعر بليغ يلتمس مواطن البلاغة والإعجاز فى الكلام ، فيبين لنا الفرق الدقيق بين فلق الصباح وشقه ، ولم قال الله : ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ ﴾ ولم يقل شاق الإصباح ؟ وما وجه الاستعارة فى قوله تعالى : ﴿ وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَناً ﴾ ؟ وكيف ينتفى المجاز عن هذا التعبير إذا فسرنا السكن بمعناه الحقيقى وهو السكون بعد الحركة ؟

وقد يقول قائل : إن الموازنة بين الشريف الرضى وأبى عبيدة فى مجازيهما للقرآن الكريم جائزة السبيل لأن سبيلهما فى المجاز غير واحدة ، فأبو عبيدة مفسر (وجائز) إلى معانى القرآن من أخصر طريق، والشريف الرضى موضح لوجوه البلاغة والبيان فى القرآن . وفى هذا الكلام كثير من الحق الذى لاتنعقد معه موازنة بين اثنين مختلفى السبيل . ولكن ماظن القارىء فيما عقده ابن قتيبة من مجاز بيانى واستعارة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » وما تناوله الشريف الرضى من مجازات القرآن فى كتابه « تلخيص البيان » الذى نقدمه اليوم ؟

إن ابن قتيبة لم يفهم « المجاز » على أنه التأويل والتفسير والجواز إلى المعنى كما فهمه أبو عبيدة من قبل ، ولكنه فهمه على أنه المجاز المقابل للحقيقة أو الذى تقوم العلاقة فيه على التشبيه ، وهو ماسماه ابن قتيبة نفسه بالاستعارة ، وعقد له بابا مستقلا فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » .

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

فلننظر كيف يوضح ابن قتيبة مجاز آية من القرآن ، وكيف يتناول الشريف الرضى هذه الآية بعينها وكيف يكشف عن المجاز فيها .

يقول ابن قتيبة فى مجاز قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ وهى من سورة الرحمن : [والله تبارك وتعالى لا يشغله شأن عن شأن . ومجازُهُ : سنقصد لكم بعد طول الترك والإمهال . وقال قتادة : قد دنا من الله فراغ لخلقه ، يريد أن الساعة قد أزفت وجاء أشراطها][1] .

ويقول الشريف الرضى فى مجاز هذه الآية : [وهذه استعارة . وقد كان والدى الطاهر الأوحد ذو المناقب أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوى – رضى الله عنه وأرضاه – سألنى عن هذه الآية فى عرض كلام جرَّ ذكرها ، فأجبته فى الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها ، وهو أن يكون المراد بذلك : سنعمد لعقابكم ، ونأخذ فى جزائكم على مساوئ أعمالكم ، وأنشدته بيت جرير كاشفاً عن حقيقة هذا المعنى ، وهو قوله :

أَلآنَ وقد فرغتُ إلى نُمير فهذا حين صرتُ لها عذابا ؟

فقال : فرغت إلى نمير ، كما يقول : عمدت إليها ، فأعلمنا أن معنى فرغت ههنا معنى عمدت ، وقصدت . ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال : فرغت لها ولم يقل فرغت إليها . وقال بعضهم : إنما قال سبحانه : سنفرُغُ لكم ، ولم يقل : سنعمد . لأنه أراد : أى سنفعل فِعْلَ من يتفرغ للعمل من غير تمجيع[2] فيه ، ولا اشتغال بغيره عنه ، ولأنه لما كان الذى يعمد إلى الشىء ربما قصر فيه لشغله معه بغيره ، وكان الفارغ له – فى الغالب – هو المتوفر

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٧٧ .
(٢) التمجيع فى العمل : هو عدم أخذه مأخذ الجد .

عليه دون غيره ، دُلِلْنا بذلك على المبالغة فى الوعيد من الجهة التى هى أعرف عندنا ، ليقع الزجر بأبلغ الألفاظ ، وأدلِّ الكلام على معنى الإيعاد . وقال بعضهم : أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ، ومستعار له ، فالمستعار منه أصل ، وهو أقوى : والمستعار له فرع ، وهو أضعف ، وهذا مطرد فى سائر الاستعارات . فإذا تقرر ذلك كان قوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ من هذا القبيل . فالمستعار منه ههنا ما يجوز فيه الشغل وهو أفعال العباد ، والمستعار له ما لا يجوز فيه الشغل ، وهو أفعال الله تعالى ، والمعنى الجامع لهما الوعيد ، إلا أن الوعيد بقول القائل : سأتفرغ لعقوبتك أقوى من الوعيد بقوله : سأعاقبك ، مِنْ قِبَلِ أنه كأنما قال : سأتجرد لمعاقبتك ، كأنه يريد استفراغ قوته فى العقوبة له ، ثم جاء القرآن على مطرح كلام العرب ، لأن معناه أسبق إلى النفس وأظهر للعقل . والمراد به تغليظ الوعيد ، والمبالغة فى التحذير . .]

ولا يقف الشريف الرضى عند هذا المدى من بيان الاستعارة فى هذه الآية . . . ولكنه يمضى فى البيان نصف صفحة أخرى حتى يوفى البيان حقه ، ويُبلغ البحث أجلَه . فأين هذه الإفاضة فى توضيح مغازى الكلام ومرامى القول فى هذه الآية من قول ابن قتيبة فى مجازها وهو لا يعدو ثلاثة أسطر ؟ .

على أن موازنة واحدة قد يكون فيها من الجور فى الحكم ما لا نرضى لأنفسنا به ، ونحن هنا لا نوازن قَصْدَ التعصب لرجل على رجل ، ولكن لنبين عن مدى التطور فى النظرة إلى تأويل القرآن الكريم والكشف عن مجازه ، ووجوه إعجازه . فأبو عبيدة فى القرن الثانى الهجرى يوجز فى التأويل والتفسير إيجازاً كان من طبيعة العصر الذى عاش فيه ، وابن قتيبة فى القرن الثالث يمد فى حبل البيان بما يوائم زمانه وما اقتضته سنة التدرج

فى نشأة البيان . والشريف الرضى فى القرن الرابع الهجرى يرخى الطِّول لحبل البيان ، ويمزج فى ذلك بين التطور البلاغى الذى صار إليه الأمر فى عصره ، وبين ذوقه الأدبى الخاص الذى انحدر إليه من ميراث آبائه الكرام ، والذى صار إليه من طبيعته الأدبية الشعرية الخاصة . فإذا بلغنا القرن الخامس رأينا الإمام عبد القاهر الجرجانى المتوفى سنة ٤٧١ ﻫ والذى جمع فى البلاغة بين العلم والعمل ، فكان بجانب نظرياته وقوانينه البلاغية التى وضعها ، أديباً عملياً بليغاً يختلف عن المتأخرين بعده من البلاغيين الذى سلكوا بالبيان العربى مسلك العلوم النظرية الجافة ، فأحالوا البلاغة العربية إلى ألغاز وأحاج ومعميات ، بعد أن كانت عند رجل ـ كالشريف الرضى ـ تطبيقاً عملياً رائعاً للبيان العربى الناصع المشرق الملامح ، الواضح القسمات .

ولن ننسى هنا موازنة ثانية بين ابن قتيبة والشريف الرضى فى بيان المجاز فى قوله تعالى فى سورة ق : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ ، وتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ قال ابن قتيبة : [وليس يومئذ قول منه لجهنم ، ولا قول من جهنم . وإنما هى عبارة عن سعتها[1]] ولم يزد ابن قتيبة على هذا كلمة واحدة ، مع أنه ساق هذه الآية فى باب المجاز المغاير للحقيقة . أما الشريف الرضى فإنه قال فى هذه الآية : [وهذه استعارة ٠ لأن الخطاب للنار والجواب منها فى الحقيقة لا يصحان . وإنما المراد ـ والله أعلم ـ أنها فيما ظهر من امتلائها ، وبان من اغتصاصها بأهلها ، بمنزلة الناطقة بأنه لا مزيد فيها ، ولا سعة عندها ، وذلك كقول الشاعر :

امتلأ الحوض وقال قَطْنى مهلا رويدا ! قد ملأتَ بطنى !

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة ص ٧٩ .

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة ، ولـكن المعنى : أن ماظهر من امتلائه فى تلك الحال جارٍ مجرى القول منه ، فأقام تعالى الأمر المدرك بالعين ، مقام القول المسموع بالأذن . وقيل المعنى : إنا نقول لخزنة جهنم هذا القول ، ويكون الجواب منهم على حد الخطاب . ويكون ذلك من قبيل : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ فى إسقاط المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه . وذلك كقولهم : ياخيل الله اركبى . والمراد : يارجال الله اركبى . وعلى القول الأول يكون مخرج هذا القول لجهنم على طريق التقرير لاستخراج الجواب بظاهر الحال ، لا على طريق الاستفهام والاستعلام ، إذ كان الله سبحانه قد علم امتلاءها قبل أن يظهر ذلك فيها . و إنما قال سبحانه هـذا الـكلام ليعلم الخلائق صحة وعده ، إذ يقول تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ والوجه فى قوله تعالى فى الحـكاية عن جهنم : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ بمعنى لا من مزيد فىَّ . وليس ذلك على طريق طلب الزيادة ، وهذا معروف فى الـكلام ، ومثله قوله عليه السلام : « وَهَل ترك عقيل لنا من دار ؟» أى ماترك لنا دارا .]

وليس بعد كلام الشريف الرضى فى هذه الآية بيان ولا مزيد لمستزيد ... فقد أفاض ـ كعادته ـ فى الـكشف عن وجوه الاستعارة فى الآية الشريفة ، وأبان أن اغتصاص جهنم بأهلها كان بمنزلة النطق منها بأنها لا زيادة فيها ، ولا سعة عنـدها ، كما أيَّد ذلك المجاز بقول الراجز : امتلأ الحوض وقال قَطْنى ، أى حسبى . فإن الحوض لا يتكلم ، وكذلك جهنم لا تتكلم ، ولـكن مايظهر من امتلاء الاثنين جرَى مجرى النطق منهما . ثم أبان بعد ذلك أنه يجوز أن يكون المراد بالقول لجهنم هو القول لأهلها، فـكأن الله تعالى قال : يوم نقول لأهل جهنم ، وهذا المجاز جائز لغة وهو الذى سماه البيانيون الاصطلاحيون بعد

ذلك بالمجاز الذى عـلاقته المحلية ، لأن جهنم محل لأهلهـا ، فـكأنه ذكر المحل وأراد الحالّ .

لعلنا قد بلغنا ما نريد من الحديث عن إفاضة الشريف الرضى فى كشفه لوجوه البيان فى القرآن ، وهى إفاضة سيراها القارىء الـكريم واضحة فى كل صفحة من الـكتاب ، وفى كل موطن من مواطن بيانه .

القرآن الـكريم بين الحقيقة والمجاز

لم يكن قبول فـكرة (المجاز) فى القرآن الـكريم أمرا سهلا عند المسلمين جميعا ، فهم مجمعون ـ على اختلاف مللهم ونحلهم ـ على وقوع الحقيقة فيه ، ولا يفترق فى ذلك بعض أصحاب المذاهب عن بعض . والحقيقة عندهم هى كل لفظ بقى على موضوعه ولا تقديم فيه ولا تأخير . وأكثر القرآن من الحقائق . أما المجاز ـ المقابل للحقيقة ـ فالجمهور على أنه واقع فى القرآن ، وإن كان أنكره الظاهرية ، وابن القاص من الشافعية ، وابن خويزمنداد من المالـكية . وشبهتهم أن المجاز غير الحقيقة ، فهو كذب ، والقرآن منزه عن الـكذب ، كما أن المتكلم لا ينصرف عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا ضاقت به الحقيقة أو عجز عن التعبير بها فيستعير ، وذلك محال على الله تعالى القادر المنزه عن العجز . فالمنـكرون لوقوع المجاز اللغوى والعقلى فى القرآن يحتجون لذلك بحجتين : أولاهما أن المجاز كذب والـكذب محال على الله ، وثانيتهما أن الالتجاء إلى المجاز هو عجز عن التعبير بالحقيقة ، والعجز محال على الله .

وقد رد على هذه الشبه جماعة من المسلمين ، وكان من أسبقهم إلى ذلك ابن قتيبة الذى يقول فى حرارة : (ولو كان المجاز كذبا . . . كان أكثر كلامنا فاسدا ، لأنا نقول : نبت البقل وطالت الشجرة ، وأينعت الثمرة ، وأقام الجبل، ورخص السعر ، ونقول كان هذا الفعل منك فى وقت كذا وكذا ، والفعل لم يكن و إنما كوّن) .

ومن الذين ردوا على هذه الشبه أيضا الإمام جلال الدين السيوطى المتوفى سنة ٩١١ هـ حيث يقول : (وهذه شبهة باطلة ، ولو سقط المجاز من القرآن سقط منه شطر الحسن ، فقد اتفق البلغاء على أن المجاز أبلغ من الحقيقة ، ولو وجب خلو القرآن من المجاز وجب خلوه من الحذف والتوكيد وتثنية القصص وغيرها)[١]

ولعل للظاهرية ـ وهم أتباع الإمام داود بن علي الظاهرى المتوفى سنة ٢٧٠ هـ ـ عذرهم فى إنكار المجاز فى القرآن ، لأنهم يتمسكون بظاهر الكتاب والسنة ـ كما يدل على ذلك اسمهم ـ ولهذا لا يأخذون بالمجاز إلا إذا كان مشهورا وكانت القرينة واضحة معلنة عنه ، كاشفة له[٢] . فإذا غمض المجاز أو خفيت القرينة فإنهم لا يأخذون به .

وقد جرى ابن حزم الأندلسى المتوفى سنة ٤٥٦ مجرى داود الظاهرى فى الأخذ بالمجاز المشهور الواضح وعدم التأويل فيه مادام يجرى على سنن الفصيح فى اللغة ، وذلك الظاهر هو الذى كان يفهمه العربى عند قراءة القرآن ، وكان يفهمه الصحابة والتابعون كما يدل عليه ظاهره ، سواء أكان مجازا أم حقيقة ، فإن المجاز لا يخرج الكلام عن الدلالة الظاهرة الواضحة المبينة ، مادامت له قرينة واضحة[٣] .

---

(١) الإتقان فى علوم القرآن ، للسيوطى طبعة محمود توفيق ، سنة ١٣٥٢ القاهرة . ج ٢ ص ٣٦.

(٢) ابن حزم ـ حياته وعصره . للشيخ محمد أبو زهرة ص ٢٢٦ ، ٢٩٥ (٣) المصدر السابق ص ٢٢٦

وقد أودع الإمام السيوطى فى « الإتقان » كثيرا من المجازات والاستعارات القرآنية ، وردها إلى أنواع المجاز اللغوى ـ وهو المجاز فى المفرد لا فى التركيب ـ و بلغت هذه الأنواع عنده عشرين نوعا ، ثم انقسم النوع العشرون ـ وهو إقامة صيغة مقام أخرى ـ إلى أنواع أخر تزيد على العشرين .

على أن هـذه الأقسام والأنواع للمجاز والاستعارة لم يتعرض لها الشريف الرضى وهو يكشف عن مجازات القرآن كشفا تطبيقيا بلاغيا ، فإن تلك المسميات والمصطلحات لم تكن قد وضعت أو عرفت بعد فى عصر الشريف، الذى يقول مثلا فى مجاز قوله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ [وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات، والمراد : واسأل أهل القرية التى كنا فيها] . أما السيوطى فيتكلم عن هذه الآية بطريقة اصطلاحية فى علم البيان فيقول فى خلال حديثه عن أنواع المجازات القرآنية : [الرابع عشر : إطلاق اسم المحل على الحال نحو : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴾ أى أهل ناديه أى مجلسه ، ومنه التعبير باليد عن القدرة نحو : ﴿ بِيَدِهِ الْمُلْكُ ﴾ . . . وبالقرية عن ساكنيها نحو : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾][(1)] .

وقد اشتدت حاجة مفسرى القرآن الكريم إلى طائفة من العلوم كان على رأسها ما عرف فى القرن الخامس وما بعده بعلوم البيان والمعانى ، فقد وضعوا لمفسر القرآن شروطا ، وأوجبوا عليه أن يعرف علم اللغة ليعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع ، وأن يعرف علم النحو ، لأن المعنى يتغير و يختلف باختلاف الإعراب ، وأن يعرف علم الصرف ، فإن الجهل بالصرف قد يفضى إلى الخطأ فى التفسير ، وللإمام الزمخشرى هنا كلمة نفيسة فقد قال:

---

(1) الإتقان فى علوم القرآن . جـ ٢ ص ٣٧.

[مِنْ بدْع التفاسير قول من قال : إن « الإمام » فى قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ﴾ جَمْعُ أم ، وأن الناس يُدْعَوْن يوم القيامة بأمهاتهم دون آبائهم . قال : وهذا غلط أوجبه جهله بالتصريف ، فإن أمًّا لا تجمع على إمام] .

كما أوجبوا على المفسر أن يعرف طائفة أخرى من العلوم يبلغ مجموعها خمسة عشر علما . ولم يفتهم أن يضعوا البيان والمعانى بين هذه العلوم لمعرفة خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى، وخواصها من حيث اختلافها بحسب خفاء الدلالة ووضوحها .

وقد عد السيوطى علوم البلاغة من أعظم أركان المفسر ، لأنه لا بد له من مراعاة مايقتضيه الإعجاز ، و إنما يدرك هذا بهذه العلوم [1] .

مكان « تلخيص البيان » بين كتب التفسير

ليس « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » للشريف الرضى تفسيرا للقرآن الكريم بالمعنى العام الذى تدل عليه كلمة التفسير . فهو هنا لم يفسر القرآن كله آية آية ، و إنما تناول من كل سورة مافيها من الآيات المشتملة على مجاز . ولذا كان من الدقة أن نقول إن « تلخيص البيان » هو التفسير للآيات المجازية فى كتاب الله .

على أن للشريف الرضى كتابه الكبير فى تفسير القرآن، وهو « حقائق التأويل »

---

(١) المصدر السابق ، ج ٢ ص ١٨١ .

الذى يشير إليه فى « المجازات النبوية » وفى « تلخيص البيان » ، فيسميه تارة حقائق التأويل[1] ، ويسميه تارة بالكتاب الكبير فى مواضع غير قليلة .

ولسنا الآن بصدد الحديث عن «حقائق التأويل» ، فليس هنا موضعه ، ولكننا نشير إشارة عابرة إلى قول النسابة العمرى فى المجدى : (شاهدت له ـ أى للشريف ـ جزءاً من مجلد من تفسير منسوب إليه فى القرآن ، مليح ، حسن ، يكون بالقياس فى كبر تفسير أبى جعفر الطبرى أو أكبر[2]) كما نشير إلى قول المؤرخ ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » وهو يقول : (وصنف كتاباً فى معانى القرآن الكريم يتعذر وجود مثله . دل على توسعه فى علم النحو واللغة)[3] ولعل كتابه هذا فى معانى القرآن الذى يشير إليه ابن خلكان هو كتاب حقائق التأويل أو الكتاب الكبير الذى يشير إليه الشريف نفسه[4] .

ولقد اختلفت طرائق المفسرين لكتاب الله بحسب الزوايا التى نظروا منها إليه ، وبحسب النواحى التى تخصصوا فيها ، ووقفوا دراساتهم عليها . فالنحوى لا همّ له فى تفسير القرآن إلا الإعراب وتكثير الأوجه المختلفة فيه ، ونقل قواعد النحو ومسائله وأصوله وفروعه وخلافاته ، فهو لا ينظر فى تفسيره إلا فى هذه الناحية النحوية التى غلبت عليه كما فعل الزجاج والواحدى فى « البسيط » ، وكما فعل أبو حيان فى تفسيره الكبير المسمى « البحر » ، وكما فعل فى « النهر » أيضا . واللغوى لا ينظر فى تفسيره إلا إلى ناحية لغات

---

(١) انظر « المجازات النبوية » طبع مصر ص ٢٥ ، وانظر « تلخيص البيان » فى مجازات سورة المائدة والتوبة والرعد والزخرف والتكوير . (٢) الغدير للعلامة عبد الحسين أحمد ، ج ٤ ص ١٧٥ طبع النجف . (٣) ابن خلكان ج ٢ص ٣. (٤) الغدير ج ٤ ص ١٧٥ .

القرآن . والأخبارى لا هم له فى تفسير القرآن إلا العناية بالقصص وأخبار الأمم البائدة ، وما جرى للرسل مع أقوامهم ، وما أرسل الله عليهم من ألوان العذاب وأنواع الهلاك ، سواء أكانت هذه الأخبار صحيحة أم باطلة . وممن فسر القرآن على هذا النحو « الثعلبى » أبو إسحاق أحمد بن محمد النيسابورى المتوفى سنة ٤٢٧ هـ ، وقد كان الثعلبى بفطرته ميالا إلى الأخبار وقصص الأمم الماضية والقرون الخالية ، وله غير التفسير كتاب « عرائس المجالس » فى قصص الأنبياء ، وهو مشهور معروف وقد طبع غير مرة . أما الفقيه فإنه ــ إذا فسر القرآن ــ يكاد يسرد فيه أبواب الفقه كلها من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد ، لا يكاد يخرم من ذلك بابا واحدا ، وربما استطرد إلى إقامة الدلائل على فروع المسائل التى لا علاقة لها بالآية التى يفسرها ، بل ربما ذهب إلى أبعد من ذلك فأورد أدلة الموافقين والمخالفين . وممن صنع ذلك الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١ هـ فى تفسيره الكبير « الجامع لأحكام القرآن » الذى أصدرته دار الكتب المصرية فى عشرين جزءا .

أما صاحب العلوم العقلية فإنه يملأ تفسيره للقرآن بأقوال الحكماء والفلاسفة وأصحاب الملل والنحل والمذاهب ، وآرائهم فى العالم والكون والفساد ، والبعث والمعاد ، والعلل والغايات ، والثواب والعقاب ، كما فعل الإمام فخر الدين الرازى[1] المتوفى سنة ٦٠٦ هـ فى تفسيره الكبير ، فخرج عن الآيات التى يفسرها ، واستطرد وأطال الاستطراد بما يجعل من التفسير كتاباً للفلسفة ومعرضاً للمباحث العقلية ، حتى لقد قال فيه أبو حيان فى تفسيره

(١) هو محمد بن عمر بن الحسين ، كان أوحد زمانه فى علوم المعقول والمنقول ، وهو قرشى النسب وكان يحسن الفارسية .

المعروف بالبحر : (جمع الإمام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة ، لا حاجة بها فى علم التفسير ، ولذلك قال بعض العلماء : فيه كل شى إلا التفسير) .

ومن هنا صح لنا أن نقول إن « تلخيص البيان » للشريف الرضى هو تفسير لمجازات القرآن واستعاراته ، وكشف لطيف دقيق لوجوه البيان فى كتاب الله الكريم ، ولذا قلّ أن تجد فيه اهتماما بالقصص والأخبار ، أو التفاتاً إلى أحكام الفقه، إلا ما جاء عارضاً فى مسح الرأس ، أو اشتغالا بمبحث عقلى فلسفى ، لأنه قصد منه أن يكون كتابه تفسيراً للإعجاز البيانى فى القرآن لا غير .

والكشف عن بيان القرآن يتطلب أن يكون الكاشف عنه ذا بيان قوى . حتى تكون الوسيلة شريفة شرف غايتها ، فلا يعقل أن يكشف عن بلاغة القرآن قاصر الباع فى البلاغة ، ضيق الذراع فى الفصاحة ، ولذا كان الشريف الرضى أولى من يكشف عن بيان القرآن ، فقد رزقه الله من سحر البيان ، وذلاقة اللسان ، ووضوح الحجة ، وإشراق الديباجة ما ينهض بالعبء الذى قام به فأحسن القيام .

لقد كان الإمام القرطبى فقيها فغلب عليه الفقه فى تفسيره ، وكان الثعلبى إخبارياً فغلبت عليه فطرته فى القصص ، وكان الفخر الرازى حكيما فيلسوفا فغلبت عليه الفلسفة وهو يفسر كتاب الله . وكذلك كان الشريف الرضى ، فإنه فرع دوحة البلاغة ، وغصن شجرة الفصاحة ، وسليل البيت الذى خصه الله بالبيان ، فغلب ذلك على تفسيره الصغير المسمى « تلخيص البيان » ، وقد وصفناه بالصغير على طريق المقابلة ، حين وصف هو نفسه تفسيره الآخر بالكتاب الكبير . .

أيهما أسبق

مجازات القرآن أم المجازات النبوية ؟

للشريف الرضى غير هذا الكتاب فى مجازات القرآن كتاب آخر فى « المجازات النبوية » ، وقد تناول فيه أكثر من ثلثمائة وستين حديثاً من أحاديث الرسول عليه السلام، اشتملت على مجازات ولطائف استعارات ودقائق كنايات . وقد كنا قبل نشر المجازات النبوية نعد من مجازات الحديث وكناياته قلة تعد على أصابع اليد الواحدة ، كقوله عليه السلام : (الآن حمى الوطيس) و (هدنة على دخن) ، و (إياكم وخضراء الدمن) وهى المرأة الحسناء فى منبت السوء .

فلما طبع «المجازات النبوية» لأول مرة فى العراق منذ أربعين عاما تنبه الناس إلى حفول الحديث النبوى بكثرة رائعة من المجاز ، ولما أعيدت طبعته فى مصر سنة ١٣٥٦هـ سنة ١٩٣٧م ازداد عدد الذين وقفوا على هذه الكثرة من مجازات الرسول ، وتابعوا ذلك الشرح البيانى البليغ الذى جرى به قلم الشريف الرضى ، ورأوا فيه لوناً من الأدب العلوى الرفيع ، والذوق البلاغى الدال على حس مرهف .

ولم يتناول الشريف الرضى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من ناحية شرح غريبه كما صنع أبو عبيدة فى كتابه « غريب الحديث » وكما صنع ،الأصمعى وابن الأعرابى ، وابن قتيبة ، وابن الأنبارى ، وابن دريد ، والحضرمى ، والسلمى ، وابن درستويه ، وابن رستم وغيرهم من عشرات المصنفين فى غريب الحديث النبوى .

لا ! لم يفعل الشريف الرضى ذلك ، لأن البيان هنا غلب عليه ، كما غلب عليه

فى تفسيره لمجاز القرآن ، فألف « المجازات النبوية » : (إذ كان فى الأثار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله كثير من الاستعارات البديعة ، ولمع البيان الغريبة ، وأسرار اللغة اللطيفة[١]) وأشار من ذلك إلى مواضع النكت ، ومواقع الغرض ، بالاعتبارات الوجيزة ، والإيماءات الخفيفة .

ولقد وجد الشريف نفسه أمام نصين أو مصدرين من مصادر البلاغة العربية ، أولهما معجز وهو القرآن الكريم الذى أنزل على النبى محمد ، وثانيهما فيه من معجزات البلاغة والفصاحة وجوامع الكلم ماجعله تاليا لكلام الخالق ، وفوق كلام المخلوقين[٢] . فنصب الشريف الرضى مسنون عزمه لخدمة هذين المصدرين المقدسين عند المسلمين والعرب ، وتتبعهما تتبع دارس لهما ، مفتون بهما ، ليكشف عما فى كل منهما من جمال التعبير ، وروعة البيان ، وسحر البلاغة ، ولطف المسلك ، ووضوح الحجة ، و إشراق الديباجة ، مما لم يَعْدُ أن يكون جاريا على سنن العرب ، ولكنهم لا يرقون إلى مثله مهما انقادت لهم أعنة الكلام ، وذلت لهم أزمَّة البيان .

فأى المصدرين البلاغيين بدأ الشريف الرضى فى الكشف عن وجوه المجاز والإعجاز ؟ إنه يقول فى مقدمة كتابه «المجازات النبوية » : (فإنى عرفت ماشافهتنى به من استحسانك الخبيئة التى أطلعتها ، والدفينة التى أثرتها ، من كتابى الموسوم بتلخيص البيان عن مجازات القرآن) ثم يقول فى موضع آخر من المجازات النبوية : (وقد استقصينا الكلام على ذلك

---

(١) المجازات النبوية طبع القاهرة ص ١٩ ، ٢٠ .
(٢) لباب الآداب ، للأمير أسامة بن منقذ . . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر

فى كتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن) وهاتان الإشارتان فيهما دليل على أن كتاب تلخيص البيان كان سابقا فى تأليفه على المجازات النبوية ، وإلا لم يصنع المجازات النبوية على غراره ، ويسلك مثل تلك الطريقة[1] التى سلكها فى التلخيص .

ولكننا نجد فى « تلخيص البيان » إشارة إلى كتاب المجازات النبوية ، فنرى الشريف الرضى ـ فى مجازات سورة الشعراء ـ يقول : (وقد استقصينا الكلام على معنى هذا الخبر فى كتاب مجازات الآثار النبوية) ، وهذا نص يفهم منه أن « المجازات النبوية » كانت سابقة فى التأليف على « تلخيص البيان » .

ويبدو من ظاهر الإشارتين فى التلخيص والمجازات النبوية أنهما متعارضتان ، حيث يحيل فى التلخيص على المجازات النبوية، ثم يحيل فى هذه على التلخيص ، ولكن المشكلة أهون حلاً من أن يظن فيها تعارض ، أو يتوهم فيها تناقض ، فالذى يبدو أن الشريف الرضى ـ رحمه الله ـ كان يشتغل فى تصنيف الكتابين فى وقت واحد ، فهو يكتب هنا ويحيل على الكتاب الثانى مادامًا فى حوزته ، وهو يجمع مادة المجازات النبوية فى الوقت الذى كان يصنّف فيه « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » ، فلما ظهر هذا الأخير واستحسن عند الخاصة والعامة ، ولقى من مشافهة الاستحسان ما اطمأنت به نفس الشريف ـ أخرج كتابه الآخر فى المجازات النبوية ، بعد أن كان بالفعل قد أعد مادته ، ومضى فيه لطيته .

---

(١) مقدمة المجازات النبوية ص ١٩

عاش الشريف الرضى فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وأدرك ست سنوات من القرن الخامس . وولد سنة ٣٥٩ هـ ، وتوفى سنة ٤٠٦ هـ . فكأنه بذلك أدرك ثلاثة من خلفاء العباسيين ، وهم المطيع ، والطائع ، والقادر .

وكان الخلفاء فى ذلك العهد لا يملكون من الأمر شيئاً ، فليس الأمر بيدهم ، ولا تصاريف الحكم لهم ، وإنما كانت الدولة والكلمة والسلطان كله لبنى بويه الذين تغلبوا على بنى العباس ، ونزعوا من أيديهم كل سلطان ، وبدأوا ذلك فى عام سنة ٣٣٤ هـ أى ربع قرن قبل مولد الشريف .

على أن سلطان الخلفاء العباسيين كان قبل ذلك ضعيفا ـ أى قبل أن يمسك بنو بويه بزمام السلطان ـ فقد كان الخليفة المقتدر العباسى ، وهو أول خلفاء القرن الرابع الهجرى صبياً ضعيفاً ليس له من الأمر شىء ، وقد روعى فى انتخابه للخلافة بعد المكتفى أن يكون حدثاً صغيراً غراً ، وكان ابن الفرات الوزير مسئولا عن هذه الفضيحة الخلافية حين رشحه للخلافة قائلا : (إنه صبى لا يدرى أين هو ، وعامة سروره أن يُصرف من المكتب !) وكانت سنه حين اختير للخلافة ثلاثة عشر عاما .

ولقد كانت قوة بنى بويه على حساب الخلفاء العباسيين ، وكان معز الدولة بن بويه صاحب الأمر والنهى فى العراق ، على حين كان الخليفة مجرداً حتى من وزير يزرله ، وإنما كان له كاتب يدبر له إقطاعاته . وصار معز الدولة يستوزر لنفسه من شاء . ولقد بلغ من كراهة بنى بويه للعباسيين أن معز الدولة فكر فى أن يزيل اسم الخلافة أيضا عن بنى العباس ، ويجعلها للعلويين ، لأنه كان شيعيا ، وكان يعتقد أن العباسيين اغتصبوا الخلافة من

مستحقيها وأولى الناس بها وهم العلويون . ولكن بعض خواص معز الدولة أشار عليه أن لا يفعل ذلك ، وقال له : (إنك اليوم مع خليفة تعتقد أنت وأصحابك أنه ليس من أهل الخلافة ، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه ، ومتى أجلست بعض العلويين خليفة كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته ، فلو أمرهم بقتلك لفعلوا) فأعرض ابن بويه عما كان عزم عليه ، وأبقى للعباسيين اسم الخلافة ، وانفرد هو بالسلطان .

وما الظن بخليفة كالمستكفى ، لا يجلس فى كرسى الخلافة منذ استيلاء معز الدولة ابن بويه إلا أربعين يوما ، ثم يخلع لأن معز الدولة اتهمه بالتدبير عليه ! وهو أضعف من أن يدبر . وقد كان خلعه مأساة مضحكة مبكية ، فقد دخل عليه اثنان من نقباء الديلم يصيحان وتناولا يده ، فظن أنهما يريدان تقبيلها ، فمدها إليهما ، فجذباه عن سريره ، وجعلا عمامته فى حلقه ، ونهض معز الدولة ، واضطرب الناس ، ونهبت الأموال ، وساق الرجلان الخليفة المستكفى ماشياً إلى دار معز الدولة بن بويه فاعتقل بها ، ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شىء .

ولقد كان الشريف الرضى فى مستكن الغيب حين وقعت هذه المأساة ، ولكن ما من شك فى أنها رويت له وهو طفل بعد مولده سنة ٣٥٩ هـ ، وما من شك فى أنه حين سمعها تعجب غاية العجب من مآسى الخلفاء .

ولقد ولد الشريف فى الخمس الأخيرة من خلافة المطيع العباسى ، ثم كان فى الخامسة من عمره حين تولى الطائع الخلافة العباسية سنة ٣٦٣ هـ ، ثم كان فى الثانية والعشرين من عمره حين تولى القادر الخلافة سنة ٣٨١ هـ ، وتوفى فى السنة الخامسة والعشرين من عهد هذا الخليفة .

وشهد الشريف الرضى من عهود بنى بويه عهدَ عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، ولكنه كان فى ذلك الحين صبياً لم يزد على الثامنة من عمره ، وعهدَ عضدِ الدولة بن ركن الدولة بن بويه إلى سنة ٣٧٢ هـ ، وعهد صمصام الدولة بن عضد الدولة إلى سنة ٣٧٦ هـ ، وعهدَ شرف الدولة بن عضد الدولة إلى سنة ٣٧٩ هـ ، وعصرَ بهاء الدولة بن عضد الدولة إلى سنة ٤٠٣ هـ ، وأدرك من عصر سلطان الدولة بن بهاء الدولة ثلاث سنوات،إلى أن توفى سنة ٤٠٦ هـ كما سبق القول .

وقد شهد البيت البويهى صراعاً بين رجاله الذين شاركوا فى بنائه ، وغلبت المطامع عليهم ، فطمع بعضهم فى بعض ، حتى لقد بلغ من عضد الدولة أن طمع فى ملك العراق وكان من نصيب ابن عمه بختيار ، فتربص به الدوائر ، وما زال به بين تهديد وإغراء حتى سلَّم له بختيار بملك العراق ، فدخل عضد الدولة بغداد ظافراً ، وأمر بابن بقية وزير بختيار أن يلقى بين قوائم الفيلة لتقتله ، وصلب الوزير على رأس الجسر ، وهو الوزير الذى رثاه الشاعر الأنبارى بقصيدته المشهورة التى مطلعها :

علو فى الحياة وفى الممات   لحقٌّ أنت إحدى المعجزات

ولم يكن صمصام الدولة بأسعد حظاً من بختيار ، فقد اضطرب عليه أمر العراق حين خرج عليه أخوه شرف الدولة وناصبه العداء وقطع الخطبة باسمه ، وهزم الجيش الذى سيره إليه . وانتهى الخلاف بين الأخوين بأن أصبح شرف الدولة سلطاناً على العراق ، فدخل بغداد سنة ٣٧٦هـ ، ولما توفى سنة ٣٧٩ هـ تولى العراقَ بعده أخوه بهاء الدولة . ولم يهدأ له الأمر ، فقد خرج عليه أقاربه وأهل بيته من بنى بويه ، وحاولوا نزع السلطان منه ، ولكنه انتصر عليهم .

وبهاء الدولة بن عضد الدولة البويهى هذا هو سلطان العراق الذى اتصل به الشريف الرضى ، ومدحه مدائح جيادا ، وأطال القصائد فى مدحه . وطال الأمد ببهاء الدولة وهو ملك على العراق من سنة ٣٧٩هـ إلى سنة ٤٠٣هـ - أى ما يقرب من أربعة وعشرين عاما ، والشريف الرضى دائم الصلة به ، مجوِّد المدائح فيه ، مطيل الثناء عليه ، محسن الدعابة معه . . . فيخاطبه تارة بالشعر الوحشى ، وأخرى بالقصائد الإنسية ، ويرق فى المديح فيقول مهنئاً إياه بعيد المهرجان سنة ٤٠٠ هـ :

انجُ من روعات أيا م وغارات خطوبِ
باقيـا ما اختلف النَّوْ رُ على الغصن الرطيب
هـــزّه الريح سليما من وُصُوم وعيوبِ
لالقاكَ الخطْب إلا راميا غير مصيب
كلما أفنيتَ عُقبـــا جاد دهرٌ بعقيب
مهرجان عاد إلمـــا مَ مُحب بحبيب
وافدا جاء من الإقبـــال فى زوْر غريب
إنَّ رَيْب الدهر أمسى لك مأمون المغيب[1]

ويقول من قصيدة أخرى مادحا إياه وشاكرا له على تلقيبه « بالرضى ذى الحسبين » وذلك سنة ٣٩٨ هـ :

رفعتَ اليوم من قدرى وأوطأتَ العدا عَقْبى

---

(١) شرح ديوان الشريف الرضى ، طبع عيسى الحلبى ج ١ ص ١٠١ .

ووسَّعتَ لىَ الضِّيق إلى المضطرب الرحْبِ
وزاوجت لىَ الطَّوْل زواج المـاء للعُشْبِ
فـكم من نعمة منك كعَرف المَندل الرطْب
أتتنى سمحة القوْد ذَلولا سَهلةَ الرَّكْب
مهنَّاةً كما ساغ زلال البـــارد العذب
وما إنعامك الغَمْرُ بزوَّارٍ على الغِبِّ

ويظل الشريف الرضى على ولائه ووده وإخلاصه لبهاء الدولة البويهى حتى يموت سنة ٤٠٣ هـ، فيرثيه بقصيدة يقول منها :

رزيئة لم تدع شمسا ولا قمرا ولا غماما ولا نجما ولا فلَـكا
لو كان يُقبل من مفقودها عوض لأنفق المجـدُ فيهـا كل ماملـكا
لا يُبعد الله أقواما رزئتَهُمُ لو ثلموا من جنوب الطَّود لانتهكا
فقدتهمْ مثل فقد العين ناظرها يبكى عليها بها ، ياطول ذاك بُكا !
لا تبصر الدهر بعد اليوم مبتسما إن الليالىَ أنْست بعده الضحكا ..

هذا هو الوضع السياسى للعراق فى العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى ، وهو وضع يبين لنا ضعف الخلافة العباسية من ناحية ، ونفوذَ بنى بويه وسلطانهم ونزعهم السلطة من أيدى الخلفاء من ناحية ثانية ، كما يصور لنا مطامع بنى بويه ومنافسات بعضهم لبعض على السلطان ، وائتمار الأخ حتى على أخيه من ناحية ثالثة .

ولقد أثرت هذه الاضطرابات السياسية ، والمؤامرات والفتن والدسائس بين أبناء بويه من ناحية ، وبينهم وبين العباسيين والأتراك من ناحية أخرى ، كما أثرت الخلافات والمنازعات

بين السنيين والشيعيين من ناحية ثالثة ـ أقول أثر ذلك كله فى الاستقرار السياسى والاجتماعى فى العراق جملة، وفى بغداد على جهة الخصوص. فلقد شهدت طفولة الشريف الرضى ـ وهو فى الثانية من عمره ـ الفتنة الكبرى التى حدثت بالكرخ سنة ٣٦١ هـ، فأرسل أبو الفضل الشيرازى ـ وزير معز الدولة البويهى ـ مَن طرح النار على دور أهل الكرخ، فاحترقت أموال عظيمة واحترق جماعة من الرجال والنساء والصبيان فى الدور والحمامات. وكان جملة مااحترق ـ كما يروى المؤرخ ابن الجوزى ـ سبعة عشر ألف إنسان، وثلثمائة دكان، وثلثمائة وعشرين دارا، ودخل فى جملة الإحصاء ثلاثة وثلاثون مسجدا[1].

وما من شك فى أن هذا التفكك فى جسم الخلافة العباسية كان سببا فى اجتراء الأجانب عليها، وطمع الأعاجم فيها، ومهاجمتهم لها. ألم يشهد مولد الشريف الرضى سنة ٣٥٩ هـ دخول الروم أنطاكية الإسلامية، فملكوا البلد، وأخرجوا الشيوخ والعجائز والأطفال على وجههم حيث شاءوا، وأخذوا الشباب من النساء والغلمان والصبيان فحملوهم على وجه السبى، فكان عددهم أكثر من عشرين ألفا[2]؟

لقد فزع المسلمون لسقوط أنطاكية فى يد الروم على هذا النحو الفظيع، ويروى المؤرخ يحيى بن سعيد أن الناس كان يخيل إليهم أنها لن تغلب.

ولم يكن سقوط أنطاكية أول صدع فى بناء الخلافة العباسية، أو المملكة الإسلامية

---

(١) المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم. لابن الجوزى طبع حيدر أباد الدكن. ج ٧ ص ٦٠.

(٢) المصدر نفسه ص ٥١.

على جهة العموم ـ ففى سنة ٣٦٤ هـ فتحت بعلبك و بيروت . واضطر أهل دمشق المسلمون أن يفتدوا أنفسهم من الروم بدفع ستين ألف دينار ، يحملونها للروم كل عام .

فى هـذا العصر القلق المائج بأحداث كبار ، المرزوء بفتن ومؤامرات لاحـد لها ، المنكوب بخلفاء للإسلام بلغوا من الوهن حدا لازيادة بعده لمستزيد ، المملوء بأمراء يقتلون أنفسهم و إخوتهم وأبناء عمومتهم وأهل بيتهم فى سبيل مطامعهم الذاتية ـ فى هـذا العصر عاش الشريف الرضى وعاش من قبله أبوه أبو أحمد الحسين ، فنكب الأب الجليل نكبة بلغت من نفس ابنه الشريف مبلغا عظيما ، فأنطقته بالشعر البليغ ، والشكوى المريرة ، ولم تصده عن أن يمضى فى العلم والبحث والدرس والتفقه إلى أجـله ، فأمتع الأدب العربى بالروائع الخالدات .

الحياة الأدبية فى عصر الشريف

كان النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ـ وهو الزمن الذى عاش فيه الشريف الرضى ـ ميدانا للأدب استبق فيه الفحول ، وقد كان انقسام الدولة العباسية إلى دويلات وإمارات عاملا من عوامل النهضة التى أخـذت تتميز فى هـذا العصر ، فقد كان الأمراء ينافس بعضهم بعضا فى تشجيع العلم والأدب . وانتقلت مراكز التشجيع من قصور الخلفاء إلى دور الأمراء والسلاطين والوزراء والعمال فى الأقاليم المختلفة ، فهؤلاء البويهيون أسهموا فى النهضة العلمية الأدبية فى القرن الرابع بما لايليق بمنصف إغفاله ، فقد كانوا لا يستكتبون ولا يستوزرون إلا العلماء والشعراء والأدباء . وابن العميد والصاحب ابن عباد من الوزراء الأدباء المؤيدين لهـذه القضية . وقد كان ملوك بنى بويه أنفسهم

مشهورين بميلهم إلى الأدب والعلم والمساهمة فيهما . وهـذا عضد الدولة البويهى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ شارك فى عدة فنون من الأدب ، وقرب إليه الأدباء والعلماء وحثهم على التأليف . فألف له أبو إسحاق الصابى كتاب « الناجى » فى أخبار آل بويه ، وألف له أبو على الفارسى النحوى المشهور كتاب « الإيضاح » و « التكملة » فى علم النحو ، وقصده فحول الشعراء فى عصره كالمتنبى والسلامى وغيرهما ، وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن ـ كما ذكر الثعالبى صاحب يتيمة الدهر ـ كما كان عز الدولة وتاج الدولة بن عضد الدولة من شعراء بنى بويه .

ومن الوزراء الأدباء الذين ظهروا فى عصر بنى بويه « ابن العميد » الذى وزر لركن الدولة بن بويه ، «وسابور بن أردشير» الذى وزر لبهاء الدولة البويهى، وكان شاعرا أديباً ، وهو الذى أنشأ فى الكرخ خزانة كتب عظيمة وقفها على إفادة الناس ، ينهلون من منابعها ، ويستخرجون أثمن مافى بطونها . وليس يجمل فى هذا المقام أن نغفل « الصاحب ابن عباد » وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة البويهى ووزير أخيه فخر الدولة ، وكان من المعالم الأدبية الواضحة فى الأدب العربى .

ولقد بلغت الكتابة فى هذا العصر مبلغا يدل على ماوصلت إليه البلاغة العربية تطبيقا لا نظريا ، واشتهرت الرسائل فى هـذا العصر بالجمال وبلوغها قمة الفن الأدبى ، ووصولها بالبيان العربى المشرق إلى الغاية التى عدت آية فى التعبير الجميل . وكانت البلاغة وحدها سبيل الكتاب إلى أكبر المناصب مهما اختلفت دياناتهم ، فالصابى الكاتب المترسل البليغ قلد ديوان الرسائل ببغداد ، مع أنه كان على دين الصابئة ولم يدخل فى الإسلام ، ولما مات هـذا الكاتب العبقرى على دينه المخالف للإسلام لم يمنع

ذلك الشريف الرضى ـ وهو نقيب العلويين ـ أن يرثيه رثاء بليغا متفجعا ، فقال فيه :

ثكلتك أرض لم تلد لك ثانيا أنىّ ومثلك معوز الميلاد ؟
مَنْ للبلاغة والفصاحة إن همى ذاك الغمام وعبَّ ذاك الوادى ؟
مَن للملوك يحز فى أعدائها بظبا من القول البليغ حداد ؟

ولقد أحس الصابى نفسه قدر نفسه ومنزلته فى البلاغة فقال مفتخرا :

وقد علم السلطان أنى أمينه وكاتبه الكافى السديد الموفق
فيمناى يمناه ، ولفظى لفظه وعينى له عين بها الدهر يرمق
ولى فِقَرٌ تضحى الملوك فقيرة إليها لدى أحداثها حين تطرق[1]

على أن الشريف الرضى نفسه قد أسهم فى أدب الرسائل ، فقد دارت بينه و بين بعض الأعلام من عصره رسائل أدبية أثبت السيد على خان المدنى المتوفى سنة ١١١٨ ه بعضها فى كتابه (الدرجات الرفيعة) ونشر بعضها فى الأجزاء الأولى من مجلة العرفان التى يصدرها فى صيدا ، إلى اليوم ، الشيخ أحمد عارف الزين .

وقد أشار ابن النديم فى « الفهرست » إلى كتاب « مراسلات الشريف الرضى » وهو مما جمعه أبو إسحاق الصابى الذى كان معاصرا للشريف والذى رثاه شاعرنا بالدالية التى ذكرنا منها الثلاثة الأبيات السابقة[2] . ولكن كتاب الصابى هذا لا يزال سرا فى ضمير الغيب .

---

(١) رسائل الصابى ، طبع لبنان ص ٨ .

(٢) الفهرست ، طبع مصر ص ١٩٤ .

فالشريف الرضى لا يقف بالشعر وحده فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى ، وإنما كان منشئاً مترسلا بليغاً لا يقل عن كبار المترسلين فى عصره ، من أمثال أبى الفضل بن العميد المتوفى سنة ٣٦٠ ﻫ ، وأبى بكر الخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ ﻫ ، وأبى إسحاق الصابى المتوفى سنة ٣٨٤ﻫ ، والصاحب بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ﻫ ، و بديع الزمان الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ﻫ ، وأبى الفتح البستى المتوفى سنة ٤٠٠ ﻫ ، وأبى الفضل الميكالى المتوفى سنة ٤٣٦ ﻫ.

ولقد ازدهر عصر الشريف الرضى بجماعة من الأدباء والنقاد ، فوق كتَّاب الرسائل البلغاء الذين سبق القول عنهم ، كأبى على التنوخى صاحب كتاب « الفرج بعد الشدة » و « المستجاد من أفعال الأجواد » و « نشوار المحاضرة » وقد توفى سنة ٣٨٤ﻫ ، وأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ﻫ ، وهو صاحب كتاب « الصناعتين » و « ديوان المعانى » وغيرهما ، وكالشريف المرتضى ـ أخى الشريف الرضى ـ وقد توفى سنة ٤٣٦ﻫ، وهو صاحب كتاب « الدرر والغرر » الذى طبع باسم أمالى السيد المرتضى ، وكالآمدى المتوفى سنة ٣٧١ﻫ، وهو صاحب كتاب « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » وغيرهم .

* * *

أما النحاة واللغويون فى عصر الشريف الرضى ، فكان على رأسهم ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ﻫ . وابن جنى المتوفى سنة ٣٩٢ﻫ وقد قرأ عليه أبو على الفارسىّ والشريف الرضى ـ كما سبق القول . وأبو سعيد السيرافى المتوفى سنة ٣٦٨ﻫ وقد تتلمذ عليه الشريف الرضى ـ كما أسلفنا ـ وأبو على الفارسى المتوفى سنة ٣٧٧ﻫ . والرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ﻫ .

والربعى المتوفى سنة ٤٢٠ هـ وكان من شيوخ الشريف فى النحو ، وأبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ هـ[1] ، وهو صاحب « المجمل » و « مقاييس اللغة » . والأزهرى صاحب « التهذيب » المتوفى سنة ٣٧٠ هـ . والجوهرى أبو نصر إسماعيل بن حماد المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ، وهو صاحب كتاب « الصحاح » المشهور فى اللغة الذى لخصه محمد بن أبى بكر الرازى ـ من علماء القرن الثامن ـ وسماه « مختار الصحاح » .

هذا هو مجمل الخطوط الأدبية فى عصر الشريف الرضى . على أننا قد تركنا حركة الشعر والشعراء فى هذا العصر ، إيثاراً للحديث عنها حديثاً خاصا يتناسب مع مكانة الشريف الشعرية ، ومع مكانته شاعراً أكثر من مكانته كاتباً مترسلا مصنفاً . . .

الشعر والشعراء فى عصر الشريف

ذهب النصف الأول من القرن الرابع الهجرى بجماعة من الشعراء منهم أبو الحسن على بن محمد المعروف بابن بسام المتوفى سنة ٣٠٢ هـ ، والخبزأرزى المتوفى سنة ٣١٧ هـ ، وأبو بكر بن العلاف المتوفى سنة ٣١٨ هـ ، وهو صاحب القصيدة فى رثاء الهر التى يقول فيها : « يا هرُّ فارقتنا ولم تَعُدِ » . وأبو الطيب المتنبى المتوفى سنة ٣٥٤ هـ . وأبو فراس الحمدانى المتوفى سنة ٣٥٧ هـ ، وأبو الفتح كشاجم المتوفى سنة ٣٦٠هـ . والسرى الرفاء المتوفى سنة ٣٦٢ هـ . وابن هانىء الأندلسى المتوفى سنة ٣٦٣ هـ وهو الذى أسف المعز

(١) اختلف فى تاريخ وفاته ، فابن خلكان يقول إنه توفى سنة ٣٩٠ هـ والقفطى فى « إنباه الرواة » يقول إنها سنة ٣٩٥ هـ ، ونقل ياقوت الرومى عن الحميدى أنه توفى سنة ٣٦٠ هـ ثم عقب على ذلك بأنه قول لا اعتبار به .

لدين الله الفاطمى لوفاته وقال : هذا رجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق .

ولقــد ترك بعض هؤلاء الشعراء دويًّا فى آذان الزمان كالمتنبى وابن هانىء ، كما ترك مِنْ قَبْلِهما ـ فى القرن الثالث الهجرى ـ أبو تمـام والبحترى جلجلة فى سمع الدنيـا .

وجاء النصف الثانى من القرن الرابع فظهر فيه حفنة من الشعراء ، منهم أبو الفرج محمد ابن أحمد الوأواء المتوفى سنة ٣٩٠ هـ ، وأبو الحسن محمد عبد الله السلامى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ ، وأبو الفرج الببغاء المتوفى سنة ٣٩٨ هـ ، وأبو العباس أحمد بن محمد النامى المتوفى سنة ٣٩٩هـ وابن نباتة السعدى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . ـ وهو غير ابن نباتة المصرى من شعراء القرن الثامن ، وغير ابن نباتة الفارقى الخطيب الذى تتلمـذ له الشريف الرضى ـ وصريع الدلاء المتوفى سنــة ٤١٢ هـ ، ومهيار الديلمى المتوفى سنــة ٤٢٨ هـ . وأبو العلاء المعرى المتوفى سنة ٤٤٩ هـ .

وقد تأخر الأجل بالثلاثة الأخيرين فعاشوا بعد وفاة الشريف الرضى ، بل امتد العمر بالمعرى إلى نصف القرن الخامس تقريباً . ولـكنهم على كل حال تعاصروا مع الشريف واتصلوا به ، واتصل بهم .

ولما مات الشريف رثاه مهيار الديلمى بقصيدتين يقول فى أولاهما :

بكت السماء له وودت أنها   فقدت غزالتها ولمـا يفقد
والأرض وابن الحاج سدت سبْله   والمجدُ ضيم فما له من مُنجد
و بكاك يومك إذ جرت أخباره   ترحا وسمِّى بالعبوس الأنكد

صبغت وفاتك فيه أبيض فجره ... يا للعيون من الصباح الأسود !

ويقول فى الثانية :

فضَّ الحِمام إليك حلقة هيبة ... ما خلتُ حادثة تفض ختامها
واستعجلتك يد المنون بحثِّها ... قبل السنين وما اطلعت تمامها
أبكيك للدنيا التى طلقتَها ... وقد اصطفتك شبابها وعُرامها
ورميت غاربها بفضلة معرض ... زهداً وقد ألقت إليك زمامها

***

فبرغم أنفى أن أبثك لوعتى ... والأرضُ قد بثَّت عليك رغامها
وأبِى الوفاء ـ إذا الرجال تحرجت ... حنث اليمين فحلَّلتْ أقسامها ـ
لأساهرنَّ الليل بعدك حسرة ... إنْ ليلةٌ عابت حزيناً نامها
ولأُبدلن الصبر عنك بقرحة ... فى الصدر لا يجد الدواء لحامها
أبكى لأطفئها وأعلمُ أننى ... بالدمع محتطب أشبُّ ضرامها (١)

ومن الشعراء الذين عاصروا الشريف الرضى شاعران أخرجهما الهزل وروح المعابثة عن أن يذكرا فى مواطن الجد ، ولكنهما لا يتخلف ذكرهما فى معرض التاريخ للشعر العربى فى النصف الثانى من القرن الرابع ، وهما ابن سكرة الهاشمى ، وابن حجاج

---

(١) ذكر فى الطبعة الأولى من « الغدير » أن المعرى رثى الشريف الرضى . وهو وهم استدركه العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد فحذفه من الطبعة الثانية فى طهران . والحق أن المعرى رثى والد الشريف .

اللذان شغلا الناس فى عصرهما بقصائد خليعة ماجنة تحدث الناس بها ، واتخذوها سمراً لهم .

على أن أعجب ما فى حكاية هذا الشعر الماجن أن الشريف الرضى أعجب به ـ جريا على ذوق عصره ـ فاختار من شعر ابن حجاج كتاباً سماه « الحسن من شعر الحسين » ، ولعل هذا الاختيار كان رد فعل لما كان فى نفس الشريف من سخط على مجتمع لا يحفل بالشعر الجاد الرصين ، فلجأ إلى شاعر هازل ليختار أحسن ما فى شعره ... وهو اختيار على كل حال لا يسوغ لنا إعجاب الشريف الرضى بشعراء العبث والمجون مع كثرة منادحه فى اختيار شعر الجادين من الشعراء . وقد يكون الشريف الرضى من المعجبين حقاً بظرف الشاعر ابن حجاج فى عصر اضطرت فيه قسوة الحوادث الناسَ إلى أن يتخففوا من وقارهم وجد زمانهم ، وأن يفيدوا طباعهم المكدودة بالجد راحة . ولعل مرثية الشريف لابن حجاج تؤكد لنا هذا المعنى حين يقول :

فزل كزيال الشباب الرطيـ ـب خانك يوم لقاء الغوانى !
ليبْكِ الزمان طويلا عليك فقد كنت خفة روح الزمانِ !!

***

وقد امتاز الشريف الرضى من شعراء عصره بتلك العفة اللفظية التى تطبع شعره الكثير الفياض . فلا تراه فى شعره مفحشا ، ولا نابياً ، ولا سليطاً ، ولا ماجنا .

وقد لفتت هذه الحقيقة نظر المستشرق « آدم متز » فقال(١) : [ولم يكن يخرج من فم هذا الرجل النبيل حقاً كلمة واحدة من تلك الكلمات القبيحة التى يتلفظ بها السوقة ، والتى

---

(١) الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . ج ١ ص ٤٥١ .

نرى أمثالها عند الصابى صاحب الرسائل ، وعند الوزير المهلبى ، وعند الوزير الصاحب بن عباد . وإذا كان غيره من الشعراء قد استباحوا لأنفسهم من الذم كل قبيح ، فإننا لا نجد للشريف الرضى فى باب الهجاء أقوى من ذم لمغن بارد قبيح الوجه . وهو :

تغثى[1] بمنظره العيون إذا بدا   وتقىء عند غنائه الأسماع

أشهى إلينا من غنائك مسمعا   زَجَلُ الضراغم بينهن قراع]

وإذا أخرجنا أبا العلاء المعرى من مجال الموازنة فى العصر الذى عاش فيه الشريف الرضى فإن شاعرنا يحتل أعلى مكان فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ففى شعره ذلك النفس العربى الكريم ، وتلك العزة العربية الغلباء التى انحدرت إليه من أصلاب البيت العلوى ، وذلك المجد والعلا اللذان كثيرا ما دارا فى شعره ، حتى ليخيل إلى القارئ أن المعالى كانت دائما على مهامس شفتيه . وهو فوق ذلك وصاف بارع ، غزل رقيق الغزل ، وفىّ محسن الوفاء ، راث مجيد الرثاء .

وهو فوق ذلك كثير الحكمة يسوقها فى شعره سوقا ، ويرسلها إرسالا ، إلا أن أمثاله وحكمه لم تشتهر شهرة أمثال المتنبى وحكمه ، لأن أمثال أبى الطيب فيها من عناصر السيرورة والسهولة مايجعلها تدور على الألسن كل مدار .

أما أمثال الشريف الرضى وحكمه فكانت تحتاج إلى إعمال الخاطر ، وقدح الذهن ، وذلك يتجافى وانتشار الأمثال .

---

(١) فى الأصل « تغفى » وهو تحريف ، صوابه ما أثبتناه .

الشريف الرضى بين أهل السنة والشيعة

قضى الله أن يكون الشريف الرضى فى عصر استحكمت فيه أسباب الخلاف بين أهل السنة والشيعة ، ولقد سبق أن أشرنا إلى أنه شهد فى السنة الثانية من طفولته تلك الفتنة المروعة التى حدثت بالكرخ واحترقت فيها دور ودكاكين وأناسى كثيرون .ولم تكن الفتن المذهبية متركزة فى مكان بعينه ، ولكنها كانت فى العراق كله ، بل فى مدن كثيرة من بلاد فارس . وكانت كل مدينة تتلون بلون مذهبى خاص ، فكان فى مدينة « قم » غلاة من الشيعة ، وكانت أصفهان مثلا يغلب عليها مذهب أهل السنة ، وكان يكفى أن يقال مثلا إن شيعيا سب الصحابة أو بعضهم ، أو أن سنيا غالى فى مدح معاوية ، فتقوم من أجل ذلك فتنة لا قبل بإطفائها . والوقائع فى ذلك كثيرة لا ينقصنا استحضارها الآن للاستشهاد ، ولكن الخير أن يلقى على ذلك كله ستار من النسيان لأُمًا للجراح ، ورأبا للصدوع .

لقد تعرض كثير من الأشخاص للأذى من جراء هذه الفتن المذهبية التى لا طائل تحتها ، فوق ماتعرضت له المدن والجماعات من أحداث جسام . فلقد قبض معز الدولة بن بويه على الخليفة المستكفى ، وأنزله من على عرشه بصورة مهينة ، لأن المستكفى اتهم بأنه كان قد قبض على رئيس الشيعة .

وبلغ من اشتداد النزاع بين هاتين الفرقتين من فرق المسلمين أن الفتنة التى قامت ببغداد سنة ٣٤٩ هـ تعطلت من أجلها صلاة الجمعة بمساجد أهل السنة .

ولعل نظرة على أحداث ذلك القرن عاماً عاما فى كتاب « المنتظم » أو «الكامل»

أو « تجارب الأمم » ترينا كيف استحالت الحياة بين الإخوة المسلمين إلى حرب عصبية مذهبية لم يكن من الحكمة قيامها .

ويروى ابن الجوزى صاحب المنتظم[1] » فى حوادث سنة ٣٩٨ هـ نبأ الفتنة التى جرت بين أهل الكرخ والفقهاء بقطيعة الربيع ، وكان سببها أن بعض الهاشميين من أهل باب البصرة تعرضوا بمحمد بن النعمان ـ فقيه الشيعة المعروف بابن المعلم ـ تعرضا امتعض له أصحابه من الشيعة ، الذين ساروا واستنفروا أهل الكرخ دفاعا عن فقيههم ... ثم صاروا إلى دار القاضى أبى محمد بن الأكفانى وأبى حامد الأسفرائينى ـ وهما من علماء السنة ـ فسبوهما وطلبوا من الفقهاء المواقعة بهم . وازدادت نار الفتنة اشتعالا حين قصد أحداث الكرخ باب دار أبى حامد الأسفرائينى ، فانتقل عنها ونزل دار القطن . وبلغت الحوادث حدا أحفظ الخليفة ، فأرسل الحرس الذين حول بابه لمعاونة أهل السنة . واجتمع أشراف الكرخ وتجارها إلى دار الخليفة القادر ، فسألوه العفو عما فعل السفهاء والأحداث الأغرار فعفا عنهم .

وفى غمار هذه الأحداث والفتن عاش الشريف الرضى ، ولكنه كان أبعد مايكون عن التعصب ، وكان فيه من سماحة الرأى ، ورحابة الصدر واتساع النظر ماباعد بينه وبين الخوض فى غمرات لم تكن من مصلحة الأمة الإسلامية فى قليل ولا كثير .

ويحدثنا السيد محمد المشكاة فى مقدمة النسخة المصورة من « تلخيص البيان » بأن مؤلف هذا الكتاب هو الشيعى الخالى عن التعصب[2] .

---

(١) جزء ٧ ص ٢٣٧

(٢) مقدمة النسخة المصورة من « تلخيص البيان » صفحة ن

وأدرك المرحوم الدكتور زكى مبارك ذلك وهو يتحدث عن الشريف فى كتابه فقال : (والواقع أن الشريف كان قليل الرعاية للعصبية المذهبية ، والظاهر أنه كان حر العقل إلى حد بعيد)(١) .

والحق أن الشريف الرضى قد ورث السماحة والبعد عن التعصب البغيض من أبيه أبى أحمد الحسين بن موسى الذى كان يقوم دائما بدور المصلح الموفق بين المتخاصمين ، وكثيرا ماالتجأ إليه الخائف فوجد الأمن فى كنفه ، فإن ابن الجوزى يحدثنا أنه فى سنة ٣٦١ هـ وردت كتب الحاج بأن بنى هلال اعترضوا الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، فبطل الحج ذلك العام ، ولم يسلم إلا من مضى مع الشريف أبى أحمد الحسين الموسوى على طريق المدينة ، وتم حجهم(٢)

ولما اختلف الملكان الأخوان بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، وصمصام الدولة ابن عضد الدولة بن بويه سافر والد الشريف الرضى إلى فارس ليصلح بين الأخوين المتنازعين ، وليوفق بين غاياتهما التى أدت إلى النزاع بين العسكرين الفارسى والبغدادى . وقد انحدرت هذه النزعة الإصلاحية الموفقة إلى أبناء أبى أحمد الحسين الموسوى والد الشريفين ، الرضى والمرتضى . ففى أحداث سنة ٤٢٠ هـ ـ أى بعد وفاة الرضى بأربعة عشر عاما ـ نرى أخاه الشريف المرتضى يذهب مع قوم من مشايخ أهل الكرخ إلى دار الخليفة القادر العباسى فيعتذرون من جناية مذهبية قام بها أحداث الكرخ من أبناء الشيعة(٣)

---

(١) عبقرية الشريف الرضى ، لزكى مبارك جـ ١ ص ١٥١ مطبعة الجزيرة . بغداد .

(٢) المنتظم جـ ٧ ص ٥٧ (٣) المصدر السابق جـ ٨ ص ٤٥ .

لهذا لم يكن غريبا على الشريف الرضى أن يرث التسامح واتساع الأفق الدينى عن أبيه السمح الموفق . وقد كانت تلمذته ودراسته على مشايخه دليلا على رحابة أفقه المذهبى . فقد كان من شيوخه أبو حفص عمر بن إبراهيم الكنانى ، وقد روى عنه الحديث ، وأبو محمد عبد الله بن محمد الأسدى الأكفانى . وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى المتوفى سنة ٣٩٣ ﻫ ، وكان فقيها على مذهب الإمام مالك ، وكان ـ بشهادة المؤرخ ابن الجوزى ـ شيخ الشهود ومقدمهم ، كما كان كريما مفضلا على أهل العلم[١] .

وكانت علاقة الشريف الشيعى بهذا الأستاذ السنى علاقة الابن بأبيه . وقد روى ابن الجوزى أن الشريف قرأ على هذا الشيخ القرآن ، فقال له يوما : أيها الشريف ! أين مقامك ؟ فقال : فى دار أبى بباب المحول ، فقال له : مثلك لا يقيم بدار أبيه ، ونحله الدار التى بالبركة فى الكرخ ، فامتنع الرضى ، وقال : لم أقبل من غير أبى قط شيئا ! فقال له : حقى عليك أعظم لأننى حفظتك كتاب الله ، فقبلها[٢] .

والحق أننا لم نلحظ فيما كتبه الشريف الرضى أو نظمه أثرا لتعصب ممقوت ، أو لمحة من عصبية ظاهرة ، ولم نر فيه خروجا عن جادة الحلم والتوقر حين يغضب لعلى بن أبى طالب أو لأبنائه وحفدته من العلويين ، ولم نلحظ عنده عنفا فى القول ، أو غلاظة فى الدفاع إلا حين تحدث فى « المجازات النبوية » عن حسان بن ثابت شاعر الرسول والدعوة الإسلامية . فحين أخذ يكشف عن وجوه المجاز فى قوله عليه السلام : (حسّان حجاز بين المؤمنين والمنافقين ، لا يحبه منافق ولا يبغضه مؤمن) بدأ يقول : [وهذا

---

(١) المنتظم لابن الجوزى جـ ٧ ص ٢٢٣

(٢) المصدر السابق .

الـكلام عندنا فى حسان متعلق بوقت مخصوص ، وهو زمن النبى صلى الله عليه وآله ، فأما حين ظاهَرَ أمير المؤمنين عليه السلام بعداوته ، ورماه بمعاريض القول فى أشعاره ، فقد خرج من أن يكون حجازا بين الإيمان والنفاق ، وتحيز إلى جانب النقمة والضلال][1] .

ولو أن الشريف الرضى ـ رضى الله عنه ـ كان من أنصار التعصُّب لوجد فى « تلخيص البيان » و « المجازات النبوية » مجالا فسيحا للتعبير عن تعصبه ، والتنفيس عن صدره ـ لو كان ضائق الصدر ـ ولـكنه كان أسمح من أن يثير مغمزا ، أو يوقظ نائمة ، إلا ما كان من اتهامه حسان بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ بالتحيز إلى جانب النقمة والضلال .

أساتذة الشريف الرضى

رأينا من علاقة الشريف الرضى ببعض أساتذته وشيوخه ماجعل أستاذه الفقيه المالـكى أبا إسحق إبراهيم بن أحمد الطبرى ينحله دارا له ، فيمتنع الشريف ، لأنه لم يقبل من غير أبيه شيئا ، ولـكن الشيخ يدخل إليه من باب الأبوة الروحية العلمية فيقول له : حق عليك أعظم من حق أبيك ، فيقبل الشريف المنحة .

والحق أننا نجد من بر الشريف الرضى بشيوخه ، وإشادته بذكرهم ، والدعاء لهم فى مصنفاته، مايحمل الدلالة على صفة العرفان بالجميل ، والقدر للمعروف ، وشدة الحفاظ للصنيع .

ولقد جمـله الله بالأدب النبوى ، والخلق العلوى فيما يتصل بأساتذته ، فلا يذكرهم

---

(١) المجازات النبوية . طبع مصر . ص ١٠٥ .

فى معرض الاحتجاج برأيهم إلا مترحما عليهم ، مشيدا بأقدارهم ، فلا يكتفى بأن يقول مثلا : سمعت شيخنا أبا الفتح ابن جنى ، أو : قال لى الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى أدام الله توفيقه ، أو كنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمى رحمه الله ، أو غير ذلك مما يفيد قراءته على شيوخه ، ولـكنه حين يستحسن قولا لأحد شيوخه أو رأيا لأحد أساتذته لا ينى عن الإشارة إلى ذلك والإشادة به ، كما صنع مع شيخه أبى الفتح عثمان بن جنى الذى شرح معنى قولهم : لعمْر الله ، أنهم يريدون القسَمَ بالحياة التى يُحْيِي بها الله ، لا الحياة التى يَحْيَا بها ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ فـكأنَّ المقسِمَ إذا أقسم بهـذه الحياة دخل ما يخصه منها فى جملة قسمه ، وجرى ذلك مجرى قوله : لعمرى ، فيصير مقسما بحياته التى أحياه الله بها .

وقد أعجب الشريف الرضى برأى أستاذه ابن جنى فى هـذا التعبير ، فـكتب بعد إيراده : (وكنتُ أستحسن هـذا القول منه جدا ، وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتى عليه ، وكان عفا الله عنه كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا)[1] فالتلميذ هنا لا يأخذ رأى أستاذه وحسب ، ولـكنه يمضى فى استحسانه . و يبالغ فى صفة هذا الاستحسان بقوله : جدا . ثم يشير إلى نظائر لهذا كان يسمعها منه ، ثم يزيد بأن شيخه كان كثير الاستنباط والاستطلاع للخفايا . ولو أراد طالب علم أن يكون لسان صدق لأستاذه وداعية لشيخه ما بلغ ما بلغه الشريف الرضى فى حق شيخه ابن جنى مع بلاغة الإيجاز .

وقد عرفنا شيوخ الشريف الرضى من إشارته إليهم فى « تلخيص البيان « والمجازات النبوية » ، أو من إشارة المؤرخين إلى بعضهم بأنه قرأ عليهم أو أخـذ عنهم ، كما فعل

---

(١) تلخيص البيان ٠ مجازات سورة النحل .

ابن الجوزى حين أشار فى « المنتظم » إلى قراءة الشريف الرضى القرآن على الفقيه أبى إسحاق الطبرى المالكى المتوفى سنة ٣٩٣ هـ[١] .

والحق أن الأستاذ الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى قد زودنا فى كتابه « الغدير » ببضعة عشر شيخا تتلمذ الشريف الرضى عليهم[٢] . وقد وجدنا فى الثبت الذى أورده بأسماء شيوخ الرضى مالم نجده فيما بين أيدينا من مراجع . ولعل المصادر الشيعية قد أسعفته بما أبت مصادرنا أن تساعفنا به .

ونحن نذكر هنا هذا الثبت ، ونزيد عليه ما أمدتنا به المصادر من تراجم حياتهم التى وجدناها مبعثرة متناثرة فى « تاريخ بغداد » و « المنتظم » و « معجم الأدباء » و « وفيات الأعيان » و « بغية الوعاة » و « النجوم الزاهرة » و « الكامل » وغيرها من مراجع الطبقات والتراجم والتاريخ :

(١) ـ السيرافى النحوى ، وهو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، سكن بغداد ، وتولى القضاء فيها . وكان ثقة فى القراءات وعلوم القرآن والفقه واللغة والنحو وغيرها ، وكان من أعلم الناس بمذهب البصريين فى النحو ، أما فى الفقه فكان ينتحل مذهب أهل العراق . ولقد تعفف عن الكسب إلا من عمل يده ، فكان ينسخ فى كل يوم عشر ورقات ليأخذ عليهن أجرا قدره عشرة دراهم ، وهن قدر مئونته . وتوفى سنة ٣٦٨ هـ . ومن هذا نعلم أن الشريف تتلمذ له وهو قبيل التاسعة من عمره .

---

(١) المنتظم لابن الجوزى . ج ٧ ص ٢٢٣ .

(٢) الغدير . طبع . النجف . ج ٤ ص ١٦٢ .

(٢) ـ أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، كان إماماً فى النحو والعربية ، وله شعر ذكر بعضه ياقوت فى معجمه الذى يشتمل على ترجمة مطولة له . وقد روى شعر المتنبى وشرحه ، وكان المتنبى يقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى ، ولما مات المتنبى رثاه ابن جنى بقصيدة أولها :

غاض القريض وأذوت نضرة الأدب وصوّحت بعد رى دوحة الكتب

وقد صحب ابن جنى أبا على الفارسى أربعين سنة ، فلما مات أبو على تصدر عنه أبو الفتح فى مجلسه ببغداد . وتوفى سنة ٣٩٢ هـ فرثاه تلميذه الشريف الرضى بقصيدة رصينة محكمة النسج يقول فيها :

فمن للمعانى فى الأكمّة ألقيت إلى باقر غيث المعانى وفاتق
يطوِّح فى أثنائها بضميره مرير القوى ، ولّاج تلك المضايق
تسنّم أعلى طودها غير عاثر وجاوز أقصى دحضها غير زالق

ولم يكتف الشريف الرضى بحسن الإشارة إلى أستاذه ابن جنى فى مصنفاته ، ولكنه مدحه بشعره ، عرفاناً بقدره فى البلاغة ، ومنزلته فى الفصاحة ، فقال من قصيدة :

فدًى لأبى الفتح الأفاضل إنه يبر عليهم إن أرمَّ وقالا
إذا جرت الآداب جاء أمامها قريعا ، وجاء الطالبون إفالا
فتى مستعاد القول حسنا ولم يكن يقول محالا ، أو يحيل مقالا
ليقرى أسماع الرجال فصاحة ويورد أفهام العقول زلالا
ويجرى لنا عذباً نميرا وبعضهم إذا قال أجرى للمسامع آلا

(٣) ـ أبو على الحسن بن أحمد الفارسى ، وقد أجازه فى كتابه المسمى « بالإيضاح »

كما ذكر ذلك الشريف فى « المجازات النبوية » ، وكان يسمع من شيخه ابن جنى الذى كان ينشده عن أبى على الفارسى ، كما فى « تلخيص البيان » فى مجازات سورة طه ، وسورة ص . وأبو على أحد الأئمة فى علم العربية ، زار كثيراً من بلاد المملكة العربية الإسلامية ، فدخل بغداد ، وقدم حلب وأقام مدة عند سيف الدولة بن حمدان . ودخل فارس فاتصل بعضد الدولة بن بويه ؛ وصنف له كتاب « الإيضاح » فى قواعد العربية . وصحبه ابن جنى أربعين عاما كما سلف القول . وتوفى سنة ٣٧٧ هـ .

(٤) ـ القاضى عبد الجبار أبو الحسن بن أحمد الشافعى المعتزلى ، ويروى الشريف عنه قائلا : (وفيما علقته عن قاضى القضاة أبى الحسن عبد الجبار بن أحمد أدام الله توفيقه) وقد ذكره الشريف فى « تلخيص البيان » فى مجازات سورة الكهف ، كما ذكره فى « المجازات النبوية » فى بيان المجاز فى قوله صلى الله عليه وسلم : (الأيدى ثلاث : فيد الله العليا ، ويد المعطى بلغَ قُبَالاً الوسطى ، ويد السائل السفلى) واسم هذا القاضى عبد الجبار وكنيته أبو الحسن كما فى « المجازات النبوية » و « تلخيص البيان » . وفى الأعلام للزركلى كنيته أبو الحسين . وكان شيخ المعتزلة فى عصره ، ويلقبونه بقاضى القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . وتوفى بالرى سنة ٤١٥ هـ . ولم يذكره ابن الجوزى فى وفيات كتابه . وقد دلنا الشريف الرضى فى « التلخيص » على أنه قرأ عليه كتابه المسمى «تقريب الأصول» كما دلنا فى « المجازات النبوية » على أنه قرأ عليه كتابه المسمى « شرح الأصول الخمسة » .

(٥) ـ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى ، وكان شيخه فى الفقه . وإليه يشير فى « المجازات النبوية » قائلا : (وكنت سألت شيخنا أبا بكر محمد بن موسى الخوارزمى ـ رحمه الله ـ عند انتهائى فى القراءة عليه إلى هذه المسألة من كتاب الطهارة) ـ وهى مسألة

الشرب فى آنية الذهب والفضة ـ كما يشير إليه فى « تلخيص البيان » فى مجازات سورة ص قائلا : (وقال لى الشيخ أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى أدام الله توفيقه) . والخوارزمى هذا ـ كما يقول الخطيب البغدادى ـ هو شيخ أهل الرأى وفقيههم ، وقد انتهت إليه الرياسة والفتوى فى مذهب الإمام أبى حنيفة . وكان لا يميل إلى مباحث علم الكلام ويقول : ديننا دين العجائز ، ولسنا من الكلام فى شىء . وقيل فيه : ما شاهد الناس مثله فى حسن الفتوى ، والإصابة فيها ، وحسن التدريس ، وقد دعى إلى ولاية الحكم مراراً فامتنع منه . وتوفى سنة ٤٠٣هـ ودفن بمنزله بدرب عبدة ببغداد ، ثم نقل بعد بضع سنوات إلى تربة فى سويقة غالب[١] .

(٦) ـ أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود بن الجراح . وقد أشار إليه فى « المجازات النبوية » فى مجاز قوله عليه السلام : (الخلق عيال الله عز وجل ، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله) وقال عنه : (أخبرنا بهذا الحديث أبو القاسم عيسى بن على بن عيسى بن داود ابن الجراح فى جملة ما أخبرنا به من الأحاديث) . وأبو القاسم هذا ممن ترجم لهم الخطيب فى « تاريخ بغداد[٢] » وابن الجوزى فى « المنتظم[٣] » . وكان ثبت السماع صحيح الكتاب، وأملى الحديث ، وكان عارفا بالمنطق ، ومن هنا رمى باشتغاله بشىء من مذاهب الفلاسفة . وكان ينظم الشعر ، ومن شعره ما يدل على نزعته العلمية كقوله :

رب ميت قد صار بالعلم حيا ومبقًّى قد حاز جهلا وغيا
فاقتنوا العلم كى تنالوا خلودا لا تعدوا الحياة فى الجهل شيا

ويظهر من النادرة التالية أنه كان يتجمل فى حياته ، وأنه على الرغم من ضيق العيش كان

---

(١) تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى ج ٣ ص ٢٤٧ . (٢) المصدر السابق ج ١١ ص ١٧٩.
(٣) المنتظم لابن الجوزى . ج ٧ ص ٢١٨ .

يتجلد . فقد خرج يوما إلى جماعة من أصحابه فقال : الله بيننا و بين على بن الجهم ، فقيل له : ومن هو على بن الجهم ؟ قال الشاعر . قيل :وقد رآه السيد ؟ قال : لا ! ولكن له بيت آذانا به . وأنشد هذا البيت :

ولا عار إن زالت عن الحر نعمة ولكن عارا أن يزول التجمل

و يظهر أنه كان غرضا لسهام الزمان ، فقد حدث أبو محمد الجوهرى قال : انقطعت عن زيارة أبى القاسم عيسى بن على ، ثم قصدته ، فلما نظر إلىَّ قال :

رأيت جفاء الدهر لى فجفوتنى كأنك غضبان علىَّ مع الدهر

وتوفى أبو القاسم سنة ٣٩١ هـ ودفن فى داره ببغداد .

(٧) ـ عمر بن إبراهيم بن أحمد المقرئ بن حفص الكنانى ، وقد أشار إليه الشريف فى « المجازات النبوية» وهو يتحدث عن المجاز فى قوله عليه السلام : (الخمر أم الخبائث) ، وقد سمع الشريف هذا الحديث منه فى جملة مارواه له من الأحاديث . وأبو حفص ـ كما يذكر الخطيب البغدادى ـ كان من رجال الحديث ، وقيل إنه كان ثقة فيه ، وذكره ابن أبى الفوارس فقال : كان لا بأس به . وذكر صاحب «تاريخ بغداد » عن العتيقى خبر وفاته فى سنة ٣٩٠ هـ . أما النسبة « الكتانى » ففى «المجازات النبوية » ، «والغدير» أنها الكنانى بنونين ، وفى « المنتظم » « و تاريخ بغداد » الكتانى ، بالتاء أولا والنون ثانيا .

(٨) ـ أبو إسحاق أبراهيم بن أحمد بن محمد الطبرى الفقيه المالكى ، ولم يذكره الشريف الرضى فى واحد من كتابيه فى المجازات ، ولكن ابن الجوزى ذكر فى تاريخه فى وفيات سنة ٣٩٣ هـ . وقال إن الرضى قرأ عليه القرآن ، وهو صاحب قصة منحه الدار بماله من حق الأبوة

الروحية عليه وهى أعظم من أبوة النسب . وأبو إسحاق كان فقيها مالكيا من المعدلين ـ أى القائلين بالعدل على الله ـ وكان فوق منزلته العلمية كريما مفضلا على أهل العلم ، وقصته مع الشريف هى دليل الكرم والإفضال من الأستاذ إلى تلميذه . وقد نقل ابن الجوزى من أخباره أكثر ما كتبه عنه صاحب «تاريخ بغداد» الذى يذكر أنه كان حسن المعاشرة ، جميل الأخلاق ، وأن داره كانت مجمع أهل القرآن والحديث .

(٩) ـ أبو الحسن على بن عيسى الربعى كما ذكره الشريف الرضى فى « المجازات النبوية » فى البيان عن المجاز فى حديثه صلى الله عليه وسلم المتعلق بالزواج بعد الطلاق ثلاثا . والربعى ـ كما يقول السيوطى فى بغية الوعاة ـ أحد أئمة النحويين وحذاقهم الجيدى النظر الدقيقى الفهم والقياس ، وكان تلميذا للسيرافى فى النحو ، ثم رحل إلى شيراز ، فلازم أبا على الفارسى عشر سنين (١) ثم رجع إلى بغداد حيث مات بها سنة ٤٢٠ هـ أما أبو الحسن على بن عيسى الرمانى ، فلم يكن شيخا للشريف الرضى بالذات وإنما كان شيخه بالواسطة . فقد كان شيخه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى يروى له عنه ـ كما ذكر ذلك الشريف فى « التلخيص » فى سورة ص ـ ولا ندرى لماذا لم يأخذ الشريف الرضى عن على بن عيسى الرمانى مباشرة كما أخذ عن على بن عيسى الربعى ؟ وكلاهما معاصر له ؟.

(١٠) ـ سهل بن أحمد بن عبد الله بن سهل الديباجى ، ولم يذكره الأستاذ الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى فى ثبت أساتذة الشريف ، ولعله سها عنه ، ولكن

---

(١) هذه رواية السيوطى فى « البغية ، ويذكر ابن الجوزى فى المنتظم ج ٨ ص ٤٦ أنها عشرون سنة .

الشريف نفسه يذكره فى أحد مصنفاته : « المجازات النبوية » فى خلال التحدث عن مجازات قوله صلى الله عليه وسلم : (الخلق عيال الله) . وقد بحثت عنه كثيرا فى المصادر والمظان إلى أن وجدته فى « لسان الميزان »[1] للحافظ الإمام ابن حجر العسقلانى المؤرخ المحدث المشهور ، وقد نقل عن ابن أبى الفوارس أن سهلا الديباجى كان رافضيا غاليا ، وذكر أنه توفى سنة ٣٨٥ هـ .

(١١) ـ الشيخ المفيد أبو عبد الله بن المعلم محمد بن النُّعمان ، وكان من أهل التحقيق وانتهت إليه رياسة الإمامية فى وقته ، وقد صنف كثيرا من الكتب فى الفقه والأصول وعلم الكلام ، وذكر ابن الجوزى فى المنتظم (جـ ٨ ص ١١) أن الشريف المرتضى ـ أخا الرضى ـ كان من أصحابه ، وذكر أنه لما توفى ببغداد سنة ٤١٣ هـ رثاه المرتضى فقال :

مَن لفضل أخرجت منه خبيئا ومعان فضضت عنها ختاما
مَن ينير العقول من بعد ما كنّ[2] همودا ، ويفتح الأفهاما
مَن يعير الصديق رأيا إذا ما سلَّه فى الخطوب كان حساما ؟

ويذكر صاحب « الغدير » أن الشريف الرضى قرأ عليه هو وأخوه المرتضى .

(١٢) ـ أبو عبد الله محمد بن عمران المرزبانى ، وقد ذكره صاحب « الغدير » : وأبو عبد الله المرزبانى أديب إخبارى مؤرخ . وهو صاحب « معجم الشعراء » وهو تراجم للشعراء إلى عصره ، على حروف المعجم ، وهو مصدر وثيق لمؤرخى الأدب . ووصفه ابن خلكان صاحب « وفيات الأعيان » بأنه كان ثقة فى الحديث ، ومائلا إلى التشيع فى

---

(١) لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ـ طبع حيدر أباد الدكن بالهند جـ ٣ ص ١١٧ .
(٢) فى « المنتظم » : من بعد ما نحن همودا . وهو تحريف . ولعل الصواب ما أثبتناه .

المذهب . وبلغ من اهتمام المرزبانى بالشعر والشعراء أنه أول من جمع ديوان يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموى واعتنى به - على ميله هو إلى التشيع - فرفع بذلك الصنيع درجة العلم فوق حدود التعصب . وتوفى سنة ٣٨٤ ﻫ ، وقيل سنة ٣٧٨ ﻫ . والأول أصح على ما يراه صاحب « الوفيات » .

(١٣) - أبو محمد عبد الله بن محمد الأسدى الأكفانى . وقد ذكره صاحب « الغدير » فى ثبت شيوخ الشريف الرضى ، ولم أجد ذلك فى مصادرى . وابن الأكفانى هذا كان كريما مفضلا على أهل العلم ، وقد ولى قضاء مدينة المنصور ، ثم ولى قضاء باب الطاق ، ثم جمع له قضاء بغداد سنة ٣٩٦ ﻫ . وكان أكثر من واحد من أهل الحديث يثنون عليه ثناء حسنا ويذكرونه ذكرا جميلا . وتوفى ابن الأكفانى سنة ٤٠٥ ﻫ كما يذكر صاحب « تاريخ بغداد » ودفن فى داره بنهر البزازين .

(١٤) - أبو يحيى عبد الرحيم بن محمد الخطيب المشهور المعروف بابن نباتة الفارقى ، وهو صاحب « ديوان الخطب المنبرية » المشهور ، وكان مبرزا فى الأدب والبلاغة ، وأجمعوا على أن خطبه لم يعمل مثلها فى موضوعها . والتقى هو والشاعر المتنبى فى خدمة سيف الدولة ابن حمدان . وأثرت غزوات سيف الدولة فى الشاعر والخطيب ، فنظم المتنبى قصائده الحماسية الحربية ، وصنع ابن نباتة خطبه فى الجهاد والحث عليه . واشتهر ابن نباتة بالتقوى والصلاح . وتوفى بحلب سنة ٣٧٤ ﻫ [١] .

(١٥) - أبو محمد الشيخ الأقدم هارون بن موسى التلعكبرى المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ . وقد ذكره صاحب « الغدير » ولم أهتد إلى مصدره .

(١) كما فى « معجم المطبوعات العربية » و « الأعلام » لخير الدين الزركلى . وفى « الغدير » ج ٤ ص ١٦٢ أنه توفى سنة ٣٩٤ ﻫ ولعله تحريف من المطبعة .

الشريف الرضى

بين القرآن والحديث وكلام الإمام على

لقد كانت البلاغة هى السمة التى غلبت على الشريف الرضى حين نثر وحين شعر. والحق أنه وقف أمام ثلاثة مصادر لتدفق البلاغة العربية، فعكف عليها ونهل من مواردها، واستخرج ما فيها من كنوز بلاغية، فجلاها أمام أهل العربية فى آنق أثوابها، وأقشب أبرادها، وأجمل معارضها.

وهذه المصادر الأصلية للبيان العربى هى القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكلام الإمام على.

وكانت مهمة الشريف الرضى فى القرآن والحديث هى الكشف عما فيهما من وجوه البيان، وضروب البلاغة، وجهات الفصاحة، حتى تحقق للقرآن الكريم الإعجاز، مع أن ألفاظه لم تخرج عما كان العرب يستعملونه من ألفاظ، وما يدور فى لغتهم من كلمات. وحتى تحقق للحديث النبوى ذلك المقام البلاغى، والمنزل البيانى الذى لا يدانيه مقام ولا يقار به منزل، لأن صاحبه صلى الله عليه وسلم أوتى الحكمة وجوامع الكلم.

أما مهمة الشريف الرضى فى كلام الإمام على كرم الله وجهه فكانت تأليف كتاب يحتوى على مختار أقواله [فى جميع فنونه، ومتشعبات غصونه، من خطب وكتب ومواعظ وآداب، علماً أن ذلك يتضمن من عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة، وجواهر العربية، وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً فى كلام، ولا مجموع الأطراف فى كتاب، إذ كان أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها،

ومنه عليه السلام ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها ، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ ، ومع ذلك فقد سبق وقصروا ، وتقدم وتأخروا ، ولأن كلامه عليه السلام الكلام الذى عليه مسحة من العلم الإلهى ، وفيه عبقة من الكلام النبوى[1]] .

ولقد أنتج لنا اهتمام الشريف الرضى بهذه المصادر البلاغية ثلاثة كتب من خير ما صنف فى البيان العربى ، لأنها كتب خالصة فى البلاغة ، صريحة فى البيان ، خالية من المصطلحات البيانية المتأخرة بعد ذلك ، تلك المصطلحات التى جعلت من البلاغة علماً جافا ، وقواعد جامدة ، ونظريات تحفظ ولكنها لا تخرج بليغاً ، ولا تصبُّ على قوالبها فصيحاً .

وكان كتاب « تلخيص البيان » هو الذى كشف فيه الرضى عن وجوه البيان فى كتاب الله ، وكتاب « المجازات النبوية » هو الذى تناول فيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بجلاء عرائسه ، واستخراج نفائسه . أما كتاب « نهج البلاغة » فقد كان كله جمعاً لكلام الإمام على ، ونظماً لعقود درره ، وضما لأشتات لآلئه . ولعله ـ لو طال به الأجل رضى الله عنه ـ لصنع فى كلام على كرم الله وجهه ما صنعه فى حديث الرسول عليه السلام ، من الكشف عن وجوه بيانه ، و بيان جمال استعاراته ومجازاته .

والحق أن الشريف الرضى بهذه الكتب الثلاثة قد استكمل صفات الموطِّد أركان البلاغة العربية ، والداعم آساسها ، والمقيمها على قرار مكين من المعالجة البيانية الواضحة ، التى لا يحاجزها عن حسن التأتى معاظلة ولا تعقيد ولا التواء . وتلك يد سلفت

---

(١) من مقدمة الشريف الرضى لكتاب « نهج البلاغة » طبع مصر . ص ٢ ، ٣ .

من الشريف الرضى للبيان العربى ، تجعلنا نعده رائداً كبيرا من رواد البلاغة والفصاحة الذين مهدوا الطريق ـ بتلك الدراسة البلاغية الكاملة للقرآن والحديث ـ لمن جاء بعدُ من علماء البلاغة النظريين .

ولن نعيد هنا القول فيما لوى به بعض المتعنتين أشداقهم من أن « نهج البلاغة » هو من كلام الشريف الرضى نفسه ، وأنه ليس للإمام على كرم الله وجهه . فتلك قضية أحسن الدفاعَ فيها « ابنُ أبى الحديد » فى القديم ، كما أحسن الدفاعَ عنها فى زماننا هذا الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد[1] .

نعم ! لن نعيد القول فى هذه المسألة ، ولكننا نشير إلى ما ذكره جورجى زيدان[2] من أن كتاب « نهج البلاغة » هو للشريف المرتضى ـ لا الشريف الرضى ـ مع تطابق الأخبار والآثار على أن النهج هو للرضىّ . وقد أخذ جورجى زيدان بأوهن القولين فى هذه القضية ، ونقل عن ابن خلكان فى كتابه « وفيات الأعيان » ، ولكنه لم ينقل النص كاملا ، ولا الكلام تاما ، فاجتزأ من النقل بما يوهم أن « نهج البلاغة » للمرتضى ، وعبر عن ذلك بأنه « المشهور » ، مع أنه قول مرجوح . ولو أنصف جورجى زيدان لقال كما قال ابن خلكان : (وقد اختلف الناس فى كتاب « نهج البلاغة » المجموع من كلام الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، هل هو جمعه أم جمع أخيه الرضى[3] ؟) .

والحق أن كتاباً من كتب الشريف الرضى لم ينل من الاهتمام به ، والتعليق عليه ، وحفظه ، وكثرة الشروح له ما ناله كتاب « نهج البلاغة » الذى جمعه من كلام الإمام

(١) انظر مقدمة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد لكتاب « نهج البلاغة » .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٢ ص ٢٨٨.
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ، جزء ١ ص ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

على كرم الله وجهه ، فقد ذكر صاحب « الغدير »[1] أكثر من سبعين شرحا له ، وذكر أسماء أصحابها على مر العصور مما يقرب من عصر الشريف إلى زماننا هذا ، ولولا أنها مما لا يدخل فى مجال حديثنا الضيق لأتينا على أسمائها جميعا .

تآليف الشريف الرضى

لقد زخر عصر الشريف الرضى بطائفة من المصنفات فى شتى العلوم ، سواء أكان ذلك فى الأدب والنحو واللغة والتاريخ والفقه والحديث والكلام وغيرها . ويكفى أن يكون من إنتاج هذا العصر كتب ابن العميد والخوارزمى والصاحب بن عباد و بديع الزمان الهمذانى ، و « يتيمة الدهر » للثعالبى ، و « الصناعتين » و « ديوان المعانى » لأبى هلال العسكرى ، و « الدرر والغرر » للشريف المرتضى ، و « الموازنة بين الطائيين » للآمدى ، و « الإمتاع والمؤانسة » لأبى حيان التوحيدى، و « محاضرات الأدباء » للراغب الأصفهانى ، و « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ، و « الخصائص » لابن جنى ، و« التهذيب » للأزهرى ، و « مقاييس اللغة » لابن فارس ، و « الصحاح للجوهرى » ، و « الفهرست » لابن النديم ، و « تجارب الأمم » لابن مسكويه ، وغيرها مما ألف فى مصر وأفريقية والأندلس ، « كزهر الآداب » للحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣هـ ، و « تاريخ مصر » لابن زولاق المؤرخ المصرى المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ، و« الأفعال » لابن القوطية الأندلسى المتوفى سنة ٣٦٧ هـ .

---

(١) الغدير ج ٤ ص ١٦٤ ــ ١٦٩

والحق أن مصنفات الشريف الرضى تحتل أسمى مكان فى لجج هـذا البحر الواسع من التأليف العربى الإسلامى فى النصف الثانى من القرن الرابع ، ونحن هنـا مثبتون ما استطعنا الحصول عليه من ثبت مؤلفاته :

(١) ـ « نهج البلاغة » ، وهو مما جمعه الشريف الرضى من كلام الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ، وقد طبع الكتاب طبعات كثيرة ، وتناوله كثيرون بالشرح ، حتى بلغت شروحه أكثر من سبعين شرحا ، أشهرها وأوسعها شرح ابن أبى الحديد أبى حامد عز الدين عبد الحميد المتوفى سنة ٦٥٥ ﻫ . وقد اختصره المولى سلطان محمود الطبسى . ولنهج البلاغة شروح باللغة الفارسية منها « منهاج الولاية » وهو شرح المولى عبد الباقى الخطاط الصوفى التبريزى المتوفى سنة ١٠٣٩ ﻫ . وشرح المولى تاج الدين حسن المعروف بملا تاجا .

(٢) ـ « المجازات النبوية » ، وقد ذكرناه غير مرة فى هذه الدراسة ، وهو يشتمل على بيان وجوه المجاز والاستعارة ، والكشف عن مواقع النكت البلاغية والطرف البيانية فى ٣٦١ حديثا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد طبع فى العراق سنة ١٣٢٤ ، سنة ١٣٢٨ ﻫ ، ثم طبع فى مصر طبعة وثيقة بتحقيق المرحوم الأستاذ محمود مصطفى المدرس بكلية اللغة العربية .

(٣) ـ « تلخيص البيان ، فى مجازات القرآن » أو « تلخيص البيان عن مجازات القرآن » كما فى مقدمة « المجازات النبوية » ، وهو هـذا الكتاب الذى نكتب له هـذه المقدمة التحليلية ، ولم يطبع قبل اليوم ، ولكن السيد محمد المشكاة نشر مخطوطته المصورة على طريقة « الفوتوتيب » بإيران سنة ١٣٦٩ ﻫ ، وألحق به فهارس جليلة

ضافية وكتب له مقدمة فى سبع صفحات ، كما كتب له الأستاذ حسين على محفوظ مقدمة فى ثمانى صفحات . وقد قال ابن خلكان عن هذا الكتاب : إنه جاء نادرا فى بابه[1] .

(٤) ـ ديوان شعره ، جمعه أبو حكيم الخَبْرِى « بفتح الخاء وسكون الباء » المتوفى سنة ٤٧٦ هـ . وقد طبع فى بيروت سنة ١٣٠٧ هـ . بشرح الشيخ أحمد عباس الأزهرى ، ومحمد اللبابيدى فى جزءين صفحاتهما ٩٨٦ . وطبع فى بمباى سنة ١٣٠٦ هـ فى ٥٤٩ صفحة . وتولى فى مصر الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد القيام بشرحه وطبعه فى مطبعة دار إحياء الكتب العربية سنة ١٣٦٨ هـ ، ولكن لم يبلغ فيه إلا إلى قافية الباء . وقد ظهر هذا الجزء فى ٤٨٠ صفحة وضبط الشعر بالشكل التام .

(٥) ـ « خصائص الأئمة » وقد أشار إليه الشريف الرضى نفسه فى مقدمته لكتاب « نهج البلاغة » وذكر أنه ألفه ـ أو ابتدأ تأليفه ـ فى عنفوان السن وغضاضة الغصن ، وأنه يشتمل على محاسن أخبار الأئمة وجواهر كلامهم ، فلما فرغ من الخصائص التى تخص الإمام عليا كرم الله وجهه، عاقته عن إتمام الكتاب محاجزات الزمان ومماطلات الأيام . والظاهر مما كتبه الشريف الرضى فى مقدمته لنهج البلاغة أن « خصائص الأئمة » لم يتم تأليفه، وأن « نهج البلاغة » هو فصل من فصول خصائص الأئمة . ويذكر صاحب الغدير أن عنده نسخة من خصائص الأئمة ، ويعجب مما قاله الشيخ الحلِّى من أنه توجد فى العراق نسخ باسمه تشبهه فى المنهج ، ولكن لم تصح نسبتها .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ، جـ ٢ ص ٣ .

(٦) ـ « حقائق التأويل فى متشابه التنزيل » ويشير الشريف الرضى إليه دائما فى « المجازات النبوية » وفى « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » فيسميه تارة بالكتاب الكبير[١] ، وتارة باسم حقائق التأويل ـ كما فى مجازات سورة آل عمران وسورة المائدة ـ ويسميه ثالثة الكتاب الكبير فى متشابه القرآن . وقد أسماه النجاشى « حقائق التنزيل » ، كما أطلق عليه صاحب « عمدة المطالب » : « كتاب المتشابه فى القرآن » .

(٧) ـ « معانى القرآن » ، وقد ذكره له ابن شهراشوب فى « المعالم » وقال عنه إنه يتعذر وجود مثله . وقال فيه ابن خلكان المؤرخ فى «وفيات الأعيان» : « إنه صنف كتابا فى معانى القرآن الكريم يتعذر وجود مثله ، دل على توسعه فى علم النحو واللغة » ولا نستطيع الجزم إذا ما كان هذا الكتاب هو بعينه « حقائق التأويل» أم كتابا غيره .

(٨) ـ « الحسن من شعر الحسين » وقد ذكر ذلك فى ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٣٠٧هـ ونقل ذلك المستشرق متز فى كتابه «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى»[٢] . وقد كان الشريف صديقا للحسين[٣] أبى عبد الله بن أحمد بن الحجاج الشاعر الماجن الظريف ، ووصفه حين رثاه بأنه كان خفة روح الزمان . وكان الرضى معذورا حين اختار من شعر الحجاج فى هذه المختارات ، فإن الثعالبى يقول عنه (إنه على علاته تتفكه الفضلاء بثمار

---

(١) انظر تلخيص البيان ، مجازات سورة المائدة ، والتوبة ، والرعد ، وإبراهيم ، والزخرف .

(٢) جزء ١ ص ٤٤٩ .

(٣) فى اليتيمة : اسمه الحسن ، والتصويب عن الوفيات ، والأعلام للزركلى ، والغدير لعبد الحسين أحمد .

شعره ، وتستملح الكبراء بينات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رقته وقذعه[1]) ولعل الثعالبي كان يقصد بالمحتشمين الشريف الرضي وأضرابه ممن تجلهم أقدارهم وأحسابهم عن النزول إلى المجون . ولكن شعر ابن الحجاج لم يكن سخيفاً كله ، ولا ماجناً كله ، فله قطع رائعة خالية من الفحش المفرط ، كانت تسر النفس وتعيد الأنس ـ كما يقول صاحب يتيمة الدهر ـ ولعل هذه القطع هي التي اختارها الشريف الرضي فيما اختار .

(٩) ـ وله « كتاب رسائله » الذي جمعه أبو إسحق الصابي وكان معاصراً له ، وقد ذكر ذلك ابن النديم في « الفهرست[2] » . وهذا الكتاب مطوي في أحناء الغيب ، ولعل الأيام لو كشفت عنه النقاب ، وأزالت عنه الحجاب تدلنا على ذخيرة أدبية رائعة في فن الرسائل ، الذي لم يقلّ فيه الشريف الرضي عن أمراء الرسائل في عصره، من أمثال الصاحب والصابي والخوارزمي وغيرهم .

(١٠) ـ أخبار قضاة بغداد . وقد ذكره له ابن عنبسة الحسني الداودي المتوفى سنة ٨٢٩هـ ولا نعرف عنه شيئاً ، وذكره صاحب « الغدير » في ثبت مؤلفاته .

(١١) ـ سيرة والده . وهو مما ذكره الحسني في «عمدة الطالب ، في مناقب آل أبي طالب» ويقول العلامة الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني النجفي : إن هذا الكتاب ألفه الشريف الرضي سنة ٣٧٩هـ ، أي قبل وفاة والده بواحد وعشرين عاما .

(١٢) ـ أما ما ذكره المؤرخ جورجي زيدان من أن للشريف الرضي كتاب «انشراح

---

(١) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٢٥ . (٢) الفهرست ص ١٩٤ .

الصدر ، فى مختارات من الشعر » فهو غير دقيق تمام الدقة ، لأن انشراح الصدر هذا ليس إلا منتخبات من شعر الشريف الرضى ، اختارها بعض الأدباء كما يذكر حاجى خليفة فى « كشف الظنون[1] » وهو يتحدث عن ديوان الشريف الرضى .

استقلال شخصية الشريف فى النقد

يبدو الشريف الرضى فى مصنفاته التى وقعت لنا بادى الشخصية ، ظاهر الاستقلال فى الرأى ، والاعتداد بالفكر . فهو لا يقبل المسائل قضايا مسلمة وأموراً منتهية ، ولكنه يناقشها ويعلق عليها ، ويبدى فيها صريح الرأى ، ويبين إذا كانت قريبة من العقل ، أو بعيدة عن القبول ، أو دانية من اعتساف القول .

وقد لاحظنا ذلك فى مواطن كثيرة من كتابيه « المجازات النبوية » و « تلخيص البيان فى مجازات القرآن » فإن استقلال شخصيته النقدية يبدو شيئاً يلفت النظر فى هذين الكتابين، إلى حد لا يجوز إغفاله فى معرض الحديث عن الشريف الرضى .

والشواهد على ذلك لا تعوزنا فى « المجازات » و « التلخيص » ، فهى منا على أطراف الثمام .

يقول المؤلف فى مجازات قوله تعالى : ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ إن الأيدى ـ على بعض التأويلات ـ معناها الحجج والبينات التى جاء بها الرسل ، ويكون معنى الآية على هذا التأويل أن الكفار ردوا حجج الأنبياء من حيث

---

(١) جـ ١ ص ٥١٣

جاءت ، وطريق مجيئها أفواههم ، فكأنهم ردوا عليهم أقوالهم ، وكذبوا دعواهم . . .
ثم يقول بعد ذلك: (وفى هذا التأويل بعد وتعسف إلا أننا ذكرناه لحاجتنا إليه ، لما ذهبنا مذهب من حمل قوله سبحانه ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على الاستعارة لا على الحقيقة) .

ثم يمضى الشريف الرضى رحمه الله فى عرض الأقوال المقولة فى تأويل هذه الآية والتعليق عليها فيقول : (وقال بعضهم : بل المراد بذلك ضرب من الهزؤ يفعله المُجان والسفهاء إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس ، وقصدوا الوضع منه ، والإزراء عليه ، فيجعلون أصابعهم فى أفواههم، ويُتبعون هذا الفعل بأصوات تشبهه وتجانسه، يستدل بها على قصد السخف وتعمد الفحش ، وهذا عندى بعيد من السداد ، وغيره من الأقوال أولى منه بالاعتماد) .

ويقول معلقاً على قول بعض المفسرين لقوله تعالى ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً ﴾ : (وفى هذا القول بعض التخليط ، والذى أذهب إليه فى ذلك ما ذكرته فى كتابى الكبير على شرح واستقصاء ، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ والله أعلم : أى أخذنا أسماعهم ، فبطل استماعهم) .

ويقول معقباً على قول من فسروا العَجَلَ بالطين فى قوله تعالى فى سورة الأنبياء ﴿ خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ : (فأما من قال من أصحاب التفسير إن العَجَل ههنا اسم من أسماء الطين ، وأوْرد عليه شاهداً من الشعر ، فلا اعتبار بقوله ، ولا التفات إلى شاهده ، فإنه شعر مولد) .

وقَصْدُ الشريف الرضى بالشعر المولد هو هذا البيت الذى ذكره بعض المفسرين مستشهداً على أن العَجَل اسم من أسماء الطين :

والنَّبع فى الصخرة الصماء منبته   والنخل ينبت بين الماء والعَجَل

والشريف هنا يبدو ناقداً أديباً لغويا دقيقا ، فهو لا يحتج بشعر من لا يُحتج بشعرهم من المولدين ، وقد لاحظنا أنه فى « المجازات النبوية » و « تلخيص البيان » لم يستشهد إلا بشعر عربى فصيح صحيح ، فلم يستشهد مرة واحدة ببيت مولد .

ونراه فى مجازات سورة الزمر يسوقه القول إلى بيت الأعشى :

فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها   أو القمر السارى لألقى المقالدا

فيقول : (وقال بعض العلماء : ليس قول الشاعر هھنا « ينادى الشمس » من النداء الذى هو رفع الصوت ، وإنما هو من المجالسة . تقول : ناديت فلانا ، إذا جالسته فى النادى ، فكأنه قال : لو يجالس الشمسَ لألقت قناعها شغفاً به ، و تبرجا له . وهذا من غريب القول) .

وفى مجازات سورة الحشر نراه يقول فى مجاز قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُوا ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ : (... المعنى أنهم استقروا فى الإيمان ، كاستقرارهم فى الأوطان . وهذا من صميم البلاغة ، ولباب الفصاحة . وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقا . ألا ترى كم بين قولنا : استقرُّوا فى الإيمان ، و بين قولنا : تبوَّءوا الإيمان . وأنا أقول أبدا : إن الألفاظ خدم للمعانى ، لأنها تعمل فى تحسين معارضها ، وتنميق مطالبها) . فقوله رضى الله عنه : « وأنا أقول أبدا » يحمل معنى قيامه بقضية البلاغة ، وخدمة الألفاظ للمعانى ، مع مضيه فى هذه الدعوة البيانية ، والزعامة البلاغية إلى حد المناداة على نفسه .

فإذا تركنا « تلخيص البيان» جانبا لنكشف عما فى « المجازات النبوية» من استقلال فى الفكر ، واعتداد بالرأى لم تعوزنا الشواهد الكثر .

ففى مجاز قوله صلى الله عليه وسلم : (لا إسلال ولا إغلال) يقول الشريف الرضى : (وقد قال بعضهم : المراد بالإسلال ههنا سل السيوف ، وبالإغلال لبس الدروع . وهذا القول غير معروف ، والقول الأول هو القول السَّدَد ، والصحيح المعتمد)[1] .

وفى مجاز قوله صلى الله عليه وسلم . (الولد للفراش وللعاهر الحَجَر) يرى بعضهم أن المراد بالحَجَر هنا هو الرجم بالأحجار إذا كان العاهر محصَنا ، فإذا كان غير محصن فالمراد بالحجر حينئذ التعنيف به والغلظة عليه ، بتوفية الحد الذى يستحقه من الجَلْد ، ولكن الشريف الرضى لا يقبل هذا القول بل يرفضه قائلا : (وفى هذا القول تعسف واستكراه ، وإن كان داخلا فى باب المجاز ، لأن الغلظة على من يقام الحد عليه إذا كان الحد جلدا لا رجما لا يعبر عنها بالحَجَر ، لأن ذلك بُعْدٌ عن سنن الفصاحة ، ودخول فى باب الفهاهة)[2] .

وفى مجاز قوله صلى الله عليه وسلم : (تؤخرون الصلاة إلى شَرَق الموتى) نراه يقول : (وقد قيل فى ذلك أقوال كلها بعيدة عن المحجة) ثم يشرح الحديث بعد ذلك شرحا أدبيا بليغا فيقول : (ومع ذلك فيخرج الكلام من حيز الاستعارة غير قول واحد ، وهو أن يكون المراد أنهم يؤخرون الصلاة إلى أن لا يبقى من النهار إلا بقدر

---

(١) المجازات النبوية ، طبع مصر، ص ١١٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ١١٢ .

ما بقى من نفس الميت الذى قد شرق بريقه ، وغرغر ببقية نفَسه ، فشبه عليه الصلاة والسلام تلك البقية بشُفافة الدَّماء التى قد قرب انقضاؤها ، وحان فناؤها) [1] .

ولعل من هذه الأمثلة يتضح ماذهبنا إليه من اعتداد الشريف الرضى برأيه ، واستقلال شخصيته فى النقد استقلالا يبعده عن تقليد السابقين ، وترديد أقوال القائلين ، سواء أكانوا من رجال الفقه أم التفسير أم اللغة أم غيرهم . على أنه لا يخالف لمجرد المخالفة ، ولا يناقض لمحض المناقضة ، ولكنه يخالف و يعارض دائما حين يكون الحق دائما فى جانبه ، والصواب فى ناحيته رحمه الله ! .

القاهرة { رجب ١٣٧٤ / مارس ١٩٥٥ }

محمد عبد الغنى حسن

(١) المصدر نفسه ص ٢٢٣ .

يقول حقاً ٥ سن ٢٠

ومن السورة التي يذكر فيها موسى عليه السلام وهي طه

١٥ قوله سبحانه إن الساعة آتية أكاد أخفيها وهذه استعارة على أحد التأويلين وهو مما سمعته من شيخنا أبي الفتح النحوي عفا الله عنه قال الذي عليه حذاق أصحابنا أن كاد هاهنا على بابها من معنى المقاربة إلا أن قوله تعالى أخفيها يؤول إلى معنى أظهرها لأن المراد بها أكاد أسلبها خفاها والخفا الغشا والغطا مأخوذ من خفا القربة وهو الغشا الذي يكون عليها فإذا سلب عن الساعة غطاها المانع من تجليها ظهرت للناس فرأوها فكأنه تعالى قال أكاد أظهرها قال لي وأنشدني أبو علي منذ أيام بيتاً هو من أنطق الشواهد على الغرض الذي رمينا وكان سماعي ذلك من أبي الفتح رحمه الله وأبو علي حينئذ باق لم يمت وهو قول الشاعر

لقد علم الأيقاظ أخفية الكرى تزججها من حالك واكتحالها

ومعناه لقد علم الأيقاظ عيوناً تجعل العين للنوم في أنها تشتمله عليه كالخفا للقربة في أنه مشتمل عليها وقول الشاعر أخفية الكرى من الاستعارات العجيبة والبدائع الغريبة وقوله تزججها من حالك واكتحالها يعود على العيون . فإنه قال تزجج العيون واكتحالها

صفحة من المخطوط من مجازات سورة طه

القول مجاز واستعارة لان النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز ان ينتهي
عظم ذنبه الى حال انقاض الظهر وهو صوت تقعقع العظام من
ثقل الحمل لان هذا القول لا يكون الا كناية عن الذنوب العظيمة
والافعال القبيحة وذلك غير جائز على الانبياء عليهم السلام
في قول من لا يجيز عليهم الصغائر ولا الكبائر وفي قول من يجيز
عليهم الصغائر دون الكبائر لان الله سبحانه قد نزههم عن موبقات
الآثام ومستقبحات الافعال اذ كانوا امناء وحيه والسنة امره
ونهيه وسفراءه الى خلقه وقد استقصينا الكلام على ذلك في باب
مفرد من كتابنا الكبير فنقول ان المراد هاهنا بوضع الوزر
ليس على ما يظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب وانما المراد
به ما كان يعانيه النبي صلى الله عليه وسلم من الامور المستصعبة
والمواقف المخطرة في اداء الرسالة وتبليغ النذارة وما كان يلاقيه
عليه السلام من مضار قومه ويتلقاه من مرامي ايدي معشره
فكل ذلك حرج في صدره وثقل على ظهره فقرره الله سبحانه بانه
ازال عنه تلك المخاوف كلها وحط عن ظهره تلك الاعباء باسرها
واذاله من اعدائه وفضله على اكفائه وقدم ذكره على كل ذكر
ورفع قدره على كل قدر حتى امن بعد الخيفة واطمأن بعد القلقة

الصفحة الأخيرة من مخطوط « تلخيص البيان » للشريف الرضى

تلخيص البيان
في مجازات القرآن

للشريف الرضي

٣٥٩ - ٤٠٦ هـ

حققه وقدم له وصنع فهارسه

محمد عبد الغني حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

... ولكنهم لما لم يعلموا هذه الآلات فى مذاهب الاستدلال بها ، كانوا كمن فقد أعيانها ، ورمى بالآفات فيها . وكذلك قوله تعالى : ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ[1]﴾ لأن الطبع من الطابع ، والخَتْم من الخاتم ، وهما بمعنى واحد . وإنما فعل سبحانه ذلك بهم عقوبةً لهم على كفرهم .

وقوله سبحانه : ﴿وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [٧][*] استعارة أخرى . لأنهم كانوا على الحقيقة ينظرون إلى الأشخاص ، ويقلِّبون الأبصار ، إلاَّ أنهم لما لم ينتفعوا بالنظر ، ولم يعتبروا بالعبر وَصَفَ سبحانه أبصارهم بالغَشْيِ ، وأجراهم مُجْرى الخوابط الغواشى . أو يكون تعالى كنى ههنا بالأبصار عن البصائر ، إذ كانوا غير منتفعين بها ، ولا مهتدين بأدلتها . لأن الإنسان يُهْدَى ببصيرته إلى طرق نجاته ، كما يُهْدَى ببصره إلى مواقع خطواته .

وقوله تعالى . ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً﴾ [١٠] والمرض فى الأجسام حقيقة وفى القلوب استعارة ، لأنه فساد فى القلوب كما أنه فساد فى الحقيقة ، وإن اختلفت جهة الفساد فى الموضعين .

وقوله سبحانه : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١٥] وهاتان استعارتان . فالأُولى منهما إطلاق صفة الاستهزاء سبحانه ، والمراد بها أنه تعالى يُجازيهم على استهزائهم بإرصاد العقوبة لهم ، فسمى الجزاء على الاستهزاء باسمه ، إذ كان واقعا فى مقابلته ، والوصف بحقيقة الاستهزاء غير جائز عليه تعالى ،

(١) سورة التوبة . الآية رقم ٨٧ ، وفى سورة « المنافقون » (فطبع على قلوبهم) بالفاء لا بالواو الآية رقم ٣ .

(*) ملحوظة . يشير الرقم بين حاصرتين بعد الآية هكذا [] إلى عددها من السورة .

لأنه عكس أوصاف الحليم ، وضد طريق الحكيم . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ أى يَمُدُّ لهم كأنه يخليهم والامتدادَ فى عَمَهِهِم والجماحَ فى غيهم ، إيجابا للحجة ، وانتظارا للمراجعة ، تشبيها بمن أَرْخى الطِّول للفرس أو الراحلة ، ليتنفس خناقُها ، ويتسع مجالُها .

وربما جُعِل قوله سبحانه : ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾(١) على أنه مستعار فى بعض الأقوال ، وهو أن يكون المعنى أنهم يُمنّون أنفسهم ألاّ يُعاقبوا ، وقد علموا أنهم مستحقون للعقاب ، فقد أقاموا أنفسهم بذلك مقام المخادعين . ولذلك قال سبحانه: ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ(٢) إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [٩] .

وقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ ، وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾[١٦] وهذه استعارة . والمعنى أنهم استبدلوا الغى بالرشاد، والكفرَ بالإيمان ، فخسرتْ صَفقتُهم ، ولم تربح تجارتهم . وإنما أَطلقَ سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء فى أول الكلام بلفظ الشِّرَى تأليفا لجواهر(٣) النظام ، وملاحمةً بين أعضاء الكلام .

وقوله سبحانه :﴿ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾[٢٠] . وهذهاستعارة . والمراديكاد

---

(١) كان من حق هذه الآية فى الترتيب أن تأتى قبلالآية العاشرة التى سبق الحديثعنها فىقوله تعالى : (فى قلوبهممرض الخ) ولا أدرى أكان ذلك سهوا من المؤلف رضى الله عنه ، أم سهوا من الناسخحيث وضعها فى غير موضعها ، وأنزلها فى غير ترتيبها .

(٢) فى الأصل « وما يخادعون » على أنهـا قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو ليتجـانس اللفظان فى الموضعين . وقرأ حمزة والـكسائى وعاصم وابن عامر «يخدعون » كما أثبتناه . وكما نقرؤه فى المصحف الذى بين أيدينا .

(٣) فى الأصل « بجواهر » وهى خطأ فى النسخ .

يَذهَبُ بأبصارهم من قوة إيماضه وشدة التماعه . والدليل على ذلك قوله تعالى فى النور(١) : ﴿ يكَادُ سَنَا برْقِهِ يَذْهَبُ بالأَبْصَارِ ﴾[٤٣] ومُحصَّل(٢) المعنى: تكاد أبصارهم تذهب عند رؤية البرق ، فجعل تعالى ألفعل للبرق دونها لما كان السبب فى ذهابها .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلأَرْضَ فِرَاشاً ، وَٱلسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾[٢٢] وهـذه استعارة . لأنه سبحانه شبَّه الأرض فى الامتهاد بالفِراش ، والسماءَ فى الارتفاع بالبناء .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمواتٍ ﴾[٢٩] أى قصد إلى خلقها كذلك . لأن الحقيقة فى اسم الاستواء الذى هو تمامٌ بعد نقصان ، واستقامةٌ بعد اعوِجاج ، من صفات الأجسام ، وعلامات المحْدثات .

وقوله تعـالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ ﴾[٤٢] وهذه استعارة . والمراد بها : ولا تخْلطوا الحق بالباطل ، فتعْمَى مسالـكه ، وتُشْـكِلَ معارفه . وذلك مأخوذ من الأمر الملْتَبِس ، وهو المختلِطُ المشتبه . ويقول القائل : قد أَلْبَسَ علىَّ هذا الأمر . إذا انغلقت أبوابه عليه ، وانسدَّتْ مطالع فهمه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ ﴾[٦١] وهـذه استعارة . والمراد بها صفة شمول الذلة لهم ، و إحاطة المسكنة بهم ، كالخِباء المضروب على أهله ، والرواقِ المرفوع لمستظله .

وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾[٦٦] أى للأمم التى

---

(١) أى فى سورة النور . آية رقم ٤٣ .

(٢) فى الأصل : ويحصل المعنى . وهو تحريف من الناسخ لا يستقيم به المعنى .

تشاهدها ، والأمم التى تكون بعدها . أو للقرى التى تكون أمامها ، وللقرى التى تكون خلفها . ولقول العرب : كذا بين يدَىْ ، كذا وجهان : أحدهما أن تكون بمعنى تقدُّم الشىء للشىء . يقول القائل لغيره : أنا بين يديك . أى قريب منك . وقد مضى فلان بين يدَيْك ، أى تقدَّمَ أمامك .

وقوله تعالى فى وصف الحجارة : ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[٧٤] وهذه استعارة . والمراد ظهور الخضوع فيها لتدبير الله سبحانه بآثار الصنعة وأحلام الصبعة(١) .

وقوله تعالى : ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾[٨١] وهذه استعارة فيها كناية عجيبة عن عظم الخطيئة ، لأن الشىء لا يحيط بالشىء من جميع جهاته إلا بعد أن يكون سابغا غير قالص(٢) ، وزائدا غير ناقص .

وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾[٨٨] . وهذه استعارة على التأويلين جميعا . إما أن تكون غُلف جمع أَغْلَفَ ، مثل أحْمر وحمر ، يقال سيف أغلف . أو تكون جمع غلاف ، مثل حِمَار وحُمُرٍ ، وتخفف(٣) فيقال حُمْر . وكذلك يجمع غلاف ، فيقال غُلُف وغلْف بالتثقيل والتخفيف . قال أبو عبيدة : كل شىء فى غلاف فهو أغْلَف ، يقال : سيف أغْلَفُ ، وقوسٌ غَلْفَاء ، ورجلٌ أغْلَفُ : إذا لم يختتن . فمن قرأ غُلف ، على جمع أغْلَف ، فالمعنى أن المشركين قالوا : قلوبنا فى أغطية عما يقوله ، يريدون النبى عليه السلام . ونظير ذلك قوله سبحانه حاكياً عنهم : ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ، وَفِي آذَانِنَا

---

(١) هكذا بالأصل . ولم نهتد إلى وجه الصواب فيها ، ولعلها : « وإحكام الصفة » .
(٢) قلص الثوب بعد غسله = انكمش ، فهو قالص .
(٣) فى الأصل « وتخفيف » وهو تحريف من الناسخ لا معنى له ، والصواب ما أثبتناه .

وَقْرٌ ﴾[٥] الآية[١] . ومن قرأ : قلوبُنا غلُف على جمع غلاف بالتثقيل والتخفيف ، فمعنى ذلك : قالوا قلوبنا فى أوعية فارغة لا شىء فيها . فلا تُكْثِر علينا من قولك ، فإنا لا نعى منه شيئا . فكان قولهم هذا على طريق الاستعفاء من كلامه ، والاحتجاز عن دعائه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾[٩٣] وهذه استعارة . والمراد بها صفة قلوبهم بالمبالغة فى حب العجل ، فكأنها تشرَّبتْ حُبَّه فمازَجها ممازجة المشروب ، وخالطها مخالطة الشىء الملذوذ . وحذف حُبَّ العِجْل لدلالة الكلام عليه ، لأن القلوب لا يصح وصفها بتشرُّب العجل على الحقيقة .

وقوله سبحانه : ﴿ بِئْسَ ما يَأْمُرُكُمْ بهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[٩٣] استعارة أخرى . لأن الإيمان على الحقيقة لا يصحُّ عليه النطق ، فالأمر إنما يكون بالقول . فالمراد إذًا بذلك ــ والله أعلم ــ أن الإيمان إنما يكون دلالةً على صدِّ الكفر والضلال ، وترغيبا فى اتباع الهدى والرشاد، وأنه لا يكون ترغيبا فى سفاهة ، ولا دلالة على ضلالةٍ . فأقام تعالى ذِكْرَ الأمر ههنا مقام ذكر الترغيب والدلالة ، على طريق المجاز والاستعارة ، إذ كان المرغَّبُ فى الشىء والمدلول عليه، قد يفعله كما يفعله المأمور به والمندوبُ إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[١٠٢] هذه استعارة . لأن بيع نفوسهم على الحقيقة لا يتأتى[٢] لهم . والمراد به ــ والله أعلم ــ أنهم لما أَوْبقوا أنفسهم بتعلم السحر، واستحقوا العقاب على ما فى ذلك من عظيم الوزر ، كانوا كأنهم قد رضوا بالسِّحر ثمناً لنفوسهم ، إذ عرَّضوها بعمله للهلاك ، وأو بقوها[٣] لدايم العقاب .

---

(١) سورة فصلت . الآية رقم ٥ .

(٢) فى الأصل « لا تأتى » وهو تحريف من الناسخ.

(٣) فى الأصل : « وأرقوها » وهو تحريف لعل صوابه ما أثبتناه .

وكانت كالأعلاق الخارجة عن أبدانهم بأنقص الأثمان ، وأدْوَنِ الأعْوَاض .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾ [١١٢] أى أقبل على عبادة الله سبحانه ، وجَعَلَ توجُّهه إليه بجملته لا بوجهه دون غيره . والوجه ههنا استعارة .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [١١٥] أى جهة التقرب إلى الله . والطريق الدالة عليه ، ونواحى مقاصده ومعتمداته الهادية إليه .

وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [١٣٠] والتقدير : سِفهَ نَفْسًا ، على أحد التأويلات . وهذه استعارة . لأنه تعالى علق السَفَه بالنفس . وقولنا : نَفْسُ فلانٍ سفيهة : مستعارة ، وإنما السَفَه صفةٌ لصاحب النفس لا للنفس .

وقوله : ﴿ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ ﴾ [١٣٣] أى ظهرت له علاماته ، ووردَتْ عليه مقدماته ، فهى استعارة . لأن الموت لا يصح عليه الحضور على الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ﴾ [١٣٨] أى دين الله ، وجعله بمنزلة الصبْغ لأن أثره ظاهر ، ووسْمَه لائح . وهذا من محض الاستعارة .

وقوله سبحانه : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [١٥٠] فهذه استعارة على قول من قال : إن الشطر ههنا البعد . أى ولِّ وجهك جهة بُعْدِه . إذ لا يصح أن تولى وجهكَ جهة بُعد المسجد على الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ [١٦٨] أى لا تنجذبوا فى قياده ، لأن المنجذب فى قياد[١] غيره تابع لخطواته . وهذه من شرائف الاستعارة . فهى أبلغ عبارة

---

(١) فى الأصل « فى قيادة » . وقد جعلناها « قياد » بدلا من « قيادة » تمشيا مع ماجرى عليه المؤلف فى قوله : (لا تنجذبوا فى قياده) .

عن التحذير من طاعة الشيطان فيما يأمر به ، وقبول قوله فيما يدعو إلى فعله . فهذه من شرائف الاستعارات .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلاَّ النَّارَ ﴾ [١٧٤] . وهذه استعارة . كأنهم إذا أكلوا مايُوجب العقاب بالنار كان ذلك المأكول مشبها بالأكل من النار . وقوله سبحانه : ﴿ فِي بُطُونِهِمْ ﴾ : زيادة معنى ، وإن كان كل آكل إنما يأكلُ فى بطنه ، وذلك أنه أفظع سماعا ، وأشدُّ إيجاعا . وليس قول الرجل للآخر : إنك تأكل النار ، مثل قوله : إنك تُدخِل النارَ فى بطنك .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ﴾ [١٧٥] وقد مضى نظير ذلك ، وأمثاله كثيرة فى هذه السورة وغيرها .

وقوله تعالى فى ذِكْر النساء : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ [١٨٧] . واللباس ههنا مستعار ، والمراد به قرب بعضهم من بعض واشتمال بعضهم على بعض ، كما تشتمل الملابس على الأجسام (١) . وعلى هذا المعنى كَنَوْا عن المرأة بالإزار .

وقوله سبحانه : ﴿ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ، فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ [١٨٧] وهـذه استعارة ، لأن خيانة الإنسان نفسه لا تصح على الحقيقة ، وإنما المراد أنه سبحانه خفَّف عنهم التكليف فى ليالى الصيام ، بأن أباحهم فيها مع أكل الطعام وشرب الشراب الإفضاءَ إلى النساء ، ولو منعهم من ذلك لعلم أن كثيرا منهم يخلع عذار الصبر ، ويضعُفُ عن مغالبة النفس ، فيواقعُ المعصية بفعلِ ماحُظر عليه من غشيان

---

(١) استشهد ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » بقول النابغة الجعدى :

إذا ما الضجيع ثنى جيدها تثنت عليه فـكانت لباسا

على أن اللباس معناه أن المرأة والرجل يتضامان فيكون كل واحـد منها للآخر بمنزلة اللباس .

النساء ، فيكون قد كسب نفسه العقاب ، ونقصها الثواب . فكأنه قد خانها فى نفى المنافع عنها ، أو جرِّ المضار إليها . وأصل الخيانة فى كلامهم : النقص ، فعلى هذا الوجه تحمل خيانة النفس .

وقوله تعالى : ﴿ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ﴾[١٨٧]. وهذه استعارة عجيبة . والمراد بها على أحد التأويلات : حتى يتبين بياض الصبح من سواد الليل . والخيطان ههنا مجاز . وإنما شُبِّها بذلك لأن خيط الصبح يكون فى أول طلوعه مستدقا خافيا ، ويكون سواد الليل منقضيا مولِّيا ، فهما جميعا ضعيفان ، إلا أن هذا يزداد انتشارا ، وهذا يزداد استسرارا .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى ٱلْحُكَّامِ ﴾ [١٨٨].

. . . .

. . . .

وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ، فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾[٢٤٥] . وهذه استعارة . لأن الغنىَّ بنفسه(١) لا يجوز عليه الاستقراض على حقيقته ، ولكن القرض فى الشاهد لما كان اسما لمن أعطى غيره مالاً على أن يُردَّ عليه عِوضُه ، أقام سبحانه توفيةَ(٢) العوض عليه مقام رد القرض .

وقوله سبحانه : ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ [٢٥٠] فهذه استعارة . كأنهم قالوا : أمطرنا صبرا ، واسقنا صبرا . وفى قوله: أفرِغْ ، زيادة فائدة على قوله : أنزِلْ، لأن الإفراغ يفيد سعة الشىء وكثرته وانصبابه وسعته .

---

(١) فى الأصل « الغنى لنفسه » وهو تحريف من الناسخ ، فالله غنى بنفسه لا غنى لنفسه .
(٢) فى الأصل « توفيه » بالهاء لا بالتاء المربوطة كما أصلحناه .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ ، وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ ﴾ [٢٥٧] وهذه استعارة . والمراد بها إخراج المؤمنين من الكفر إلى الإيمان ، ومن الغى إلى الرشاد ، ومن عمياء[1] الجهل إلى بصائر العلم .

وكلُّ مافى القرآن من ذكر الإخراج من الظلمات إلى النور فالمراد به ماذكرنا . وذلك من أحسن التشبيهات . لأن الكفر كالظلمة التى يتسكع فيها الخابط ، ويضل القاصد . والإيمان كالنور الذى يؤمه الحائر ، ويهتدى به الجائر . لأن عاقبة الإيمان مضيئة بالإيمان والثواب ، وعاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب . وفى لسانهم وصف الجهل بالعَمَى والعَمَه ، ووصف العلم بالبصر والجلية . يقال : قد غمَّ عليه أمره ، وأظلم عليه رأيه . إذا كان جاهلا بما يرتئيه ويفعله . ويقال فى نقيض ذلك: هو على الواضحة من أمره ، والجلية من رأيه . إذا كان عالما بما يُورد ويُصْدر ، فيما يأتى ويذر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ ﴾ [٢٨٣] . وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ لأن الآثم والكاسب صاحب القلب ، دون القلب على ماتقدم من القول .

---

(١) جرى الناسخ على عدم إثبات همزة الممدود فكتب « عميا » بدون همزة . وقدهمزنا ماأغفله فى جميع المواطن بالكتاب ، فلا حاجة إلى التنبيه عليه .

ومن السورة التي يذكر فيها « آل عمران »

قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [٧]. وهذه استعارة . والمراد بها أن هذه الآيات جماع الكتاب وأصله . فهى بمنزلة الأم ، وكان سائر الكتاب يَتْبَعها ويتعلق بها ، كما يَتْبع الولد آثار أمه ، ويفزعُ إليها فى مُهمِّه .

وقوله تعالى : ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ﴾ [٧] . وهذه استعارة . والمراد بها المتمكنون فى العلم ، تشبيها برسوخ الشىء الثقيل فى الأرض الخوّانة . وهو أَبْلَغُ من قوله : والثابتون فى العلم .

وقوله تعالى : ﴿ وَتُحْشَرُونَ(١) إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [١٢] وهذه استعارة . والمعنى : بئْسَ ما يُمتَهَد ويُفرَش . ونظيره قوله ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾ [٢٢] وهذه استعارة ، والمراد فسَدَت أعمالهم فبطَلَتْ . وذلك مأخوذ من الحَبْط ، وهو داء تَرِمُ له أجوافُ الأبل ، فيكونُ سببَ هلاكها ، وانقطاع آكالها .

---

(١) فى الأصل « ويحشرون » بياء الغائبين لا بتاء المخاطبين كما هو الصواب فى القراءة عن ابن عباس التى رواها عكرمة وسعيد بن جبير . وفى رواية أبى صالح أن اليهود لما فرحوا بما أصاب المسلمين يوم أحد نزلت الآية : (قل للذين كفروا سيغلبون ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد) يعنى قريشا . وهى قراءة نافع .

وقوله تعالى : ﴿ تُولِجُ(١) ٱللَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱللَّيْلِ ﴾ [٢٧] وهذه استعارة ، وهى عبارة عجيبة عن إدخال هذا على هذا ، وهذا على هذا . والمعنى أن ما ينقصه من النهار يزيده فى الليل ، وما ينقصه من الليل يزيده فى النهار . ولفظ الإيلاج ههنا أبلغ، لأنه يفيد إدخال كلٍّ واحد منهما فى الآخر ، بلطيف الممازجة ، وشديد الملابسة .

وقوله تعالى : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ ﴾[٣٩] وهذه استعارة . لأن المراد بهذا القول عيسى عليه السلام . والعلماء مختلفون فى هذه اللفظة ، وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتاب « حقائق التأويل » . فمن بعض ما قيل فى ذلك أن بشارة الله تعالى سَبقت بالمسيح عليه السلام فى الكتب المتقدمة، والنذرات السالفة ، فأجرى تعالى اسم « الكلمة » عليه لتقدُّم البشارة به . والبشارةُ إنما تكون بالكلام .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ ، وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾[٥٤] . وهذه استعارة . لأن حقيقة المكر لا تجوز عليه تعالى . والمراد بذلك إنزال العقوبة بهم جزاءً على مكرهم . وإنما سُمِّى الجزاء على المكر مكرا للمقابلة بين الألفاظ على عادة العرب فى ذلك. قد استعارها لسانهم، واستعادها بيانهم .

وقوله تعالى : ﴿ آمِنُوا بِالَّذِى أُنْزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ ﴾[٧٢] وهذه استعارة . والمراد أول النهار . ولم يقل رأس النهار . لأن الوجه والرأس وإن اشتركا فى كونهما أول الشىء ، فإن فى الوجه زيادة فائدة ، وهى أنَّ به تصح المواجهة. ومنه تعرف حقيقة الجملة .

---

(١) فى الأصل : يولج بالياء المثناة التحتية، وهو تحريف من الناسخ للآية الكريمة . والصواب : تولج بالتاء المثناة الفوقية . أما « يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل » بالياء المثناة التحتية، فهى فى سورة الحج ولقمان والحديد وفاطر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[٧٣] وهذه استعارة . والمراد بها إما سعة عطائه ، وعظيم إحسانه ، أو اتساعُ طرق علمه ، وانفساح أقطار سلطانه وعزه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . . . الآية ﴾[٧٧] وهذه استعارة . وحقيقتها : ولا يرحمهم الله يوم القيامة . كما يقول القائل لغيره إذا استرحمه : انظر إلىَّ نظرة. لأن حقيقة النظر تقليب العين الصحيحة فى جهة المرئى التماساً لرؤيته . وهذا لا يصح إلا على الأجسام، وَمَن يُدرَك بالحواس ، ويوصَف بالحدود والأقطار . وقد تعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيرا .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعاً ﴾[١٠٣] وهذه استعارة . ومعناها : تمسكوا بأمر الله لكم ، وعهده إليكم . والحبال : العهود ، فى كلام العرب . وإنما سميت بذلك لأن المتعلق بها ينجو مما يخافه ، كالمتشبث بالحبل إذا وقع فى غمرة ، أو ارتكس فى هوة . فالعهود يُستأمن بها من المخاوف ، والحبال يُستنقذُ بها من المتالف . فلذلك وَقعَ التشابه بينهما .

وقوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [١٠٣] . وهذه استعارة . لأنه تعالى شبَّه المُشْفِى ـ بسوء عمله ـ على دخول النار، بالمُشفى ـ لزلة قدمه ـ على الوقوع فى النار .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تَرْجِعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[١٠٩] على قراءة من قرأ بفتح التاء وكسر الجيم . وهذه استعارة . والمراد بها أن الأشياء كلها تنتهى إلى أن تزول عنها أيدى المالكين والمدبِّرين ، ويخلصُ ملكها وتدبيرها لرب العالمين .

وقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ(١) عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا ، إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ ، وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ ٱللَّهِ ، وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾[١١٢] وقد مضى الكلام على مثل ذلك فى « البقرة » فلا معنى لإعادته .

وقوله تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾[١٢٧] أى ينقُص عدداً من أعدادهم ، فيُوهن عضدًا من أعضادهم . وهذا من محض الاستعارة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [١٤٣] وهذه استعارة ، لأن الموتَ لا يُلْقى(٢) ولا يُرَى . وإنما أراد سبحانه رؤية أسبابه،من صدق مصاع(٣) ، وتتابع قِراع . أو رؤية آلاته ، كالرماح المشْرَعة والسيوف المخترطة .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾[١٤٤] وهذه استعارة . والمراد بها الرجوع عن دينه ، والتقاعُسُ عن اتِّباع طريقه . فشبَّه سبحانه الرجوع فى الارتياب ، بالرجوع على الأعقاب .

وقوله سبحانه : ﴿ وقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّا ﴾[١٥٦] وهذه استعارة . لأن الضرب ههنا عبارة عن الإنجاد فى السير ، والإيغال فى الأرض ، تشبيهاً للخابط فى البر بالسابح فى البحر ، لأنه يضرب بأطرافه فى غمرة الماء شقًّا(٤) لها ، واستعانة على قطعها .

---

(١) فى أصل المخطوط « وضربت » بالواو . وهو تحريف فى النسخ ، وصحة الآية « ضربت ... » بغير واو .

(٢) فى الأصل « لا تلق » بالتاء وهو تحريف من الناسخ : والصواب ما أثبتناه .

(٣) المصاع : مصدر ماصع : أى قاتل وجالد .

(٤) فى الأصل « سعا » بدون إعجام . والسابح فى الماء يضربه ليشق طريقه فيه .

وقوله سبحانه : ﴿ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ ٱللهِ ، وَٱللهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ . [١٦٣] وهــذه استعارة . لأن الإنسانَ غَيْرُ الدرجة . و إنما المراد بذلك : هم ذوو درجات متفاوتة عند الله ، فالمؤمن درجتُهُ مرتفعة ، والـكافرُ درجتُه متَّضعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱلْحيَاةُ ٱلدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [١٨٥] وهذه استعارة . لأن الغرور لا متاع له على الحقيقة ، و إنما المراد بذلك أَن ما يستمتع به الإنسان من حطام الدنيا ظلٌّ زائل ، وخضاب ناصل .

وقوله تعالى فى صدر هذه الآية : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [١٨٥] مستعار أيضاً ، لأن حقيقة الذوق ماأُدرِك بحاسة ، و إنما حَسُنَ وصف النفس بذلك لما يُحَسُّ به من كرب الموت وعذابه ، فــكأنها تحسّه بذوقه .

وقوله : ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [١٨٦] . فهــذه استعارة . لأن الأمور لا عزم لها ، و إنما العزمُ للموطِّن نفسَهُ على فعلها ، وهو الإنسان . فالمراد : فإن ذلك من قوة الأمور . لأن العازم على فعل الأمر قوىٌّ عليه .

وقوله تعالى : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [١٨٧] . وهذه استعارة . والمراد بها : أنهم غفلوا عن ذِكْره ، وتشاغلوا عن فهمه(١) ، يعنى الـكتاب المنزل عليهم ، فــكان كالشىء الملقَى خلف ظهر الإنسان ، لا يراه فيذكره ، ولا يلتفت إليه فينظره ..

وقوله : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ [١٨٨] ومنجاة من العقاب . والمفازة : الأرض البعيدة التى إذا قطعها الإنسان فاز بقطعها ، وأمن من خوفها .

وقوله تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِي ٱلْبِلَادِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾[١٩٦، ١٩٧] وهذه استعارة . والمراد بالتقلب ههنا كثرة الاضطراب فى البلاد ، والتقلقل فى الأسفار ، والانتقال من حال إلى حال .

(١) فى الأصل «فه» وهو تحريف، فإن طريقة الناسخ فى كتابة الهاء أن لا يبين كتابتها فتبدو كأنها قنطرة .

ومن السورة التي يذكر فيها « النساء »

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ، وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً ﴾ [١٠] وهذه استعارة ، وقد مضى الكلام على نظيرها فى « البقرة » . والمعنى أنهم لما أكلوا المال المؤدى إلى عذاب النار ، شُبِّهوا من هذا الوجه بالآكلين من النار .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ﴾ [١٥] وهذه استعارة . لأن المتوفِّى ملك الموت . فنقل الفعل إلى الموت على طريق المجاز والاتساع . لأن حقيقة التوفى هو قبض الأرواح من الأجسام .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ (١) أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . والمراد بها ــ والله أعلم ــ أن من عقدتم بينكم و بينه عقدا ، فأدُّوا إليه ما يستحقه بذلك العقد عليكم . و إنما نسب المعاقدة إلى الأَيمان على عادة العرب فى ذلك . يقول القائل : أعطانى فلان صفقة يمينه على كذا . وأخذتُ يد فلان مصافحةً على كذا . وعلى هذا النحو أيضاً إضافة المِلْك إلى الأَيمان فى قوله تعالى : « وما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ » لأن الإنسان فى الأغلب إنما يقبض من المال المستحق بيمينه ، و يأخذ السلع المملوكة بيده .

وقوله سبحانه : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [٤٦] . وهذه استعارة . والمراد بها ــ والله أعلم ــ أنهم ينكسون الكلام عن حقائقه ، ويزيلونه عن جهة صوابه ، حَمْلًا له على أهوائهم ، وعطفا عن آرائهم .

---

(١) فى الأصل « والذين عاقدت » بفعل المفاعلة ، وهى قراءة . كما أن هناك قراءة « عقدت » بتشديد القاف ، رواها على بن كبشة عن حمزة .

وقوله تعالى فى هـذه الآية : ﴿ لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ﴾ [٤٦] استعارة أخرى . والمراد بها : يميلون بكلامهم إلى جهة الاستهزاء بالمؤمنين ، والوقيعة فى الدين .

وقوله تعالى : ﴿ مِن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَا ﴾ [٤٧] . وهذه استعارة . وهى عبارة عن مسخ الوجوه . أى نزيل[1] تخاطيطها ومعارفها ، تشبيها بالصحيفة المطموسة ، التى عَمِيَت سطورها ، وأشكلت حروفها .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [٧٧] . وهذه استعارة . والمراد بها تخسيس قدر ما يصحب الإنسان من الدنيا ، وأن المتعة به قليلة ، والشوائب كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَـٰتِلُوكُمْ ﴾ [٩٠] . فهذه استعارة . والمراد بها صفة صدورهم بالضيق على القتال . وذلك مأخوذ من الحصار ، وهو تضييق المذهب ، والمنع من التصرف .

وقوله : ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ [٩٠] الآية وهـذه استعارة ، وحقيقتها ، إن طلبوا منكم المسالمة ، وسألوكم الموادعة .

وفى قوله سبحانه : ﴿ وأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ ﴾ عبارة عن طلبهم السلم عن ذل واستكانة ، وخضوع وضراعة .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ﴾ [١٢٨] وهـذه استعارة . وليس المراد أن مُحْضِراً أحضر الأنفس شحًّا ، ولـكن الشح لما كان غير مفارق لها ، ولا متباعد عنها ، كان كأنه قد أُحْضِرَها ، وحُمل على ملازمتها .

ومثل هـذا قوله تعالى فى هـذه السورة : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن

---

(١) فى الأصل « نزيل » بدون نقط وهو تحريف .

شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [١٥٧] . فليس التشبيه هينا عمـلا من غيرهم بهم ، وإنمـا شبهوا هم على أنفسهم . . . . (١) كما يقال : أين يُذهب بك ؟ والمراد أين تذهب . ونظائر ذلك كثيرة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَقْعُدُوا (٢) مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [١٤٠] . وهذه استعارة . والمراد بالخوض هينا مناقلة الحديث ، والضربُ فى أقطاره ، والتفسُّح فى أعطانه ، استثارة لـكرائمه ، وبحثا عن غوامضه . تشبيها بخائض الماء ، الذى يثير قراره ، و يسبر غماره (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴾ [١٥٧] . وفى هـذه الآية استعارتان : إحداهما قوله سبحانه : ﴿ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ لأن الظن جُعل هينا بمنزلة الداعى الذى يطاع أمره ، والقائد الذى يتبع أثره ، مبالغةً فى صفة الظن بشدة الاستيلاء عليهم وقوة الغلبة على قلوبهم . والاستعارة الأخرى أن يكون قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴾ راجعاً إلى الظن لا إلى المسيح عليه السلام . فـكأنه سبحانه قال : وما قتلوا الظن يقينا : كما يقول القائل : قتلت الخبر علما . ومن أمثالهم : (قتل أرضاً عالِمها) و (قتلت أرض أهلها) والمراد بقولهم قتلت الخبر علما : أى استقصيت معرفته ، واستخرجت دخيلته (٤) . فلم يفتنى شىء من علمه ، فـكنت بذلك كأنى قاتلٌ له . أى لم أبق شيئا يُعلَمُ من كنهه ، كما لم يبق القاتل من المقتول شيئا من

---

(١) هنا خمس كلمات متقطعة غير واضحة بالأصل .

(٢) فى لأصل (فلا تقعد) بخطاب الواحد ، وهو تحريف وليس هناك فى القراءات شىء مثل هذا . ويؤيد صيغة الجمع قوله تعالى بعد هذا : (إنـكم إذاً مثلهم) .

(٣) فى الأصل « عماره » بدون نقط العين المعجمة .

(٤) فى الأصل « ذخيلته » بإعجام الذال . والصواب بالدال المهملة .

نفسه . وعلى هـذا قولهم : أصاب فلانٌ شاكلة الأمر وطبّق مفْصِلَ الرأى . . . . .
حقيقته ، وبلغ مصـ . . . . ـة[١] والشاكلة : الخاصرة ههنا ، وهى من مقاتل الحيوان .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [١٧١] وقد مضى كلامنا على معنى تسمية المسيح عليه السلام بكلمة الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [١٧١] ههنا استعارة . والمراد بذلك أن الناس ينتفعون بهديه ، ويحيون من موت الضلالة برشده ، كما تحيا[٢] الأجسام بأرواحها ، وتتصرفُ بحركاتها .

---

(١) هنا فى موضع النقط كلمات لم تتبين بالأصل .
(٢) فى الأصل « يحيا ، ويتصرف » وهو تحريف .

ومن السورة التى يذكر فيها « المائدة »

قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ ﴾ [٢] . وهذه استعارة ، والمراد مستبعدات الله التى أشعرها للناس ، أى بينها لهم. من قولهم : أشعرت البدَنة ، إذا جرحتها فى سنامها ليسيل دمها ، فيُعلَم أنها هَدْى لبيت الله سبحانه : وهذا الفعل علامة لها ، ودلالة عليها .

وقوله تعالى : ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والسلام ههنا جمع سلامة . فالمراد أنه تعالى يدل من أطاعه على طريق نجاته ، وسبيل أَمَنَته ، لأن طاعته تعالى إمام[١] السلامة ، فمن اتبع قياده نجا ، ومن تقاعس عنه ضل وغوى .

وقوله تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد على انقطاع الإرسال إلى الأمم و . . . . . الزمان من . . . . .[٢] الرسل . تشبيها بحال إرسال الأنبياء إلى أممهم ثم حال توفيهم بعد أداء شرائعهم بثقوب النار ثم خمودها ، واضطرامها ثم فتورها .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ [٢١] . وهذه استعارة . ونظيرها قوله تعالى : ﴿ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ﴾ أى لا تولوا عن دينكم

---

(١) فى الأصل « إدام » ولا معنى للأدام هنا لأنه مايؤتدم به . ولعل ما استظهرناه هو الصواب ، لأن الإمام . له مكان القيادة . فكأن الطاعة تقود إلى السلامة .

(٢) موضع النقط كلمات لم تتبين بالأصل .

وتشكوا بعد يقينكم ، فتكونوا كالمقهقر[١] الراجع ، والمتقاعس الناكص .

وقوله تعالى : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٣٠] وهـذه استعارة . والمراد : سولت له وقربت عليه نفسه ففعل . وطوّعت فعّلتَ . من الطوع . أى سهلت نفسه عليه ذلك ، حتى أتاه طوعا ، وانقاد إليه سمحا .

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[٣٢] وأحياها هنا استعارة . لأن إحياء[٢] النفس بعد موتها لا يفعله إلا الله تعالى . وإنما المراد : من استبقاها وقد استحقت القتل، واستنقذها وقد أشرفت على الموت . فجعل سبحانه فاعِلَ ذلك بها كَمُحْيِيها بَعْدَ موتها . إذ كان الاستنقاذُ من الموت كالإحياء بعد الموت .

وقوله سبحانه : ﴿ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [٤١] وهذه استعارة . لأن صفة الإيمان والكفر إنما يوصف بها الإنسان دون القلب . والمراد : أنهم آمنوا بالظواهر ، وكفروا بالبواطن .

قوله سبحانه[٣] : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ [٤٨] . وهذه استعارة . وقد تقدم مثلها . . والمعنى : مصدقا بما سلف قبله من الكتاب الذى هو الإنجيل الصحيح . واستعير ذكر اليدين ههنا ، كما يقول القائل إذا سأله غيره عن راكب مرّ به : هو بين يديك . أى قد سار أمامك . ومهيمنا عليه : أى شاهدا عليه . فهذه أيضا استعارة أخرى . والمراد : أن مافى هذا الكتاب من وضوح الدلالة يقوم مقام النطق بصحة الشهادة .

---

(١) هكذا بالأصل . « ولعلها كالمتقهقر » .

(٢) بالأصل « إحيا » بحذف همزة الممدود .

(٣) هكذا بالأصل بدون واو . والصواب « وقوله » بالواو عطفا على ماقبلها من الاستعارات .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [٤٨] . وهـذه استعارة . والمراد : ولا تطع أمرهم ، ولا تجب داعيهم ، فأقام سبحانه أهواءهم مقام الدعاة إلى الرّدى ، والهـداة إلى العَمَى .

وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾ (١) [٤٨] . وهذه استعارة عجيبة : والمعنى : فبادروا فعل الخيرات إن كنتم على غير أمان من حضور الأَجَل ، وتضييق الأمل . وذلك شبيه لسباق الخيل ، لأن كل واحـد من فرسانها يشاحُّ غيره على بلوغ الغاية المقصودة ، وينافسه فى الإسراع إلى البغية المطلوبة .

وقوله سبحانه : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [٥٤] . وهـذه استعارة . لأن الحُبَّ الذى هو ميل الطباع لا يجوز على القديم سبحانه . . . . . (٢)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ، وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ، بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [٦٤] . وهـذه استعارة . ومعناها أن اليهود أخرجوا هذا القول مخرج الاستبخال لله سبحانه ، فـكذبهم تعالى بقوله : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ وليس المراد بذكر اليدين ههنا الاثنتين اللتين هما أكثر من الواحدة ، وإنما المراد به المبالغة فى وصف النعمة . كما يقول القائل : ليس لى بهذا الأمر يدان ، وليس يريد به الجارحتين ، وإنما يريد المبالغة فى نفى القوة على ذلك الأمر . وربما قيل إن المراد بذلك نعمة الدنيا ونعمة الآخرة . والله أعلم أىُّ ذلك أصوب . وقد أشبعنا الـكلام على هذا المعنى فى كتابنا الـكبير .

وقوله تعالى : ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللهُ ﴾ [٦٤] وهذه استعارة .

---

(١) فى الأصل « واستبقوا الخيرات » بالواو لا بالفاء وهو تحريف من الناسخ .

(٢) هنا سطران غير واضحين ، وثانيهما مطموس المعالم .

لأن الحرب لا نار لها على الحقيقة ، و إنما شُبهت بالنار لاحتدام قراعها ، وجِدِّ مِصاعها ، وأنها تأكل أهلها ، كما تأكل النار حطبها .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [٦٦] . فهذه استعارة . لأن التوراة لا يصح عليها القيام ، و إنما المراد لو أنهم اتبعوا حكمها . . . . .(١) وقوله تعالى : ﴿لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [٦٦] استعارة أخرى على أحد التأويلين ، وهو أن يكون المراد بهذا القول العبارة عن سعة الرزق ورفاهة العيش . كما يقول القائل : فلان مغمور فى النعيم والنعمة من قرنه إلى قدمه . والتأويل الآخر لأكلوا من فوقهم ، أى من ثمار الشجر التى تفوت بسطة اليد ، ومن تحت أرجلهم ، أى من نبات الأرض الذى يباشر موطىء القدم . وقيل المراد بذلك مايكون عن مساقط الغيث من إخصاب منابت الأرض .

فهذا كقوله تعالى ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾(٢) .

وقوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ﴾ [٨٩] . على قراءة من قرأ عَقَدْتم ، وعقَّدْتم بالتخفيف والتشديد ، دون من قرأ عاقدتم . فهذه استعارة . والمراد بها تأكيد الأيمان حتى تكون بمنزلة العقد المؤكد والحبل المحصد . أو يكون المراد أنكم عقدتموها على شىء خلافا لليمين اللغو التى ليست معقودة على شىء ، لأن الفقهاء يسمون اليمين التى على المستقبل يمينا معقودة ، فهى التى يتأتى فيها البر والحنث ، وتجب فيها الكفارة . واليمين على الماضى عندهم ضربان : لغو، وغموس . فاللغو كقول القائل :

---

(١) هنا ألفاظ مطموسة .

(٢) سورة الأعراف . الآية رقم ٩٦ .

والله مافعلتُ كذا . فى شىء يظن أنه لم يفعله ، ووالله لقد فعلت كذا . فى شىء يظن أنه قد فعله (١) .

. . . .

فهو اليمين على الماضى إذا وقعت كذبا . نحو قول القائل : والله مافعلت . وهو يعلم أنه قد فعل . ووالله لقد فعلت . وهو يعلم أنه لم يفعل . فهذه اليمين كفارتها التوبة والاستغفار لا غير .

وقوله تعالى : ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [٩٤] وهذه استعارة . لأن الفارس هو الذى ينال القنيص برمحه . ولكن الرمح لما كان مباشرا حَسُن لهذه الحال أن يسمى نائلا .

وقوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا﴾ [١٠٨] . وهذه استعارة . لأن الشهادة لا وجه لها . وإنما المراد أن يأتوا بالشهادة على جليتها وحقيقتها . وخبر تعالى عن ذلك بالوجه لأن به تعرف حقيقة الجملة ، ويُفهم كنه الصورة ، كما قلنا فيما تقدم . وهذه من الاستعارات البديعة .

وقوله تعالى حاكياً عن المسيح عليه السلام : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي ، وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [١١٦] . وهذه استعارة . لأن القديم سبحانه لا نفس له . والمراد : تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك ، وتعلم حقيقتى ولا أعلم حقيقتك ، أو تعلم مغيبى ولا(٢) أعلم مغيبك . فكأن فحوى ذلك : تعلمُ ما أعلَمُ ، ولا أعلَمُ ما تعلَمُ . وقد استوفينا الكلام على ذلك فى (حقائق التأويل) .

---

(١) هنا سطر مطموس

(٢) فى الأصل « لا أعلم » بدون واو .

سورة الأنعـــام

قوله تعالى[1]: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ [٤٥] وهذه استعارة . لأن الأصل فى هذه اللفظة : دابرة الفرَس ، وجمعها دوابر ، وهى ما يلى حافرهمن خلفه . ودابرة الطائر : هى الشاخصة التى خلف رجله ، وتدعى الصِّيْصِيَّة[2] أيضا . فالمراد بقوله سبحانه : ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ [٤٥] والله أعلم : أى قطعت عنهم الأمداد اللاحقة بهم من خلفهم ، والتالون لهم فى غيهم وضلالهم . أو قطع خَلْفُهم ، من نَسْلهم ، فلم تثبت لهم ذرية ، ولم يبق لهم بقية .

وقوله سبحانه : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . والمراد بالأخذ ههنا إبطال حواسهم . وإذا بطلت فكأنها قد أُخذت منهم ، وغُيِّبت عنهم .

وقوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ﴾ [٥٩] وهذه استعارة . والمراد : وعنده الوصلة إلى علم الغيب ، فإذا شاء فتحه لأنبيائه وملائكته[3] ، وإن شاء أغلق عنهم علمه . ومنعهم فهمه . وعبر تعالى عن ذلك بالمفاتح ، وهى أحسن عبارة ، وأوقع استعارة . لأن كل ما يتوصل به إلى فتح المبهم ، وبيان المستعجم سُمِّى بذلك . ألا ترى إلى قول الرجل لصاحبه إذا أشكل عليه أمر أو اختلّ له حفظ : افتح علىّ . أى : بيِّنْ لى وفهِّمنى ما عزب عنى .

---

(١) هنا ورقة ضائعة من الأصل من أول سورة الأنعام إلى الآية رقم ٤٥ .

(٢) الصيصية والصيصة : شوكة الحائك ، وشوكة الديك أو الطائر . والجمع صياصٍ .

(٣) في الأصل « ومليـكته » وهي طريقة الناسخ فى الإملاء .

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [٦٨] فهذه استعارة . والمراد بها إثارة أحاديث الآيات ليستشفّوا بواطنها ، ويعلموا حقائقها ، كالخابط فى غمرة الماء ، لأنه يثير قعرها ، ويسبر غمرها . وقد مضى الكلام على نظير ذلك فى (النساء) .

وقوله سبحانه : ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ [٨٠] وهذه استعارة . لأن صفة الشىء بأنه يسع غيره . لا يطلق إلا على الأجسام التى فيها الضيق والاتساع ، والحدود والأقطار . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا . فالمراد أن علمه سبحانه يحيط بكل شىء ، فلا تخفى عليه خافية ، ولا تدق عنه غامضة .

وقوله سبحانه : ﴿وَلِتُنْذِرَ[1] أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [٩٢] وهذه استعارة . والمراد بأم القرى مكة ، وإنما سماها سبحانه بذلك ، لأنها كالأصل للقرى ، فكل قرية فإنما هى طارئة عليها ، ومضافة إليها . وقد روى فى تقدم اختطاطها ما لا يحتمل كتابنا هذا ذكره .

وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ ٱلظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [٩٣] وهذه استعارة عجيبة . لأنه سبحانه شبه الذين يعتورهم كُرَب الموت وغصصه بالذين تتقاذفهم غمرات الماء ولججه . وقد سميت الكربة غمرة لأنها تغمر قلب الإنسان ، آخذة[2] بكظمه ، وخاتمة[2] على متنفسه . والأصل فى جميع ذلك غمرة الماء .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنُكُمْ﴾ [٩٤] على قراءة من قرأ برفع النون من بينكم . وهذه استعارة . لأنه لافصائل[3] هناك على الحقيقة فتوصف بالتقطُّع ، وإنما المراد :

---

(١) بالأصل « لتنذر » بغير واو . والصواب ما أثبتناه من نص الآية الكريمة .

(٢) فى الأصل « آخذه » و « خاتمه » بدون نقط على التاء المربوطة ولعلها : «وجاثمة»

(٣) فى الأصل « لا فضايل » بالضاد المعجمة . وليس المقام مقام فضائل ورذائل وإنما هو مقام فصائل ووصائل .

لقد زال ما كان بينكم من شبكة المودة وعلاقة الألفة ، التى تشبَّه لاستحكامها بالحبال المحصدة ، والقرائن المؤكدة .

وقوله تعالى : ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ، وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ [٩٥] فهذه استعارة على بعض الأقوال ، وهو أن يكون معناها أنه سبحانه يشق الحبة الميتة ، والنواة اليابسة ، فيخرج منها وَرَقا خَضِرا(١)، ونباتا ناضرا، ويخرج الحبَّ اليابس الذاوى(٢) من النبت الحى النامى . وقال بعضهم : يُخرج الإنسان الحى من النطفة وهى موات ، ويُخرج النطفة الموات من الإنسان الحى . والله أعلم بالصواب .

وقوله سبحانه : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَاعِلُ(٣) ٱللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ [٩٦] وهذه استعارة . والمعنى : شاقُّ الصبح ومستخرجه من غسق الليل . وقوله سبحانه : ﴿ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ ﴾ أبلغ من قوله شاقّ الإصباح ، إذ كانت قوة الانفلاق أشد من قوة الانشقاق . ألا تراهم يقولون : انشقَّ الظفر ، وانفلق الحجَر ؟ وقوله تعالى ﴿ وَجَاعِلُ ٱللَّيْلِ سَكَنًا ﴾ استعارة أخرى . ومعناها على أحد القولين أنه سبحانه جعل الليل بمنزلة الشىء المحبوب الذى تسكن إليه النفوس وتحبُّه(٤) القلوب . يقال : فلان سكنُ فلانٍ . على هذا المعنى . والتأويل الآخر يخرج الكلام عن معنى الاستعارة . وهو أن يكون المراد أنه تعالى جعل الليل مظنة لانقطاع الأعمال ، والسكون بعد الحركات .

---

(١) الورق الخضر هو الأخضر . ووزنها مثل فرح .

(٢) فى الأصل الداوى بالدال المهملة . والصواب إعجامها .

(٣) هكذا بالأصل على قراءة رويس عن يعقوب . وهى قراءة أهل المدينة . أما قراءتنا نحن « وجعل الليل سكنا » فهى قراءة الحسن وعيسى بن عمر وحمزة والكسائى .

(٤) فى الأصل « وتحبقه » . والقاف زيادة من الناسخ حرف بها الكلم عن موضعه ...

وقوله سبحانه : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [١٠٠] فى قراءة من قرأ : وخَرَقوا بالتخفيف ، وفى قراءة من قرأ خرّقوا بالتثقيل . فهذه استعارة . والمراد أنهم دَعَوْا له سبحانه بنين و بناتٍ بغير علم ، وذلك مأخوذ من « الخرق » وهى الأرض الواسعة ، وجمعها خروق ، لأن الريح تتخرق فيها ، أى تتسع . والخِرْقُ من الرجال : الكثير العطاء ، فكأنه يتخرق . والخرقة : جماعة الجراد مثل الحرقة ، والخريق : الريح الشديد الهبوب . فكأن معنى قوله تعالى : ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ ﴾ أى اتّسَعُوا فى دعوى البنين والبنات له ، وهم كاذبون فى ذلك . ومن قرأ : وخرّقوا[١] فإنما أراد تكثير الفعل من هذا الجنس . والاختراق ، والاختلاق ، والاختراع ، والانتسال بمعنى واحد ، وهو الادعاء للشىء على طريق الكذب والزور .

وقوله سبحانه : ﴿ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً ﴾ [١١٢] وهذه استعارة . لأن الزخرف فى لغة العرب : الزينة . ومن ذلك قولهم : دار مزخرفة أى مزيّنة . فكأنه تعالى قال : يزينون لهم القول ليغتروا به ، وينخدعوا بظاهره ، كما يستغرّ بظاهر جميل ، على باطن مدخول .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [١١٠] وهذه استعارة . لأن تقليب القلوب والأبصار على الحقيقة و إزالتها عن مواضعها ، و إقلاقها عن مناصبها لا يصح والبنيةُ صحيحة والجملة حَيَّة متصرفة . و إنما المراد — والله أعلم — أنا نرميها بالحيرة والمخافة ، جزاءً على الكفر والضلالة . فتكون الأفئدة مسترجعة لتعاظم أسباب المخاوف ، وتكون الأبصار منزعجة لتوقع طلوع المكاره . وقد

(١) وقرىء : « وحرفوا » بالحاء المهملة والفاء ، أى زوروا . انظر « أنوار التنزيل وأسرار التأويل » طبع دار الكتب العربية الكبرى ، جـ ٢ ص ٢٠١ .

قيل إن[١] المراد بذلك تقليبها على قراميص[٢] الجمر فى نار جهنم ، وذلك يخرج الكلام عن حيز الاستعارة إلى حيز الحقيقة .

وقوله تعالى : ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [١١٣] . وهذه استعارة . والمعنى : ولتميل إليه أفئدة هؤلاء المذكورين . ويقال : صغى فلان إلى فلان . أى مال إليه . وصغوه معه : أى ميله . ومنه أصغى بسمعه إلى الكلام . إذا أماله إلى جهته ، ليقرب من استماعه . وميلُ القلب إلى المعتقدات ، كميل السمع إلى المسموعات .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [١٢٧] . وهى استعارة . والمراد : لهم محل الأمنة والسلامة والمنجاة من المخافة . وتلك صفة الجنة . والسلام ههنا : جمع سلامة[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [١٣٠] وهذه استعارة . لأنهمْ لما اغتروا بالحياة الدنيا حسُن أن يقال إنها غرتهم . ولما كان فيها ما تميل إليه شهواتهم جاز أن يقال : إنها استمالت شهواتهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ [١٥٣] وهى استعارة . والسبل التى هى الطرق لا تتفرق بهم ، وإنما هم الذين يفارقون نهجها[٤] ، ويتبعون عوجها .

---

(١) كتب الناسخ « أن » بوضع همزة فوقها فتحة ، ويجب أن يكون ذلك بعد مادة القول .

(٢) القراميص : جمع قرماص وهو فى الأصل الحفرة الواسعة الجوف الضيقة الرأس يستدفىء فيها الصرد ، أو هى موضع خبز الملة .

(٣) ويصح أن يكون السلام اسما من اسم الله تعالى . فتكون دار السلام دار الله . كما يقال للكعبة بيت الله .

(٤) فى الأصل « بهجتها » وهو تحريف من الناسخ . ولعل الصواب نهجها ، أو محجتها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ [١٦٤] فهذه استعارة . والمعنى : ولا تحمل حاملة حمل أخرى . يريد تعالى فى يوم القيامة . أى لا يخفف أحد عن أحد ثقلا ، ولا يشاطره حملا . لأن كل إنسان فى ذلك اليوم مشغول بنفسه ، ومقروح[١] بحمله . وليس أن هناك على الحقيقة أحمالا على الظهور ، وإنما هى أثقال الآثام والذنوب .

ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِى نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾[٢] .

---

(١) هكذا بالأصل ، ولعلها « مفدوح » لأن الحمل الفادح هو الذى يثقل صاحبه فيعيا به فهو مفدوح . يقال : فدحه الأمر .

(٢) سورة البقرة الآية رقم ٤٨ ، والآية رقم ١٢٣ وهما من المتشابه .

ومن السورة التي يذكر فيها « الأعراف »

قوله : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [٧] . فهذه استعارة . لأن الخسران فى التعارف إنما هو النقص فى أثمان المبيعات . وذلك يخص الأموال لا النفوس . إلا أنه سبحانه لما جاء بذكر الموازين وثقلها وخفتها جاء بذكر الخسران بعدها ، ليكون الكلام متفقا ، وقصص الحال متطابقا . فكأنه سبحانه جعل نفوسهم لهم بمنزلة العروض المملوكة ، إذ كانوا يوصفون بأنهم يملكون نفوسهم ، كما يوصفون بأنهم يملكون أموالهم .

وذكر خسرانهم لها لأنهم عرّضوها للخسار ، وأوجبوا لها عذاب النار . فصارت فى حكم العروض المتلفات ، وتجاوزوا حد الخسران فى الأثمان ، إلى حد الخسران فى الأعيان .

وقوله سبحانه حاكيا عن إبليس : ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والصراط ههنا كناية عن الدين ، جعله الله سبحانه طريقا للنجاة والمفاز(١) ، فى دارى القرار والمجاز ، وإنما قال صراطك . لما كان الدين كالطريق المؤدية إلى رضا الله سبحانه ومثوبته(٢) . الموصلة إلى نعيمه وجنته . فكان إبليس ـ لعنه الله ـ إنما يوعِد بالقعود على طريق الدين ليضل عنه كل قاصد ، ويردَّ عنه كل

---

(١) فى الأصل « والمفار » بالراء المهملة . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) فى الأصل « ومصوبته » ولا معنى لها هنا لأن المصوبة معناها المصيبة وضعف العقل ! وليس هذا جزاء رضا الله سبحانه وتعالى .

وارد ، بمكره وخدائعه ، وتلبيسه[١] ووساوسه . تشبيها بالقاعد على مدرجة بعض السبل ، ليخوف[٢] السالكين منها ، ويعدل بالقاصدين عنها . والمراد : لأقعدن لهم على صراطك المستقيم ، فلما حذف الجارُّ انتصب الصراط .

والحذف هنا أبلغ فى الفصاحة ، وأعرقُ فى أصول العربية . ونظيره قول الشاعر[٣] :

* كما عَسَل الطريقَ الثعلبُ *

أى عَسَل فى الطريق .

وكل مافى القرآن من ذكر سبيل الله سبحانه ، فالمراد به الطريق المفضية إلى طاعته عاجلا ، وإلى جنته آجلا .

وقوله سبحانه : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ [٢٢] . وهذه استعارة . والمراد أنه أوقعهما فى أهوائه بغروره لهما . وكل واقع فى مثل ذلك فإنه نازل من علو إلى استفال ، ومن كرامة إلى إذلال . فلذلك قال تعالى : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير ، عند القول فيما اختلف العلماء فيه من ذنوب الأنبياء عليهم السلام .

وقوله تعالى : ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا

---

(١) فى الأصل « وتلبيته » ولا معنى لها . والصواب ماأثبتناه ، لأن تلبيس إبليس هو مايدلس به على الناس ليضلهم عن سبيل الله .

(٢) فى الأصل « لتخوف » وهو تحريف ، لأن القاعد هو الذى يخوف السالكين .

(٣) هو الشاعر ساعدة بن جؤية يصف رمحا . والبيت كاملا هو :

لدن بهز الكف يعسل متنه ... فيه ، كما عسل الطريق الثعلب

انظر ابن هشام فى «أوضح المسالك» ج ٢ ص ١٦

وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ، ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [٢٦] وقد قرئ : ورياشا [١] . وهما جميعا استعارة ههنا [٢] . لأن المراد بهما اللباس. وسمى اللباس ريشا ورياشا تشبيها بريش الطائر الذى يستر جُملته . ومن كلام العرب : أعطيته رجلا بريشه . أى بكسوته .

وقال المفسرون : معنى لباس التقوى ما كان من الملابس يستر العورة ، لأن ستر العورة من أسباب التقوى . وقرئ : ولباسَ التَّقْوَى . نَصْباً بأنزلنا عليكم . والرفع فيه على معنى الابتداء . ويكون خيرٌ خبرا له . فيكون المعنى : ولباسُ التقوى المشار إليه خير . وهذا أسدُّ القولين فى هذا المعنى .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . لأن الوجه لايصح عليه القيام . والمعنى : فوجِّهوا وجوهكم عند كل مسجد . ويجوز أن يكون معنى ذلك : فتوجَّهُوا بجملتكم نحو كل مسجد . لأن وجه الشيء عبارة عن جملته .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ﴾ [٤٠] وهذه استعارة . والمراد لايَصِلون إلى الجنة ولا يتسهل لهم السبيلُ إليها ، ولايستحقون بأعمالهم للدخول إليها . ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [٣] أى سهَّلنا خروجه من السماء إلى الأرض ، ورفعنا الحواجز بينه و بين الخَلْق .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾ [٤١] وهذه استعارة. وقد مضى فى (آل عمران) إلا [٤] أن الزيادة ههنا قوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾

---

(١) قرأ ذلك الحسن وعاصم من رواية المفضل الضبي، كما قرأه أبو عمرو من رواية الحسين بن على الجعفى

(٢) الاستعارة فى قوله تعالى « قد أنزلنا عليكم لباسا » لاتتضح إلا إذا كان اللباس هو المطر الذى به ينبت القطن والكتان . أى أنزلنا عليكم مطرا ينتج القطن والنبات الذى تتخذون منه ملابسكم — انظر القرطبي ج ٧ ص ١٨٤

(٣) سورة القمر . الآية رقم ١١

(٤) فى الأصل « لأن الزيادة » وهو تحريف من الناسخ وصوابه « إلا أن .. » كما أثبتناه .

فكأنه جعل لهم من النار أمهدة مفترشة (١) وأغشية مشتملة ، فيكون استظلالهم بحرها ، كاستقرارهم على جمرها . نعوذ بالله من ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ﴾ [٤٣] . وهذه استعارة . لأنه ليس هناك شيء يتأتى (٢) نزعه على الحقيقة . والمعنى : أزلنا ما فى صدورهم من الغل بإنسائهم إياه ، و بإحداث (٣) أبدال له تشغل أماكنه من قلوبهم ، وتشفع مواقعه من صدورهم . وقال بعض المفسرين : معنى ذلك : أهل الجنة لا يحسد بعضهم بعضا على علو المنزلة فيها ، والبلوغ إلى مشارف رتبها . والحسد : الغل .

وقوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [٤٣] وهذه استعارة خفية . وقد تكون استعارة خفية ، واستعارة جلية . وذلك أن حقيقة الميراث فى الشرع هو ما انتقل إلى الإنسان من مِلْك الغير بعد موته على جهة الاستحقاق . فأما صفة الله تعالى بأنه الوارث لخلقه كقوله : ﴿ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴾ (٤) وكقوله : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (٥) فهو مجاز . والمراد : أنه الباقى بعد فناء خلقه ، وتقوُّض سمائه وأرضه .

وقد استعمل ذلك أيضا فى نزول قوم ديارَ قوم بَعْدَهم ، وأَخْذِ قوم أموالَ قومٍ بعد إجلائهم وحربهم (٦) . فقال سبحانه فى هذه السورة : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ﴾ [١٣٧] . وقال تعالى فى

---

(١) فى الأصل « مفونته » وهو تحريف
(٢) فى الأصل « يثانى » وهو تحريف.
(٣) فى الأصل « وبأحداب» وهو تحريف.
(٤) سورة القصص . الآية رقم ٥٨
(٥) سورة آل عمران . الآية رقم ١٨٠ وسورة الحديد . الآية رقم ١٠
(٦) فى الأصل « وحرمبم » وهو تحريف صوابه ما أثبتناه، مما يجزم به السياق .

موضع آخر : ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَؤُوهَا ﴾ (١) وليس يصح فى إيراث الجنة مثل هذه المعانى التى ذكرناها ، لأن الجنة لا يسكنها قوم بعد قوم قد فارقوها وانتقلوا عنها . فقوله سبحانه : ﴿ أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا ﴾ على الأصل الذى قدّمناه استعارة . ويكون المعنى الذى يسوغ هذه الاستعارة أن هؤلاء المؤمنين لما عملوا فى الدار الدنيا أعمالا استحقوا عليها الجزاء والثواب ، ولم يصحّ أن يوفر عليهم ذلك إلا فى الجنة ، وهى من الدار الآخرة ، فكأنهم استحقوا دخولها . فحَسُن من هذا الوجه أن يوصَفوا بأنهم أُورِثوها ، وإن لم يكن سكناهم لها بعد سكنى قوم آخرين انتقلوا عنها . وسوّغ ذلك أيضاً اختلافُ حال الدارين ، وانتقالهم من الأولى إلى الآخرة . فكأنَّ ماعملوه فى الدار الأولى كان سببا لما وصلوا إليه فى الدار الآخرة ، كما يُستحقّ الميراث بالسبب .

وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [٤٥] وهذه استعارة ، فإن (٢) سبيل الله سبحانه : دينه . ومعنى ويبغونها عِوجا أى يبتغون عنها المتحَاول ، ويطلبون منها الفُسَحَ والمخارج ، ويوهمون بالشبهات أنها معوجة غير قويمة ، ومضطربة غير مستقيمة .

وقوله تعالى : ﴿ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [٥٣] وقد مضى نظير ذلك فى أول السورة .

وقوله سبحانه : ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ ﴾ [٥٤] (٣) .

---

(١) سورة الأحزاب . الآية رقم ٢٧ .

(٢) فى الأصل « بأن » وهو تحريف .

(٣) هنا قطعة ناقصة من الأصل تبلغ قدر ست ورقات من الآية رقم ٥٣ من الأعراف إلى الآية رقم ٦٤ من سورة التوبة .

سورة التوبة

. . . . . . (١)

على الحقيقة هى التقارب بالحدود مثل المسامتة ، وهى المماثلة فى السمت الذى هو الجهة ، وذلك من صفات الأجسام ، وذوات الحدود والأقطار. فالمراد إذن بالمحادَّة ههنا كونُ الإنسان فى غير الحد الذى فيه أولياء الله سبحانه . فكأنهم فى حد ، وأولياء الله سبحانه فى حد . وكذلك الكلام فى مشاقَّة الله تعالى على أحد التأويلين ، وهو أن يكون الإنسان فى شق أعداء الله وحَزبه ، لافى شق أوليائه وحزْبِه .

وحقيقة الكلام أن يكون المراد به محادَّةَ أولياء الله على الصفة التى ذكرناها فقال تعالى : ﴿ يُحَادِدِ ٱللَّهَ ﴾ كما قال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٢) أى يؤذون أولياء الله ورسوله ، لأن الأذى لا يجوز على من لا تلحقه المنافع والمضار، والمساءات والمسارّ .

وقوله سبحانه : ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾[٦٤] وهذه استعارة . لأن السورة نطقها من جهة البرهان لا من جهة اللسان . فكأنه سبحانه أراد أنَّ الناس يَعْلَمون بهذه السورة النازلة فى المنافقين بواطن نفوسهم ، وعقائد قلوبهم .

. . . . . .

---

(١) هنا بداية القسم الموجود من سورة التوبة ، أما ما قبل ذلك فمفقود مع آخر قسم من سورة الأعراف.

(٢) سورة الأحزاب ، الآية رقم ٥٧ .

[وقوله سبحانه(١)] : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ [٨٧] . [الخوالف النساء(٢)] المقيمات فى دار الحى بعد رحيل الرجال . وإنما سمى النساء خوالف تشبيها لهن بالخوالف ، التى واحدتهن خالفة ، وهى الأعمدة تكون فى أواخر بيوت الحى المضروبة . فشبّههنّ ـ لكثرة لزوم البيوت ـ بالخوالف التى تكون فى البيوت .

وقد قيل إن الخوالف أيضا زوايا البيوت ، واحدتها خالفة . والمعنى واحد . وقد يجوز أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ ﴾ حقيقة الخوالف التى هى أعمدة البيوت . أى رضوا بأن يكونوا فى بيوتهم ، فيكونوا ـ بالملازمة لها ـ كخوالفها وأعمدتها .

وقد يجوز أيضا أن يكون الخوالف ههنا جمعَ فرقة خالفة . وهى الجماعة التى تقعد عن الغزو ، كالشيوخ ، والنساء ، وذوى العاهات ، والولدان . ومما يقوى ذلك قوله تعالى أمام هذا الكلام : ﴿ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴾ [٨٣] .

وكنت سمعتُ شيخنا أبَا الفتح عثمان بن جنى(٣) النحوى ـ رحمه الله ـ يقول ذلك ، ويذهب إلى مثله أيضا فى قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾(٤) . ويقول : هى جمع فرقة كافرة . إلا أن الكلام يكون على القول الأول استعارة . ويكون على هذا القول حقيقة .

---

(١) هذه زيادة ليست بالأصل يقتضيها السياق

(٢) هذا السطر ممحو ، وقد استظهرناه من السياق الذى يفسر الخوالف بالنساء المقيمات فى دار الحى .

(٣) أبو الفتح عثمان بن جنى إمام من أئمة النحو . وقد اشتهر بشرحه لديوان المتنبى ، وبكتابه « الخصائص » فى اللغة وهو مشهور . وكان المتنبى يقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى ، وقد كان ابن جنى أستاذا للشريف الرضى ، ونقل هذا عنه كثيرا فى كتابه « المجازات النبوية » . توفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٤) سورة الممتحنة آية رقم ١٠ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾ [٩٨] . وهذه استعارة . . . . (١) عليهم أيام السوء ، لأن الأيام والشهور قد تسمى دوائر ، على طريق الاستعارة . فليس لأنها ترجع بأعيانها ، وإنما تعود أشباهها وأمثالها ، فشهر كشهر ، ويوم كيوم ، وساعة كساعة، وسنة كسنة . يقال دارت السنون ، ودارت الشهور على هذا المعنى . إلا أن هـذه اللفظة ، أعنى الدائرة والدوائر ، قد اختص ذكرها بالمواضع المكروهة . فيقال : دارت عليهم الدوائر ، إذا أهلكتهم الأيام ، وأفنتهم الأعوام . ويقال : دارت لهم الدنيا . إذا وصفوا بمواتاة الإقبال ، وانتظام الأحوال . فكأنَّ التمييز فى الخير أو الشر إنما يقع بقولنا : دارت لهم ، ودارت عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [١٠٩] وهـذه استعارة . والمراد بها ذكر ما بناه المنافقون من مسجد الضرار (٢) ، بعد مابنى المؤمنون من المسجد المعروف بمسجد قباء (٣) . لأن المؤمنين وضعوا هذا البناء ، وهم مؤمنون متقون ، عارفون موقنون ، فكأنهم وضعوه على قواعد من الإيمان ، وأساس من الرضوان . والمنافقون إنما وضعوا ذلك البناء كيدا للمؤمنين ، وإرصادا للمسلمين . فكأنهم وضعوه على شفا

---

(١) هنا سطران ممحوان محوا تاما .

(٢) مسجد الضرار ، هو المسجد الذى بناه المنافقون بقباء لإضرار المسلمين وتفريق كلمتهم، وقد سألوا النبى عند رجوعه من تبوك أن يأتى مسجدهم هذا ليصلى فيه ، فأنزل الله فيه قوله تعالى : « الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبدا » . وقد أمر النبى عليه السلام بهدم هذا المسجد الظالم أهله ، فحرق وهدم واتخذ موضعه مكانا للقمامة .

(٣) مسجد قباء هو المسجد الذى أسسه النبى على التقوى من أول يوم نزل فيه قباء ، وهى بلدة على بعد ميلين من جنوب المدينة .

جُرُفٍ هارٍ متقوض ، وأساس واهٍ منتقض ، فكأنما انْهَارَ بهمْ فى نار جهنم ، أى أسقطهم ذلك الفعل فى عذاب النار ، ودائم العقاب . وهذه من أحسن الاستعارات .

وقوله تعالى : ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ [١١٠] فهذه استعارة . ومعناها أن ذكر البنيان الذى بَنَوْه لا يزال ريبة فى قلوبهم ، يخافون معها إنزال الله بهم ضروب العقاب ، أو بَسْطَ المؤمنين عليهم لما ظاهروهم من العناد والشقاق . فهم أبدا بنفوسهم مستريبون ، وعليها خائفون مشفقون . فلا يزالون على ذلك إلا أن تقطع قلوبهم حسرة ، وتزهق نفوسهم خيفة .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [١١١] وهذه استعارة . وذلك أنه سبحانه لما أمرهم ببذل نفوسهم وأموالهم فى الجهاد عن دينه ، والمنافحة عن رسوله عليه السلام ، وضمِن لهم على ذلك الخلودَ فى النعيم ، والأمانَ من الجحيم ، كانت نفوسهم وأموالهم بمنزلة العُروض المبيعة ، وكانت الأعواض المضمونة عنها بمنزلة الأثمان المنقودة ، وكانت الصفقة رابحة لزيادة الأثمان على السلع ، وإضعاف الأعواض على القيم .

وجملة هذا الباب أن العبادات كلَّها كالتجارات ، فى أنها طَلَبٌ للمنافع. فالعبادات(١) طلبٌ لمنافع الآخرة ، والتجارات طلبٌ لمنافع الدنيا .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ﴾ [١١٧] وهذه استعارة . لأن حقيقة الزَّيْغِ الاعوجاج والميل. والمراد : من بعد ما كادت قلوبهم تزول من عظم الخيفة ،

---

(١) فى الأصل « بالعبادات » وهو تحريف من الناسخ

وتقنط من نزُول الرحمة ، فتكون بذلك كالشىء الزائغ بعد الاستقامة ، والمستمال بعد الثبات والرصانة .

ومن الدليل على ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ [١١٨] فهذه أيضا استعارة . لأن النفس بالحقيقة لاتوصف بالضِّيق والاتساع ، و إنما المراد بذلك المرادُ بالقول الأول من أنه عبارة عن انضغاط القلوب بشدة الكرب ، و بلوغها منقطع الصبر .

وقوله : سبحانه : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ ٱللهِ ، وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ﴾ [١٢٠] وهذه استعارة . والمراد بها أنهم لاينبغى لهم أن يُكرموا أنفسهم عما يبذل النبى صلى الله عليه وسلم فيه نفسه ، ولا يحفظوا مُهجهم فى المواطن التى تحضر فيها مهجته ، اقتداءً به ، واتباعا لأثره . وهذه لفظة يستعملها أهل اللسان كثيرا ، فيقولون : رغبتُ بنفسى عن الضيم ، وأرغب بك يافلانُ عن القتل ، أى أضنُّ بنفسى عن أن تذل ، وأنفس بمثلك عن أن يُقتل .

فالظاهر يدل على أنهم رضوا بنفوسهم عن نفس النبى صلى الله عليه وسلم . والمراد : وما كان لهم أن يرغبوا بالنفوس . عن . . . . (١) التى ينزلها نفسه و يعرض فيها مهجته .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ، فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ ، وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [١٢٤] ، [١٢٥] وهذه

---

(١) بياض بالأصل . ويصح أن توضع هنا كلمة المواطن ، أو المواضع، أو المنازل، أوماإليهامن هذاالباب .

استعارة ظاهرة . وذلك أن السُّورة لاتزيد الأرجاس[1] رجسا ، ولا القلوب مرضا، بل هى شفاء للصدور ، وجلاء للقلوب . ولكن المنافقين لما ازدادوا عند نزولها عَمًى وعَمَها وازدادت قلوبهم ارتيابا ومرضا ، حَسُنَ أن يُضاف ذلك إلى السورة ، على طريق لأهل اللسان معروفة .

وقد استقصينا الكلام على ذلك فى عدة مواضع من كتابنا الكبير . فمن أراد بلوغ أقاصى هذه الطريقة ، والضرب فى أقطارها والتفسح فى أعطانها ، فليتتبع مواضعها من ذلك الكتاب بمشيئة الله .

وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [١٢٨] وهذه استعارة. والمراد بأنفسكم ههنا ــ والله أعلم ــ أى من جنس أنفسكم وخَلْقِكم ، لتكونوا إليه أسكن ، وإلى القبول منه أقرب . ويجوز أن يكون من أنفسكم أى من قبيلكم وعشيرتكم ، كما يقول القائل : فلان من أنفس بنى فلان . أى من صميم أنسابهم ، وليس من وسائطهم وملاصقهم .

وقد يجوز أن يكون المراد برسول من أنفسكم ، أى من أشقائكم وأعزّائكم ، كما يقول القائل لِذِى ودِّه والقريب من قلبه : أنت من نفسى ، وأنت من قلبى . أى أنت شقيق النفس ، وقسيم القلب .

ومما يقوِّى ذلك قولُه سبحانه : ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [١٢٨] أى بحبه لكم ، وميله إليكم، يعزّ عليه أن تعنتوا وتعاندوا فتحرموا الثواب ، وتستحقوا[2] العقاب ، فهو حريص على إيمانكم رأفةً بكم وإشفاقا عليكم .

---

(١) فى الأصل « لاتزيد الأرجاس إلا رجسا » وإلا زائدة من الناسخ بها ينقلب المعنى إلى الضد . والصواب حذفها كما أثبتناه .

(٢) فى الأصل « ويستحقوا» بضمير الغائبين والصواب « وتستحقوا » بضمير المخاطبين كما أثبتناه

ومن السورة التى يذكر فيها

« يونس » عليه السلام

قوله سبحانه ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [٢] وهذه استعارة . لأن المراد بالقَدَم ههنا : السابقة فى الإيمان ، والتقدمُ فى الإخلاص . والعبارةُ عن ذلك بلفظ القَدم غايةٌ فى البلاغة ، لأن بالقَدَم يكون السبق والتقدم . فسُمِّيت قَدَما لذلك . وإن كان التأخر أيضا يكون بها[١] ، كما يكون التقدم بخطوها ، فإنما سميت بأشرف حالاتها وأنبه متصرفاتها . وقال بعضهم : إيمانهم فى الدنيا هو قدَمُهم فى الآخرة . لأن معنى القدم فى العربية : الشىء تقدمه أمامك ليكون عُدَّةً لك ، حتى تقْدم عليه .

وقال بعضهم : ذِكْر القدم ههنا على طريق التمثيل والتشبيه ، كما تقول العرب : قد وضع فلان رِجْله فى الباطل ، وتخطى[٢] إلى غير الواجب . ومعناه أنه انتقل إلى فعل ذلك ، كما يتنقل الماشى ، وإن لم يحرك قدمه ، ولم ينقل خطاه .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾[٣] وهذه استعارة . لأن حقيقة الاستواء إنما يوصف بها الأجسام التى تعلو البساط وتميل وتعتدل . والمراد بالاستواء ههنا :

---

(١) فى الأصل « بهما » بضمير المثنى . وهو تحريف من الناسخ . والصواب « بها » بضمير المفردة العائد على القدم .

(٢) فى الأصل هكذا « وتحطا » بدون إعجام وبرسم الفعل بألف بدل الياء .

الاستيلاء بالقدرة والسلطان، لا بحلول القرار والمكان . كما يقال :

استوى[١] فلانٌ الملكُ على سرير ملكه . بمعنى استولى على تدبير المُلك، وملك مقعد الأمر والنهى . وحسُن صفته بذلك وإن لم يكن له فى الحقيقة سرير يقعد عليه ، ولا مكان عالٍ يشار إليه . وإنما المراد نفاذ أمره فى مملكته ، واستيلاء سلطانه على رعيته .

فإن قيل : فالله سبحانه مستولٍ على كل شىء بقهره وغلبته ، ونفاذ أمره وقدرته ، فما معنى اختصاص العرش بالذكر ههنا ؟ قيل - كما ثبت - أنه تعالى رب لكل شىء . وقد قال فى صفة نفسه ، ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٢] فإن قيل : فما معنى قولنا عرش الله ، إن لم يرد بذلك كونه عليه ؟ قيل كما يقال : بيت الله وإن لم يكن فيه ، والعرش فى السماء تطوف به الملائكة تعبدا ، كما أن البيت فى الأرض تطوف به الخلائق تعبدا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ[٣] فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [١٠] وهذه استعارة على بعض الأقوال. كأنَّ المعنى أن بشراهم بالسلامة من المخاوف عند دخول الجنة تجعل مكان التحية لهم . لأن لكل داخلٍ دارا تحية يُلقى بها ، ويؤنس بسماعها . والسلام ههنا من السلامة ، لا من التسليم .

---

(١) ومنه قول الراجز :

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق

انظر « القرطبى » ج ٧ ص ٢٢٠ .

(٢) سورة التوبة . الآية رقم ١٢٩ ، والنمل الآية رقم ٢٦ ، والمؤمنون . الآية ٨٦ ، ونصها هنا « قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم » .

(٣) فى الأصل « تحيتهم » بغير واو . والصواب « وتحيتهم » بالواو عطفا على ماقبلها ، وهو قوله تعالى : « دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام » .

وقوله سبحانه : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ، وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا ﴾ [٢٤] . وهــذه استعارة حسنة ، لأن الزخرف فى كلامهم اسم للزِّينة واختلاف الألوان المونقة .

وقوله سبحانه : ﴿ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ [٢٤] . أى لبست زينتها بألوان الأزهار ، وأصابيغ[1] الرياض ، كما يقال : أخذت المرأة قناعها . إذا لبسته . وتقول لها : خذى عليك ثوبك . أى البسيه .

وقوله تعالى : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾[2] أى البسوا ثيابكم .

وقوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا ﴾ [٢٤] . استعارة أخرى ، لأن الحصيد من صفة النبات ، لا من صفة الأرض . والمعنى : فجعلنا نباتها كذلك . فاكتفى بذكر الأرض من ذكر النبات لأن النبات فيها ، ومَنْشَؤُهُ منها .

وقوله سبحانه : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ ٱللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ [٢٧] . على قراءة من قرأ بتحريك الطاء . وهــذه استعارة . لأن الليل على الحقيقة لا يوصف بأن له قطعا متفرقة، وأجزاءً متنصفة . و إنما المراد ــ والله أعلم ــ أن الليل لو كان مما يتبعض وينفصل لأشبه سواد وجوههم أبعاضه وقطعه . ونَصَبَ سبحانه (مظلما) على أنه حال من الليل . وفيه زيادة معنى . لأن الليل قد سمى ليلا و إن كان مقمرا ، فإنما قال سبحانه : مظلماً ، على أن التشبيه إنما وقع به أسودَ مايكون جلبابا ، وأَبْهَمَ أثوابا .

وقوله سبحانه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ﴾ [٦٧]

---

(١) فى الأصل « وأصابيع » بالعين المهملة . ولعلها كما أثبتناه بالغين المعجمة ، جمعا لأصباغ مثل أزهار وأزاهير . فتكون جمع الجمع لصبغ .

(٢) سورة الأعراف . الآية رقم ٣١ .

وهذه استعارة عجيبة . وقد أومأنا إلى نظيرها فيما تقدم . وذلك أنه سبحانه ـ إنما سمّى النهار مبصرا ، لأن الناس يُبصرون فيه ، فكأن ذلك صفة الشىء بما هو سبب له ، على طريق المبالغة . كما قالوا : ليل أعْمَى ، وليلةٌ عمياء . إذا لم يبصر الناس فيها شيئا لشدة إظلامها .

وقوله : ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴾ [٧١] . على قراءة من قرا : ﴿ فاجْمَعُوا ﴾ (١) . من الجَمْع ، لا على قراءة من قرأ : ﴿ فَأَجْمِعُوا ﴾ من الإجماع . وهـذه استعارة . والمعنى : اشتوروا فى أمركم ، وأجمعُوا له بالكُمْ ، و بالغوا فى قَدْح الرأى بينكم ، حتى لا يكون أمركم غمةً عليكم (٢) . أى مغطى تغطية حيرة ، ومُبْهَماً إبهام جهالة ، فيكونَ عليكم كالغمة العمياء ، والطخية الظلماء . وذلك مأخوذ من قولهم : غُمَّ الهلال . إذا تغطى ببعض الموانع التى تمنع من رؤيته . ثم افعلوا بى ما أنتم فاعلون .

وهـذه حكاية لقول نوح عليه السلام لقومه . ويخرُج الكلام منه على الاستقلال لكيدهم ، وقلة الحفل باستجماعهم واحتشادهم .

وقوله سبحانه . ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [٨٨] . وهـذه استعارة . لأن حقيقة الطمس محو الأثر . من قوْلهم : طَمَسْتُ الكِتَابَ . إذا محوت سطوره . وطمست الريح ربع الحىِّ . إذا محت رسومه . فكأنَّ موسى عليه السلام إنما دعا الله سبحانه بأن يمحو معارف أموالهم بالمسح لها ، حتى لا يعرفوها ، ولا يهتدوا إليها ، وتكونَ منقلبة عن حال الانتفاع بها ، لأن الطمس تغيُّرحال الشىء إلى الدثور والدروس .

---

(١) هى قراءة عاصم الجحدرى ، بوصل الألف وفتح الميم . من جمع يجمع

(٢) ومنه قول الشاعر الجاهلى طرفة :

لعمرك ماأمرى على بغمة نهارى ، ولا ليلى على بسرمد

وقوله تعالى : ﴿ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ [٨٨] استعارة أخرى . إما أن يكون المراد بها مايراد بالختم والطبع . لأن معنى الشد يرجع إلى ذلك . أو يكون المراد به تثقيل العقاب على القلوب ، بالإيلام لها ، ومضاعفة الغم والكرب عليها . و يكون ذلك على معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللّهمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَر »[1] أى غلِّظ عليهم عقابك ، وضاعف عليهم عذابك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً ، وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٠٥] وهذه استعارة . وقد أومأنا إلى مثلها فيما تقدم . والمراد بها : استقم على دينك ، واثبت على طريقك . وخص الوجه بالذكر ، لأن به يُعرف توجه الجملة نحو الجهة المقصودة وقد يجوز أن يكون المراد بذلك ـ والله أعلم ـ أقم وجهك أى قوِّمْه نحو القبلة التى هى الكعبة . مستمرا على لزومها ، وغير منحرف عن جهتها .

(١) هذا الحديث فى مسند ابن حنبل ج ١٢ ص ٢٥٠ بتحقيق المحدث الجليل الصديق الشيخ أحمد محمد شاكر . وقد ذكر الشيخ أن إسناده صحيح . وقد رواه ابن سعد فى الطبقات ، ورواه مسلم والبخارى فى صحيحيهما . ونص الحديث فى المسند : (لما رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة الأخيرة من صلاة الصبح قال : اللهم أنج الوليد بن الوليد ، وسلمة بن هشام ، وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة . اللهم اشدد وطأتك على مضر ، واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف) .

ومن السورة التى يذكر فيها

« هود » عليه السلام

قوله تعالى : ﴿ الٓر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [١] وهـذه استعارة . لأن آيات القرآن لما ورد فى بعضها ذكر الحلال والحرام ، واستمرت على ذلك بين وعد مقدم، ووعيد مؤخر ، ونذارة مبتدأ بها ، وبشارة معقب بذكرها شبه القرآن ـ لذلك ـ بالنظائم المفصلة ، التى توافق فيها بين الأشكال تارة ، وتؤلف بين الأضداد تارة ليكون ذلك أحسن فى التنضيد ، وأبلغ فى الترصيف . وهذه من بدائع الاستعارات

وقوله سبحـانه : ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ، أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [٥] وهذه استعارة . لأن حقيقة الشىء لا تتأتى فى الصدور . والمراد بذلك ـ والله أعلم ـ أنهم يثنون صدورهم على عداوة الله ورسوله ، صلى الله عليه وآله . وذلك كما يقول القائل : هذا الأمر فى طىٍّ ضميرى . أى قد اشتمل عليه قلبى . فيكون قوله تعالى : ﴿ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ ﴾ بمنزلة قوله يطوون صدورهم. ولفظ يثنون أعذب استماعا وأحسنُ مجازا .

وقيل أيضا : بل معنى ذلك أن المنافقين كانوا إذا اجتمعوا تخافتوا بينهم فى الكلام ، وحنَوا ظهورهم تطامنا عند الحوار ، خوفا منَ رمْق العيون ، ومراجم الظنون ، لوقوع مايتفاوضونه فى أسماع المسلمين . فإذا انحنت ظهورهم ، انثنت صدورهم . فأعلمَنا الله سبحانه أنهم وإن أغلقوا أبوابهم ، وأسدلوا ستورهم ، واستغشَوْا ثيابهم ـ بمعنى اشتملوا بها ، وبمعنى أدخلوا رءوسهم فيها على ماقاله بعضهم ـ فأنه تعالى يعلم غيب صدورهم ، ودخائل

قلوبهم،ومَرَامِزَ أعينهم، ومحاذف(١) ألسنتهم .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا(٢) ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَؤُوسٌ كَفُورٌ ﴾ [٩] وهذه استعارة لأن إذاقة الرحمةونَزْعَها ليسا بحقيقة ههنا . وإنما المراد بذلك أنا إذا رحمنا الإنسان بعد توبته من مواقعة [فى](٣) بعض الذنوب فقبلنا متابه ، وأسقطنا عقابه ، ثم وَاقعَ بعد ذلك ذنبا آخر، واستحقأن نعاقبه وأن نُزيل رحمتنا عنه،يئس من الرحمة وقنط من المغفرة . وليس الأمر كذلك ، لأنه إذا عَاوَد الإقلاع ، أَمِنَ الإيقاع .

وقد أخرج هذا الكلام مُخْرَجَ الذم لمن يواقع المعصية ، فيقنط من قبول التوبة . فمعنى أذقنا الإنسان منا رحمة . أى عرّفناه أنا قد رحمناه . إذ قد أوْجَبْنا قبول التوبة إذا أخلص العبد فيها ، وأتى بها على شروطها وحدودها .

ومعنى ﴿ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ ﴾ أى أزلنا عنه رحمتنا لأجل اقترافه المعصية التى اقترفها فى الثانى(٤) . وقد يجوز أن يكون المراد بالرحمة ههنا ـ والله أعلم ـ النعمة والسرّاء . ويكون انتزاعها منه بمعنى إبداله بها الشدة والضرّاء ، إجْرَاءً له فى مضمار الابتلاء والاختبار ، أو مصلحة يكون معها أقرب إلى الإصلاح(٥) والرشاد . ومما يقوّى ذلك قوله تعالى بعد هذه الآية : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّئَاتُ عَنِّى ، إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴾ [١٠]

---

(١) هكذا بالأصل . ولعلها مرامى الألسنة بالكلام كما يحذف بالحجر أى يرمى به

(٢) فى الأصل « وإذا أذقنا » وهو تحريف من الناسخ الذى كثر تحريفه حتى فى النص القرآنى . والصواب « ولئن أذقنا » .

(٣) هذه اللفظة بالأصل : ولعلها زائدة لأن المعنى يستقيم بدونها ،ولهذا وضعناها بين حاصرتين .

(٤) هكذا بالأصل ، ولم نهتد إلى تصويب لها .

(٥) فى المتن: الإصلاح ، وقد غيرت فى الهامش إلى « الصلاح » بدلا منها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ ﴾ [٢٨] الآية . وهذه استعارة . لأن الرحمة لا توصف بالعمَى و إنما يوصَفُ الناس بالعمَى عن تمييز مواقعها ، و إدراكِ مَوَاضعها . فلما وُصِفوا بالعمَى عنها حَسُنَ أن يوصَف بذلك فى القلب[1] . كما يقال : أدخلت الخاتم فى أصبعى ، والمِغْفَرَ فى رأسى . و إنما الأصبع دخلت فى الخاتم ، والرأس دَخَل فى المغفر . وقد يجوز أن يكون قوله سبحانه : ﴿ فَعُمِّيَتْ[2] عَلَيْكُمْ ﴾ . بمعنى خَفِيَتْ عليكم ، كما يقُول القائل : قد عَمِىَ علىَّ خبرهم . وعَمِىَ علىَّ أثرهم . أى خفِىَ عنى الأثر والخبر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ[3] تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا ﴾ [٣١] . وهذه استعارة . كما يقول القائل : اقتحمت فلانا[4] عينى ، واحتقره طرفى . إذا قبح فى منظر عينه خلقةً ، وصغر دمامةً . ليس أن العين على الحقيقة يكون منها الاحتقار ، أو يجوز عليها الاستصغار .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ ، إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴾ [٣٤] وذكر الإغواء ههنا من قبيل الاستعارة و إن لم يكن من صريحها . وكذلك لفظ المكر ، والاستهزاء ، وما يجرى هذا المجرى . لأن المراد بمعانى هذه الألفاظ غير المراد بظواهرها . فالمتعارف من الإغواء هو الدعاء إلى الغى والضلال . وذلك غير جائز على الله سبحانه ، لقبحه وورود أمره بضده . والمراد إذن بالإغواء ههنا تخييبه سبحانه

(١) ليس القلب هنا بمعنى الجارحة التى فى الجسم ، ولكنه القلب اللفظى والمعنوى ، كما تقول : أدخلت الخاتم فى الأصبع بدلا من أدخلت الأصبع فى الخاتم .

(٢) فعميت بالتشديد هى قراءة الأعمش وحمزة والكسائى .

(٣) فى الأصل « الذى » بصيغة المفرد ، وهو تحريف من الناسخ . والصواب « للذين بصيغة الجمع .

(٤) فى الأصل : فلان وهو تحريف من الناسخ

لهم من رحمته ، لكفرهم وذهابهم عن أمره . ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى:(١) ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا ٱلصَّلَاةَ وَٱتَّبَعُوا ٱلشَّهَوَاتِ ، فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ . أى خيبة من الرحمة ، وارتكاسا فى النقمة . وقد جاء لفظ الإغواء والمراد به التخييب فى كثير من منثور كلامهم ، ومنظوم أشعارهم .

ويجوز أن يكون الإغواء ههنا بمعنى الإهلاك لهم . ويجوز أن يكون بمعنى الحكم بالغواية عليهم.

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [٣٧] . وهذه استعارة . ومعناها : واصنع الفلك بأمرنا ، ونحن نرعاك ونحفظك . ليس أَنَّ هناك عينا تلحظ ، ولا لسانا يلفظ . وذلك كما يقول القائل : أنا بعين الله . أى بمكان من حفظ الله . ومن كلامهم للظَّاعن المشيَّع والحميم المودَّع : صحبتك عين الله . أى رعاية الله وحفظه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ، وَغِيضَ ٱلْمَاءُ ، وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ﴾ [٤٤] . الآية . وهذه استعارة . لأن الأرض والسماء لا يصح أن تؤمرا وتخاطبا . لأن الأمر والخطاب لا يكونان إلا لمن يعقل ، ولا يتوجهان إلا لمن يعى ويفهم . فالمراد إذن بذلك : الإخبار عن عظيم قدرة الله سبحانه ، وسرعة مضى أمره ، ونفاذ تدبيره . نحو قوله : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾(٢) . وهذا إخبار عن وقوع أوامره من غير معاناة ولا كلفة، ولا لغوب ولا مشقة .

---

(١) سورة مريم الآية رقم ٥٩ .

(٢) سورة النحل . آية رقم ٤٠ .

وفى هـذا الـكلام أيضا فائدة أخرى لطيفة . وهو أن قوله سبحانه : ﴿ يَا أَرْضُ ٱبْلَعِي مَاءَكِ ﴾ . أبلغ من قوله : ياأرض اذهبى بمائك . لأن فى الابتلاع دليلا(١) على إذهاب المـاء بسرعة . ألا ترى أن قولك لغيرك : ابلَـعْ هذا الطعام ، أبلغُ من قولك له : كل هذا الطعام ، إذا أردت منه إيصاله إلى جوفه بسرعة ؟ وكذلك الـكلام فى قوله سبحانه : ﴿ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ . لأن لفظ الإقلاع ههنا أبلغ من لفظ الانجلاء . لأن فى الإقلاع أيضا معنى الإسراع بإزالة السحاب ، كما قلنا فى الابتلاع . وذلك أدلُّ على نفاذ القدرة ، وطواعية الأمور ، من غير وقفة ولا لبثة ، هـذا إلى مافى المزاوجة بين اللفظين من البلاغة العجيبة ، والفصاحة الشريفة . إذ يقول سبحانه : ياأرض ابلعى ، وياسماء أَقلعى : ومثل هذا فى القرآن أكثر من أن يشار إليه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [٥٨] . وهـذه استعارة . لأن العذاب فى الحقيقة لا يوصف بالغلظ والدقة ، لأنه الألم الذى يلحق الحى فى قلبه أو جسمه . وإنما وَصَفَه تعالى بالغِلَظِ على طريقة كلام العرب ، لأنهم يصفون الأمر الهين بالضئولة والدقة ، كما يصفون الأمر الشاق بالغلظ والشدة ، حَمْلا لذلك على عرفهم فى المراعاة للشىء الغليظ الـكثيف ، وقلةِ الحفل بالشىء الدقيق الضئيل . ألا ترى إلى قولهم : عِرْضُ فلان دقيق ، وقدره ضئيل ؟ وإلى قولهم فى مقابلة ذلك : لقى فلان فلانا بـكلام غليظ ، وقولٍ ثقيل .

وقد يجوز أيضا ـ والله أعلم ـ أن يكون المراد بعذاب غليظ ههنا الصفة لعذاب الآخرة . والعذابُ إنما يقع بالآلات المستعظمة والأعيان(٢) المستفظعة ، مثل مقامع الحديد ، والحجارة

---

(١) فى الأصل « دليل » بالرفع وهو تحريف من الناسخ ، لأنه اسم أن مؤخرا فهو واجب النصب .

(٢) فى الأصل « كالأعيان » . ولا محل للتشبيه هنا بعد أن مثل بمقامع الحديد والحجارة المحماة بعد ذلك .

المحمّاة بالجحيم . فوصف سبحانه العذاب الغليظ ، لأنه واقع بالأشياء الغليظة ، والآلات الثقيلة ، فيكون ذلك مجازا من هذا الوجه .

ومما يقوِّى أن المراد بقوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ عذابُ الآخرة ، قولهُ تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُوداً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ﴾(١) وهذه النجاة من عذاب الدنيا . ثم قال تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ فدلَّ على أن النجاة من العذاب الأول غير النجاة من العذاب الآخر . وأن الأول عذاب الدنيا ، والثانى عذاب الآخرة ، لأن العطف بالواو يقضى بذلك ، وإلاَّ كان وَجْهُ الكلام : فلما جاء أمرنا نجَّينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا من عذاب غليظ ، ولم يكن لقوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمْ ﴾ ثانيا معنى .

وقوله سبحانه حاكيا عن لوط عليه السلام : ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ [٨٠] وهذه استعارة والمراد بها : لو كُنت آوِى إلى كثرة من قومى ، وَعَددٍ من أهلى . وجعلَهُم ركنا له ، لأن الإنسان يلجأُ إلى قبيلته ، ويستند إلى أعوانه ومنعته ، كما يستند إلى ركن البناء الرصين ، والنضد الأمين(٢) .

وجاء جواب لو ههنا محذوفا . والمعنى ، لو أننى على هذه الصفة لحلت بينكم وبين ماهممتم به من الفساد وأردتموه من ذنوب فحشاء . والحذف ههنا أبلغ ، لأنه يوهم المتوعَّد بعظيم الجزاء ، و بغليظ النكال ، ويصرف وهمه الى ضروب العقاب ، ولا يقف به عند جنس من أجناس المخوفات المتوقعات .

---

(١) سورة هود . الآية رقم ٥٨ .

(٢) النضد من الجبل: ماتراكم منه . والجمع أنضاد .

وليس مخرج هذا الكلام من لوط عليه السلام ، على ما ظنّه مَنْ لا معرفة له ، وقدح فيه بأن قال : ألم يكن يأوى إلى الله سبحانه ؟ فما معنى هذا القول الذى قاله ؟ وذلك أن لوطا على ماذكرنا إنما أراد الأعوان من قومه ، والأركان المستند إليهم من قبيلته ، وهو يعلم أن له من معونة الله سبحانه أشد الأركان ، وأعز الأعوان ، إلا أن من تمام إزاحة العلة فى التكليف حضور الناصر ، وقُرْبَ المُعاضد والمرافد .

وقوله سبحانه فى صفة الحجارة المرسلة على قوم لوط : ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ ، وَمَاهِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾ [٨٣] وهذه استعارة . لأن حقيقة التسويم هى العلامات التى يعلَّم بها الفرسان والأفراس فى الحرب ، للتمييز بين الشعارات ، والتفريق بين الجماعات .

قال الله سبحانه : ﴿ يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾ (١) وقرئ (٢) ﴿ مُسَوَّمِينَ ﴾ بفتح الواو . وقال الله سبحانه : ﴿ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ (٣) والمعنى أنه سبحانه لما جعل تلك الحجارة حربا لهم وأعوانا عليهم وصفها بوصف رجال (٤) الحرب وخيولهم ، فكأنها مرسلة من عند الله ، أى من عند ملائكة الله الذين تولَّوا الرمى بها ، إرسال الخيول المسوَّمة على أعدائها ، وإن لم يكن هناك تسويم على الحقيقة .

وقد قال بعضهم : إن تلك الحجارة كانت على الحقيقة معلَّمة بعلامات تدل على أنها أعدت للعذاب ، وأفردت للعقاب . وذلك أملأ للقلوب ، وأعظم فى الصدور .

---

(١) فى الأصل « يمددكم بخمسة آلاف ... » بدون ذكر لفظة ربكم وقد أغفلها الناسخ غفر الله له جريا على عادته من الإغفال والإهمال . وهذه هى الآية رقم ١٢٥ من سورة آل عمران .

(٢) مسومين بالفتح هى قراءة ابن عامر وحمزة والكسائى ونافع أما مسومين بكسر الواو فهى قراءة أبى عمرو وابن كثير وعاصم .

(٣) سورة آل عمران . الآية رقم ١٤ .

(٤) فى الأصل « الرجال الحرب » وهو تحريف من الناسخ .

وقوله سبحانه : ﴿ (١) وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾[٨٤].

وهذه استعارة من وجهين: أحدهما وَصْف اليوم بالإحاطة ، وليس بجسم فيصح وصفه بذلك . والوجهُ الآخر : أن لفظ محيط ههنا كان يجب أن يكون من نَعْتِ العذاب ، فيكون منصوبا . فَجَعَلَهُ ـ سبحانه ـ من نعت اليوم فجاء مجرورا، فأما وصف اليوم بالإحاطة ـ وإن لم يتأتَّ فيه ذلك ـ فالمراد به ـ واللهُ أعلمُ ـ أنَّ العذاب لما كان يعمُّ المستحقين له فى يوم القيامة حَسُنَ وصف ذلك اليوم بأنه محيطٌ بهم أى أنه كالسياج المضروب بينهم وبين الخلاص من العذاب والإفلات من العقاب . وأما نَقْلُ نَعْتِ العذاب إلى نَعْتِ اليوم ، فالوجْهُ فيه أن العذاب لما كان واقعا فى ذلك اليوم كان ذلك اليوم كالمحيط به ، لأنه ظرف لِحُلُوله ، ووقتٌ لنزوله .

وقوله سبحانه : ﴿ بَقِيَّةُ اللهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٦] وهذه استعارة . لأن حقيقة البقية تركة(٢) شىء من شىء قد مضى ، ولا يجوز إطلاقه على الله سبحانه. فإذَنْ يجب أن يكون المراد غير هذه الحقيقة . وقد قيل فى معنى ذلك وجوه : أحدها بقية الله من نعمته خير لكم . وقد قيل : بقيةُ الله طاعةُ الله ، وذلك لأنها تُبقى رضاه وثوابه أَبَدًا ما بقيتْ . وقيل بقيةُ الله أى عَفْوُ الله عنكم ورحمته بكم (٣) بعد استحقاقكم العذاب ، كما يقول العرب المتحاربون بعضُهم لبعض ، إذا استحرَّ فيهم القتل ، وأعضلهم الخطب : البقية ! البقيَّةَ ! أى نسألكم البقية علينا والمكافأة لنا . والبقية ههنا والإبقاء بمعنى واحد .

---

(١) فى الأصل « إنى أخاف عليكم » بدون واو وهى ناقصة من الناسخ .
(٢) فى الأصل « تركه » بالهاء لا بالتاء المربوطة .
(٣) فى الأصل « ورحمته لكم » .

وقوله سبحانه : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ، أَوْ أَنْ[1] نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ [٨٧] وهـذه استعارة . لأن الصلاة لا يصح منها الأمر على الحقيقة ، وإنما أُطلق عليها ذلك ، لأنها بمنزلة الآمر بالخير ، والناهى عن الشر .

وقيل : المراد بذلك : أدينك يأمرك بهذا ؟ أى فى شريعتك ودينك الأمر بهذا ؟ فإذا كان ذلك فى عقْد الدين حَسُنَ أن يضاف الأمر به إلى الدين :

وفى هـذا الـكلام أيضا مجاز آخر . وهو أنه تعالى قال : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [٨٧] وليس يصح على ظاهر الـكلام أَنْ يُؤمَر شعيب بأن يترك قومه شيئا هم عليه ، وإنما المعنى ــ والله أعلم ــ أصلاتك تأمرك أَنْ تأمرنا بترك مايعبُدُ آباؤنا ؟ فاكتفى بذكر الأمر الأول عن ذكر الأمر الثانى ، لأنه كالمعلوم من فحوى الـكلام . وهذا من غوامض أسرار القرآن .

وقوله سبحـانه : ﴿ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ ، وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [٩٢] . فهـذه استعارة . لأن الله سبحانه لا يجوز عليه أن يُجعل ظهريا على الحقيقة . فالمراد أنـكم جعلتم أَمْر الله سبحانه وراء ظهوركم . وهـذا معروف فى لسان العرب أن يقول الرجل منهم لمن أَغفلَ قضاء حاجته ، أو ثنى عطفا على عـذله وعتابه : جعلتَ حاجتى وراء ظهرك ، وتركت مقالى دَبْر أذنك . أى لم تعن بحاجتى ، ولم تصغ إلى معاتبتى .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ ، فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [٩٤] . وهـذه استعارة ، لأن حقيقة الأخذ إنما يوصف بها الأجسام . والصيحة عَرَض من الأعراض ، لأنها بعض الأصوات ، إلا أنها أقوى للأسماع صكا وقرعا ،

---

(١) فى الأصل « وأن نفعل ... » وهو تحريف من الناسخ .

وأبلغُ فى القلوب وَجَلا ورَوْعا . . والمراد أن هلا كهم لما كان عن الصيحة حسُنَ أن يقال: إنها أخذتهم بمعنى ذهبت بنفوسهم ، وأتت على جمعهم .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ، وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً ، وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [٩٨ ـ ٩٩] فقوله تعالى : ﴿ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ و ﴿ وَبِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ استعارتان . لأنه تعالى جَعَلَ فرعون فى تقدمه قومه إلى النار بمنزلة الفارط [١] المتقدم للوارد إلى الورد ، كما كان فى الدنيا متقدمهم إلى الضلالة ، وقائدَهم إلى الغواية ، وجَعَلَ النار بمنزلة الماء الذى يورَدُ ، ثم قال تعالى : ﴿ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ لأنه وِرْد لا يُجيز [٢] ، الغصة ، ولا ينقع الغلة .

وقد اختلف العلماء فى قوله تعالى : ﴿ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴾ . وهل ذلك ذم لنار جهنم على الحقيقة أو المجاز ، فقال أبو على [٣] محمد بن عبد الوهاب الجبَّائى : ذلك على طريق المجاز ، والمعنى بِئْسَ وارد النار . وقال أبو القاسم البلخى [٤] : بل ذلك على طريق الحقيقة .

فأما قوله سبحانه : ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [٩٩] فإنما قلنا إنه استعارة ، لأن حقيقة الرِّفد العطية . يقال رَفَده يَرْفِدُه رَفْدا ورِفْدًا بفتح الراء وكسرها . ولكن اللعنة لما جُعلتْ بدلا من الرفد لهم عند انتقالهم من

---

(١) الفارط : اسم فاعل من فرط بمعنى سبق وتقدم ، انظر القاموس المحيط .

(٢) هكذا بالأصل

(٣) أبو على محمد الجبائى كان رأسا من رءوس المعتزلة وشيخ علماء الكلام فى عصره . وتنسب إليه طائفة « الجبائية » والجبائى نسبة إلى «جبى» من قرى البصرة . توفى سنة ٣٠٣ هـ . وذكر ابن حوقل فى « المسالك والممالك » أن جبى مدينة ورستاق عريض مشتبك العمائر بالنخل وقصب السكر وغيرهما ، ومنها أبو على الجبائى الشيخ الجليل إمام المعتزلة ورئيس المتكلمين فى عصره .

(٤) أبو القاسم البلخى هو عبدالله بن أحمد الكعبى ، كان رأس طائفة من المعتزلة يقال لهم الكعبية . والكعبي نسبة إلى بنى كعب ، والبلخى نسبة إلى بلخ إحدى مدن خراسان . توفى سنة ٣١٧ هـ .

دار إلى دار ، على عادة المنتجع المسترفد أو الرجل المتزود ، جاز أن يسمى رِفدا ، على طريق المجاز ، كما قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] والبشارة فى الأعم الأغلب إنما تكون بالخير لا بالشر . ولكن لما جَعَل إخْبارهم باستحقاق العذاب فى موضع البشارة لغيرهم باستحقاق الثواب جاز أن يسمى فى ذلك بشارة .

وقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾[١٠٠] . وهذه استعارة . والمعنى : منها قائم البناء ، خالٍ من الأهل ، ومنها منقوض الأبنية ، ملحقٌ بالأرض ، تشبيها بالزرع المحصود . إلى هذا المعنى يومىء قوله تعالى : ﴿ وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴾[2] . وقوله سبحانه : ﴿ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾[3] .والعروش الأبنية . أى خالية من أهلها ، على ما فيها من بواقى أبنيتها .

وقد يجوز أن يكون ذلك كنايةً عن أهل القرى ، فكأنه سبحانه شبَّه الأحياء الباقين بالزرع النامى ، وشبَّه الأموات الهالكين بالزرع الذاوى . وذلك أحسن تمثيل ، وأوقع تشبيه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[١١٩] . وهذه استعارة . والمراد ههنا بتمام كلمة الله سبحانه صِدْقُ وعيده الذى تقدَّم الخبر به ، وتمام وقوع مُخْبَرِه مطابقا لخبره

---

(١) سورة آل عمران . الآية رقم ٢١ .

(٢) سورة الحج . الآية رقم ٤٥ .

(٣) سورة البقرة . الآية رقم ٢٥٩ .

ومن السورة التي يذكر فيها

« يوسف عليه السلام »

قوله : ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ ﴾ [٤] . وهذه استعارة ، لأن الكواكب والشمس والقمر مما لا يعقل ، فكان الوجه أن يقال . ساجدة . ولكنها لما أطلق عليها فعل من يعقل ، جاز أن توصف(١) بصفة من يعقل ، لأن السجود من فعل العقلاء . وهذا كقوله سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ، لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ﴾ (٢) فلما كانت النمل فى هذا القول مأمورة أمر مَنْ يعقل جرَى الخطابُ عليها جرْيهُ على من يَعْقل . مِثْلُ ذلك قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ (٣) لأنها لما شهدت عليهم شهادة العقلاء المخاطبين أُجْرُوا ـ كما فى هذا الخطاب ـ مُجْرى العقلاء المخاطبين . ومن الشاهد على ذلك قول عبدة بن الطبيب .

إذْ أَشْرَفَ الدِّيكُ يَدْعُو بَعْضَ أُسْرَته ... لَدَى الصَّباح وَهُمْ قومٌ مَعَازِيلُ (٤)

---

(١) فى الأصل « يوصف » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة النمل الآية رقم ١٨ وتكملة الآية (لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) .

(٣) سورة فصلت الآية رقم ٢١ .

(٤) هذا البيت من قصائد « المفضليات » للضبى . والقصيدة كلها كاملة فى ديوان المفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ـ ص ١٣٣ ـ ١٤٣ جـ ١ . وترجمة عبدة بن الطبيب فى اللآلى ، والأغانى ، والإصابة ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ، وهو صاحب البيت المشهور فى الرثاء :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ... ولكنه بنيان قوم تهدما

فلما جعله بمنزلة الداعى جعل الديكة بمنزلة القوم المدعوِّين ، وجَعَلهم أسرة له ، وأسرة الرجل قومُهُ ورهطه . والمعازيل الذين لاسلاح معهم . فكأنه جعله مستنصرا مَنْ لا نُصرة له ولا غَناء عنده . وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[1] على أحد القولين . فكأنه سبحانه رَدَّ خاضعين إلى أصحاب الأعناق لا إلى الأعناق ، لأن الخضوع منهم يكون على الحقيقة .

وقد يجوز أيضا أن يكون قوله فى ذكر الكواكب والشمس والقمر : ﴿ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ إنما حَسُن على تأويل تلك الرؤيا . وتأويلُها يتناوَلُ من يَعقل مِنْ إخوة يوسف وأبويه . فجَرَى الوصف على تأويل الرؤيا ، ومصيرِ العُقْبَى . وهذا موضع حسن ، ولم يمض لى كمن[2] تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ [١٨] وهذه استعارة . لأن الدم لا يوصَف بالكذب على الحقيقة . والمراد بذلك ــ والله أعلم ــ بدم مكذوبٍ فيه ، والتقدير بدم ذى كَذِب . وإنما يوصَف الدم بالمصدر الذى هو (كَذِبٌ) على طريق المبالغة . لأن الدعوى التى[3] علقت بذلك الدم كانت غايةً فى الكذب .

وقال بعضهم : قد يجوز أيضا أن يكون « كذب » ههنا صفةً لقول محذوف يدلُّ عليه الحال . فكأنَّ التقدير : وجاءوا على قميصه بدم ، وجاءوا بقولٍ كَذبٍ ، إذ كانت إشارتهم إلى آثار الدم فى القميص قد صحبها قول منهم يؤكد تلك الحال ، وهو قولهم : ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ ﴾ [١٧] . والقول الأول

---

(١) سورة الشعراء . الآية رقم ٤ .

(٢) هكذا بالأصل . وصوابه كما تقدم .

(٣) فى الأصل « الذى » وهو خطأ ، فالدعوى مؤنثة لامذكرة . وهو تحريف من الناسخ .

أصوب . ومن غرائبِ التفسير مارُوى عن أبى عمرو بن [١] العَلَاء أنه قال : سمعت بعض الرواة يقول : بدم كدب بالإضافة من الدال[٢] . وقال : هو الجدْىُ فى كلام الكنعانيين ، وأنشد لبعضهم :

ظلَّت دماء بنى عوف كأنهم عند الهياج رعاة بين أكْدابِ

وقيل : إنهم لطخوا قميص يوسف عليه السلام بدم ظبى ذبحوه .

وقوله سبحانه : ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [١٨] وهذه استعارة . وحقيقة التسويل تزيين الإنسان لغيره أمرا غير جميل . جَعَل سبحانه أنفسهم لمَّا قوِى فيها الإقدام على ذلك الأمر المذموم بمنزلة الغير الذى يحسِّن لهم فعل القبيح ، ويحملهم على ركوب العظيم .

وقوله سبحانه : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [٣٠] وهذه استعارة . والمراد بها أن حبه تغلغل إليها ، حتى أصاب شغافها ، وهو غشاء قلبها . كما تقول : بطنْتُ الرَّجُل . إذا أصبت بطنه . ويقال : معنى شَغَفَها أى سَلَب شغاف قلبها ، على طريق المبالغة فى وصف حبها له ، كما تقول: سلبت الرَّجُل إذا أخذت سَلَبَهُ .

وقوله سبحانه : ﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ، وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾ [٤٤] وهذه أبلغ استعارة وأحسن عبارة لأن أحَدَ الأضغاث : ضِغْثَ . وهو الخليط من الحشيش المضموم بعضُه إلى بعض ، كالحزمة وما يجرى مَجراها ، فشبه سبحانه اختلاط الأحلام ، وما مر به الإنسان من المحبوب والمكروه ، والمساءة والسرور باختلاط الحشيش المجموع من أخياف [٣] عدة ، وأصناف كثيرة .

---

(١) أبو عمرو بن العلاء . واسمه زبان بن عمار كان إماما فى اللغة والأدب وكان أعلم الناس بالأدب والقرآن والشعر وأعراب الجاهلية . توفى سنة ١٥٤ بالكوفة . وله ترجمة موجزة فى « الزهر » للسيوطى . وانظر « الأعلام » للزركلى .

(٢) وقرأ الحسن وعائشة « بدم كدب » بالوصف لابالإضافة ، وبالدال المهملة أى بدم طرى . يقال للدم الطرى : الكدب .

(٣) الأخياف : جمع خيف وهو كل هبوط وارتقاء فى سفح الجبل ، أومارتفع عن مسيل الماء .

وقوله سبحانه ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ﴾[٤٨] . وهذه استعارة . والمراد بالسَّبع الشداد : السِّنون المجدبة . ومعنى ﴿ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ﴾ ، أى ينفد فيهن ماادخرتموه لهن من السنين المخصبة .

وجرى على ذلك عادة العرب فى قولهم: أكلتْ آل فلان السَّنة . يريدون مسَّهم الضر فى عام الجدب ، وزمان الأزل (١) . حتى كأنهم ليسمون السنة المجدبة : الضَّبُع . فيقولون : أكلتهم الضَّبُع . أى نهكتهم سنة الجدب .

وقال بعضهم : إنما نسب تعالى الأكل إليهن لأن الناس يأكلون فيهن ماادخروه ، ويستنفدون ماأعدوه . كما يقال : يوم آمن . وليل خائف . أى يأمن الناس فى هـذا ، ويخافون فى هذا .

وقوله سبحانه : ﴿ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴾(٢) [٥٢] . [وهذه استعارة . لأنه تعالى أقام كيد الخائنين] (٣) مقام الخابط فى طريق ، ليصل إلى مضرة المكيدة وهو غافل عنه . فأعلمنا سبحانه أنه لا يهديه ، بمعنى لا يوفقه لإصابة الغرض ، ولا يسدده لبلوغ المقصد ، بل يدعه يخبط فى ضلاله ، ويتسكع فى متاهه ، لأنه كالسَّارى فى غير طاعة الله ، فلا يستحق أن يُهدى لرشد ، ولا يتسدد لقصد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ، إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ، إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾ [٥٣] . وهـذه استعارة . لأن النفس لا يصحُّ أن تأمر على الحقيقة .

---

(١) الأزل : الضيق والشدة والداهية .

(٢) أصل الآية كاملة : (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدى كيد الخائنين) .

(٣) كرر الناسخ هذه العبارة المحصورة بين حاصرتين مرة أخرى فى أثناء النسخ .

ولكن الإنسان لما كان يتبع دواعيها إلى الشهوات ، وينقاد بأزمتها إلى المقبّحات ، كانت بمنزلة الآمر المطاع ، وكان الإنسان بمنزلة السامع المطيع . وإنما قال سبحانه : ﴿ لَأَمَّارَةٌ ﴾ . ولم يقل لآمرةٌ ، مبالغة فى صفتها بكثرة الدفع فى المهاوى ، والقوْد إلى المغاوى . لأن « فعّالا »[1] من أمثلة الكثير ، كما أن « فاعلا » من أمثلة القليل .

وقوله سبحانه : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاء ﴾ [٧٦] . وهذه استعارة . لأنه ليس هناك على الحقيقة بناء يوطد ، ولا درجات تشيد . وإنما المراد به تعلية[2] معالم الذكر فى الدنيا ، ورفع منازل الثواب فى الآخرة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ، وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [٨٢] . وهذه استعارة من مشاهير الاستعارات . والمراد : واسأل أهل القرية التى كنا فيها ، وأصحابَ العير التى أقبلنا فيها . ومما يكشف عن ذلك قوله تعالى فى السورة التى يذكر فيها الأنبياء عليهم السلام : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾[3] . والقرية هى الأبنيَة المفروشة ، والخطط المسكونة لا يصح منها عمل الخبائث ، فعُلم أن المراد بذلك أهلها . ومن الشاهد على ذلك أيضا . قوله سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[4] . وقال بعضهم : إن القرية هى الجماعة المجتمعة ، لا الأبنية المشيدة . وذلك مأخوذ من قولهم : قَرَى الماءَ فى الحوض . إذا جمعه . والعير : هى الإبل وفيها أصحابها . وإنما أنث سبحانه ضمير القرية

---

(١) فعال : أى الصيغة التى على وزن فعال . وهذه تدل على الكثرة والمبالغة فالرجل القتال هو الكثير القتل .

(٢) فى الأصل (لعليه) بدون إعجام الحروف .

(٣) سورة الأنبياء . الآية رقم ٧٤ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية رقم ٧٧ .

بقوله : ﴿ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ على اللفظ كما يقول القائل : قامت تلك الطائفة ، وتفرقت تلك الجماعة ، على اللفظ . ويحسُن منه أن يقول عقيب هـذا الـكلام : وأكلوا ، وشربوا ، وركبوا ، وذهبوا ، حَمْلا على المعنى دون اللفظ . كما قال تعالى : ﴿ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ ٱلْخَبَائِثَ ﴾ . ثم قال سبحانه : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ ﴾ على المعنى .

وكذلك القول فى العِير ، فإنما أنَّث ضميرها على اللفظ ، لأن العِير مؤنثة .

قال تعالى فى هذه السورة : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ ﴾ [٩٤] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ ٱللَّهِ ﴾ [٨٧] وهـذه استعارة . والمراد ولا تيئسوا من فرَج الله . والرَّوحُ هو تنسيم الريح ، التى يلذّ شميمها ، ويطيب نسيمها . فشبه تعالى الفرج الذى يأتى بعد الـكربة ، ويطرق بعد اللزبة[1] بنسيم الريح الذى ترتاح القلوب له ، وتثلج الصدور به . ومثلُ ذلك ماجاء فى الخبر : (الريح من نَفَس الله)[2] أى من تنفيسه عن خلقه . يريد سبحانه أن القلوب تستروح إليها ، كما يستروح المـكروب إلى نفسه ، وذو الخناق إلى تنفسه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [١٠٧] . وهـذه استعارة . والمراد بذلك المبالغة فى صفة العذاب بالعموم لهم ، والإطباق عليهم ، كالغاشية التى تشتمل على الشىء ، فتجلله من جميع جنباته ، وتستره عن العيون من كل جهاته .

---

(١) اللزبة : الشدة والقحط . يقال سنة لزبة أى شديدة .

(٢) وفى « نهاية الأرب » ج ١ ص ٩٥ روى عن رسول الله أنه قال (الريح من روح الله تعـالى تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب ، فلا تسبوها ، واسألوا الله خيرها ، واستعيذوا بالله من شرها) أخرجه البيهقى فى سننه .

ومن السورة التي يذكر فيها

« الرعد »

قوله تعالى : ﴿ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [٥] . وجديدٌ ههنا استعارة . لأن أصله ههنا مأخوذ من الجدِّ ، وهو القطع . يقال : قد جَدَّ الثوب ، فهو جديد بمعنى مجدود . إذا قطع من منسجه ، أو قطع لاستعمال لابسه . والمراد — والله أعلم — إنا لفي خلق جديد ، أى قد فُرغ من استئنافه ، وأعيد إلى موضع ثوابه وعقابه ، فصار كالثوب الذى قطع[1] منسجه بعد الفراغ من عمله .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ[2] بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ﴾ [٦] . وهذه استعارة والمراد بها مُضِىُّ المثلات — وهى العقوبات — للأمم السالفة قبلهم ، وتقدُّمُها أَمامهم . وقولهم : خَلَت الدار . أى مضى سكانها عنها . وخَلَوْا هم . أى مَضَوا عن الدار وتركوها . وقولهم : القرون الخالية . أى الماضية .

والعقوباتُ على الحقيقة لم تمض[3] ، وإنما مضى المعاقَبون بها . فكأنهم ذُكِّرُوا بالعقوبات الواقعة قبلهم ليعتبروا بها .

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها : قطع من منسجه .

(٢) بالأصل : « يستعجلونك » بدون واو . وقد تركها الناسخ جريا على عادته ..

(٣) فى الأصل : لم يمض وهو تحريف من الناسخ . والعقوبات هى المثلات التى قال الله فيها إنها قد خلت من قبلهم .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ ، وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ [٨] . وهذه استعارة عجيبة . لأن حقيقة الغيض إنما يوصَف بها الماء دون غيره . يقال : غاضَ . الماء وغِضْتُه(١) ولكن النطفة لما كانت تسمّى ماءً ، جاز أن توصف الأرحام بأنها تَغيضُها فى قرارتها ، وتشتمل على نُفاعاتها(٢) . فيكون ما غاضته(٣) من ذلك الماء سببا لزيادة ، بأن يصير مضغة ، ثم علَقة ثم خلقةً مصوَّرة . فذلك معنى قوله : ﴿ وَمَا تَزْدَادُ ﴾ . وقيل أيضا : معنى ﴿ مَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ ﴾ . أى ماتنقُصُ بإسقاط العَلق ، و إخراج الخلق . ومعنى : ﴿ مَا تَزْدَادُ ﴾ أى ماتلدُهُ لتمام ، وتؤدى خَلْقه على كمال . فيكون الغيض ههنا عبارةً عن النقصان ، والازديادُ عبارةً عن التمام .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ، وَٱلْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ ﴾ [١٣] . وهـذه استعارة . لأن التسبيح فى الأصل تنزيه الله سبحانه عن شبهِ المخلوقات ، وتبرئته من مدانس الأعمال ، وقبائح الأفعال . وهـذا لا يتأتى من الرعد ، الذى هو اصكاك أجرام السحاب بعضها ببعض . فالمراد ـ والله أعلم ـ أن أصوات الرعود تَقْوى بها الدلالة على عظيم قدرة الله سبحانه ، و بعده عن شُبَهِ الخليقة المقدَّرة ، وصفات البريَّة المدبَّرة . إذ كان الرعد كما قلنا إنما تغلُظ أصواته ، وتعظم هزّاته على حسب تعاظم صفحات السحاب الممتدة ، وتراكم الغيوم المطبقة . وهى مع هـذه الأحوال ، من ثقل أجرامها ، وتكاثف غمامها معلقة بمناطات الهواء الرقيق ، لولا دعائم القدرة وسماكها ، وعلائق الجبْرية ومساكها لما حمل عشر معشارها ، ولا استقل ببعض أجزائها .

---

(١) غاض الماء : نقص . وغضته أنا أى نقصته .

(٢) النفاعات : جمع نفاعة وهو الشىء الذى ينتفع به .

(٣) فى الأصل ماغفضته . وهو تحريف من الناسخ .

ومن عجيب أحواله أنه أيضا مع ماذ كرنا من تثاقل أردافه ، وتعاظل[١] التفافه ينفش[٢] انفشاش الهباء المتداعى ، والغثاء المتلاشى . إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار .

ومعنى تسبيح الرعد بحمده سبحانه : دلالتُه على أفعاله التى يستحق بها الحمد ، كما يقول القائل : هذه الدار تنطق بفناء أهلها . أى تدل على ذلك بخلاء ربوعها ، وتهدُّم عروشها .

وقد يجوز أن يكون معنى : ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ أن الرعد يضطر الناسَ إلى تسبيح الله سبحانه عند سماعه ، فحسُنَ وصفُه بالتسبيح لأجل ذلك ، إذ كان هو السببَ فيه . وهذا معروف فى كلامهم .

وقوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ، وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[١٥] . وهذه استعارة . لأن أصل السجود فى اللغة الخضوع والتذلل . إمَّا باللسان الناطق عن الجملة أو بآثار الصنعة وعجائب الخلقة . ثم نقل فصار اسما لهذا العمل المخصوص الذى هو من أركان الصلاة ، لأنه يدل على تذلُّل الساجد لخالقه ، بتطامُن شخصه ، وانحناء ظهره . وقد ذكر فى بعض الأخبار أن جدنا جعفر[٣] بن محمد عليهما السلام سئل عن العلة فيما كلف الله سبحانه من أعمال الصلاة وسائر العبادات ، فقال : أراد الله

(١) التعاظل : هو تكاثر الشيء وركوب بعضه فوق بعض . ومنه المعاظلة فى الكلام أى تعقيده وموالاة بعضه فوق بعض .

(٢) انفش : أى سكن ولان بعد شدة .

(٣) جعفر بن محمد هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن الحسين رضى الله عنهم . وهو سادس الأئمة الاثنى عشر . وكان واسع العلم ، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك وجابر بن حيان . ولقب بالصادق لأنه لم يعهد عليه كذبة قط . توفى سنة ١٤٨ هـ بالمدينة .

سبحانه بذلك إذلال الجبارين . فإذا تمهد ماذكرنا كان فى ذكر « الظلال » فائدة حسنة ، وهو أن الظل الذى هو فى سجود الشخص وهو غير قائم بنفسه، إذا ظهرت فيه أعلام الخضوع للخالق تعالى بما فيه من دلائل الحكمة وعجائب الصنعة ، كان ذلك أعجب من ظهور هذه الحال فى البنية القائمة بنفسها، والمعروفة بشخصها .

وقوله سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ ، فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ، وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ [١٧] . وهذه استعارة . والمراد بضرب الأمثال ـ والله أعلم ـ معنيان : أحدهما أن يكون تعالى أراد بضربها تسييرها(١) فى البلاد ، و إدارتها على ألسنة الناس . من قولهم : ضَرَبَ فلان فى الأرض . إذا توغل فيها وأبعد فى أقاصيها . ويقوم قوله تعالى : ﴿ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴾ مقام قوله ضَرَبَ بها فى البلاد .

والمعنى الآخر فى ضَرْب المثل أن يكون المراد به نَصْبَه للناس بالشهرة ، لتستدل عليه خواطرهم ، كما تستدل على الشىء المنصوب نواظرهم . وذلك مأخوذ من قولهم : ضربت الخباء . إذا نصبته ، وأثبتُّ طُنبه(٢) ، وأقمت عَمَده . و يكون قولهُ سبحانه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ ﴾ [١٧] . إلى هذا الوجه . أى ينصب منارهما ، و يوضح أعلامهما ، ليعرف المكلفون الحق بعلاماته فيقصدوه ، و يعرفوا الباطل فيجتنبوه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ [٣٣] وهذه استعارة .

---

(١) فى الأصل : تسيرها وهو تحريف فى النسخ .

(٢) الطنب : حبل طويل يشد به سرادق البيت . والجمع أطناب .

والمراد به أنه تعالى مُحْصٍ على كل نفس ما كسبت ، ليجازيها به . وشاهد ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾[1] . أى مادمت له مطالبا ، ولأمره مراعيا ، لا تمهله للحيلة ، ولا تنظره لِلغِيلْة[2] . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

وإذا لم يصح إطلاق صفة القيام على الله سبحانه حقيقة ، فإن المراد بها قيام إحصائه على كل نفس بما كسبت ، ليطالبها به ، ويجازيها عنه بحسبه . والقيام والدوام ههنا بمعنى واحد . والماء الدائم هو القائم الذى لا يجرى .

وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ [٤١] . وهذه استعارة . وقد اختلف الناسُ فى المراد بها ، فقال قوم : معنى ذلك نقصان أرض المشركين ، بفتحها على المسلمين . وقال آخرون : المراد بنقصانها : موتُ أهلها ، وقيل موت علمائها .

وعندى فى ذلك قول آخر ، وهو أن يكون المراد بنقص الأرض ـ والله أعلم ـ موت كرامها . وتكون الأطراف ههنا جَمْعَ طِرْفٍ . لا جمع طرَف ، والطِّرف هو الشيء الكريم . ومنه سُمِّيَ الفرَسُ طِرْفا ، إذ كان كريما . وعلى ذلك قول أبى الهندى[3] الرياحى :

شربنا شربة من ذات عرق ... بأطراف الزجاج من العصير

أى بكرائم الزجاج . ولم يمض فى هذا القول لأحد .

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٧٥ .

(٢) الغيلة بكسر الغين : الخديعة والاحتيال .

(٣) فى الأصل : أبو الهند وهو تحريف من الناسخ . واسمه عبد المؤمن بن عبد القدوس ، وهو من بنى زيد بن رياح . وقد ترجم له ابن قتيبة فى « الشعر والشعراء » ص ٦٦٣ من طبعة عيسى الحلبى بتحقيق الاستاذ الشيخ أحمد محمد شاكر ، وذكر صاحب « العقد الفريد » خبرا له وطرفا من أقواله ونوادر شرابه جزء ٦ ص ٣٤٢ .

ومن السورة التى يذكر فيها

« إبراهيم عليه السلام »

قوله سبحانه : ﴿ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [٥] وهذه استعارة . والمراد بها ـ واللهُ أعلم ـ التذكير بأيام نقم الله التى أوقعها بالماضين ، كعادٍ وثمود ومَن جرى مجراهم : وهذا كقولنا : أيام العرب . وإنما تريد به الأيام التى كانت فيها الوقائع المشهورة والملاحم العظيمة . وقد يجوز أن يكون الأيام ههنا عبارة عن أيام النعم ، كما قلنا إنها عبارة عن أيام النقم . فيكون المعنى : فذكِّرهم بالأيام التى أنعَمَ الله فيها عليهم وعلى الماضين من آبائهم بوقم (١) الأعداء ، وكشف اللأواء ، وإسباغ النعماء . ألا ترى أن أيام العرب التى هى عبارة عن الوقائع يكون فيها لبعضهم الظهور على بعض ، فذلك من النعم ، وعلى بعضهم السَّوء والدائرة ، وتلك من النقم ؟ فالأيام إذَنْ تذكرة لمن أراد التذكرة بالإنعام والانتقام .

وقوله سبحانه . ﴿ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ [٩] وهذه استعارة ، على وجه واحد من وجوه التأويلات التى حُملت عليها هذه الآية . وذلك أن يكون المعنى ماذهب إليه بعضهم من أن الأيدى ههنا عبارة عن حجج الرسل عليهم السلام ، والبينات التى جاءوا بها قومهم ، وأكَّدوا بها شرعهم . لأن بذلك يتم لهم السلطان عليهم والتدبير لهم ، وقد سمَّوا السلطان يدا فى كثير من المواضع ، فقالوا : مالفلان على فلان يَدٌ ، أىْ سلطان . ويقولون : قد زالت يد فلان الأمير . إذا عزل عن ولايته ،

---

(١) وقم العدو : قهره وأذله ، ووقم الرجل : رده عن حاجته أقبح رد .

بمعنى زال سلطانه عن رعيته . و يقولون : أخذت هذا الأمر باليد . أى بالسلطان . فالحجج التى جاء بها الأنبياء أممهم قد تسمى أيديا على ما ذكرناه ، فلما وصف الكفار على هذا التأويل بأنهم ردّوا أيدىَ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ فى أفواههم ، كان المراد بذلك ردّ حججهم من حيث جاءت ، وطريقُ مجيئها أفواههم ؛ فكأنهم ردّوا عليهم أقوالهم ، وكذّبوا دعواهم .

وفى هذا التأويل بُعد وتعسُّف، إلا أننا ذكرناه لحاجتنا إليه، لما ذهبنا مذهب من حمل قوله سبحانه : ﴿ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ ﴾ على الاستعارة لا على الحقيقة .

فإذا حملت الآية على حقيقة الأيدى التى هى الجوارح كان المراد بها مختلفا (١) فيه . فمن العلماء من قال : المراد بذلك أنهم كانوا يعضّون أناملهم تغيظا (٢) على الرسل عليهم السلام ، كما يفعل المغيظ المحنق ، والواجم المفكر .

وقال بعضهم : المراد بذلك أن المشركين أومأوا إلى أفواه الأنبياء ، بالتسكيت لهم ، والقطع لكلامهم .

وقال بعضهم : بل المراد بذلك ضربٌ من الهزء (٣) يفعله المجّان والسفهاء ، إذا أرادوا الاستهزاء ببعض الناس ، وقصدوا الوضع منه ، والإزراء عليه . فيجعلون أصابعهم فى أفواههم ويُتبعون هذا الفعل بأصواتٍ تشبهه وتجانسه ، يُستدل بها على قصد السخف ، وتعمد الفحش . وهذا عندى بعيد من السداد ، وغيره من الأقوال أولى منه بالاعتماد .

---

(١) فى الأصل : مختلف فيه . وهو تحريف من الناسخ .
(٢) فى الأصل : تغيضا بالضاد المعجمة لا بالظاء المعجمة .
(٣) الهزء بفتح الهاء والهزء بضمها : السخرية .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك أن الكفار كانوا إذا بدأ عليهم الرسل بالكلام سدُّوا بأيديهم أسماعَهم دفعة ، وأفواهَهم دفعة ، إظهارا منهم لقلة الرغبة فى سماع كلامهم وجواب مقالهم، ليدلُّوهم ــ بهذا الفعل ــ على أنهم لا يُصغون لهم إلى مقال، ولا يجيبونهم عن سؤال ، إذ قد أبهموا طريقى السماع والجواب ، وهما الآذان والأفواه . وشاهد ذلك قوله سبحانه حاكيا عن نوح عليه السلام يعنى قومه : ﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِى آذَانِهِمْ ، وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ ، وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ (١) فيكون معنى رد أيديهم فى أفواههم على القول الذى قلنا أن يمسكوا أفواههم بأكفهم ، كما يفعل المظهر الامتناع من الكلام . ويكون إنما ذكر تعالى ردَّ الأيدى ههنا ــ وهو يفيد فعل الشىء ثانيا بعد أن فُعِل أولا ــ لأنهم كانوا يكثرون هذا الفعل عند كلام الرسل عليهم السلام . فوُصفوا فى هذه الآية بما قد سبق لهم مثله ، وأُلِف منهم فعلُه، فحسُن ذكر الأيدى بالرد على الوجه الذى أومأنا إليه . وأيضا فقد يقول القائل لغيره : اردد إليك يدك . بمعنى اقبضها وكُفها . لا يريد غير ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ [١٤] . وهذه استعارة . لأن المقام لا يضاف إلاَّ إلى من يجوز عليه القيام . وذلك مستحيل على الله سبحانه ، فإذن المراد به يوم القيامة ، لأن الناس يقومون فيه للحساب ، وعَرْض الأعمال على الثواب والعقاب، فقال سبحانه فى صفة ذلك اليوم : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) .

وإنما أضاف تعالى هذا المقام إلى نفسه فى هذا الموضع ، وفى قوله : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ

---

(١) سورة نوح عليه السلام . الآية رقم ٧ .

(٢) سورة المطففين . الآية رقم ٦ .

رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [(١)] لأن الحكم فى ذلك اليوم له خالصا ، لايشاركه فيه حكم [حاكم] [(٢)] ، ولا يحادُّه أمرُ آمر . وقد يجوز أن يكون المقام ههنا معنى آخر ، وهو أن العرب تسمى المجامع التى تجتمع فيها لتدارس مفاخرها ، وتذاكُر مآثرها « مقامات » و « مقاوِم » . فيجوز أن يكون المراد بالمقام ههنا الموضع الذى يقصُّ فيه سبحانه على بريَّته محاسن أعمالهم، وَمَقابح أفعالهم ، لاستحقاق ثوابه وعقابه ، واستيجاب رحمته وعذابه . وقد يقولون : هذا مقام فلان ومقامته، على هذا الوجه ، وإن لم يكن الإنسان المذكور فى ذلك المكان قائما ، بل كان قاعداً أو مضطجعاً . ومن الشاهد على ذلك قوله تعالى فى قصة سليمان عليه السلام : ﴿ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ [(٣)] أى من مجلسك. سماه مقاماً ــ مع ذِكْرِه أَنَّ سليمان عليه السلام كان جالساً فيه ــ لأنه قال ﴿ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴾ . وإنما سماه مقاماً ، لأن القاعد إذا قام بعد قعوده ففيه يكون قيامه . وهذا من غرائب القرآن الكريم . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ [١٧] فهذه استعارة . لأن المراد بذلك لو كان الموت الحقيقى ولم يكن [(٤)] سبحانه ليقول : ﴿ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ﴾ ، وإنما المعنى أن غواشى الكروب ،وحوازب الأمور

---

(١) سورة الرحمن . الآية رقم ٤٦ .

(٢) لفظة « حاكم » ناقصة من الأصل . وقد وضعناها بين حاصرتين ، لأن السياق يقتضيها

(٣) سورة النمل . الآية رقم ٣٩ .

(٤) هذه العبارة غير واضحة كما هى . والمقصود أن الموت هنا مجاز لا حقيقة ، ولو كان الموت هنا حقيقة لم يكن سبحانه ليقول : (وما هو بميت) . ولعل الواو زائدة فى قوله « ولم يكن »

تطرُقه من كل مَطْرق ، وتطلعُ عليه من كل مطلع . وقد يوصف المغموم بالكرب ، والمضغوط بالخطْب بأنه فى غمرات الموت ، مبالغةً فى عظيم ما يَغْشَاه ، وأليم ما يلقاه .

وقوله سبحانه : ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [١٨] فى هذه الآية استعارتان إحداهما [1] قوله تعالى : ﴿اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ﴾ [2] .

. . . .

. . . .

وقوله سبحانه : ﴿وَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [٣٧] . وهذه من محاسن الاستعارة . وحقيقة الهُوِىّ النزولُ من عُلْوٍ إلى انخفاضٍ كالهبوط . والمراد به ههنا المبالغة فى صفة الأفئدة بالنُّزوع إلى المقيمين بذلك المكان . ولو قال سبحانه : تحنُّ إليهم ، لم يكن فيه من الفائدة ما فى قوله سبحانه : ﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ لأن الحنين قد يُوصَف به مَنْ هو مقيم فى مكانه ، والهُوِىُّ يفيد انزعاج الهاوى من مسْتَقَرّه .

وقوله تعالى : ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾ [٤٣] وهذه استعارة . والمراد بها صفة قلوبهم بالخلوّ من عزائم الصبر والجَلَدِ ، لعظيم الإشفاق والوجَل . ومن عادة العَرب أن يُسمُّوا الجبان يراعةً جوفاءَ ، أى ليس بين جوانحه قلب .

وعلى ذلك قول جرير يهجو قوماً ويَصِفُهُم بالجبن :

قل لخفيف القصبات الجوفان   جيئوا بمثل عامر والعلهان [3]

---

(١) فى الأصل : أحدهما . بالتذكير وهو تحريف من الناسخ .

(٢) هنا ورقة ضائعة من الأصل . من الآية ١٨ إلى الآية ٣٧ .

(٣) ورد هذا البيت فى ديوان جرير هكذا .

ويلكمو يا قصبات الجوفان   جيئوا بمثل قعنب والعلهان

وإنما وصف الجبان بأنه لاقلب له ، لأن القلب محل الشجاعة ، وإذا نُفى المحل فأوْلى أن ينتفى الحالّ فيه . وهـذا على المبالغة فى صفته بالجبن . ويسمون الشىء إذا كان خالياً « هواءً » ، أى ليس فيه ما يشغله إلا الهواء .

وعلى هذا قول الله سبحانه : ﴿ (١) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ﴾ أى خالياً من التجلد ، وعاطلا من التصبُّر . وقيل أيضاً : إن معنى ذلك أَنَّ أفئدتهم منحرفة (٢) لا تعى شيئاً ، للرعب الذى دخلها ، والهول (٣) الذى استولى عليها . فهى كالهواء الرقيق فى الانحراف ، وبطلان الضبط والامتساك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ [٤٦] . وهذه استعارة على إحدى القراءتين . وهما : لِتزولَ . بكسر اللام الأولى وفتح اللام الأخرى . ولَتزولُ . بفتح اللام الأولى وضم الأخرى . وقرأنا بهذه القراءة للكسائى (٤) وحدَه ، وقرأنا لبقية السبعة القراءة الأولى .

فمعنى القراءة الأولى أن يكون موضع «أن» فيها موضع نعم ، لأنها قد ترد (٥) بهذا المعنى مثقلة : كقوله : (إنّ وراكبها (٦)) .

---

(١) سورة القصص . الآية رقم ١٠ .

(٢) فى الأصل : مستحرفة .

(٣) فى الأصل : والقول الذى استولى عليها . ولا معنى للقول هنا . وإنما هو الهول المقابل للرعب .

(٤) الكسائى : هو على بن حمزة الكوفى ، أحد القراء السبعة . وإمام مدرسة فى النحو واللغة مشهورة . وكان مؤدباً للرشيد العباسى وابنه الأمين . توفى سنة ١٨٩ بمدينة الرى .

(٥) فى الأصل : قد تردد . وهو تحريف من الناسخ .

(٦) هذا هو ما ردّ به ابن الزبير رضى الله عنه لمن قال له : لعن الله ناقة حملتنى إليك . فقال ابن الزبير : إنّ وراكبها . أى : نعم! ولعن راكبها . وهو من شواهد كتب معانى الحروف . انظر « مغنى اللبيب » ج ١ ص ٣٦ .

ويجوز أن ترد مخففة . لأنّ «أن» على أصلها قد تأتى مخففة ومثقلة. ويكون المعنى واحداً. وكذلك « أن » المفتوحة . قال الشاعر [١] :

أُكاشره وأعلمُ أنْ كلانا على ماساء صاحبه حريصُ

وأراد « أنّ كلانا » فخفف . فإذا تقرر ذلك صار تقدير الكلام فى الآية : ونعمْ كان مكرهم لتزولَ منه الجبال . وقد وردت هذه اللام فى موضع ليس ، لأن الخفيفة فيه تحمل [٢] .

قال الفرّاء [٣] : سمعت العرب تقول : الكراء حينئذ لرخيصٌ . ولم يقل : إن الكراء لرخيص . فيكون المراد : إن الجبال تزول من مكرهم استعظاما واستفظاعا ، لو كانت مما يعقل الحال ، ويقدر على الزوال . وهذه اللام ههنا تومىء إلى معنى « تكاد » [٤] ....

. . . .

---

(١) تعبت كثيراً فى معرفة اسم هذا الشاعر وفى العثور على هذا البيت فى المراجع الكثيرة فلم أهتد بعد طول بحث .. فلعل الله يوفق من يدلنا عليه فنشكر صنيعه .

(٢) هنا الكلام ناقص ، ولعل الناسخ أراد أن يكتب « لأن الخفيفة فيه تحمل محل ما ، وتكون اللام للجحود » . وعبارة القرطبي فى هذا المقام واضحة دالة على الغرض حيث يقول فى جزء ٩ ص ٣٨٠ : (إن : بمعنى ما . أى ما كان مكرهم لتزول منه الجبال . لضعفه ووهنه) . ثم زاد القرطبي خمسة مواطن فى القرآن جاءت فيها « إن » بمعنى « ما » وهذا هو أحدها .

(٣) الفراء هو يحيي بن زياد أبو زكريا إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة والأدب . وكان فوق علمه باللغة والنحو فقيها متكلما مفسرا . وقد عهد إليه الخليفة المأمون بتربية ولديه . توفى سنة ٢٠٧ . وهناك فراء آخر اسمه الحسين بن مسعود البغوى اشتهر بالفقه والحديث والتفسير وتوفى سنة ٥١٠ هـ وليس هو المقصود هنا، فقد ولد بعد وفاة الشريف الرضى بثلاثين عاما .

(٤) هنا قطعة مفقودة من الكتاب تبلغ ورقة تقريباً .

سورة الحِجْر

. . . . وقوله سبحانه : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [٧٢] . وهذه استعارة . والمراد بها صفتهم بالتردد فى غيهم ، والتسكع فى ضلالهم . فشبه تعالى المتلدد[١] فى غمرات الغى ، بالمتردد فى غمرات السكر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٨٨] وهذه استعارة . والمراد بها ألِنْ كنفك لهم ، ودم على لُطفك بهم . وجَعَل سبحانه خفض الجناح ههنا فى مقابلة قول العرب إذا وصفوا الرجل بالحدة عند الغضب : قد طار طَيْره ، وقد هفا حلمُهُ ، وقد طاش وقارُه . فإذا قيل : قد خفض جناحه ، فإنما المراد به وصف الإنسان بلين الكنف ، والكظم عند الغضب . وذلك ضد وصفه بطيرة المغضب ، ونزوة المتوثب .

وقوله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ [٩١] . وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون المعنى أنهم جعلوا القرآن أقساما مجزأة ، كالأعضاء المعضَّاة[٢] ، فآمنوا ببعض ، وكفروا ببعض . وقيل : جعلوه أقساما ، بأن قالوا : هو سحر وكهانة ، وكذب وإحالة .

وأما التأويل الآخر فى معنى (عِضين) فيخرج به اللفظ عن أن يكون مستعاراً[٣] ، وذلك

---

(١) المتلدد فى المكان : المتلبث به . أو المتحير المتلفت يمينا وشمالا .

(٢) المعضاة : أى المجزأة المقسمة .

(٣) فى الأصل : مستعار ، بالرفع وهو تحريف من الناسخ .

أن يكون معناها على ماقاله بعض المفسرين معنى الكذب . قال : وهو جمع عضة ، كما كان فى القول الأول ، إلا أن العضة ههنا معناها الكذب والزور ، وفى القول الأول معناها التجزئة والتقسيم . وقد ذكر ثقات أهل اللغة فى العِضة وجوها . فقالوا : العضة النميمة ، والعضة الكذبُ ، وجمعه عضُون . مثل عِزَةُ وعِزونَ ، والعِضَة السِّحْر ، والعاضهُ الساحر .

وقد يجوز أن يكون ﴿ جَعَلُوا ٱلْقُرْآنَ عِضِينَ ﴾ جمع عِضة ، من السحر . أى جعلوه سحرا وكهانة ، كما قال سبحانه حاكيا عنهم ﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴾(١) . و﴿ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [٩٤] . وهذه استعارة . لأن الصَّدع على الحقيقة إنما يصح فى الأجسام لا فى الخطاب والكلام . والفَرْق ، والصَّدْع ، والفَصْل فى كلامهم بمعنى واحد . ومن ذلك قولهم للمصيب فى كلامه : قد طبَّق المفصل . ويقولون : فلان يفصل الخطاب . أى يصيب حقائقه ، ويُوضح غوامضه . فكأن المعنى فى قوله سبحانه : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ أى : أَظْهِرِ القول و بينه فى الفَرْق بين الحق والباطل . من قولهم صَدَع الرداء . إذا شقه شقا بينا ظاهرا . ومن ذلك صَدْع الزجاجة . إذا استطار فيها الشق ، واستبان فيها الكسر . و إنما قال سبحانه :

---

(١) سورة المدثر . الآية رقم ٢٤ .

(٢) سورة الأنعام . الآية رقم ٧ . وسورة هود . الآية رقم ٧ . وسورة سبأ . الآية رقم ٤٣ . وسورة الصافات . الآية رقم ١٥ .

﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ولم يقل : فبلغ ما تُؤمر ، لأن الصدع ههنا أعم ظهورا ، وأشد تأثيرا .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك — والله أعلم — أَنْ بالِغ فى إظهار أمرك ، والدعاء إلى ربك ، حتى يكون الدين فى وضوح الصبح ، لا يشكك نهجه ، ولا يظلم فجه . مأخوذا ذلك من [1] « الصَّديع » ، لشأنه ووضوح إعلانه .

---

(١) الصديع : الصبح . سمى بذلك لانصداعه عن ظلمات الليل .

ومن السور التى يذكر فيها « النَّحل »

قوله سبحانه : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [٢] وهذه استعارة . لأن المراد بالروح ههنا الوحى الذى يتضمن إحياءَ الخلق والبيان عن الحق . ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (١) ومثله قوله سبحانه فى المسيح عليه السلام : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (٢) فسماه تعالى روحا على هذا المعنى، لأن به حيا(٣) أمته ، و بقاء شريعته . وقد مضى معنى ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب .

فأما قوله سبحانه : ﴿ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴾ (٤) فإنما أراد بذلك الروح التى خلقها ليحيي عباده بها ، وأضافها إلى نفسه كما أضاف الأرض إلى نفسه ، إذ يقول تعالى : ﴿ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ (٥) .

وكان شيخنا أبو الفتح عثمان بن (٦) جنىٍّ رحمه الله يقول : معنى قولهم فى القسم : لعَمْر الله ماقلت ذلك ، ولأفعلن ذلك . إنما يريدون به القسم بحياة يُحْيِي اللهُ بها ، لاحياة يَحْيَى بها ، تعالى عن ذلك علوا كبيرا . فكان المقسم إذا أقسم بهذه الحياة دخل مايخصه منها فى جملة قسمه ، وجرى ذلك مجرى قوله : لعمرى . فيصير مقسما بحياته التى أحياه الله بها .

---

(١) سورة الشورى الآية رقم ٥٢ .

(٢) سورة . النساء الآيه رقم ١٧١ .

(٣) هكذا بالأصل . ولعلها « حياة » أو « إحياء » .

(٤) فى الأصل : فنفخ بالفاء ،وصحة الآية: ونفخ بالواو . سورة السجدة آية رقم ٩ .

(٥) سورة النساء . الآية رقم ٩٧.

(٦) تقدمت ترجمته فى مجازات سورة التوبة.

والعَمْر ههنا هو العُمر . ومعناه الحياة .

وكنت أستحسن هذا القول منه جدا ، وله نظائر كنت أسمعها منه عند قراءتى عليه .

وكان ـ عفا الله عنه ـ كثير الاستنباط للخبايا ، والاستطلاع للخفايا .

وقوله سبحانه : ﴿ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ [٧] وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون المعنى : أنكم لاتبلغون هذا البلد إلا بأنصاف أنفسكم ، من عظم المشقة ، وبُعد الشقة ، لأن الشق أحد قسمى الشىء . ومنه قولهم : شقيق النفس أى قسيمها ، فكأنه من الامتزاج بها شق منها . وعلى ذلك قول الشاعر (١) :

مِنْ بَنِي عَامِرٍ لهَا نِصْفُ قَلْبِي قسمةً مثلما يُشَقُّ الرِّدَاء

فأما من حمل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ على أن معناه المشقة والنصب والكد والدأب، كان الكلام على قوله حقيقة ، وخرج عن حد الاستعارة . فكأنه سبحانه قال : إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بمشقة الأنفس .

وقولهسبحانه : ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾[٩]وهذه استعارة . لأن الجائر هوالضال نفسه . يقال : جار عن الطريق . إذا ضل عن نهجه ، وخرج عن سمته .ولكنهم لما قالوا : طريق قاصِدٌ . أى مقصد فيه ، جاز أن يقولوا : طريق جائر أى يجار فيه .

وقوله سبحانه : ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ [٢٥] . وهذه استعارة لأن الأوزار على الحقيقة هى الأثقال، واحدها وِزر . والمراد بها ههنا : الخطايا والآثام، لأنها تجرى مجرى الأثقال التى تقطع المتون، وتنقض الظهور .

وفى معنى ذلك قولهم : فلان خفيف الظهر . إذا وصفوه بقلة العدد والعيال ، أو بقلة الذنوب والآثام .

---

(١) لم أهتد إلى اسم هذا الشاعر بعد طويل بحث فى المراجع والمظان وكتب الشواهد والتفسير واللغة وغيرها . والله يجزل شكر من يدلنا عليه ! .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَتَى ٱللهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ [٢٦] وهـذه استعارة . لأن الإتيان ههنا ليس يراد به الحضور عن غيبة ، والقربُ بعد مسافة . وإنما ذلك كقول القائل : أُتيتُ من جهة فلان . أى جاءنى المكروه من قبله . وأُتى فلان من مأمنه . أى ورد عليه الخوف من طريق الأمن ، والضر من مكان النفع .

وقوله سبحانه ﴿ فَأَلْقَوُا ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ ﴾ [٢٨] . وهـذه استعارة . وليس هناك شىء يلقى على الحقيقة . وإنما المراد بذلك طلب المسالمة عن ذل واستكانة ، والتماس وشفاعة . لأن من كلامهم أن يقول القائل : ألقى إلىَّ فلان بيده . أى خضع لى ، وسلَّم لأمرى . وقد يجوز أيضا أن يكون معنى فألقوا السَّلم . أى استسلموا وسلَّموا . فكانوا كمن طرح آلة المقارعة ، ونزَع شِكَّة المحاربة . وفى معنى ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ (١) أى لا تستسلموا لها ، وتوقعوا نفوسكم فيها .

وقوله سبحانه (٢) : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [٤٠] . وهـذه استعارة . لأنه ليس هناك شىء على الحقيقة يؤمر ولا قول يسمع . وإنما هـذا القول عبارة عن تحقيق الإرادة وسرعة وجود المراد ، من غير معاناة ولا مشقة ، فهو إخبار عن نفاذ قدرته تعالى . فإذا أراد أمرا كان لوقته ، من غير أن يبطىء إيجاده ، أو يتقاعس إنفاذه . وذلك بمنزلة قول أحدنا : « كُنْ » فى خفة اللفظ به ، وسرعة التعبير عنه ، من غير كلفة تلحقه ، ولا مشقة تعترضه .

وقيل إن معنى قوله سبحانه : (كُن) علامة للملائكة يدلهم بها عند سماعهم لها على أنه سيُحدث كذا ، ويفعل كذا ، من محكمات التقدير ، ومبرمات التدبير .

---

(١) سورة البقرة . الآية رقم ١٩٥ .

(٢) فى الأصل : « إنما أمرنا » وهو تحريف من الناسخ لكلام الله تعالى . والصحيح : إنما قولنا لشىء الخ ـ سورة النحل الآية رقم ٤٠ .

وقوله سبحانه : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ [٤٨] . وهذه استعارة . لأن المراد بها رجوع الظلال من موضع إلى موضع . والظلال على الحقيقة لا تتفيأ ولا تنقل ، وإنما ترد الشمس عليها ، ثم ترجع إلى ما كانت عليه ، بعد أن تزول الشمس عنها ، والشمس هى المتنقلة عليها ، والظلال قائمة بحالها .

وقوله تعالى فى صفة النحل العسّالة : ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [٦٩] . وفى هذه الآية استعارتان : إحداهما قوله تعالى : ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ ، على قول من جعل ذُلُلا حالاً للسُّبل ، لا حالاً للنحل . والذُّلُلُ : جمع ذَلُول ، وهى الطرُق الموطّأة للقدم ، السهلة على الحافر والمنسم ، تشبيهاً لها بالإبل الذلُل ، وهى التى قد عُوِّدت الترحل ، وأُلفتِ المسير .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ والمراد بذلك العسل . والعسلُ عند المحققين من العلماء غير خارج من بطون النحل ، وإنما تنقله بأفواهها من مساقطه ومواقعه من أوراق الأشجار ، وأضغاث النبات . لأنه يسقط كسقوط الندى فى أماكن مخصوصة ، وعلى أوصاف معلومة ، والنحل مهملة تتبع تلك المساقط ، وتعهَد تلك المواقع ، فتنقل العسل بأفواهها إلى كُواراتها(١) المواضع(٢) المعدّة لها . فقال سبحانه : ﴿يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا﴾ والمراد من جهة بطونها . وجهةُ بطونها: أفواهُها . وهذا من غوامض هذا البيان ، وشرائف هذا الكلام .

---

(١) الكوارات بضم الكاف وتشديد الواو جمع كوارة ، وهى بيت يتخذ للنحل من القضبان أو الطين تأوى إليه . أو هى عسلها فى الشمع .

(٢) هكذا بالأصل ولعلها «والمواضع» بواو عاطفة .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [٨٦] وهذه استعارة . والمراد بإلقاء القول ـ والله أعلم ـ إخراج الكلام مع ضرب من الخضوع والاستكانة والإسرار والخفية ، كما قال سبحانه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ﴾ (١) وفى هذا الكلام مفعول محذوف . فكأنه قال تعالى : تُلقُون إليهم الأخبار بالمودة . وهذا القول نزل فى قوم من المؤمنين كانوا يجتمعون مع قوم من المنافقين بأرحامٍ تلفُّهم ، وخُلل (٢) تولد عنهم ، فيتسقطونهم ليعرفوا منهم أخبار النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، فنُهُوا عن مناقشتهم والاجتماع معهم . فكأن المعنى : تلقون إليهم الأَسرار بالمودة التى بينكم ، على سبيل الإسرار والاخفاء .

وقد قيل إن المراد : تُلقون (٣) إليهم المودة ، فقال تعالى : بالموّدة ، كما قال سبحانه : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ (٤) أى تنبت الدهن على أحد التأويلين ، ونظير التأويل الأول قوله سبحانه فى ذِكْر الشياطين : ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ (٥) أى يطلبون سماع الأخبار على وجه الاستخفاء والاستسرار . وهذا الوجه لايصح (٦) فى قوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [٨٦] لأن الحال التى أخبر سبحانه بأن هذا يجرى فيها هى حال القيامة ، وتلك حال لايجوز فيها الاستسرار لقول ، ولا الكتمان لسر ، لأن السرائر مُظْهَرةٌ والضمائر مصحرة . (٧) و إنما المراد بهذا الكلام مايقوله المعبودون لمن عبدهم من الأمة ، إذ يقول سبحانه : ﴿ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ ، قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ

---

(١) سورة الممتحنة . الآية رقم ١ .
(٢) الخلل : جمع خلة وهى الصداقة والصحبة .
(٣) فى الأصل : يلقون .
(٤) سورة المؤمنون. الآيةرقم ٢٠
(٥) سورة الشعراء . الآية رقم ٢٢٣
(٦) فى الأصل : من قوله تعالى . وهو تحريف من الناسخ صوابه ماأثبتناه .
(٧) أصحر الأمر : أظهره وأعلنه فى غير خفاء

شُرَكَاؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ ﴾ [٨٦] فقال المعبودون لهم فى الجواب عن ذلك : إنكم لـكاذبون ، أى فى أنَّا دعونا كم إلى العبادة ، أو فى قولـكم إننا آلهة . وقد يجوز أيضا أن يكون التكذيب من العابدين للمعبودين ، فكأنهم قالوا لهم : كذبتم فى ادعائـكم أنكم تستحقون العبادة من دون الله تعالى . فلم يَبْق إذن إلا الوجه الأول فى معنى إلقاء القول ، وهو أن يكون على وجه الخضوع والضراعة ، ويكون سبب هذه الاستكانة الخوف من الله سبحانه ، لاخوف بعض الشركاء من بعض . ومثل ذلك قوله سبحانه عقِب هذه الآية : ﴿ وَأَلْقَوْا إِلَى ٱللهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ﴾ [٨٧] أى استسلموا له عن ضرع ذلة ، وانقطاع حيلة . ومن ذلك قولهم: ألقى فلان يد العانى . أى ذَلَّ ذُلَّ الأسير، وخَضَع خضوع المقهور .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَـكُمْ دَخَلًا بَيْنَـكُمْ ، فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ [٩٤] وهذه استعارة . لأن المراد بالقدم ههنا الثبات فى الدين . ولما كان أصل الثبات فى الشىء والاستقرار عليه إنما يكون بالقَدم، حَسُن أن يعبر عن هذا المعنى بلفظ القَدَم وكأن المراد بقوله تعالى : ﴿ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا ﴾ أى يضعف دينكم ، ويضطرب يقينكم ، فيكون كالقدمِ الزَّالة ، والقائمة المائدة .

وقوله سبحانه : ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ [١٠٢] وهذه استعارة . لأن المراد بذلك جبريل عليه السلام، والتقديس : الطهارة . و إنما سمِّى رُوح القدس لأن حياة الدين وطهارة المؤمنين إنما تكون بما يحمله إلى الأنبياء عليهم السلام من الأحكام والشرائع، والآداب والمصالح .

وقوله سبحانه : ﴿ لِسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ ، وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُبِينٌ ﴾ [١٠٣] وهذه استعارة . لأن المراد باللسان ههنا جملةُ القرآن وطريقته ، لا العضو

المخصوص الذى يقع الـكلام به . وذلك كما يقول العرب فى القصيدة : هذه لسان فلان . أى قوله . قال شاعرهم :

لسانُ السُّوء تهديها إلينـــا ... وَحِنْتَ وما حسبتُك أن تحينا (١)

أى مقالة السوء . ومثل ذلك قول الآخر (٢) :

ندمتُ على لسان كان منى ... وددت بأنه فى جوف عِكْمِ

أى على قول سبق منى ، لأن الندم إنما يكون على الفعال والـكلام ، لا على الأعضاء والأعيان .

و إنما سمى القول لسانا ، لأنه إنما يكون باللسان ، و يصدر عن اللسان .

وقوله سبحانه : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [١١٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة الذوق إنما تكون فى المطاعم والمشارب ، لا فى الـكُسَى والملابس . و إنما خرج هذا الـكلام مخرج الخبر عن العقاب النازل بهم ، والبلاء الشامل لهم . وقد عُرف فى لسانهم أن يقولوا لمن عوقب على جريمة ، أو أُخذ بجريرة : ذُقْ غِبَّ فعلك ، واجْنِ ثمرة جهلك . و إن كانت عقوبته ليست مما يُحَسُّ بالطعم ، و يُدْرَك بالذوق . فكأنَّه سبحانه لما شملهم بالجوع والخوف على وجه العقوبة حَسُنَ أن

---

(١) روى هذا البيت هنا على هذه الصورة . وفى « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى جزء ١٠ ص ١٧٩ روى هـكذا :

لسان الشر تهديهـا إلينـــا ... وخنت وما حسبتك أن تخونا

ولم تذكر كتب الشواهد اسم قائل هذا البيت .

(٢) هو الحطيئة الشاعر كما جاء فى « لسان العرب » مادة : لسن . إلا أنه روى فى اللسان هكذا :

ندمت على لســان فات منى ... فليت بأنه فى جوف عكم

والعكم بكسر العين : العدل الذى توضع فيه الأشياء (الغرارة) أو الـكارة .

يقول تعالى : فأذاقهم ذلك ، أى أوْجَدَهم مرارته كما يجد الذائق مرارة الشىء المرير ، ووخامة الطعم الكريه . وإنما قال سبحانه : ﴿لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ ولم يَقُلْ : طعم الجوع والخوف ، لأن المراد بذلك — والله أعلم — وصف تلك الحال بالشمول لهم ، والاشتمال عليهم ، كاشتمال الملابس على الجلود ، لأن مايظهر منهم عن مضيض الجوع وأليم الخوف ، من سوء الأحوال ، وشحوب الألوان ، وضئولة الأجسام ، كاللباس الشامل لهم ، والظاهِرِ عليهم . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

ومن السورة التى يذكر فيها

« بنو إسرائيل »(١)

قوله سبحانه ﴿ وَجَعَلْنَا ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ آيَتَيْنِ ، فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ ، وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [١٢] وفى هذه الآية استعارتان إحداهما : قوله سبحانه : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ ٱللَّيْلِ ﴾ . والآية العلامة . والمراد بمحوها — والله أعلم — على قول بعضهم أى جعلنا ظلمة الليل مشكلة ، لا يفهم معناها ، ولا يعلم فحواها ، لما استأثر الله تعالى بعلمه من المصلحة المستسرَّة فى ذلك .

وحقيقة المحو طمْسُ أثر الشىء . من قولهم : محوتُ الكتاب . إذا طمست سطوره ، حتى يُشكلَ على القارىء ، ويَخفى على الرائى(٢) .

وقال قوم : آية الليل القمرُ خاصَّةً . ومحوُه : تصييرُ تلك الطمسة فى صفحته ، حتى نَقَص نوره عن نور الشمس ، لما يَعْلم الله سبحانه من المصلحة فى ذلك . وآية النهار الشمس . وقال آخرون : بل آيتا الليل والنهار ضوء هذا فى الجملة ، وظلمة هذا فى الجملة . لأن الضوء علامة النهار ، والظلمة علامة الليل ، على ماقدمنا ذكره . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ وفى ذلك وجهان : أحدهما أن يكون المراد أنا

---

(١) هى سورة « الإسراء » . وقد سميت من قديم سورة بنى إسرائيل . وقد قال ابن مسعود رضى الله عنه فى بنى إسرائيل ، والكهف ، ومريم : إنهن من العتاق الأول ، وهن من تلادى . يريد من قديم كسبه . انظر القرطبى ج ١٠ ص ٢٠٣ .

(٢) فى الأصل « على الرأى » وهو تحريف من الناسخ .

جعلناها مكشوفة القناع مبينة الإبصار ، على خلاف آية الليل إذ جعلناها مشرجة(١) الغلاف ، بهيمة الأطراف .

والوجه الآخر أن يكون معنى مُبصرة أى يبصر الناس فيها ، ويهتدون بها كما تقدم قولنا فى قولهم : نهار صائمٌ ، وليل نائمٌ . أى أهل هـذا صيام ، وأهل هـذا نيام . وكما يقولون : رجل مُخْبث . إذا كان أهله وولده خبثاء . ورجلٌ مُضْعِف . إذا كانت دوابه وظهوره ضعفاء . فعلى هذا يسمى النهار مبصرا ، إذا كان أهله بصراء . وقد مضى الـكلام على مثل ذلك فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ [١٣] وهذه استعارة . والمراد بالطائر ههنا ـ والله أعلم ـ مايعمله الإنسـان من خير وشر ، ونفع وضُر . وذلك مأخوذ من زجْر الطير على مذاهب العرب . لأنهم يتبركون بالطائر المتعرض من ذات اليمين ، ويتشاءمون بالطائر المتعرض من ذات الشمال .

ومعنى ذلك أنه سبحانه يجعل عمل الإنسان من الخير والشر كالطوق فى عنقه بإلزامه إياه ، والحـكم عليه به . وقال بعضهم : معنى ذلك أنا جعلنا لـكل إنسان دليلا من نفسه على مابيَّناه له ، وهديناه إليه . والعربُ تقيم العنق والرقبة مقام الإنسان نفسِه . فيقولون : لى فى رقبة فلان دم ، ولى فى رقبته دين . أى عنـده . وفلانٌ أعْتَق رقبةً . إذا أعتق عبدا أو أمة . و يقول الداعى فى دعائه : اللهم أعتِق رقبتى من النار . وليس يريد العنق المخصوصة ، و إنما يريد الذات والجملة .

وجعل سبحانه الطائر مكان الدليل الذى يستدل به على استحقاق الثواب والعقاب ، على عادة العرب التى ذكرناها فى التبرك بالسانح ، والتشاؤم بالبارح .

---

(١) أشرج الشيء : ضم بعضه إلى بعض وأحكم شده .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [٢٤] . وهذه استعارة عجيبة ، وعبارة شريفة . والمراد بذلك : الإخباتُ للوالدين ، وإلانةُ القول لهما ، والرفقُ واللطفُ بهما .

وخفضُ الجناح فى كلامهم عبارة عن الخضوع والتذلل ، وهما ضد العلو والتعزز . إذ كان الطائر إنما يخفض جناحه إذا ترك الطيران ، والطيرانُ هو العلوُّ والارتفاع . وقد يستعار ذلك لفرط الغضب والاستشاطة(١) . فيقال : قد طار فلان طيرة(٢) . إذا غضب واستشاط . وقد أومأنا إلى هذا المعنى فيما تقدم من هذا الكتاب .

وإنما قال سبحانه : ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [٢٤] . ليبين تعالى أن سبب الذل لهما الرأفةُ والرحمةُ ، لئلا يقدر أنه الهوان والضراعة . وهذا من الأغراض الشريفة ، والأسرار اللطيفة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . وليس المراد بها اليد التى هى الجارحة على الحقيقة ، وإنما الكلام الأول كناية عن التقتير ، والكلام الآخر كناية عن التبذير وكلاهما مذموم ، حتى يقف كل منهما عند حده ، ولا يجرى إلا إلى أمده . وقد فسَّر هذا قوله سبحانه : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا ، وَلَمْ يَقْتُرُوا ، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾(٣) .

---

(١) فى الأصل « الاستشاط » وهو تحريف من الناسخ . لأن الفعل استشاط ، والمصدر استشاطة . مثل استقام استقامة .

(٢) فى الأصل « طيره » بالهاء وهو تحريف . والصواب بالتاء المربوطة المنقوطة .

(٣) سورة الفرقان . الآية رقم ٦٧ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ، وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً ﴾ . [٤٦] . وهـذه استعارة . لأنه ليس هناك على الحقيقة كنان على قلب ، ولا وَقر فى سمع . وإنما المراد أنهم ـ لاستثقالهم سماع القرآن عند أمر الله سبحانه نبيه عليه السلام بتلاوته على أسماعهم وإفراغه فى آذانهم ـ كالذين على قلوبهم أكنّة دُونَ علمه ، وفى آذانهم وقرٌ دون فهمه ، وإن كانوا من قِبَلِ نفوسهم أُتوا ، وبسوء اختيارهم أُخذوا .ولو لم يكن الأمر كذلك لما ذُمُّوا على اطراحه ، ولعُذِروا بالإضراب عن استماعه .

وقوله سبحانه : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ ، إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ [٤٧] وهـذه استعارة لأن النَّجْوَى مصدر كالتقوى . وإنما وُصِفوا بالمصدر ، لما فى هـذه الصفة من المبالغة فى ذِكْر ماهم عليه ، من كثرة تناجيهم ، وأسرار المكايد بينهم . والصفةُ بالْمَصَادر تدلُّ على قوة الشيء الموصوف بذلك . مثل قولهم : رجلٌ رِضاً ، وقومٌ عدْلٌ . وما يجْرى هـذا المجرى .

وقوله سبحانه : ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ [٥٩] . وهذه استعارة . والمعنى : جعلنا الناقة آيةً مُبصرة . أى مُبْصِرَةً للعاشى[1] . ومذكِّرَة للناسى ، ومظنة لاعتبار المعتبر ، وتفكر المفكر . لأن من عجائب تلك الناقة تمخض الصخرة بها من غير حمل بطن ، ولا فرع فحل . وأنها كانت تقاسم ثمودَ الورْد ، فلها يوم ولثمود يوم .

قال سبحانه : ﴿ لَهَا شِرْبٌ ، وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ [2] فإذا كان يومها

---

(١) العاشى : اسم فاعل من عشا عن الشىء ، أى أعرض وصدر عنه إلى غيره .

(٢) سورة الشعراء الآية رقم ١٥٥ .

شربت فيه المـاء ، مثلما كانت ثمود تأخذ أشقاصها[1] وزروعهـا ، وأصرامها[2] وشروبها . وهذا من صوادح العبر ، وقوارع النذر .

وقال بعضهم : يجوز أن يكون معنى مبصرة ههنا أى ذات إبصار . والتأويلان يؤولان إلى معنى واحد .

وقوله سبحانه عن إبليس : ﴿ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [٦٢] وهـذه استعارة على بعض التأويلات فى هذه الآية . وهو أن يكون الاحتناك ههنا افتعالا من الحنك . أى لأقودنهم إلى المعاصى ، كما تقاد الدابة بحنكها ، غير ممتنعة على قائدها . وهى عبارة عن الاستيلاء عليهم ، والملكة لتصرفهم ، كما يملك الفارس تصرُّف فَرَسه ، بثَنى العنان تارة ، وبكبح اللجام مرة .

وقال يعقوب[3] فى « إصلاح المنطق » : [يقال : حَنَكَ الدابة يحنِكُها حَنْكا ، إذا شدَّ فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به . وقد احتنك الدابة[4] مثل حَنَكها] إذا فعل بها ذلك .

وقال بعضهم : لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ . أى لَأُلْقِيَنَّ فى أَحْنَاكهم حلاوة المعاصى ، حتى يستلذوها ، ويرغَبوا فيها ويطلبوها . والقولُ الأول أَحَبُّ إلىَّ .

---

(١) الأشقاص : جمع شقص بكسر الشين ، وهو القطعة من الشىء أو من الأرض .

(٢) الأصرام : جمع صرم بكسر الصاد ، وهو الجماعة من الشىء أو من البيوت .

(٣) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ، المعروف بابن السكيت ، وكان أبوه من أصحاب الكسائى المشهور فى اللغة والنحو . أما صاحبنا فقد شهد له المؤرخون بالعلم الغزير فى اللغة والشعر والثقة فى الرواية . وكتابه « إصلاح المنطق » يقول فيه المبرد : « ما رأيت للبغداديين كتابا أحسن من كتاب يعقوب بن السكيت فى المنطق » . توفى سنة ٢٤٤ . وقد طبع « إصلاح المنطق » طبعة موثقة بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام محمد هارون .

(٤) فى « إصلاح المنطق » ص ٨٢ (وقد احتنك دابته) .

وقال بعضهم : لَأَسْتَأْصِلَنَّ ذريته بالإغواء ، وَلَأَستقصينَّ إهلاكهم بالإضلال ، لأن اتباعهم غيه وطاعتهم أمره يؤولان بهم إلى موارد الهلاك ، وعواقب البوار .

وقال الشاعر :

نشكو إليك سَنَةً قد أَجْحَفَتْ واحْتَنَكَتْ أَمْوالَنا وجلَّفَتْ (١)

أى أهلكت أموالنا .

ويقال : احتنكه إذا استأصله وأهلكه . ومن ذلك قولهم : احتنك الجراد الأرض . إذا أتى على نبتها .

وقيل أيضا : المراد بذلك لأضيِّقن عليهم مجارى الأنفاس من أحناكهم ، بإيصال الوسوسة لهم ، وتضاعُف الإغواء عليهم . ويقال : احتنك فلانٌ فلانا . إذا أخذ بمجرى النفس من حنكه ، فكان كالشبا (٢) فى مقلته والشجا (٣) فى مَسْعله .

وقوله سبحانه ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [٧٨] وهذه استعارة . لأن الدالك : المائل فى كلامهم . فكأنه سبحانه أمر بإقامة الصلاة عند ميل الشمس . فقيل عند ميلها للزوال ، وقيل عند ميلها للغرب . والشمس على الحقيقة لا تميل عن موضعها ولا تزول عن مركزها ، وإنما تعلو أو تنخفض ، وترتفع بارتفاع الفلك وانخفاضه ، وسيره وحركاته .

وقوله سبحانه : ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ، إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [٨١]

---

(١) ورد هذا الرجز فى « مجازات القرآن » لأبى عبيدة هكذا :

نشكو إليك سنة قد أجحفت جهدا إلى جهد بنا فأضعفت

واحتنكت أموالنا وجلفت

انظر « مجازات القرآن » لأبى عبيدة . طبعة سامى الخانجى ص ٣٨٤ . والرجز كذلك فى « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٠ ص ٢٨٧ . ولم ينسبه أبو عبيدة ولا القرطبى لقائله .

(٢) الشبا : جمع شباة وهى حد السيف أو قدر مايقطع به منه .

(٣) فى الأصل السجا بالسين المهملة . ولعله تحريف من الناسخ . فإن الشجا بالشين المعجمة مايعترض الحلق فيشجى به .

وهذه استعارة . لأنهم يقولون : زهقت نفس فلان إذا خرجت . ومنه قوله تعالى : ﴿وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (١) فالمراد ـ والله أعلم ـ وَهَلَكَ الباطل إنَّ الباطل كان هلوكا . تشبيها له بمن فاضت نفسه ، وانتقضت بنيته . لأن الباطل لا مِسَاكَ لذمائه ، ولا سماك لبنائه .

وقوله سبحانه : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [٨٤] وهذه استعارة . لأن الأولى أن يكون المراد ههنا بالشاكلة ـ والله أعلم ـ الطريقة التى تشاكل أخلاق الإنسان ، وتوافق طبيعته . وذلك مأخوذ من الشاكلة ، وجمعها شواكل ، وهى الطرق المتَّسعة (٢) عن المحجة العظمى . فكأن الدنيا ههنا مشبَّهة بالطريق الأعظم ، وعادات الناس فيها ، وطبائعهم التى جبلوا عليها مشبهة بالطرق المختلجة من ذلك الطريق ، الذى هو المعمود وإليه الرجوع .

وقال بعضهم : الشاكلة العلامة ، وأنشد :

بَدَتْ شَوَاكِلُ حُبٍّ كنتَ تُضمِرُهُ ... فى القلب أَنْ هَتَفَتْ فى الدَّارِ وَرْقاءُ (٣)

فكأنه تعالى قال : كلٌّ يعمل على الدلالة التى نصبت لاستدلاله ، والأمارة التى رُفعت لاهتدائه .

وقوله سبحانه : ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذَنْ لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ [١٠٠] وهذه استعارة ، والمراد بالخزائن ههنا المواضع التى جعلها الله سبحانه وتعالى

---

(١) سورة التوبة . الآية رقم ٥٥ .
(٢) هكذا بالأصل . ولعلها : المتشعبة .
(٣) لم أهتد إلى قائل هذا البيت.

جعاتٍ (١) لدرور الرزق ومنافع الخلق . وإلى تلك المواضع تُرفع الأيدى عند السؤال والرغبات، واستدراك(٢) الخير والبركات .

وقوله سبحانه : ﴿ وقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [١٠٦] وهذه استعارة ، ومعنى فَرَقْنَاهُ : أى بينَّاه للناس بنصوع مصباحه ، وشدوخ أوضاحه ، حتى صار كمفْرق الفَرَس فى وضوح مَخَطِّه(٣) أو كفرق الصبح فى بيان منبلجه .

وقال بعضهم : معنى فرقناه أى فصَّلناه سورا وآيات . وذلك بمنزلة فَرْق الشعر ، وهو تمييز بعضه من بعض ، حتى يزول التباسه ، و يتخلص التفافه .

---

(١) هكذا بالأصل . ولم أوفق إلى تحقيقها ، ولما كان الناسخ ضبط آخرها بكسرتين ،فهى جمع مؤنث سالم منصوب بالكسرة نيابة عن الفتحة على أنها مفعول به لجعل . ولعلها « جفنات » .

(٢) هكذا بالأصل ، ولامعنى لها ولعلها «واستدرار»

(٣) المخط هو مكان الخط أو الفرق فى مفرق الحصان .

ومن السورة التي يذكر فيها «الكهف»

قوله سبحانه : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ ٱلْكِتَابَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ، قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ ﴾ [١] وهذه استعارة . لأن حقيقة العِوَج أن يكون فيما يصح عليه أن ينصابَ أو يميل ويضطرب ويستقيم . وهذه من صفات الأجسام ، لا من صفات الكلام .

فنقول : إنما وصف القرآن ـ والله أعلم ـ بأنه قيِّم لا عِوَج فيه ، ذهابا إلى نفى الاختلاف عن معانيه ، والتناقض فى أوضاعه ومبانيه . وأنه غير ناكِبٍ عن المنهاج ، ولا مستمر على الاعوجاج .

وقوله سبحانه: ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾[٥] ووصف الكلمة ههنا بالكبر استعارة . والمراد أن معناها فظيع ، وفحواها عظيم . وتقدير الكلام : كَبُرَتِ الكلمةُ كلمةً .

وللنصب ههنا وجهان : أحدهما أن يكون على تفسير المضمر . مثل قولهم : نِعْمَ رَجُلا زيدٌ ، وبئْسَ صاحباً عَمْرو . والوجه الآخر أن يكون على التمييز فى الفعل المنقول ، نحو: ساءت مُرْتفقاً ، وتصبَّبَ عَرَقاً .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ [٨] وهذه استعارة . لأن المراد بالجُرُز ههنا الأرض التى لا نبات فيها ، وذلك مأخوذ من قولهم : ناقةٌ جرُوزٌ. إذا كانت كثيرة الأكل ، لا يكاد لَحْيَاهَا يسكنان من قضم الأعلاف[1] ،

---

(١) فى الأصل : الأحلاف . ولا معنى له ههنا . والأعلاف جمع علف ، وهو ماتعلفه الدابة .

ونشْط (١) الأعشاب . ومن ذلك قولهم : سيف جُرازٌ . إذا كان يَبرى المفاصل ، ويقُط الضرائب .

وإنما سُمّيت تلك الأرض جرُزا إذ كانت كأنَّها تأكل نَبْتَها ، فلا تدع منه نابغة ، ولا تترك طالعة . ونظير ذلك قولهم : أرض جدَّاء : لا ماء فيها . تشبيها بالناقة التى لا لبن فيها ، وهى الجدَّاء (٢) .

وقوله سبحانه : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ [١١] . وهذه استعارة . لأن المراد بها منع آذانهم من استماع الأصوات ، وهمس الحركات . قال بعضهم : وذلك كالضرب على الكتاب لتشكل حروفه ، فتمتنع على القارىء قراءته .

وإنما دلَّ تعالى على عدم الإحساس بالضَّرب على الآذان ، دون الضرب على الأبصار ، لأن ذلك أبلغ فى الغرض المقصود ، من حيث كانت الأبصار قد يُضربُ عليها من غير عَمًى ، ولا يبطُل إدراك بقية الحواس جملة ، وذلك عند تغميض الإنسان عينه . وليس كذلك منعُ الاستماع من غير صمم ، لأنه إذا ضرب عليها من غير صَمَم بالنوم الذى هو السهو على صفة دل ذلك على عدم الإحساس من كل جارحة يصح بها الإدراك . ولأن الأذن لما كانت طريقا إلى الأنباء ثم ضرب عليها ، لم يكن سبيل إلى الانتباه ، فبطل استماعهم . وفى هذا القول بعض التخليط .

---

(١) نشطت الدابة العشب : إذا أكلته بسرعة وخفة . وقد نشطت الدابة : أى سمنت .

(٢) الناقة الجداء : هى الصغيرة الثدى ، أو المقطوعة الأذن ، أو التى ذهب لبنها . انظر الفيروزآباذى مادة «جدد» .

والذى أذهبُ إليه فى ذلك ماذكرته فى كتابى الكبير على شرح واستقصاء ، وهو أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ ﴾ والله أعلم ، أى أخذنا أسماعهم . ويكون ذلك من قول القائل : قد ضَرَبَ فلانٌ على مالى . أى أخذه وحَال بينى و بينه ، فأما تشبيه ذلك بالضرب على الكتاب حتى تشكل حروفه على المتأمل ففيه بُعد وتعسُّف .

وقد يجوزُ أيضا أن يكون المراد بذلك : وضر بناهم على آذانهمَ ، من الضرب الحقيق ، تشبيها بمن ضُرب على سماخه(١) ، فهو موقوذ(٢) مأموم(٣) ، ومشدوه(٤) مغمور .

وقوله سبحانه : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [١٤] . الآية . وهذه استعارة . لأن الربط هو الشدُّ . يقال : ربطت الأسير . إذا شددته بالحبل والقدِّ(٥) . والمراد بذلك : شددنا على قلوبهم كما تشد الأوعية بالأوْكِيَة(٦) ، فتنضمُّ على مكنونها ، ويؤمنُ التبدد على ما استودع فيها . أى فشَدَدنا على قلوبهم لئلا تنحلَّ معاقد صبرها(٧) وتهفو عزائم جَلَدِها . ومن ذلك قولُ القائل لصاحبه : رَبَطَ الله على قلبك بالصبر .

---

(١) السماخ والصماخ واحد . وهو خرق الأذن الباطن الماضى الى تجويف الرأس .

(٢) الموقوذ : المضروب ضربا شديدا حتى أشرف على الموت .

(٣) أمه : شجه ، فهو مأموم .

(٤) المشدوه : المشدوخ الرأس .

(٥) القد : السير من الجلد .

(٦) الأوكية : جمع وكاء ، وهو رباط القربة أو ما تشد به .

(٧) فى الأصل : صعرها . وهو تحريف ، وقد أصلحناه من السياق فى لفظة الجلد المقابلة .

وقوله سبحانه : ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾[١٦] . وفى هذه الآية استعارتان : إحداهما قوله تعالى : ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ والرحمة ههنا بمعنى النعمة . ولم يكن هناك مَطْوِى فينشر ، ولا مكنون فيظهر . وإنما المراد بذلك : يسبغ الله عليكم نعمته ، على وجه الظهور والشياع ، دون الإخفاء والإسرار . فيكون ذلك كنشر الثوب المطوى وإظهار الشيء الخفى ، فى شياع الأمر ، وانتشار الذكر . والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾ [١٦]. وأصل المرفق ماارتفق به . وهو مأخوذ من المرفقة . وهى التى يرتفق عليها ، أى يعتمد عليها بالمرفق .

ويقال مِرْفق ، ومَرْفِق بمعنى واحد . وقد قرىء بهما جميعا بمعنى واحد . فكأنه قال : يهيء لكم من أمركم ماتعتمدون عليه وتستندون إليه، ويكون لظهوركم عمادا ، ولأعضادكم سنادا .

وقوله سبحانه : ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ، وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ، وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ [١٧] . وفى هذه الآية استعارتان : أولاهما قوله تعالى فى ذكر الشمس : ﴿تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ﴾ لأن التزاور أصله الميل ، وهو مأخوذ من الزَّور ، وهو الصدر . فكأنه سبحانه قال : إن الشمس تميل عن هذا الموضع ، كما يميل المتزاور عن الشيء بصدره ووجهه . ويبين بذلك عن موضع الكهف المشار إليه من جهات المشرق والمغرب أن الشمس لا يلحقه ثوبها عند الشروق ، ولا ينفض عليه[١] . . . آخر الغروب .

---

(١) هنا لفظة غير واضحة بالأصل .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ . وفى ذلك قولان : أحدهما أن يكون المراد أنها تقرضهم فى ذات الشمال ، أى أنها تجُوزهم عادلةً بمطرح شعاعها عنهم . من قولهم : قرضتُ الشيء بالمقراض . إذا قطعته به . والمقراض متجاوز لأجزائه أولا حتى ينتهى إلى آخره . والقول الثانى : أن يكون المراد أنها تعطيهم القليل من شعاعها عند مرها بهم ، ثم تسترجعه عند انصرافها عنهم . تشبيها بقرض المال الذى يعطيه المعطى ليستردَّه ، ويقدمه ليرتجعه . ومعنى قرض المـال أيضـا مأخوذ من القطع ، لأن المقرض يعطى للمقترض شقة من ماله ، وقطعة من حاله .

وقوله سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ﴾ [٢١] . وهذه استعارة . والمراد ــ والله أعلم ــ وكذلك أطلعنا عليهم . إلا أن فى لفظ الإعثار فائدة ، وهى مصادفة الشيء عن غير طلب له ولا إحساس به ، وهو « أَفْعَلْنَا » من الإعثار . وأصله أن الساعى فى طريقه إذا صدَّ قدمَه ، أو نكب أصبعه شيء ، ففى الأغلب أنه يقف عليه متأملا له ، وناظرا إليه . فكأنه استفاد علم ذلك من غير أن تتقدم معرفتهُ به . ومن ذلك قول القائل لغيره : لأَعثُرنَّ عليْكَ بخطيئة فأعاقبك . أى لأقفن على ذلك منك .

وعلى هـذا قوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّا إِثْمًا ﴾(١) . أى اطُّلِعَ على ذلك منهما ، واستفيد العلم به من باطن أمرهما .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ ﴾ [٢٢] . وهـذه استعارة لأن الرجم ههنا هو القذف بالظن ، والقولُ بغير علم . ومن عادة

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ١٠٧ .

العرب أن تسمى القائل بالظن راجماً وقاذفا ، وتسمى السَّابَّ الشاتم رامياً راجماً . ويقولون : هذا الأمر غيب مرجَّم . أى يرميه الناس بظنونهم ، ويقدرونه بحسابهم .

ومرَجَّم إنما جاء لتكثير العمل ، كأنه يرمى من ههنا ، ومن ههنا . وإنما سمى الظان راجما لأنه يوجه الظن إلى غير جهة مطلوبة ، بل يظن هذا ، ويظن هذا ، كالراجم الذى لا يعلم مواقع أحجاره إذا رمى بها فى الجهات . فتارة تقع يمينا وتارة تقع شمالا .

وقوله سبحانه : ﴿ ولا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنا واتَّبَعَ هَوَاهُ وكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [٢٨] وهذه استعارة . على أحد التأويلات فى هذه الآية . وهو أن يكون المراد بذلك : أننا تركنا قلبه غفلا من السِّمات التى تتسم بها قلوب المؤمنين ، فتدل على زكاء أعمالهم ، وصلاح أحوالهم . كقوله سبحانه : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فى قُلُوبِهِمُ الإيمَانَ وأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ ﴾ (١) وذلك تشبيه بالبعير إذا أُغفل فترك بلا سِمَةٍ يُعرف بها ، على عادة العرب فى إقامة السِّمات مقام العلامات المميزة بين أموالهم فى الموارد والمراعى وتعريف الضوالّ . وفى هذه الآية أقوال أُخر ، القول الذى قدمناه أدخلُها فى باب الاستعارة . منها أن يكون معنى ﴿ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ ﴾ أى نسبناه إلى الغفلة . كقول القائل أكْفرتُ فلانا . إذا نسبته إلى الكفر ، وأبْخلتُهُ إذا نسبته إلى البخل .

ومنها أن يكون المراد : سميناه غافلا بتعرضه للغفلة ، فكأن المعنى : حكمنا عليه بأنه غافل . كما يقول القائل : قد حكمتُ على فلان بأنه جاهل . أى لما ظهر الجهل منه وَجَب هذا القول فيه .

ومنها أن يكون ذلك من باب المصادفة . فيكون المعنى : صادفنا قلبه غافلا . كقول

---

(١) سورة المجادلة . الآية رقم ٢٢

القائل أحمدْتُ فلانا . أى وجدته محمودا . وذلك يؤول إلى معنى العلم . فكأنه تعالى قال : علمناه غافلا . وعلى هذا قول عمرو بن معد يكرب [1] لبنى سليم : (لله درُّكم يابنى سليم ! والله لقد قاتلناكم فما أجبنّاكم ، وهاجيناكم فما أفحمناكم ، وسألناكم فما أبخلناكم) أى لم نصادفكم على هذه الصفات ، من الجبن عند النزال ، والبخل عند السؤال ، والعىّ عند المقال [2] .

وعلى ذلك قول نافع [3] بن خليفة الغَنَوىّ .

سَألْنا فَأحْمَدْنا ابنَ كُلِّ مُرَزَّأٍ ... جَوادٍ وأَبْخَلْنا ابنَ كُلِّ بَخِيل

أى وجدنا هذا محمودا ، ووجدنا هذا بخيلا مذموما .

وفيما علقته عن قاضى القضاة أبى الحسين عبد الجبار [4] بن أحمد ــ أدام الله توفيقه ــ عند قراءتى عليه كتابه الموسوم « بتقريب الأصول » فى أخريات من الكلام فى

---

(١) عمرو بن معديكرب الزبيدى كان فارسا من فرسان اليمن وصاحب غارات مشهورة . وفد على النبى عليه السلام سنة ٩هـ فأسلم وقومه ، ولما توفى النبى ارتد عن الإسلام ، ثم رجع إليه فحسن إسلامه وشهد واقعة القادسية وسائر الفتوح . ومن شعره قصيدته التى يقول فيها :

إذا لم تستطع شيئا فدعه ... وجاوزه إلى ماتستطيع

وتوفى سنة ٢١هـ على مقربة من مدينة الرى .

(٢) كان مقتضى الترتيب هنا أن يقول : من الجبن عند النزال ، والعى عند المقال ، والبخل عند السؤال ، ليصح التقسيم .

(٣) نافع بن خليفة الغنوى شاعر روى القالى قطعة من شعره فى « ذيل الأمالى » ص ١١٦ ، كما ذكر الجاحظ فى « البيان والتبيين » أبياتا من شعره ج ١ ص ١٧٦ . وقد جهدت ــ بعد جهد العلامة عبدالعزيز الميمنى ــ فى معرفة شىء عنه فلم أوفق . ويقول عنه فى « سمط اللآلى » : (ونافع لم أعرفه ، ولاذكره الآمدى) ج ٣ من السمط ص ٥٥ .

(٤) هو أبو الحسين الشافعى المعتزلى . وكان أحد شيوخ المؤلف . قرأ عليه فى مجازات القرآن وفى المجازات النبوية . وكان شيخ الاعتزال فى عصره . ويلقب بقاضى القضاة ولا يطلقون هذا اللقب على غيره . توفى بالرى سنة ٤١٥ . انظر الأعلام للزركلى ، والغدير ج ٤ للأمينى ص ١٦٣ . وقد كان فى الأصل « أبو الحسن » فأصلحناه عن « الأعلام »

التعديل والتجوير، أنه لو لم يكن الأمر على ما قلناه فى إغفال القلب من أن المراد بذلك مصادفته غافلا، وكان على ما قاله الخصوم من أنه تعالى صدف به عن أمره، وصرفه عن ذكره لوجب أن يقول سبحانه: فاتَّبَع هَوَاه. لقول القائل: أعطيته فأخذ، وبسطته فانبسط، وأكرهته فأذَل. أى كانت هذه الأفعال منه مسببة عن أفعالى به. لأن هذا وجه الكلام فى الأغلب الأعرف. فلما جاء بالواو صار كأنه قال: ولا تطع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه. لأنه إذا وُجد غافلا فهو الذى غفل، والفعل حينئذ له ومنسوب إليه.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا، وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِى الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [٢٩]. وفى هذه الآية استعارتان: أولاهما قوله تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ والسرادق هو الفسطاط المحيط به. فوصفهُ[(١)] ـ سبحانه ـ النار بالإحاطة والاشتمال فلا ينجو منها ناج، ولا يُطلق منها عانٍ. وذلك كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ [(٢)]. أى حبسا تحصرهم، وطولاً تقصرهم، ومثل قوله سبحانه ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ قوله: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ، فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [(٣)] والمؤصدة: المغلقة المطبقة. من قولهم أوصدت الباب وأصدته[(٤)]. إذا أغلقته وأطبقته. وقرىء: عُمُد وعَمَد. والمراد بقوله سبحانه: ﴿فِى عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ مِثْلُ المراد فى قوله: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾

---

(١) هكذا بالأصل. وهو تحريف من الناسخ صوابه «فوصف».

(٢) سورة الإسراء. الآية رقم ٨.

(٣) سورة الهمزة الآيتان ٨، ٩.

(٤) ويقال أيضا آصد الباب على وزن أفعل مثل أصد بالتضعيف.

تشبيها بتمديد الأخبية والسرادقات بالأطناب ، و إقامتها على الأعماد .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ والمرتفق : المتكأ ، وهو مايعتمد عليه بالمرفق ، ومنه المرفقة وهى المخدَّة . وذلك نظير قوله سبحانه : ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ [1] فلما جاء سبحانه بذكر السرادق جاء بذكر المرافق ، ليتشابه الكلام .

وروى عن بعضهم أنه قال : معنى مُرْتَفَقًا . أى مجتمعا، كأنه ذَهَب إلى معنى : وساءت مرافِقُه . والمرافقة لا تكون إلا بالاجتماع جماعةً . وهذا القول يُخرج الكلامَ عن حدِّ الاستعارة فيُدْخلهُ فى باب الحقيقة . والوجه الأول أقوى . ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ، نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ [٣١] فجاء بذكر الارتفاق لما قدَّم ذكر الاتكاء . وهذا أوضح[2] مشاهد .

وقوله سبحانه : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . لأن الظلم ههنا ليس على أصله فى اللغة ، ولا على عرفه فى الشريعة . لأنه فى اللغة اسم لوضع الشيء فى غير موضعه . وفى الشريعة اسم للضرر المفعول ، لا على وجه الاستحقاق ، ولا فيه استجلاب نفع ، ولا دَفْع ضرر .

والمراد بقوله تعالى ههنا : ﴿ وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا ﴾ أى لم تَمْنع منه شيئا . و إنما حسُن أن يعبر عن هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان ثمرُ تلك الجنة التى هى البستان كالمستحق لمالكها . فإذا أَخَذ حقه على كماله وتمامه حَسُن أن يُقال : إنها لم تظلم منه شيئا . أى لم

---

(١) سورة الرعد . الآية رقم ٢٠ وفى سورة آل عمران . آية رقم ١٩٧ قوله تعالى « ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد » فالآيتان متشابهتان إلا فى « ثم » بدلا من الواو .

(٢) هكذا بالأصل . ولعلها : واضح .

تمنع منه مستحقا، فتكون فى حكم الظالم إذ أضرت بمالكها فى نقصان زروعها، وإخلاف ثمارها. ومما يقوِّى ذلك قوله سبحانه: ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾. أى أعطت أكلها. فلما جاء بلفظ الإعطاء حسُن أن يجىء بلفظ الظلم. ومعناه ههنا المنع. فكأنه تعالى قال: أعطت مااستحق عليها، ولم تمنع منه شيئا.

وقوله تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [٥٦] وهذه استعارة. وأصل الدَّحض الزَّلق. ومكانٌ دَحِضٌ: أى مزلق. فكأنه سبحانه قال: ليزلُّوا الحق بعد ثباته، ويزيلوه عن مستقراته. فيكون كالكسير بعد قوته، والمائل بعد استقامته.

وقوله سبحانه ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [٥٧]. وهذه استعارة. لأن المراد بذكر اليدين ههنا ما كسبه الإنسان من العمل الذى يجر العقاب، ويوجب النكال. ومثله فى القرآن كثير. كقوله سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ (١) وذلك على طريقة للعرب معروفة. وهو أن يقولوا للجانى المعاقَب: هـذا ماجنَتْ يداك. وهذا ما كسبت يداك. وإن لم تكن جنايته عملا بيد، بل كانت قولاً بفم. لأن الغالب على أفعال الفاعلين أن يفعلوها بأيديهم، فحمل الأمرُ على الأعرف، وخرج على الأكثر. وعلى هذا المعنى تسمى النعمة يداً، لأن المنعم فى الأغلب يُعطى بيده ما يُنعم به، وإن لم يقع ذلك فى كل حال، وإنما الحكم للأظهر، والقول على الأكثر.

وقوله سبحانه: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [٧٧] وهذه استعارة. لأن الإرادة على حقيقتها لاتصح على الجماد. والمعنى: يكاد أن ينقضَّ، أى

---

(١) سورة آل عمران. الآية رقم ١٨٢.

يقارب أن ينقضّ . على التشبيه بحال من يُريد أن يفعل فى البانى ، لأنه لما ظهرت فيه أمارات الانقضاض ، من ميل بعد انتصاب ، واضطراب بعد ثبات ، حَسُنَ أن يطلق عليه إرادة الوقوع ، على طريقة الاتساع (١) .

وتردُ فى كلامهم كاد بمعنى أراد ، وأراد بمعنى كاد . وجاء فى القرآن العظيم قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ﴾ (٢) أى أردنا ليوسف .

وقوله سبحانه . ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ (٣) معناه — على أحد الأقوال — أريد أخفيها . ومما ورد فى أشعارهم شاهدا على ذلك قول عمر بن أبى ربيعة :

كادت وكدتُ ، وتلك خير إرادة ... لو عاد من لهو الصَّبابة مامضى (٤)

فقال : وتلك خير إرادة ، والإشارة إلى كادتْ ، وكدتُ .

وأوضح من هذا قول الأفوه الأودى (٥)

فَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ ... وَسَاكِنٌ بَلَغُوا ٱلْأَمرَ الذى كادوا

أى الذى أرادوا .

---

(١) فى الأصل : « الأتساع » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة يوسف . الآية رقم ٧٦ .

(٣) سورة طه . الآية رقم ١٥ .

(٤) هذا البيت لم ينسب لقائله فى « شرح شواهد الكشاف » المسمى « تنزيل الآيات ، على الشواهد من الأبيات » للعلامة محب الدين أفندى ، ولم ينسبه القرطبي لأحد وإنما نقل عن الأنبارى قوله : وشاهد هذا قول الفصيح من الشعر — انظر « جامع أحكام القرآن » ج ١١ ص ١٨٤ .

(٥) هو صلاءة بن عمرو بن مالك . وهو شاعر يمانى جاهلى اشتهر بالسيادة والقيادة . وهذا البيت من قصيدة مشهورة يقول فيها :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سـادوا

وقبل بيت الشاهد هذا البيت :

والبيت لايبتنى إلا له عمد ... ولا عماد إذالم ترس أوتاد

وقد نسبه صاحب « شواهد الكشاف » للراقدة الأودي، وهو تحريف مطبعي ، لأن مثل هذا لايخفى على العلامة محب الدين .

فأما قول الشاعر (١) .

يُرِيد الرمْحُ صَدْرَ أَبى براء ... وَيرْغَبُ عَن دِمَاء بَنِي عقيل

فليس يصح حمله على مقاربة الفعل ، كما قلنا فى قوله سبحانه : ﴿ جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ ﴾ لأنه لايستقيمُ على الكلام أن يقول : يكاد الرمح صدر أبى براء . وإنما ذلك على سبيل الاستعارة ، لأن صاحب الرمح إذا أراد ذلك كان الرمح كأنه مريد له . فأما قول الراعى يصف الإبل :

فِي مَهْمَهٍ فُلِقَتْ بِهِ هَامَاتها ... فَلْقَ الْفُؤوس إِذَا أَرَدْنَ نصولا (٢)

فإنه بمعنى مقاربة الفعل ، لأن الفؤوس إذا فلقت فى نُصبها قاربت أن تسقط ، فجعل ذلك كالإرادة منها . والنصول هنا مصدر نَصَلَ نُصُولاً ، مثل وقع وقوعا . وهذا البيت من أقوى الشواهد على الآية .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [٩٩] وهذه استعارة . لأن أصل الموجان من صفات الماء الكثير ، وإنما عبَّر سبحانه بذلك عن شدة اختلافهم ودخول بعضهم فى بعض لكثرة أضدادهم ، تشبيها بموج البحر المتلاطم ، والتفاف الدبا (٣) المتعاظل .

---

(١) لم ينسب هذا البيت لقائله فى « جامع أحكام القرآن » ج ١١ ص ٢٦ ، وكذلك لم ينسبه ابن مطرف الكنانى فى كتابه « القرطين » طبع الخانجى ص ٢٦٩ واكتفى بما أنشده السجستانى عن أبى عبيدة . وكذلك لم ينسبه ابن قتيبة فى « تأويل مشكل القرآن » ولا « لسان العرب » . وأبو براء هو عامر بن مالك ولقبه ملاعب الأسنة . وترى أخباره فى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة صفحات ٢٣١ ، ٢٣٥ ، ٢٩٥ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ . وقد كان البيت فى الأصل : « تريد الريح . . . الخ » فأصلحناه عن القرطبى وابن مطرف الكنانى .

(٢) لم ينسب هذا البيت لقائله فى القرطبى ج ١١ ص ٢٦ .

(٣) الدبا : الجراد الصغير ، أو النمل . والمتعاظل : المتراكب بعضه فى بعض

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ [١٠١] وهذه استعارة . وليس المراد أن عيونهم على الحقيقة كانت فى غطاء يسترها وحجاز يحجزها . وإنما المعنى أنهم كانوا ينظرون فلا يعتبرون ، أو تعرض لهم العبر فلا ينظرون . ومن الدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ عَنْ ذِكْرِي ﴾ لأن الأعين لاتوصف بأنها فى غطاء عن ذكر الله تعالى ، لأن ذلك من صفات ذوى العيون . وإنما المراد أن أعينهم كانت تذهب صفحا عن مواقع العبر ، فلا يفكرون فيها ، ولا يعتبرون بها ، فيذكرون الله سبحانه عند إجالة أفكارهم ، وتصريف خواطرهم . وهذا من غرائب القرآن وعجائبه ، وغوامض هذا الكلام ومناسبه .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا ، وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [١٠٤] وهذه استعارة . وأصل الضلال ذهاب القاصد عن سَنَن (١) طريقه . فكأنَّ سعيهم لما كان فى غير الطريق المؤدية إلى رضا الله سبحانه ، حَسُن أن يُوصَفَ بالضلال ، والعدول عن سنن الرشاد .

وقوله سبحانه : ﴿ أُولَـٰئِكَ (٢) ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ، فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ، فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ [١٠٥] . وفى هذه الآية استعارتان إحداهما قوله سبحانه : ﴿ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ ﴾ وتأويل لقائه ههنا على وجهين : أحدهما أن يكون فيه مضاف محذوف . فكأنه تعالى قال : ولقاء ثوابه وعقابه . أو جنَّته وناره . والوجه الآخر أن يكون معنى ذلك رجوعهم إلى دار لاأمر فيها لغير الله سبحانه . فيصيرون إليها من غير أن يكون لهم عنها محيص ، أودونها محيد . وذلك مأخوذ من مقابلتك الشىء من غير أن تصرف عنه وجهك يمينا ولا شمالا .

---

(١) فى الأصل « سر » وهو تحريف من الناسخ .

(٢) فى الأصل بدئت الآية بغير لفظة أولئك وهو تحريف من الناسخ .

يقول القائل : لقيتُ فلانا . أى قابلته بجملتى . وتقول : دارى تلقاء دارِ فلان . أى مقابلتها . فكانت كل واحدة منهما كالمقبلة على الأخرى . فلما كان لأحد يوم القيامة يستطيع انصرافا عن الوجهة التى أمر الله سبحانه بجمع الناس إليها ، وحشرهم نحوها ، سُمِّى ذلك لقاء الله سبحانه على السَّعة والمجاز .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾ والمراد بذلك ـ والله أعلم ـ أنا لانجد لهم أعمالا صالحة تثقل[١] بها موازينهم يوم القيامة . والميزان إذا كان ثقيلا سُمِّى مستقيما ، وقائما . وإذا كان خفيفا سُمِّى عادلا ، ومائلا .

وقد يجوز أن يكون معنى ذلك أنهم لااعتداد بهم ، ولا نباهة لذكرهم فى يوم القيامة . كما يقال فى التحقير للشىء : هذا لاوزن له ولا قيمة . وكما تقول : فلان عندى بالميزان الراجح ، إذا كان كريما عليك ، أو حبيبا إليك .

---

(١) فى الأصل : يثقل بالياء وهى تحريف .

ومن السورة التى يذكر فيها
« مريم عليها السلام »

قوله سبحانه : ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ [٤] وهذه من الاستعارات العجيبة . والمراد بذلك : العبارة عن تكاثر الشَّيْب فى الرأس حتى يقهر بياضه ، وينصل سواده .

وفى هذا الكلام دليل على سرعة تضاعف الشيب وتزيُّده وتلاحُق مَدَدِه ، حتى يصير فى الإسراع والانتشار كاشتعال النار ، يعجز مُطفيه، ويُغْلب متلافيه .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَجَاءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾ [٢٣] . وهذه استعارة . والمعنى : فجاءَ بها المخاض ، أو ألجأَها المخاض إلى جذع النخلة ، لتجعله سنادا لها ، أو عمادا لظهرها . وهى التى لجأت إلى النخلة ، ولكنَّ ضَرْب المخاض لما كان سببا لذلك ، حَسُن أن يُنسب الفعل إليه فى إلجائها ، والمجىء بها

وقوله سبحانه : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ [٥٠] وهذه استعارة . والمراد بذكر اللسان هبنا ـ والله أعلم ـ الثناء الجميل[1] الباقى فى أعقابهم ، والخالف فى آبائهم[2] . والعرب تقول : جاءنى لسان فلان . يريد مدحه أو ذمه . ولما كان مصدر المدح والذم عن اللسان عبروا عنهما باسم اللسان .

وإنما قال سبحانه : ﴿ لِسَانَ صِدْقٍ ﴾ . إضافةً للسان إلى أفضل حالاته ، وأشرف متصرفاته ، لأن أفضل أحوال اللسان أن يُخبر صدقا ، أو يقول حقا .

---

(١) فى الأصل : (الجل) وهو تحريف من الناسخ .
(٢) أي الباقي فى آبائهم .

ومن السورة التى يذكر فيها

موسى عليه السلام وهى « طه »

قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [١٥] وهـذه استعارة على أحد التأويلين . وهو مما سمعته من شيخنا أبى الفتح النحوى[١] ، عفا الله عنه . قال : الذى عليه حُذَّاق أصحابنا: أَنَّ كاد ههنا على بابها من معنى المقاربة . إلا أن قوله تعالى : أُخْفِيها يؤُول إلى معنى الإظهار . لأن المراد به : أكاد أَسْلُبها خفاءها . والْخَفاء: الغشاء والغِطاء . مأخوذ من خَفَاء[٢] القربة ، وهو الغشاء الذى يكون عليها .

فإذا سُلِبَ عن الساعة غطاؤها المانع من تجليها ظهرت للناس فرأوها . فكأنه تعالى قال: أكاد أُظهرها . قال لى : وأنشدنى أبو على[٣] منذ أيام بيتا هو من أنطق الشواهد على الغرض الذى رمينا . وكان سماعى ذلك من أبى الفتح رحمه الله ، وأبو على حينئذ باق لم يمت . وهو قول الشاعر[٤] .

لقد عَلِمَ ٱلْأَيْقَاظُ أخفية الـكرى ... تَزَجُّجَهَا من حالك واكتِحالَهَا

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى إمام النحو المشهور وأستاذ المؤلف ، وقد سبق تعريفنا به فى هوامش مجازات سورة التوبة .

(٢) الخفاء : الغطاء : وجمعه أخفية .

(٣) أبو على هو أبو على الفارسى ، واسمه الحسن بن أحمد بن عبد الغفار ، كان إماما فى العربية . وكان يسأل فى كل بلد يحل فيه عن مسائل من اللغة والنحو والصرف فيجيب إجابات سديدة . وصنف فى أسئلة كل بلد كتابا . وقد تعاصر المؤلف وابن جنى وأبو على الفارسى . وكان المؤلف شابا ناشئا حين تقدمت السن بأبى على الفارسى الذى توفى سنة ٣٧٧ هـ على حين أن الشريف الرضى ولد سنة ٣٥٩ هـ .

(٤) هذا البيت لم يذكره قائل . وهو من أبيات الشواهد فى « لسان العرب » ولم ينسب لقائله . وأخفية النور: أكمته . وأخفية الـكرى : الأعين .

ومعناه : لقد علم الأيقاظ عيونا . فجعل العين للنوم فى أنها مشتملة عليه ، كالخفاء للقربة فى أنه مشتمل عليها .

وقول الشاعر : أخفية الكرى من الاستعارات العجيبة ، والبدائع الغريبة . وقوله : تزجُّجَها من حالك واكتحالها . يعود على العيون . كأنه قال : تَزَجُّجَ العيون واكتحالها من سواد الليل . وهذا لا يكون إلا مع السهر وامتناع النوم ، لأن العيون حينئذ بانفتاحها تكون كالمباشرة لسواد الظلماء ، فيكون كالكُحل لها .

والتزجُّجُ : اسوداد العينين من الكحل . يقال : زجَّجت [١] المرأة عينها وحاجبها . إذا سودتهما بالإثمد .

وعلى التأويل الآخر يبعد الكلام عن طريق الاستعارة . وهو أن يكون أكاد ههنا بمعنى أريد ، كما قلنا فيما مضى [٢] . ومن الشواهد على ذلك قول الشاعر :

أمنخرم شعبان لم تقض حاجة ... من الحاج كنا فى الأصم [٣] نكيدها

أى كنا نريدها فى رجب . ويكون « أخفيها » على موضوعه من غير أن يعكس عن وجهه . ويكون المعنى : إن الساعة آتية أريد أستروقت مجيئها ، لما فى ذلك من المصلحة . لأنه إذا كان المراد بإقامتها المجازاة على الأفعال ، والمؤاخذة بالأعمال ، كانت

---

(١) ومنه قول الشاعر الراعى النميرى :

إذا ما الغانيات برزن يوما ... وزججن الحواجب والعيونا

وهذا البيت من شواهد النحو فى باب المفعول معه . انظر « أوضح المسالك ، إلى ألفية ابن مالك » الشاهد ٢٥٩ .

(٢) فى الآية رقم ٧٧ من سورة الكهف .

(٣) الأصم : شهر رجب . وسمى بذلك لأنه كان لا يسمع فيه صوت السلاح لكونه شهرا حراما . انظر لسان العرب . وقال الخليل : إنما سمى بذلك لأنه كان لايسمع فيه صوت مستغيث ، ولا حركة قتال ، ولا قعقعة سلاح ، لأنه من الأشهر الحرم .

الحكمة فى إخفاء وقتها، ليكون الخلق فى كل حين وزمان على حذر من مجيئها، ووَجَلٍ من بغتتها[1]، فيستعدوا قبل حلولها، ويمهدوا قبل نزولها.

ويقوى ذلك قوله سبحانه: ﴿لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ [١٥].

وقوله سبحانه: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ، سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [٢١] وهذه استعارة. لأن المراد بالسيرة ههنا الطريقة والعادة. وأصل السيرة مضىُّ الإنسان فى تدبير بعض الأمور على طريقة حسنة أو قبيحة. يقال: سار فلان الأميرُ فينا سيرة جميلة. وسار بنا سِيرة قبيحة. ولكن موسى عليه السلام لما كان يصرف عصاه ـ قبل أن تنقلب[2] حية ـ فى أشياء من مصالحه، كما حكى سبحانه عنه بقوله: ﴿هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا، وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي[3] وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [١٨] ثم قلبت حية، جاز أن يقول تعالى: ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ أى إلى الحال التى كنت تصرفها معها فى المصالح المذكورة، لأن تصرفها فى تلك الوجوه كالسيرة لها، والطريقة المعروفة منها. والمراد: سنعيدها إلى سيرتها الأولى. فانتصبت السيرة بإسقاط الجار[4].

وقوله سبحانه: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [٢٢] وهذه استعارة. والمراد بها ـ والله أعلم ـ وأدخل يدك فى قميصك مما يلى إحدى جهتى يديك. وسميت تلك الجهتان جناحين، لأنهما فى موضع الجناحين من الطائر. ويوضح عما ذكرنا قوله سبحانه فى مكان آخر: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾[5] والجيب فى جهة إحدى اليدين.

(١) فى الأصل: بغتها، وهو تحريف من الناسخ.
(٢) فى الأصل: (تعلب) وهى تحريف.
(٣) سورة طه. الآية رقم ١٨.
(٤) إذا نزع الخافض، أو سقط الجار انتصب الاسم بعده بدلا من جره.
(٥) سورة النمل. الآية رقم ١٢.

وقوله سبحانه : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْـدَةً مِنْ لِسَانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ [٢٧] ، [٢٨] وهذه استعارة . والمراد بها إزالة لفف(١) كان فى لسانه ، فعبر عنه بالعقدة . وعبر عن مسألة إزالته بحل العقدة ، ملاءمة بين النظام ، ومناسبةً بين الـكلام .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك إزالة التقية عن لسانه وكفايته سطوة فرعون وغواته ، حتى يؤدى عن الله سبحانه آمنا ، ويقول متمكنا ، فلا يكون معقود اللسان بالتقية، ومعكوم الفم بالخوف والمراقبة . وذلك كقول القائل : لسان فلان معقود : إذا كان خائفا من الـكلام . ولسانُ فلان منطلق : إذا كان مقداما على المقال .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى ﴾ [٣٩] . وفى هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله سبحانه : ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّى ﴾ وليس المراد أن هناك شيئاً يُلقَى عليه فى الحقيقة ، ولـكن المعنى أننى جعلتك بحيث لا يراك أحد إلا أحبك ، ومال قلبه نحوك ، حتى أحبك فرعون وامرأته ، فتبنَّياك وَرَبَّياك ، واسترضعا لك، وكفلاك . وهذا كقول القائل : على وجه فلان قبول . وليس هناك على الحقيقة شىء يومأ إليه . إلا أن كل ناظر ينظر إليه يقبله ، قلبه وتسر به نفسه .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِى ﴾ والمراد بذلك ـ والله أعلم ـ أن تتربى بحيث أرعاك وأراك . وليس أن ههنا شيئاً يغيب عن رؤية الله سبحانه ، ولـكن هذا الـكلام يفيد الاختصاص بشدة الرعاية ، وفرط الحفظ والـكلاءة(١) . ولما كان الحافظ للشىء فى الأغلب يديم مراعاته بعينه ، جاء تعالى باسم العين بدلا من ذِكْر الحفظ والحراسة ، على طريق المجاز والاستعارة .

---

(١) اللفف : التواء عصب فى اللسان يعطله عن الـكلام .

(٢) فى الأصل «والـكلاية» والصواب همزها .

ويقول العربى لغيره : أنت منى بمرأى ومسمع . يريد بذلك أنه متوفر عليه برعايته ، ومنصرف إليه بمراعاته .

وقوله سبحانه : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[٤١]وهذه استعارة . والمراد بها : واصطنعتك لتبلغ رسالتى ، وتنصرف على إرادتى ومحبتى، وقال بعضهم : معنى لنفسى ههنا : أى لمحبتى . وإنما جاز أن يوقع النفس موقع المحبة لأن المحبة أخص شىء بالنفس ، فحسن أن تسمى بالنفس . وقد[1] يجوز أن يكون ذلك على معنى قول القائل : اتخذت هذا الغلام لنفسى ، أى جعلته خاصاً لخدمتى ، لا يشاركنى فى استخدامه أحد غيرى . وسواء قال : اتخذته أو اتخذته لنفسى ، فى فائدة الاختصاص ، ليس أن هناك شيئاً يتعلق بالنفس على الحقيقة .

وقوله سبحانه : ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [٥٠] وهذه استعارة على أحد التأويلين . والمراد بها ـ والله أعلم ـ أنه أكمل لكل شىءصورته ، وأتقن خلقته ، وهذا يعم كلَّ مصوَّر من حيوان وجماد وغير ذلك . فلا معنى لحمل مَنْ حمله على الحيوان فقط .

وعندى فى ذلك وجه آخر ، وإن كان الكلام يخرج به من باب الاستعارة . وهو أن يكون فى الكلام تقدير وتأخير . فكأنه سبحانه قال : ربُّنا الذى أعطى خلقه كل شىء ، ثم هداهم إلى مطاعمهم ومشاربهم ، ومناكحهم ، ومساكنهم وغير ذلك من مصالحهم . ويكون ذلك نظير قوله تعالى : ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾[2] . ويكون المراد أنه سبحانه أعطى خلقه فى أول خلقهم

---

(١) فى الأصل « فقد » ولا معنى للعطف بالفاء هنا .

(٢) سورة إبراهيم . الآية رقم ٣٤ .

كل[1] ما تزاح به عللهم ، ويتكامل معه خلقهم، من سلامة الأعضاء ، واعتدال الأجزاء، وترتيب المشاعر والحواس ، ومواقع الأسماع والأبصار ، ثم هداهم من بعد لمصالحهم ، ودلهم على منا كحهم ، وأجراهم فى مضمار التكليف إلى غاياتهم .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا ﴾ [2] [٥٣] وقد قُرِىء مَهْدًا . وهذه استعارة . والمراد بها تشبيه الأرض بالمهاد المفترش ، ليمكن الاستقرار عليها ، والتقلب فيها . وقد مضى نظير هذه الاستعارة فيما تقدم . ومعنى المهاد والمهد واحد . وهو مثل الفرش والفِراش . إلا أن المهد ربما استعمل فى رسم الآلة التى يُجعل فيها الصبى الصغير ليحفظه ، وهو يؤول إلى معنى الفِراش . والمَهْدُ أيضا : مصدر مَهَدَ ، يمهد ، مَهْدا . إذا مكَّن موضعا لقدمه ، ومضجعا لجنبه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [١١١] وهذه استعارة . والمراد بها مايظهر فى الوجوه يوم القيامة من آثار الضرع ، وأعلام الجزع . وذلك مأخوذ من تسميتهم الأسير « العانى » . ومنه ماجاء فى بعض الكلام : النساء عَوَانٍ عند أزواجهن . أى أُسراء فى أيدى الأزواج . وعلى ذلك قولُ القائل : هذه المرأة فى حبال فلان . لأنه بما عَقَده من نكاحها كالآسر[3] لها ، والمالِكِ[4] لرقها . فكأن الوجوه خضعت من خشية الله تعالى خضوع الأسير الذليل ، فى يد الآسر العزيز .

---

(١) كتبها الناسخ « كلما » موصولة ، ولا محل للوصل هنا . فإن كل مضافة إلى ما التى بمعنى الذى.

(٢) قرأ الكوفيون هنا وفى سورة الزخرف : مهدا ، أى كالمهد . وقرأ الباقون : مهادا وهو اسم مايمهد كالفراش أو جمع مهد . انظر «أنوار التنزيل وأسرار التأويل» للبيضاوى ج ٤ ص ٢٤ .

(٣) فى الأصل : (كالأسر) وهو تحريف من الناسخ .

(٤) فى الأصل : (والملك) وهو تحريف أيضا .

ومن السورة التى يذكر فيها

«الأنبياء عليهم السلام»

قوله سبحانه : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ [١١] وحقيقة القَصْم كَسْر الشىء الصاب . وجُعل ههنا مستعارا للعبارة عن إهلاك الجبارين من أهل القرى أَصْلبَ ما كانوا عيدانا ، وأمنعَ أركانا .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ [١٥] وفى هذه الآية استعارتان . لأنه سبحانه جعل القوم الذين أهلكهم بعذابه بمنزلة النبات المحصود ، الذى أُنيم بعد قيامه ، وأُهمد بعد اشتطاطه واهتزازه

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ خَامِدِينَ ﴾ والخمودُ من صفات النار ، كما كان الحصيد من صفات النبات . فكأنه سبحانه شبَّه همود أجسامهم بعد حراكها بخمود النار بعد اشتعالها . وقد يجوز أيضا ـ والله أعلم ـ أن يكون المراد تشبيههم بالنبات الذى حُصد ثم أحرق . فيكون ذلك أبلغَ فى صفتهم بالهلاك والبوار ، وامِّحاء المعالم والآثار . لاجتماع صفتى الحصد والإحراق. وقال سبحانه : ﴿ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴾ . ولم يقل خامدا ، كما قال تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ (١) ولم يقل خاضعة . لأنه سبحانه ردَّ معنى خاضعين علىٰ أصحاب الأعناق ، لا على الأعناق . وكذلك يجوز رد معنى خامدين على القوم الذين أهلكوا ، لا على النبات الذى به شبِّهوا .

---

(١) سورة الشعراء . الآية رقم ٤ .

وقيل معنى : ﴿ حَتَّى (١) جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا ﴾ أى سلطنا عليهم السيف يختليهم كما تُختلى الزروع بالمنجل. وقد جاء فى الكلام : جعله الله حصيد سيفك ، وأسير خوفك ·

وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ، وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [١٨]. وهذه استعارة . لأن حقيقة القذف من صفات الأشياء الثقيلة ، التى يُرجم بها ، كالحجارة وغيرها . فجعل ـ سبحانه ـ إيراد الحق على الباطل بمنزلة الحجر الثقيل ، الذى يرضُّ ماصَكَّهُ ، ويدمغ مامَسَّهُ . ولما بدأ تعالى بذكر قذف الحق على الباطل وَفَّى الاستعارة حقها ، وأعطاها واجبها ، فقال سبحانه : ﴿ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ولم يقل فيذهبه ويبطله . لأن الدمغ إنما يكون عن وقوع الأشياء الثقال ، وعلى طريق الغلبة والاستعلاء . فكأن الحق أصاب دماغ الباطل فأهلكه . والدماغُ مَقْتَلٌ . ولذلك قال سبحانه من بعد : ﴿ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ والزاهق : الهالك.

وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ [٣٠] . وهذه استعارة . لأن الرَّتْق هو سد خصاصة(٢) الشىء . ويقال : رَتَق فلانٌ الفتْق . إذا سَدَّهُ . ومنه قيل للمرأة : رتْقاء . إذا كان موضع مَرِّها من الذَّكَر ملتحما . وأصل ذلك مأخوذ من قولهم : رَتَق فَتْقَ الخباء والفسطاط وما يجرى مجراهما . إذا خاطه . فكأن السموات والأرض كانتا كالشىء المخِيطِ الملتصق بعضه ببعض ، ففتقهما سبحانه ، بأن صدع ما بينهما بالهواء الرقيق، والجو الفسيح .

---

(١) فى الأصل : (فجعلناهم) وهو تحريف من الناسخ ، لأن الآية التى يبين المؤلف المجاز فيها هى قوله تعالى : «فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين » .

(٢) فى الأصل « حصاصه » بدون نقط .

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ صلوات الله عليه وآله ـ معنى أن السموات كانت لا تمطر، والأرض لا تنبت . ففتق الله سبحانه السماء بالأمطار ، والأرض بالنبات[١] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَاءَ سَقْفاً مَّحْفُوظاً ﴾ [٣٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة السقف ما أظلّ الإنسان ، من علو بيت أو خباء ، أو ما يجرى مجرى ذلك . فلما كانت السماء تظل من تحتها ، وتعلو على أرضها ، حَسُنَ أن تسمّى[٢] سقفا لذلك . ومعنى محفوظا : أى تحفظ[٣] مما لا يمكن أن تحفظ من مثله سائر السقوف ، من الانفراج والانهدام والتشعث والاسترمام . وقد قيل : معنى ذلك حِفظُ السماء من مَسارق السمع ، وتحصينها بمقاذف الشهب .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ، وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . لأن أصل السبح هو التقلب والانتشار فى الأرض . ومنه السباحة فى الماء . ولا يكون ذلك إلا من حيوان يتصرف . ولكن الله سبحانه لما جعل الليل والنهار والشمس والقمر مسخرة للتقلب فى هذا الفَلَك الدائر والصفيح السائر ، تتعاقب فيه وتتغاير ، وتتقارب وتتباعد ، حَسُنَ أن يعبِّر عنها بما يعبر به عن الحيوان المتصرف ، وزيدت على ذلك شيئا ، فعبر عنها بالعبارة عن الحيوان المميز . فقيل : يسبحون ، ولم يقل : تسبح ، لأنها فى الجرى على الترتيب المتقن والتقدير المحكم أقوى تصرفا من الحيوان غير المميز . ولأن الله سبحانه أضاف إليها الفعل على تدبير ما يعقل ، فحسُن أن يعبر عنها بالعبارة

---

(١) نسب الشريف الرضى هذا الكلام للإمام على بن أبى طالب . وهذا التفسير منسوب لابن عباس رضى الله عنه ، كما ذكرنا ذلك فى مقدمة الكتاب ، وانظر « مناهل العرفان فى علوم القرآن » للزرقانى ج ١ ص ٤٨٣ . ورواية الإمام السيوطى فى « الإتقان » تؤيد قولنا ، انظر ص ١٨٧ ج ٢ من كتاب « الإتقان فى علوم القرآن » للسيوطى .

(٢) فى الأصل : يسمى بالياء وهو تحريف .

(٣) فى الأصل : (يحفظ) بالياء وهو تحريف .

عما يعقل مثل قوله تعالى : ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (١) . ومثل قوله سبحانه : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ (٢) فقال : ادخلوا ولم يقل ادْخُلن. لأن خطابها لما خرج على مخرج خطاب من يعقل كان الأمر لها على مثال أمر من يعقل . وقد مضى الكلام على ذلك فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ [٣٧] . وهذه استعارة . والمراد أن الإنسان خلق مستعجلا بطلب (٣) مايؤثره ، واستطراف مايحذره . والله سبحانه إنما يعطيه ماطلب ، ويصرف عنه مارهب ، على حسب مايعلمه من مصالحه ، لاعلى حسب مايسنح من مآربه .

وقيل ذلك على طريق المبالغة فى وصف الإنسان بالعجلة ، كما يُقال فى الرجل الذكى : إنما هو نار تتوقد ، وللإنسان البليد : إنما هو حجر جامد .

فأما من قال من أصحاب التفسير: إن العَجَل ههنا اسم من أسماء الطين ، وأورد عليه شاهدا من الشعر ، فلا اعتبار بقوله ، ولا التفات إلى شاهده ، فإنه شعر مولد (٤) وقول فاسد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَاوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ [٤٦] . ولفظ النفحة ههنا مستعار . والمراد بها إصابة الشىء اليسير من العذاب .

---

(١) سورة يوسف . الآية رقم ٤ .

(٢) سورة النمل . الآية رقم ١٨ .

(٣) فى الأصل : (يطلب) بالياء المثناة التحتية . وهو تحريف .

(٤) أما الشعر الذى أنشدوه ليثبتوا به أن العجل هو الطين ، فهو قول الشاعر :

والنبع فى الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل

انظر « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبي ج ١١ ص٢٨٩ .

يقال : نَفَحَ فلان فلانا بيده . ونَفَحَ الفرَسُ فلانا بحافره. إذا أصابه إصابةً خفيفة ، ولم يبلغ فى إيلامه الغاية . فكأن النفحة هونا قدْر يسير من العذاب ، يدل واقعه على عظيم متوقعه (١) ، [و] شاهده على فظيع غائبه .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ، لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ [٦٥] وهذه استعارة . والمراد بها وصف مالحقهم من الخضوع والاستكانة والإطراق عند لزوم الحجة ، فكأنهم شُبِّهوا بالمتردى على رأسه ، تدويخا بنصوع البيان ، وإبلاسا عند وضوح البرهان .

وقوله سبحانه : ﴿ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ [٧٤] ولفظ القرية هونا مستعار . والمراد به الجماعة التى كانت تعمل الخبائث من أهل القرية . وكشف سبحانه عن ذلك بقوله : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ وفى هذا الكلام خبر عجيب ، لأنه تعالى جعل مايلى لفظ القرية مؤنثا ، إذ كانت مؤنثة ، فقال : ﴿ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ﴾ . وجعل بقية الكلام مذكرا ، فقال : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴾ لأن المراد به مذكر ، فصار الكلام فى الآية على قسمين : قسم عائد إلى اللفظ ، وقسم عائد على المعنى . وهذا من عجائب القرآن .

وقوله سبحانه : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ، وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [٧٩] ويسبح هونا استعارة . وقد مضى من الكلام فى « الرعد » على قوله تعالى : ﴿ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ﴾ (٢) ماهو بعينه تأويل تسبيح الجبال هونا . وقد قيل فى ذلك وجه آخر يخرج به

---

(١) فى الأصل بدون واو . وقد أثبتناها بين حاصرتين ، لأن بها يستقيم نسق الكلام .

(٢) سورة الرعد الآية رقم ١٣ .

الكلام من حد الاستعارة . وهو أن يكون قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحْنَ﴾ ههنا مأخوذا من التسبيح ، وهو الإبعاد فى السير ، والتصرف فى الأرض. لا من التسبيح . فكأنه تعالى قال : وسخَّرنا مع داود الجبال يسرْن فى الأرض معه ، ويتصرفن على أمره ، طاعةً له . ونظير ذلك قوله سبحانه فى « سبأ » : ﴿ يَاجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾ (١) أى سيرى معه . والتأويب السير .

و إنما قال تعالى: ﴿ يُسَبِّحْنَ ﴾ عبارة عنها بتكثير الفعل من السَّبْح .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلًا ﴾ (٢) أى تصرفا ومتسعا . ومجالا ومنفسحا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ، فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ﴾ [٩١]. وهذه استعارة . والمراد ههنا بالروح : إجراء روح المسيح عليه السلام فى مريم عليها السلام ، كما يجرى الهواء بالنفخ . لأنه حصل معها من غير عُلُوق من ذَكرٍ ، ولا انتقال من طبَق إلى طبق . وأضاف تعالى الروح إلى نفسه ، لمزية الاختصاص بالتعظيم ، والاصطفاء بالتكريم . إذ كان خلقه المسيحَ عليه السلام ، من غير توسط مناكحة ، ولا تقدم ملامسة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ، كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾ [٩٣] . وهذه استعارة . والمراد بها : أنهم تفرقوا فى الأهواء ، واختلفوا فى الآراء ، وتقسمتهم المذاهب ، وتشعبت بهم الولائج (٣) . ومع ذلك فجميعهم راجع إلى الله سبحانه، على أحد وجهين :

---

(١) سورة سبأ . الآية رقم ١٠ .

(٢) سورة المزمل . الآية رقم ٧ .

(٣) الولائج : جمع وليجة، وهي بطانة الإنسان ومن يتخذه معتمدا عليه من غير أهله .

إمّا أن يكون ذلك رجوعا فى الدنيا . فيكون المعنى : أنهم و إن اختلفوا فى الاعتقادات صائرون إلى الإقرار بأن الله سبحانه خالقهم ورازقهم ، ومصرفهم ومدبرهم . أو يكون ذلك رجوعا فى الآخرة ، فيكون المعنى أنهم راجعون إلى الدار التى جعلها الله تعالى مكان الجزاء على الأعمال ، وموفىَّ الثواب والعقاب ؛ و إلى حيث لا يحكم فيهم ، ولا يملك أمرهم إلا الله سبحانه .

وشبَّه تخالُفهم فى المذاهب ، وتفرقهم فى الطرائق ، مع أن أصلهم واحد ، وخالقهم واحد ، بقوم كانت بينهم وسائل متناسجة ، وعلائق متشابكة ، ثم تباعدوا تباعدا قطع تلك العلائق ، وشذب تلك الوصائل ، فصاروا أخيافا[1] مختلفين ، وأوزاعا[2] مفترقين .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [٩٨] هذه استعارة . لأن الحصب هو مايرمى به من الحصْباء ، وهى الحصا الصغار . يقال : حَصَبَ فلانٌ فلانا . إذا قذفه بالحصا . ويقولون : حَصَبْنَا ٱلْجِمَارَ . أى قذفنا فيها بالحصبَات[3] . فشبَّه سبحانه قذفَهم فى نار جهنم بالحصباء التى يُرمَى بها . من ذُلِّ مَقاذفهم، وهَوَان مَطَارحهم .

وفى ذلك أيضا معنىً لطيف ، وهو أنه سبحانه لما قال : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ ٱللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ والمراد ههنا — والله أعلم — بما تعبُدُون : الأصنام ، والأغلب

---

(١) الأخياف : المختلفون . يقال : هم إخوة أخياف ، أى أمهم واحدة والآباء شتى .

(٢) الأوزاع : الجماعات . ولا واحد لها .

(٣) فى الأصل « بالحصيات » بالياء المثناة التحتية . وهو تحريف ، والصواب بالحصبات . بالباء الموحدة التحتية .

عليها أن تكون[1] من الحجارة ، حَسُنَ أن يسمَّى الرمى بها فى نار جهنم حَصَبًا ، وتسميتها حَصَبا إذ كانت حجارة ومن جنس الحصباء ، وجاز أن يُسَمَّى قذف العابدين لها فى النار أيضا بذلك ، حملا على حكمها ، وإدخالا فى جملتها .

والفائدة فى قذف الأصنام مع عابديها فى نار جهنم أن يكون من زيادات عقابهم ، ورجحانات عذابهم ، لأنهم إذا كثرت مشاهدتهم لها فى أحوال العذاب كان ذلك أعظم لحسرتهم على عبادتها ، وندمهم على الدعاء إليها .

وقد قيل أيضا إنهـا إذا حميت بوقود النار ـ نعوذ بالله منها ـ لصقت بأجسامهم ، فكانت من أقوى أسباب الإيلام لهم . وعلى هذا التأويل حَمَل جماعة من المفسرين قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[2]

وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَاءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾[3] . وهذه استعارة والمراد بها على أحد القولين : إبطال السماء ونقض بِنْيَتِهَا ، وإعدام جملتها . من قولهم : طَوَى الدَّهر آل فلان . إذا أهلكهم[4] ، وعفّى آثارهم . وعلى القول الآخر يكون الطَّىُّ ههنا على حقيقته فيكون المعنى : إن عَرْض السموات يُطوى[5] حتى يجتمع بعد انتشاره ، ويتقارب بعد تباعد أقطاره . فيصير كالسجل المطوى ، وهو ما يُكتب فيه من جلد ، أو قرطاس ، أو ثوب ، أو ما يجرى مجرى ذلك . والكتابُ ههنا مصدرٌ ، كقولهم :

---

(١) فى الأصل : (أن يكون) وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٤ .

(٣) « للكتاب » بالإفراد ، هى قراءة نافع أما قراءة الجمع « للكتب » فهى قراءة حفص وحمزة والكسائى ويحيى وخلف

(٤) فى : الاصل (أهلكم) وهو تحريف من الناسخ .

(٥) فى الأصل : (تطوى) وهو تحريف .

كتبتُ ، كتابةً ، وكتاباً ، وكَتْبًا . فيكون المعنى : يوم نطوى السماء كطى السجل ليكتب فيه ، فكأنه قال تعالى : كطى السجل للكتابة ، لأن الأغلب فى هذه الأشياء التى أومأنا إليها أن تطوى قبل أن تقع الكتابة فيها ، لأن ذلك الطى أبلغ فى التمكن منها .

ومن السورة التى يذكر فيها « الحج »

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴾ [١] . وهذه استعارة . لأن حقيقة الزلزلة هى حركة الأرض على الحال المفزعة . ومثل ذلك قولهم : زَلْزَلَ الله قدمه . وكان الأصل : أزلَّ الله قدمه . بمعنى أزالها عن ثباتها واستقامتها ، وأسرع تعثرها وتهافتها . ثم ضوعف[1] ذلك ، فقيل : زَلْزَلَ الله قدمه . كما قيل : دَكَّهُ الله ، وَدَكْدَكَهُ . فالمراد بزلزلة الساعة ـ والله أعلم ـ رُجفان القلوب من خوف . . .[2] وزلات الأقدام من روعة موقعها . ويشهد بذلك قوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ﴾[3] [٢] يريد تعالى من شدة الخوف والوجل ، والذهول والوهل .

وقوله سبحانه : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَاءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [٥] وهذه استعارة . لأن المراد ههنا باهتزاز الأرض ـ والله أعلم ـ تشبيهها بالحيوان الذى همد بعد حراكه ، وخشع بعد تطالّه وإشرافه ، لعلّة[4] طرأت عليه ، فأصارته إلى ذلك ، ثم أفاق من تلك الغَمرة ، وصحا من تلك السَّكرة ، فتحرك بعد همودِه ، واستهب[5] بعد ركوده . وكذلك حال الأرض إذا أماتها الجدب ، وأهمدها المَحْلُ ؛ ثم حالُها إذا نضحها الغيث بسجاله ، وبَلَّها القَطْر ببلاله ،

---

(١) التضعيف فى تصريف الأفعال معروف مثل : زلزل فى زل ، وصلصل فى صل .

(٢) هنا بياض بالأصل .

(٣) سورة الحج . الآية رقم ٢ .

(٤) فى الأصل : (لعله) وهو تحريف .

(٥) كذا بالأصل .

واهتزت بالنبات ناضرةً ، ورطبت بعد الجفوف مَتزيلة[1] ذلك تقدير العزيز العليم .

وقوله سبحانه : ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [٩] وهذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ الصفةُ بالإعراض عن سماع الرشد ،ولَيِّ العنق عن اتباع الحق . لأن المستقبل لسماع الشيء الذى لا يلائمه فى الأكثر يصرف دونه بصره ، ويَثنى عنه عنقه . والعطف : جانب القميص ، و به سمى شق الإنسان عطفا ، لأن منه يكون ابتداء انعطافه ، وأول انحرافه . ومثل ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾[2] .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ، فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ ﴾ [١١] وهذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ صفة الإنسان المضطرب الدين ، الضعيف اليقين ، الذى لم تثبت[3] فى الحق قدمه ، ولا استمرت عليه مريرته ، فأوهَى شبهةٍ تعرض له ينقادُ معها ، ويفارق دينه لها ، تشبيهاً بالقائم على حرف مهواة . فأدنَى عارض يزلقه ، وأضعف دافع يطرحه .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي ٱلسَّمَوَاتِ ، وَمَنْ فِي ٱلْأَرْضِ ، وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَابُّ ﴾ [١٨] الآية . وهذه استعارة .

والمراد ـ والله أعلم ـ بسجود الشمس والقمر والنجوم والشجر وما ليس بحيوان مميز ما يظهر فيه من آثار الخضوع لله سبحانه ، وعلامات التـدبير ، ودلائل التصريف

---

(١) هكذا بالأصل . ولم أدر وجه الصواب فيه .

(٢) سورة الإسراء . الآية رقم ٨٣ ؛ وسورة فصلت . الآية رقم ٥١ .

(٣) فى الأصل : (لم يثبت) وهو تحريف من الناسخ . فالقدم مؤنثة .

والتسخير ، فيحسُن لذلك أنْ يسمَّى ساجدا على أصل السجود فى اللغة ، لأنه الخضوع والاستكانة . أو يكون ذلك على معنى آخر ، وهو أن الذى يظهر فى الأشياء التى عدَّدها ، من دلائل الصنعة ، وأعلام القدرة ، يدعو العارفين الموقنين إلى السجود ، ويبعثهم على الخضوع ، اعترافا له سبحانه بالاقتدار ، وإخباتاً له بالإقرار . وذلك كما تقدَّم من قولنا فى تسبيح الطير والجبال .

وقوله سبحانه : ﴿ فَالَّذِينَ(١) كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد بها أن النار ـ نعوذ بالله منها ـ تشتمل عليهم اشتمال الملابس على الأبدان ، حتى لا يَسْلم منها عضو من أعضائهم ، ولا يغيب عنها شىء من أجسادهم .

وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك ـ والله أعلم ـ أن سرابيل القَطِرانِ التى ذكرها سبحانه ، فقال ﴿ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ ﴾(٢) إذا لبسوها واشتعلت النار فيها صارت كأنها ثياب من نار ، لإحاطتها بهم واشتمالها عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ، وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . لأن المراد بها ذهول القلب عن التفكر فى الأدلة التى تؤدى إلى العلم . وذلك فى مقابلة قوله تعالى : ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَارَأَى ﴾(٣) فإذا وُصف القلب عند تبيين الأشياء بالرؤية(٤) والإبصار ، جاز أن يوصف عند الغفلة والذهول

---

(١) فى الأصل : « والذين » بالواو، وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة إبراهيم . الآية رقم ٥٠ .

(٣) سورة النجم الآية رقم ١١ .

(٤) فى الأصل : « بالروية بدون همز الواو . وهو تحريف يضيع المعنى .

بالعمى والضلال . و إنما جعلت القلوب ههنا بمنزلة العيون ، لأن بالقلوب يُوصَل إلى المعلومات ، كما أن بالعيون يوصل إلى المرئيات . ولأن الرؤية[1] ترد فى كلامهم بمعنى العلم . ألا تراهم يقولون : هذا الشيء منى بمرأى ومَسْمَع . أى بحيث أعرفه وأعلمه ، ولا يريدون بذلك نظر العين ، ولا سمع الأذن .

وفى قوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ ﴾ معنى عجيب ، وسر لطيف . وذلك أن سبحانه لم يُرِد نفى العمى عن الأبصار جملة . وكيف يكون ذلك وَمَا يعرِض من عَمَى كثيرٍ منها أشهر من أن نومىء[2] إليه ، وندل[3] عليه ؟ و إنما المراد ــ والله أعلم ــ أن الأبصار إذا كانت معها آلة الرؤية من سلامة الأحداق ، واتصال الشعاعات لم يَجُز أن لا تَرَى ما لامانع لها من رؤيته . والقلوب بخلاف هذه الصفة بها ، قد يكون فيها آلة التفكر والنظر من سلامة البنية ، وصحة الروية وزوال الموانع العارضة ، ثم هى مع ذلك لاهية عن النظر ، ومتشاغلة عن التفكر . فلذلك أفردها الله سبحانه بصفة العمى عن الأبصار على الوجه الذى بيَّناهُ مع الفائدة .

فأما الفائدة فى قوله سبحانه : ﴿ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ [٤٦] والقلب لا يكون إلا فى الصدر ، فإن هذا الاسم الذى هو القلب لما كان فيه اشتراك بين مسمَّيات كقلب الإنسان ، وقلب النخلة ، والقلب الذى هو الصميم والصريح . من قولهم هو عربىّ[4] قَلْباً ، والقلب الذى هو مصدر قلبت الشيء أقلبه قلبا ، حَسُنَ أن يُزال اللَّبْس بقوله تعالى : ﴿ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ احترازا من تجويز الاشتراك .

---

(١) فى الأصل : « الروية » وهو تحريف سبق فى رقم ٣ .
(٢) فى الأصل « يومى » بدون نقط .
(٣) فى الأصل : « وبدل » بدون نقط .
(٤) فى الأصل « عرى » وهو تحريف من الناسخ . وفى « الأساس » للزمخشرى : هو أعرابى قلب . أى محض واسط فى قومه .

وقوله سبحانه : ﴿ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ، أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ [٥٥] . وهذا من أحسن الاستعارات . لأن العقيم المرأة التى لاتلد ، فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه لاليل بعده ولا نهار ، لأن الزمان قد مضى ، والتكليف قد انقضى . فجُعلت الأيام بمنزلة الولدان لليالى ، وجُعل ذلك اليوم من بينها عقيما ، لأنه لاينتج ليلا بعده ، ولا يستخلف بدلا له . وقد يجوز أيضا أن يكون المراد ـ والله أعلم ـ أن ذلك اليوم لا خير بعده لمستحق العقاب الذين قال الله سبحانه فى ذكرهم : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ الآية ، فوصفه بالعقم لأنه لاينتج لهم خيرا ، ولا ينتج لهم فرحا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ﴾ [٧٢] . وهذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ أن الكفار عند مرور الآيات بأسماعهم يظهر فى وجوههم من النكرة لسماعها والإعراض عن تأملها ، مالا يخفى على المخالط لهم ، والناظر إليهم . وذلك كقول القائل : عرفت فى وجه فلانٍ الشرَّ . أى استدللت منه على اعتقاد المكروه ، وإرادة فعل القبيح .

ويحتمل قوله تعالى: «المنكَرَ» ههنا وجهين : أحدهما أن يكون المنكر ماينكره الغير من أمرهم . والآخر أن يكون ماينكرونهم هم من الهجوم عليهم ، بتلاوة القرآن . وصوادع البيان

ومن السورة التى يذكر فيها

« قد أفلح المؤمنون »

قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴾ [١٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة السلالة هى أن تسلّ الشىء من الشىء . فكأن آدم عليه السلام لما خُلِق من أديم الأرض كان كأنّه انسلّ منها ، واستُخرج من سرها . وقد صار ذلك عبارة عن محض الشىء ومُصاصه[1] ، وصفوته ولبابه . ليس أن هناك شيئا استل من شىء على الحقيقة . وقد تسمّى النطفة سلالة على هذا المعنى . ويسمى وَلد الرّجل سلالةً أيضا على مثل ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ ، وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾[١٧] . وهذه استعارة . لأن المراد بالطرائق ههنا السموات السبع ،مشبَّهةً بطرائق النَّعل ، وواحدتها : طريقةٌ . وقد يجمع أيضا على طريق . فهى قطع الجلود يُجعل بعضها فوق بعض وينتظم بالخرز . ويقال : طارقت النعل . من ذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ اصْنَعِ[2] الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [٢٧] وهذه استعارة . والقولُ فيها كالقول فى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[3] . على حدٍّ سواء . فكأنه سبحانه قال : واصنع الفُلك بحيث نرعاك ونحفظك ، ونمنع منك من يريدك .

---

(١) المصاص من الشىء : خالصه . يقال : فلان مصاص قومه . إذا كان أخلصهم نسبا . ومثله : المصة . انظر القاموس المحيط واللسان .

(٢) فى الأصل : « واصنع » بالواو . وهو تحريف من الناسخ .

(٣) سورة طه . الآية رقم ٣٩ . وقد تقدم الكلام عن هذه الآية فى سورة طه .

أو يكون المعنى : واصنعِ الفُلْكَ بأعين أوليائنا من الملائـكة والمؤمنين . فإنا نمنعك بهم ، ونشدك بمعاضدتهم ، فلا يصلُ إليك مَن أرادك ، ولا تبلُغك مرامى من كادك .

وقوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [٤١] وهـذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ أنه عاجَلهم بالاستئصال والهلاك ، فطاحوا كما يطيح الغُثَاء إذا سال به السيل . والغُثَاء : ماحَملت السيولُ فى ممرها من أضغاث النبات ، وهشيم الأوراق وما يجرى مجرى ذلك . فـكأن أولئك القوم هلـكوا ، ولم يُحَسَّ لهم أثر ، كما لا يُحسُّ أثر ماطاح به السيل من هذه الأشياء المذكورة .

والعرب يعبرون عن هلاك القوم بقولهم : قد سال بهم السيل . فيجوز أن يكون قوله سبحانه : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ﴾ . كنايةً عن الهلاك ، كما كَنَوا بقولهم : سال بهم السيل عن الهـلاك . والمعنى : فجعلناهم كالغُثَاء الطافح فى سرعة انجفاله[١] ، وهوان فقدانه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ[٢] لَا يُظْلَمُونَ ﴾[٦٢] . وهذه استعارة . والنطقُ لا يُوصف به إلا من يتكلم بآلة .

وسمعت قاضى القضاة[٣] أبا الحسن يجيب بذلك من يسأله : هل يجوز أن يوصف القديم تعالى بأنه ناطق ، كما يوصف بأنه يتكلم ؟ فمنع من ذلك ، وقال : ماقدمت ذكره . فوصف سبحانه القرآن بالنطق مبالغةً فى وصفه بإظهار البيان ، وإعلان البرهان ، وتشبيها باللسان الناطق ، فى الإبانة عن ضميره ، والـكشف عن مستوره .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ [٦٣] وهـذه استعارة . والمراد

---

(١) الانجفال : الهرب فى إسراع .

(٢) فى الأصل : « فهم » بالفاء . وهو تحريف من الناسخ .

(٣) تقدمت ترجمتنا له عند الـكلام فى مجازات سورة الـكهف .

بها أن القوم الذين قال سبحانه فيهم أمام هذه الآية هم الموصوفون بقوله تعالى : ﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا ﴾ أى فى حيرة تغمرها ، وغمة تسترها . والْغَمْر جمع غمرة . وهو ماوقع الإنسان فيه من أمرٍ مذهل ، وخطْب مدلّه، مشبه بغمرات الماء التى تغمر الواقع فيها ، وتأخذ بكَظَم(١) المغمور بها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾[٧١] . وهذه استعارة . والمراد بها : ولو كان الحق موافقا لأهوائهم لعاد كلٌّ إلى ضلاله ،وأوقع كل فى بطله ، لأن الحق يدعو إلى المصالح والمحاسن . والأهواء تدعو إلى المفاسد والمقابح ، فلو اتبع الحقُّ قائد الهوى لشمل الفساد ، وعمّ الاختلاط ، وخفضت أعلام الهداية ، ورفع(٢) منار الغواية .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾[١٠٣] وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون معنى الموازين ههنا المعادلة بين الأعمال بالحق(٣) ...

. . . .

---

(١) الكظم بفتح الكاف والظاء : مخرج النفس . جمعه أكظام وكظام .

(٢) فى الأصل « ورفعت » وهو تحريف من الناسخ . لأن المنار مذكر .

(٣) هنا قطعة ناقصة من الأصل تبلغ ورقة تقريبا من الآية رقم ١٠٣ من سورة المؤمنون ، إلى الآية ٢٤ من سورة النور .

سورة « النور »

... [وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ](١) عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[٢٤] . وهذه استعارة على أحد التأويلات الثلاثة ، وهو أنه سبحانه يجعل فى الأيدى التى بُسِطت إلى المحظورات ، والأرجل التى سعت إلى المحرمات ، علامةً تقوم مقام النطق المصرِّح ، واللسانِ المفصِح ، فى الشهادة على أصحابها ، والاعتراف بذنوبها .

فأما شهادة الألسنة فقد قيل إن المراد بها إقرارُهم على نفوسهم بما واقعُوه من المعاصى ، إذ علموا أن الكذب لا ينفعُهم ، والجحودَ لا يُغنى عنهم .

وليس ذلك بمناقض لقوله سبحانه : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾(٢) لأنه قد قيل فى ذلك إنه جائز أَنْ تخرج أَلسنتُهُمْ من أفواههم فتنطق بمجرّدها ، من غير اتصال بجوزاتها ولهوَاتِها . فيكون ذلك أعجبَ لها ، وأبلغَ فى معنى شهادتها . ويختم فى تلك الحال على أفواههم .

وقيل يجوز أن يكون الختم على الأفواه إنما هو فى حال شهادة الأيدى والأرجُل ، بعد ما تقدم من شهادة الألسن .

وأما التأويلان الآخران فى معنى شهادة الأيدى والأرجل ، فالكلام يخرج بهما عن حد الاستعارة إلى الحقيقة . وذلك أنهم قالوا: إن الله سبحانه يَبْنى الأيدى والأرجُلَ بنيةً تكون هى الناطقة بما تشهد به عليهم ، من غير أن يكون النطق منسوباً إليهم .

---

(١) ما بين حاصرتين ، هو من القطعة الناقصة من الأصل وقد أكملناه .

(٢) سورة يس . الآية رقم ٦٥ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ [٣١] وهذه استعارة . والمراد بها : إسبال الخُمُرِ التي هي المقانع على فُرجاتِ الجيوب ، لأنها خصاصات[1] إلى الترائب والصدور ، والثُدِيِّ والشعور . وأصل الضرب من قولهم : ضَرَبْتُ الفسطاط . إذا أقمته بإقامة أعماده ، وضرْب أوتاده . فاستُعير ههنا كناية عن التناهي في إسبال الخُمُر ، وإضْفاءِ الأُزُر .

وقوله سبحانه : ﴿ اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [٣٥] وهذه استعارة . والمراد بذلك عند بعض العلماء أنه هادي أهلِ السموات والأرض بصوادع برهانه ، ونواصع بيانه ، كما يُهتدَى بالأنوار الثاقبة ، والشُّهبِ اللامعة .

وقال بعضهم : المراد بذلك ـ والله أعلم ـ اللهُ مُنوِّر السموات والأرض بمطالع نجومها ، ومشارق أقمارِها وشموسها .

وقوله سبحانه : ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ [٣٥] وهذه مبالغة في وصف الزيت بالصفاء والخلاصةِ ، على طريق المجاز والاستعارة ، حتى يقارب أن يُضيء من غير أن يتصل بنار ويناط بذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ [٣٧] وهذه استعارة . والمراد بتقلب القلوب ههنا : تغيُّرُ الأحوال عليها ، من الخوف والرجاء ، والسرور والغم ، إشْفاقًا من العقاب ، ورجاءً للثواب . والأولى صفة أعداء الله ، والأخرى صفةُ أولياء الله .

وأما تقلُّب الأبصار فالمراد به تكرير لحظ المؤمنين إلى مَطالع الثواب ، وتكرير لحظ الكافرين إلى مطالع العقاب .

---

(١) الخصاصات : جمع خصاصة بفتح الخاء ، وهو الخرق في الباب أو البرقع وغيرهما . والجمع خصاص وخصاصات .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْآنُ مَاءً ، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ، وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[٣٩] .

قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَ ٱللَّهَ ﴾ استعارة ومجاز . والمعنى : فوجد وعيد الله سبحانه عند انتهائه إلى منقطع عمله السيِّء ، فكاله بصُواعِهِ ، وجازاه بجزائه . وذلك يكون يوم المعاد، وعند انقطاع تكليف العباد .

وقد قيل أيضا : إن الضمير فى قوله تعالى : ﴿ عِنْدَهُ ﴾ يعود إلى الكافر لا إلى عمله ، فكأنه تعالى قال : فوجدَ الله قريباً منه ، أى وَجدَ عقابه مُرصداً له ، فأخذَه من كَثَبٍ ، وجازاه بما اكتسب . وذلك كقول القائل : الله عند لسان كل قائل . أى يجازيه على قول الحق بالثواب ، وعلى قول الباطل بالعقاب . والقولان جميعاً يؤولاَن إلى معنى واحد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ ﴾[٤٣] . وهذه استعارة على بعض التأويلات . لأن الجبال ههنا يُراد بها السحاب الثِّقَال ، تشبيها لها بكثائف أطوادِها ، ومشارف هضابها . ويكون الضمير فى قوله سبحانه : ﴿ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا ﴾ عائدا على السماء لاعلى الجبال . فكأنَّ التقدير : وينزل من جبال من السماء من بَرَدٍ ، يريد من السحاب المشبهة بالجبال . وتكون الفائدة فى قوله من جبال فى السماء تخصيصَ تلك الجبال من جبال الأرض . لأنا لوجعلنا الضمير الذى فيها عائدا على الجبال أوْهم أنها جبال تنزل إلى الأرض من السماء . فإذا جعلنا الضمير عائدا إلى السماء أُمِنَ الالتباس ، وكان فى ذلك أيضا تعجُّبٌ لنا

من وصف جبال فى السماء على طريق التشبيه ، لأن الجبال على الحقيقة لاتكون إلا فى قرارات الأرض ، وصفحات التُّرْب .

وقوله سبحانه : ﴿ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [٤٤] وهذه استعارة . والمراد بها طَرْد النهار بالليل ، وطَرْد الليل بالنهار . فَكَنَى عَنْ ذلك سبحانه باسم التقليب . وليس المراد تقليب (١) الأعيان ، بل تغاير الأزمان .

(١) أى ليس المراد التقليب المادى للأشياء العينية الذاتية .

ومن السورة التي يذكر فيها « الفرقان »

قوله تعالى : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ [١٢] وفى هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله سبحانه : ﴿ إِذَا رَأَتْهُمْ ﴾ وهو فى صفة نار جهنمَ ، نعوذ بالله منها ، ولا تصحُّ صفةُ الرُّؤية عليها . وإنما المراد — واللهُ أعلم — إذا كانت منهم بمقدار مسافة لو كان بها مَنْ يوصف بالرؤية لرآهم . وهذا من لطائف التأويل ، وغرائب التفسير .

وقد يجوز أيضا أن يكون معنى ذلك : إذا قَرُبَتْ منهم ، وظهرت لهم . من قولهم : دُورُ بنى فلان تتراءى . أى تتقارب . وفى الحديث : ﴿ لاَ تَتَرَاءَى نَارَا هُمَا ﴾ (١) أى لا تتدانى .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴾ وهاتان الصفتان من صفات الحيوان ، ويختص التغيظ بالإنسان ، لأن الغيظ من أعلى منازل الغضب ، والغضبُ

---

(١) الحديث بأكمله فى « صحيح أبى داود » الجزء الأول . باب على مايقاتل المشركون ، كتاب الجهاد . ص ٢٦١ ونصه : (حدثنا هناد بن السرى ثنا أبو معاوية عن إسماعيل عن قيس عن جرير بن عبدالله . قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم فاعتصم ناس منهم بالسجود ، فأسرع فيهم القتل قال : فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر لهم بنصف العقل ، وقال : أنا برىء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين ، فقالوا يارسول الله لم ؟ قال : لاتراءى ناراهما)
وفى سنن النسائى ج ٢ ص ٢٤٥ جاء هذا الحديث فى باب القود بغير حديدة . كتاب القسامة . وقد أورد المؤلف هذا الحديث فى كتابه « المجازات النبوية » وتحدث عما فيه من مجاز حديثا رائعا . صفحة ٢٠٠ من المجازات النبوية . طبعة القاهرة سنة ١٣٥٦ سنة ١٩٣٧ ، وجاء هذا الحديث فى « لسان العرب » وفسره صاحب اللسان ثم قال : وقال أبو عبيد : معنى الحديث أن المسلم لايحل له أن يسكن بلاد المشركين ، فيكون معهم بقدر مايرى كل واحد منهم نار صاحبه .

لايوصف بحقيقته إلا الناس . والزفير قد يشترك فى الصفة به الإنسان وغير الإنسان . وإنما المراد بهاتين الصفتين المبالغة فى وصف النار بالاهتياج والاضطرام ، على عادة المغيظ والغضبان .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [٢٣] وهذه استعارة . لأن صفة القُدُوم لاتصح إلا على من تجوز عليه الغَيْبَة ، فتجوز منه الأَوْبة . والله سبحانه شاهد غير غائب ، وقائمٌ غير زائل . فالمعنى : وقصدنا إلى ماعملوا ، أو عمدنا إلى ماعملوا . وذلك كقول القائل : قامَ فلان بفلان فى الناس . إذا أظهر ذمه وعيبه ، وليس يريد أنه نهض عن قعود ، وتحفَّزَ بعد استقرار وسكون ، وإنما يريد أنه قصد إلى سَبِّه ، وتظاهر بثَلْبه . وقال الشاعر :(١)

فإنَّ أباكُمْ تاركٌ ماسألتمو فمهما أتيتم فاقْدُمُوه على علم

يقال : قَدِمْت هذا الأمر . وأنا أقدمه . إذا أتيته وقصدته . وقد ذكر بعض العلماء فى ذلك وجهاً آخر . قال : إنما قال سبحانه : ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ﴾ لأنه عاملهم معاملة القادم من غيبة . أوكان ــ بطول إمهاله لهم ــ كالغائب عنهم ثم قَدِمَ ، فرآهم على خلاف ماأمرهم به ، واستعملهم فيه ، فأحبطَ أعمالهم الفاسدة ، وعاقبهم عقاب العاند عن الطاعة ، المرتكس فى الضَّلالة . والمعتمدُ على القول الأول .

وقوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴾ [٢٣] مجاز آخر . وذلك أنه لم يجعل عملهم على الحقيقة هباءً منثورا ، وهو الغبار الدقيق ههنا . ومنه الهابى . وإنما أراد سبحانه أنه أبطل ذلك العمل فعفا رسْمُه ، وسقط حكمه ، وبَطَل بُطلان الغبار المحَق ، والغثاء المتفرق .

---

(١) لم أعثر على اسم صاحب هذا البيت فى كثير من المراجع .

وقوله تعالى : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ [٢٤] وهـذه استعارة . لأن المَقِيل من صفات المواضع التى يُنام فيها، ولا نوم فى الجنة . وتقدير الكلام : وأحسنُ موضع قائلة . فـكأن ذلك المـكان من وثارة مهاده ، و بَرْد أفيائه ، يصلح أن يُنامَ فيه لو كان ذلك جائزا . وهذا كقوله سبحانه فى ذكر أصحاب الجنة : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾[1] أى مثل أوقات البُكْرة والعَشِىِّ المعهودين فى حال الدنيا . لأن الجنة لا يوصف زمانها بالأيام والليالى ، لأن ذلك من صفات الزمان الذى تتعاقب عليه الشمس طالعة وغاربة ، فيسمَّى نهارا بطلوعها ، و يسمَّى ليلا بقبوعها[2]

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ﴾ [٢٥] . وهـذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ على أحد القولين صفةُ السماء فى ذلك اليوم بتعاظم الغمام فيها ، وانتشاره فى نواحيها . كما يقول القائل : قد تشققت الغمائم بالبرق ، وتشققت السحاب بالرعد . إذا كثر ذلك فيها . ليس أن هناك تشققا على الحقيقة ، فى قول أهل الشرع . وقيل أيضا : إن المراد بذلك انتقاض بنية السماء وتغيرها إلى غير ماهى عليه الآن ، كما تظهر فى البناء آثار التداعى ، وأعلام التهافت ، مِنْ تَثَلُّم أطراف ، وتفطُّر أقطار ، فيكون ذلك مؤذنا بانقضاضه ، ومنذرا بانتقاضه .

وقال سبحانه : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى السَّمَاءَ كَطَىِّ السِّجِلِّ لِلْكِتَابِ ﴾[4] . ويكون انتقاضُ

---

(١) سورة مريم . الآية رقم ٦٢ .

(٢) القبوع : الاختفاء ومنه : قبع النجم أى ظهر ثم خفى .

(٣) سورة إبراهيم . الآية رقم ٤٨ .

(٤) سورة الأنبياء . الآية رقم ١٠٤ وقد سبق الحديث عن قراءة «للـكتاب» و«للـكتب» بالمفرد والجمع، فى سورة الأنبياء .

بِنْية السماء عن ظهور الغمام الذى آذننا سبحانه بمجيئه يوم القيامة ، إذ يقول عَزَّ مِن قائِل : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ ٱللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَائِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ، وَإِلَى ٱللهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ (١) .

ومعنى تشقّق السماء بالغمام . أى عن الغمام . كما يقول القائل : رَميتُ بالقوس ، وعن القوس . بمعنى واحد .

وقوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾[٤٣] . وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير . فكأنه تعالى قال : أرأيت من اتخذ هواه إلاهَهُ . معنى ذلك أنه جعل هواه آمرا يطيعه ، وقائدا يَتْبَعُه ، فكأنه قد عبده لفَرط تعظيمه له .

ومن أمثالهم : الهوى إلٰهٌ معبود . على المعنى الذى ذكرنا . وذَكَرَ أحمد بن يحيى البلاذرى (٢) فى كتاب (الأشراف) أن هذه الآية نزلت فى الحارث بن قيس بن عَدىّ السَّهْمى ، وهو من عبدة الأوثان ، لأنه كان كلما رأى حَجَراً أحسنَ من الذى اقتناه لعبادته أخذه واطَّرحَ ماعَبَدَهُ .

وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ، ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ، ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [٤٥] وفى هذه الآية استعارتان . إحداهما قوله تعالى (٣) [: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ ﴾[٤٥] أى] ألم تر إلى فعل

---

(١) سورة البقرة ، الآية رقم ٢١٠ .

(٢) هو المؤرخ الجغرافى النسابة : جالس الخليفة المتوكل العباسى ، ومدح المأمون ، ومات فى أيام المعتمد . سنة ٢٧٩ هـ . ومن كتبه « فتوح البلدان » وهو مصدر وثيق للفتوحات الإسلامية : وقد طبع بأوربا والقاهرة . وكتاب « الأشراف » .

(٣) مابين حاصرتين ليس فى الأصل ، وقد وضعناه ، لأن السياق يقتضيه .

ربك أو إلى حكمة ربك فى مد الظل ، فحذف هذه اللفظة لدلالة الكلام عليها، إذ كان الله سبحانه لا يدرك بالمشاعر ، ولا يُرَى بالنواظر . وقد يجوز أن يكون معنى الرؤية ههنا معنى العِلْم . فكأنه سبحانه قال : ألم تعلم حكمة ربك فى مدِّ الظل ؟ وإنما أقام سبحانه الرؤية ههنا مقام العلم لتحقُّق المخاطَب الذى هو النبي صلى الله عليه وسلم وِجْهَةَ الله تعالى فى ذلك الفعل ، فقامت معرفة قلبه مقام رؤية عينه ، قطعا باليقين ، وبُعدا عن الظنون .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلاً ﴾ وهذه استعارة على القلب . لأن الظل فى الشاهد يدل على الشمس ، وذلك أن الظل لا يكون إلا وهناك شمس طالعة ، فيوصف مالم تطلع عليه لحاجز يحجز ، أو مانع يمنع بأنه ظل . وقد قيل : إن الظل ما كان بالغداة ، والفىْء ما كان بالعشىِّ . وقيل: إن الظل مانسخْته الشمس ، والفىء مانسخ الشمس ، فعلى هذا القول يجوز أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِناً ﴾ أى دائما لا تردُ الشمس عليه فتزيله وتذهب به ، ثم جعلنا الشمس عليه دليلا . أى دللناها عليه ، فهى تتحيَّف من أقطاره ، وتنتقص من أطرافه ، حتى تستوفىَ أجْمَعَهُ ، وتكونَ بدلا منه . فهذا معنى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴾ [٤٦] .

ويجوز أن يكون معنى دلالة الشمس على الظل أنه لولا الشمس لم يُعرف الظل . ويجوز أن يقول : لولا الظل لم تعرف الشمس .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاسًا ، وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا ، وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴾ [٤٧] . وفى هذه الآية استعارتان . فإحداهما قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱللَّيْلَ لِبَاسًا ﴾ . والمراد باللباس ههنا ـ والله أعلم ـ تغطية ظلام الليل النُّشوزَ والقيعا[ن[1] ، و] أشخاصَ الحيوان كما تغطِّى الملابس الضَّافية ، وتسترُ الجُنَنُ الواقية . وهذه العبارة من أفصح العبارات عن هذا المعنى .

---

(١) مابين حاصرتين ليس بالأصل المخطوط .

ومعنى السُّباتِ : قَطْعُ الأعمال ، والرَّاحةُ من الأشغال . والسَّبْت فى كلامهم : القَطع .

والاستعارة الأخرى قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُوراً ﴾ والنشورُ فى الحقيقة : الحياة بعد الموت . وهو ههنا مستعار الاسم لتصرُّف الحيِّ وانبساطه ، تشبيها للنوم بالممات ، واليقظة بالحياة . وذلك من أوقع التشبيه ، وأحْسن التمثيل .

وقوله سبحانه : ﴿ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتاً ﴾ [٤٩] وهذه استعارة . وقد مضت الإشارة إلى نظيرها فى (الأعراف)[١] .

ووصف البلدة بالموت ههنا محمول على أحد وجهين : إما أن تكون إنما شُبِّهتْ بالميت من فرْط يُبسها ، لتسلُّط المحْل عليها ، وتأخر الغيث عنها . أو يكون فيها من النبات والشجر لما مات لانقطاع الماء عنه حَسُنَ أن توصف هى بالموت لموت بنيها ، لأنها كالأم التى تكلفه ، والظِّئرِ التى ترضِعهُ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ﴾ [٥٣] وهـذه استعارة . والمراد بذلك ـ واللهُ أعلم ـ أنه خلَّاهما من مذاهبهما ، وأرسلهما فى مجاريهما ، كما تُمْرَجُ الخيل أى[٢] تُخلَّى فى المروج مع مراعيها .

فـكان وجه الأعجوبة من ذلك أنه سبحانه مع التخلية بينهما فى تقاطعهما ، والتقائهما فى مناقعهما ، لا يختلط الملح بالعذب ، ولا يلتبس العذب بالملح .

---

(١) وهى فى الأوراق المفقودة من الـكتاب .

(٢) فى الأصل « أن » وهو تحريف من الناسخ .

ولغة أهل تهامة « مرجهُ » ولغة أهل نجد «أَمْرجهُ » وقال أبو عبيدة[١] : إذا تركت الشيء وخليته فقد مَرَجْتهُ . ومنه قولهم : مَرَجَ الأمير الناسَ . إذا خلَّاهم بعضهم على بعض . والأمر المريج : المختلط الملتبس .

وقوله سبحانه : ﴿ تبارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَاءِ بُرُوجًا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ﴾[٦١] وقد قُرِئ : سُرُجًا ، على الجمع . وهى قراءة حَمْزةَ والكسائىّ من السبعة . والباقون يقرءون : سراجا على التوحيد .

فمن قرأ « سُرُجًا » أراد النجوم ، ومن قرأ « سراجًا » أراد الشمس ، ويقوِّى ذلك قوله سبحانه فى موضع آخر : ﴿ وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴾[٢] . ويقوِّى قراءةَ مَنْ قرأ « سُرُجًا » أن النجوم من شعائر الليل ، والسُّرُجُ بأحوال الليل أشبه منها بأحوال النهار .

وإنما شبهت النجوم بالسُّرج لاهتداء الناس بها فى الظَّلماء ، كما تهتدى بالمصابيح الموضوعة ، والنيران المرفوعة :

وقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾ [٦٢] . وهذه استعارة ، ومعنى خِلْفَةً ـ فى بعض الأقوال ـ أى جعل الليل والنهار يتخالفان ، فإذا أتى هذا ذَهَب هذا ، وإذا أدبر هذا أقبل هذا .

وقيل : خلفة أى يخلف أحدهما الآخر ، فيكون ذلك من الخلافة لا من المخالفة .

---

(١) هو معمر بن المثنى النحوى البصرى ، كان إماما فى اللغة والأدب . وقال فيه الجاحظ : لم يكن فى الأرض أعلم بجميع العلوم منه . واشتهر بحفظ حديث رسول الله . وقد استقدمه الرشيد إلى بغداد سنة ١٨٨ هـ وقرأ عليه أشياء من كتبه . وتوفى سنة ٢٠٩ هـ .

(٢) سورة نوح . الآية رقم ١٦ .

وقيل : خلفة . أى أحدهما(٢) أسود ، والآخر أبيض . وهو أيضا راجع إلى معنى المخالفة .

وقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴾[٧٣] وهـذه استعارة . والمراد ـ والله أعلم ـ لا يصمُّون عن قوارع النُّذرُ ، ولا يَعْشَوْن عن مواقع العِبَر .

(١) فى الأصل : «إحداهما» وهو تحريف من الناسخ .

ومن السورة التى يذكر فيها « الشعراء »

قوله سبحانه [1] : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ ، قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [٦١] وهذه استعارة . والمراد بها : العبارة عن التقارب والتدانى . وإنما قلنا إن اللفظ مستعار ، لأنه قد يحسُنُ أن يوصف به الجمعان ، وإن لم يرَ بعضُهم بعضا بالموانع ، من مُثار العَجَاج ، ورَهج الطِّراد . لأن المراد به تقارُبُ الأشخاص ، لاتلاحُظ الأحداق ، وذلك كقولهم فى الحَيَّيْن المتقاربين : تتراءى ناراهما . أى تتقابل وتتقارب . لكون النارَين بحيث لوكان بَدَلا منهما إنسانان لرأى كل واحد منهما صاحبه . وقد أومأنا إلى ذلك فيما مضى [2] .

ويقال أيضا : قوم رِئَاء ، على وزن فِعَال أى يقابل بعضهم بعضا . وكذلك بيوتهم رئاء إذا كانت متقابلة . ذَكَر ذلك أحمد بن يحيى ثعلب [3] .

ومن هذا الباب الحديثُ المشهور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو قوله : (أنا

---

(١) فى الأصل : « ولما » بالواو وهو تحريف من الناسخ . والصواب فلما . بالفاء .

(٢) فى الكلام فى مجازات سورة الفرقان . الآية رقم ١٢ .

(٣) لم نجد لذلك ذكرا فى « مجالس ثعلب » التى نشرتها « دار المعارف » بتحقيق الأستاذ عبدالسلام محمد هارون . ووجدنا ذلك فى « الأساس » للزمخشرى . وثعلب هو إمام الكوفيين فى النحو واللغة . اشتهر بالرواية والحفظ والصدق وكان ثقة . ومات بصدمة فرس سقط بسببها فى هوة فتوفى على الأثر سنة ٢٩١ هـ .

برىء مِنْ كل مسلم مع مُشرك . قيل : ولمَ يارسولَ الله ؟ . . . . (١) لاتراءى ناراهما . وقد استقصينا الـكلام على معنى هذا الخبر فى كتاب « مجازات الآثار النبوية »

وقوله سبحانه ﴿ فَافْتَحْ بَيْنِي (٢) وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا ، وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [١١٨] وهذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ فاحكم بيننا و بينهم حكما (٣) قاطعا ، وأمرا فاصلا : بفتح الباب المبهم بعد ما استصعب رتاجُه ، وأعضل علاجه .

و يقال للحاكم : الفتّاح ، لأنه يفتح وجهَ الأمر بعد اشتباهه واستبهام أبوابه . وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾ (٤) وقال بعض بنى ذهل بن زيد بن نَهْد (٥) :

وعمِّى ٱلّذى كانتْ فُتاحَةُ (٦) قومِهِ   إلى بيتـــه حتىَّ يجهَّز غاديا

أى كان الحُـكْم بين قومه فيه وفى أهل بيته إلى حين وفاته . وقال فتاحة قومه بكسر الفاء ، لأنها فى معنى الولاية والزعامة وما يجرى مجراهما .

وقوله سبحانه : ﴿ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ [١٤٨] وهذه استعارة . والمراد بالهضيم ههنا على بعض الأقوال ـ والله أعلم ـ الذى قد ضمن (٧) بدخول بعضه فى بعض ، فكأنَّ بعضه هضم بعضا لفرط تكاثفه ، وشدة تشابكه .

---

(١) هنا نقص . وقد ذكرنا نص الحديث كاملا فى أول سورة الفرقان .

(٢) فى الأصل « بيننا » وهو تحريف من الناسخ .

(٣) مطموسة بالأصل . والسياق يدل عليها .

(٤) سورة سبأ . الآية رقم ٢٦ .

(٥) لم أهتد إلى اسم هذا الشاعر .

(٦) وفى « اللسان » الفتاحة بالضم : الحكم ، والفتاحة والفتاحة أن تحكم بين خصمين . والفتاحة : الحكومة . قال الأشعر الجعفى :

ألا من مبلغ عمرا رسولا   فإنى عن فتاحتكم غنى

والفتاح : الحاكم . وأهل اليمن يقولون للقاضى : الفتاح .

(٧) هكذا بالأصل . ولعلها . ضم .

وقيل : الهضيم اللطيف . وذلك أبلغ فى صفة الطَّلْع الذى يراد للأكل . وذلك مأخوذ من قولهم : فلان هَضِيم الحَشَا . أى لطيف البطن . وأصله النقصان من الشىء . كأنه نقص من انتفاخ بطنه ، فلطُفَت معاقدُ خصره . ومنه قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَخَافُ ظُلْماً وَلَا هَضْماً ﴾[1] أى نقصا وثلما .

وقيل الهضيم الذى قد أينع و بلغ . وقيل أيضا هو الذى إذا مُسَّ تهافَت من كثرة مائِه ، ورطوبة[2] أجزائه .

والقولان الأخيران يخرجان الكلام عن حد الاستعارة .

وقوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ ﴾ [٢١٩] وهذه استعارة . وليس هناك تقلُّب منه على الحقيقة . و إنما المراد به تقلُّب أحواله بين المصلِّين وتصرُّفه فيهم بالركوع والسجود ، والقيام والقعود . وذهب بعض علماء الشيعة فى تأويل هذه الآية مذهبا آخر ، فقال : المراد بذلك تَقَلُّبُ الرسول صلى الله عليه وسلم فى أصْلاب الآباء المؤمنين . واستدل بذلك على أن آباءه[3] إلى آدم عليه السلام مسلمون ، لم تختلجهم خوالج الشرك ، ولم تضرب فيهم أعراق الكفر ، تكريما له عليه السلام عن أن يجرى إلا فى منزهات الأصلاب ، ومطهَّرات الأرحام . وهذا الوجه يَخرجُ به الكلام عن أن يكون مستعارا .

وقوله سبحانه : ﴿ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ [٢٢٣] وهذه استعارة على أحد التأويلين . وهو أن يكون المراد بها أنهم يَشْغلون أسماعهم ، ويديمون إصغاءهم ليسمعوا من أخبار السماء مايموِّهون به على الضُّلَّال من أهل الأرض ، وهم عن السمع

---

(١) سورة طه . الآية رقم ١١٢

(٢) فى الأصل : « ولطوته » وهو تحريف والرطوبة مناسبة هنا لكثرة الماء .

(٣) فى الأصل : « أباه » بالمفرد وهو تحريف بدليل قوله بعد ذلك : مسلمون .

بمعزل ، وعن العلم بمزجر . وذلك كقول القائل لغيره : قد ألقيتُ إليك سمعى . أى صَرَفته إلى حديثك ، ولم أَشْغَلْه بشىء غير سماع كلامك .

والتأويل الآخر أن يكون السَّمْع ههنا بمعنى المسموع ، كما يكون العِلْم بمعنى المعلوم (١) فيكون التأويل أن الشياطين يُلقون مايدَّعون أنهم يستمعونه إلى كل أفاك أثيم ، من أعداء النبى صلَّى الله عليه وعلى آله . على طريق الوسوسة واعتماد القَدْح فى الشريعة .وهذا الوجه يخرج الكلام عن حد الاستعارة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴾ [٢٢٤،٢٢٥] . وهذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ أن الشعراء يذهبون فى أقوالهم المذاهبَ المختلفة ، ويَسْلكون الطرق المتشعبة . وذلك كما يقول الرَّجل لصاحبه إذا كان مخالفاً له فى رأى ، أو مُباعداً له فى كلام : أنا فى وادٍ ، وأنت فى وادٍ . أى أنت ذاهب فى طريق وأنا ذاهب فى طريق. ومثلُ ذلك قولهم : فلانٌ يهبُّ مع كل ريح ، ويطير بكل جنَاح . إذا كان تابعاً لكل قائد ، ومُجيباً لكل ناعق .

وقيل إن معنى ذلك تصرُّف الشاعر فى وجوه الكلام من مدحٍ وذَم ، واستزادة ، وعتب ، وغزل ، ونسيب ، ورثاء ، وتشبيب . فشُبِّهت هذه الأقسام من الكلام بالأودية المتشعبة ، والسبُل المختلفة .

ووصف الشعراء بالهَيَمان فيه(٢) فَرْط مبالغة فى صفتهم بالذهاب فى أقطارها ، والإبعادِ فى غاياتها . لأن قوله سبحانه : ﴿ يَهِيمُونَ ﴾ أبلغُ فى هذا المعنى من قوله : يسْعَوْن ، ويَسيرون . ومع ذلك فالهَيَمان صفةٌ من صفاتِ مَنْ لا مُسْكةَ له ولا رجاحةَ معه ، فهى مخالفة لصفات ذى الحِلْم الرزين ، والعقل الرصين .

---

(١) فى الأصل . « الملوم » وهوظاهر التحريف .

(٢) فى الأصل « فيها » وهو تحريف .

ومن السورة التي يذكر فيها

« النمـــــــل »

قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا ﴾ [٧] وهذه استعارة على القلب . والمراد بها ــ والله أعلم ــ إنى رأيتُ نارا فآنَسَتْنى فنقَل فِعْل الإيناس إلى نفسه على معنى: إنى وَجَدْت النار مُؤْنِسَةً لى ، كما سبق من قولنا فى تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا ﴾[1] أى وجدناه غافلا ، على بعض الأقوال .

وقريب من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ﴾[2] ولم تغرّهم هى ، وإنما اغتروا بها هم ، فلما كانت سبباً للغرور حَسُن أن يُنسَب إليها ويُناطَ بها .

وحقيقة الإيناس هى الإحساس بالشىء من جهة يؤنَسُ بها ، وما أنستَ به فقد أحسستَ به مع سكون نفسك إليه .

وقوله سبحانه حاكياً عن ملكة سبإ : ﴿ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴾[٣٢] وهذه استعارة . والمراد بقطع الأمر ــ والله أعلم ــ الرجوع بعد إجالة الآراء ، ومَخْضِ الأقوال إلى رأى واحد يصحّ العزم على فعله ، والعملُ عليه دون غيره ، تشبيهاً بالإسداء والإلحام فى الثوب النسيج ، ثم القطعِ له بعد الفراغ منه . فكأنها أجالت الرأى عند ورودِ ما ورَد عليها من دعاء سليمانَ عليه السلامُ لها إلى الإيمان به ، والاتباع له ، فميلت[3] بين الامتناع

---

(١) سورة الكهف . الآية رقم ٢٨ .

(٢) سورة الأعراف . الآية رقم ٥١ .

(٣) ميلت : أى شكت انظر القاموس المحيط .

والإجابة ، والمخاشنة والملاينة . فلما قَوِىَ فى نفسها أمرُ الملاطفة عَزَمتْ على فعله ، فحسُن أن يُعبَّرعن ذلك بقطع الأمر ، لما أشرنا إليه .

وعلى هذا قولُ الرجل لصاحبه : لا أَقطعُ أمْراً دُونَكَ . أى لا أقرر العزم على شىء حتى أفاوضك فيه وأوافقك عليه . وقد يجوز أن يكون ذلك كنايةً عن الاستعجال بفعل الأمر تشبيهاً بسرعة قطْعِ الشىء المستدقِّ كالحبل وغيره . ومنه قولهم : صَرَمَ الأمر . أى فَرَغ مِنْ فِعْله بسرعة . والصَّريمة من ذلك . وفَصْلُ الأمرِ أيضاً قريب منه .

وقوله سبحانه : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[٤٠]وهذه استعارة . لأن المراد بارتداد الطَّرف ههنا الْتقاءُ الجَفْنَيْنِ بعد افتراقهما . وذلك أَبْلغُ ما يُوصَفُ به فى السرعة . وليس هناك على الحقيقة شىء ذَهَبَ عنه ثم رجع إليه . ولكن جَفْن العين لمَّا كان ينفتح وينطبق، أقامَ الانفتاح مُقامَ الخروج ، والانطباقَ مُقامَ الرجوع .

وقيل فى ذلك وجْهٌ آخرُ . وهو أن فى مَجْرى عادة الناس أن يقول القائل لغيره إذا كان على انتظارأمر يَرِدُ عليه من جهته : أنا ممدود الطرف إليك ، وشاخِصُ البَصَرِ نحوكَ . فإذا كان امتداد الطرف بمعنى الانتظار مستعملا ، جاز أن يجعل ارتداده عبارة عن زوال الانتظار . فكأنه قال : أنا آتيك به قبل أن تتكلف أمر انتظار ، وتَعُدَّ الأَوقات .

والقول الأول أولى بالاعتماد ، وأخلَقُ بالصواب(١) .

وقوله تعالى : ﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ، بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ، بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [٦٦] وهذه استعارة . لأن العَمَى هنا ليس يُراد به فقد الجارحة المخصوصة ، وإنما

(١) فى الأصل : « بالصوب » وهو تحريف .

يُراد به التعامى عن الحق ، والذهاب صَفْحا عن النظر والفكر ، إمَّا قَصْداً وتعمداً ، أو جَهْلا وَعَمىً .

وإنما أُجرى الجهلُ مُجْرى العَمَى فى هذا المعنى ، لأن كل واحد منهما يَمنع بوجوده من إدراك الشيء على ماهو به . إذ الجهلُ مضادٌّ للعلم والمعرفة ، والعَمَى مُنافٍ للنظر والرؤية . وإنما قال سبحانه : ﴿ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾ ولم يقل : عَنْها ، لأن المراد أنهم يشكُّون فيها ، ويَمْتَرون فى صحتها ، فهم فى عَمىً منها ؛ ولا يصلُحُ أن يكون فى هذا الموضع : عنها . لأنه ليس المراد ذِكْرَ عَماهم عن النظر إليها ، وإنما القَصْدُ ذِكْرُ عماهم بالشك فيها . وهذا من لطائف المعانى (١) .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴾[٧٢] وهذه استعارة . لأن حقيقة الرِّدْف هى حَمْلُ الإنسان غيرَه مما يلى ظَهْرَه على مركوب (٢) . . . .

. . . .

فالمراد بقوله سبحانه : ﴿ رَدِفَ لَكُمْ ﴾ ههنا ـ واللهُ أعلم ـ أى عسى أن يكون العذاب الذى تتوقعونه قد قَرُبَ منكم . وهو فى آثاركم ، ولا حقٌ بكم .

وقد قيل أيضا إن المراد بردِفَ لكم . أى رَدِفَكُمْ . فصار العذاب فى الالتصاق بكم كالمرادف لكم . والمعنى واحد .

---

(١) فى الأصل : « المغالى » وهو تحريف بين .
(٢) هنا سطر غير واضح الكلام ولا ملتئم السياق .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هٰذَا ٱلْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [٧٦] وهذه استعارة . لأن القصصَ كلام مخصوص ، ولا يوصف به إلا الحيُّ الناطقُ المميِّز . ولكن القرآن لما تضمنّ نبأَ الأوّلين ، ومَصادِرَ أمور الآخرين ، كان كأنَّه يقصّ على من آمن به عند تلاوته له قصص من تقدمه[1] . . .

. . . .

(١) هنا ضاع من الأصل أربع ورقات تقريبا . من الآية ٧٦ من سورة النمل الى الآية ٢٦ من سورة الأحزاب .

« سورة الأحزاب »

. . . . .

﴿ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾[٢٦] وهـذه استعارة . والمراد بها : أنه تعالى ألقى الرعبَ فى قلوبهم من أثقل جهاته ، وعَلَى أقطع بَغَتاته . تشبيها بقذفة الحَجَر إذا صكّت الإنسانَ على غفلة منه . فإن ذلك يكون أملأ لقلبه، وأشدّ لروْعِهِ .

وقوله سبحانه : ﴿ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ﴾ [٣٠] وهـذه استعارة على قراءة من قرأ : ﴿ مُبَيِّنَةٍ ﴾ بكسر الياء ، فكأنه تعالى جَعَل الفاحشة تُبيِّن حال صاحبها ، وتشير إلى مايستحقه من العقاب عليها . وهـذا من أحسن الأعْراض، وأنفس جواهر الـكلام[1] . . .

. . . .

. . . .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَدَاعِياً إِلَى ٱللهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [٤٦] وهـذه استعارة . والمراد بالسراج المنير ههنا : أنّه عليه السلام يهتدى به فى ضلال الـكفر ، وظلام الغيّ ، كما يُسْتصبح بالشهاب فى الظلماء ، وتستوضح الغرة فى الدهماء .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ ، فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ، وَحَمَلَهَا ٱلْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [٧٢] . وهـذه استعارة . وللعلماء فى ذلك أقوال نحن نستقصى ذكرها عند البلوغ إليها من الـكتاب الـكبير

---

(١) هنا عشرة أسطر محيت أنصافها بحال لا يستقيم معها تبين النص .

بتوفيق الله ومشيئته ، إلا أننا نشير إلى بعض ذلك ههنا إشارةً تليق بغرض هـذا الـكتاب في طريقة الاختصار ، وخوف الإكثار [١] . . . . .

. . . .

وقال بعضهم : المراد بذلك تفخيم شأن الأمانة وأن منزلتها منزلة مالو عُرِضَ على هـذه الأشياء المذكورة مع عظمها ، وكانت تعلم مافيها ، لأبت [أن[٢]] تحملها وأشفقت كل الإشفاق منها . إلا أن هـذا الـكلام خرج مخرج الواقع لأنه أبلغ من المقدر . وقال بعضهم : عرْضُ الشيء على الشيء ومعارضته سواء . والمعارضة ، والمقابلة ، والمقايسة ، والموازنة بمعنى واحـد . فأخبر الله سبحانه عن عظم أمر الأمانة وثقلها ، وأنها إذا قيست بالسموات والأرض والجبال[٣] ووزنت بها رجحت عليها . ولم تطق حملها ، ضَعفا عنها . وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾ ومن كلامهم : فلان يأبى الضيم . إذا كان لا يحتمله . فالإباء ههنا هو ألَّا يقام بحمل الشيء . والإشفاق في هذا الموضع هو الضعف عن الشيء ، ولذلك كنى به عن الخوف الذى هو ضعف القلب . فقالوا : فلان مُشْفق من كذا . أى خائف منه ،

يقول سبحانه : فالسموات والأرض والجبال لم تحمل الأمانة ضعفا عنها ، وحَمَلها الإنسان،أى تقلَّدها وقارف [٤] المآثم فيها ، للمعروف من كثرة جهله ، وظلمه لنفسه .

(١) وهنا بضعة أسطر ممحوة الأنصاف .
(٢) ليست بالأصل . وقد زدناها لأن السياق يتطلبها .
(٣) فى الأصل « وزنت » بواو واحدة . وهو تحريف ، لأنها معطوفة على الفعل قيست .
(٤) فى الأصل « وتعارق » وهو تحريف . ولعل الصواب ماالستظهرناه . فإن مقارفة الآثام هى ركوبها واقترافها .

ومن السورة التى تذكر فيها

« سبـــــأ »

قوله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا ، قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ [٢٣] الآية(١) وهذه استعارة ، على قراءة من قرأ : فزّع بالزاى والعين ، وفرّغ بالراء والعين .

فالمراد بقراءة من قرأ : فزع بالعين غير معجمة ، أى أزيل الفَزَع عن قلوبهم . كما تقول : قَذَّيْتُ عينه . إذا أزلت القَذَىَ عنها . وهو كقولهم : رغَّبَ عنه . إذا رفعت الرغبة عنه . خلافا لقولهم : رغب فيه ، إذا صرفت الرغبة إليه . فالرغبة فى أحد الأمرين منقطعة ، وفى الآخر منصرفة . والمراد بقراءة من قرأ : فرِّغ بالغين معجمة ، قريب من المراد بالقراءة الأولى . كأنه سبحانه قال : حتى إذا أُخرج ما كان فى قلوبهم من الخوف والوجل ففرغت منها .

وإنما قال : عن قلوبهم . لأنه سبحانه أقام ذلك مُقام التفريج عن قلوبهم . فكما حسُنَ أن يُقال : فُرِّج عن قلبه ، فكذلك حَسُنَ أن يقال : فرِّغ عن قلبه .

وهذا موضع سرٍّ لطيف ، ومعنى عجيب .

وقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْآنِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ [٣١] وهذه استعارة . والمراد بها ماتقدم القرآنَ من الكتب ، فكأنها كانت مشيرة إليه ، ومصرفة بين يديه . وقد مضى الكلام على نظائر ذلك فيما تقدم .

---

(١) تكملة الآية : « قالوا الحق . وهو العلى الكبير » .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱللَّيْلِ وَٱلنهارِ ، إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا ﴾ [٣٣] . وهذه استعارة . والمراد بمكر الليل والنهار : ما يتوقع من مكرهم فى الليل والنهار ، فأضاف تعالى المكر إليهما لوقوعه فيهما . وفيه أيضا زيادة فائدة ، وهى دلالة الكلام على أن مكرهم كان متصلا غير منقطع فى الليل والنهار ، كما يقول القائل : ما زال بنا سيرُ الليل والنهار حتى وردنا أرضَ بنى فلان . وهذا دليل على اتصال سيرهم فى الليل والنهار ، من غير إغباب ، ولا إراحة ركاب .

[و][1] قوله سبحانه : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾[٤٦] وهذه استعارة . والمراد أنه عليه السلام بُعث ليقدِّم الإنذار أمام وقوع العقاب ، إزاحةً للعلة ، وقطعاً للمعذرة . وقد تقدمت إشارتنا إلى نظائر هذه الاستعارة فى عدة مواضع من هذا الكتاب .

وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ جَاءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[٤٩] وهذه استعارة . لأن الإبداء والإعادة يكونان فى القول ، ويكونان فى الفعل . فأما كونهما فى الفعل فبقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَأُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾[2] وأما كونهما فى القول فإن القائل يقول : سَكَت فلانٌ فلم يُعِدْ ولم يُبْدِئْ . أى لم يتكلم ابتداءً ، ولا أحار جوابا . وهاتان الصفتان يستحيل أن يُوصَفَ بهما الباطل ـ الذى هو عَرَض من الأعراض ـ إلا على طريق الاتساع والمجاز .

وإنما المراد أن الحق قَوِىَ وَظَهَرَ ، والباطل ضَعُف واستتر ، ولم يبق له بقية يَقْوَى بها

(١) ليست هذه الواو بالأصل . وقد نسيها الناسخ .

(٢) سورة الروم . الآية رقم ٢٧ .

بعد ضعفه ، ويجبر بعد وَهْنه . أى ما تقوم[1] له قائمة فى بدء ولا عَوْد . والبدْء : الحال الأولى . والعود : الحال الأخرى . وكذلك الإبداء والإعادة .

ويجوز أن يكون لذلك وجه آخر ، وهو أن يكون المعنى أن الباطل كان عند غَلَبة الحق وظهوره بمنزلة الواجم الساكت ، والحائر الذاهل ، الذى لا قدرة له على الحِجَاجِ ، ولا قوة له على الانتصار . كقولهم : سَكَتَ فما أعاد ولا أبْدأ . عند وصف الإنسان بالحيرة، أو غلبة الفكرة .

وقد قيل أيضا فى ذلك وجه آخر يخرج به الكلام عن حيز الاستعارة . وهو أن يكون المراد أن صاحب الباطل لا يُبْدِئ ولا يُعيد عند حضور صاحب الحق ، ضَعفاً عن حِجَاجه ، وضلالاً عن منهاجه . فجَعل المضاف هنا فى موضع المضاف إليه . وذلك كثير فى كلامهم .

وقوله تعالى : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [٥٣] وهذه استعارة . والمراد بذلك ـ والله أعلم ـ أنهم يقولون ما لا يعلمون ، ويظنون ولا يتحققون . فهم بمنزلة الرامى غرضاً بينه وبينه مسافة متباعدة ، فلا يكون سهمه أبدا إلا قاصراً عن الغرض ، وعادلا عن السَّدَد .

(١) فى الأصل : « يقوم » .

ومن السورة التي يذكر فيها

الملائكة (١) عليهم السلام

قوله سبحانه : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [١٠] وهذه استعارة . وليس المراد أن هناك على الحقيقة شيئا يوصف بالصعود ، ويرتقى من سفال إلى علو . وإنما المراد أن القول الطيب والعمل الصالح متقبلان عند الله تعالى ، واصلان إليه سبحانه . بمعنى أنهما يبلغان رضاه ، وينالان زلفاه . وأنه تعالى لا يُضيعهما ولا يهمل الجزاء عليهما . وهذا كقول القائل لغيره : قد ترقَّى الأمر إلى الأمير . أى بلغه ذلك على وجهه ، وعَرفَه على حقيقته . وليس يريد به الارتقاء الذى هو الارتفاع ، وضده الانخفاض .

ووجه آخر : قيل إن معنى ذلك صعود الأقوال والأعمال إلى حيث لا يملك الحكمَ فيه إلا الله سبحانه . كما يقال : ارتفع أمرُ القوم إلى القاضى . إذا انتهوا إلى أن يحكم بينهم ، ويفصل خصامهم . ووجه آخر : قيل إن الله سبحانه لما كان موصوفا بالعلو على طريق الجلال والعظمة ، لا على طريق المدَى والمسافة ، فكل مايتقرب به إليه من قول زكى ، وعمل مرضى فالإخبار (٢) عنه يقع بلفظ الصعود والارتفاع ، على طريق المجاز والاتساع .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ، وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا

---

(١) هى سورة فاطر . وهى السورة الخامسة والثلاثون من القرآن . وقد ذكرت الملائكة فيها فى قوله تعالى فى أولها : « الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق مايشاء ، إن الله على كل شىء قدير » .

(٢) فى الأصل « والأخبار » بالواو . والفاء هنا هى الصحيح .

لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [١٨] وقد مضى نظير هذا الكلام فى الأنعام، وفى بنى إسرائيل، وتركنا الإشارة إليه هناك لما جاءت فى هذا الموضع زيادةٌ حققت الكلام بالاستعارة، فاحتجنا إلى العبارة عنها أسوة بنظائرها (١) . فنقول : إن قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾ أى لا تحمل حاملة حمل غيرها يوم القيامة . يقال : وَزَرَ، يَزِرُ وِزْراً . إذا حَمَل . والاسم الوِزْرُ . ومن ذلك أُخِذ اسم الوزير ، لأنه حامل الثِّقل عن الأمير . والمعنى : ولا يحملُ مُذنبٌ ذَنبَ غيره ، ولا يؤخذ بجرمه وجنايته .

والزيادة فى هذا الموضع قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ فشبَّه تعالى استغاثة المثقَّل من الآثام باستغاثته من الإعياء . لأنَّ من عادة من تلك حاله أنْ يَطلُبَ مَن يشاطره الحمل ، ويخفف عنه الثِّقل . فأمافى ذلك اليوم فلا يهم كلَّ امرئ إلا نفسُه ، ولا يَعْنِيهِ (٢) إلا أمْرُه ، ولا يُعين أحدٌ أحدا ، ولا يخفف مَدْعوٌّ مِن داعٍ ثِقْلا ، ولو كان أَوْلى الناس بأمره ، وأقربهم التياطا به ، وانتياطا (٣) بنسبه .

وإنما قال سبحانه : مُثْقلة . ولم يقل : مُثْقَلٌ . لأنه رَدَّ ذلك إلى النفس ، ولم يَرْدُدْهُ إلى الشخص .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [٤٣] وهذه استعارة .

---

(١) فى الأصل « نظائرها » بدون باء . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) فى الأصل : « ولا يعينه » من الإعانة . وهو تحريف .

(٣) انتاط به : أى تعلق به . ولاحظ هنا الجناس الناقص بين التياط وانتياط . وذلك من براعات الشريف الرضى .

والمراد أن الله سبحانه يعاقب المشركين على مكرهم بالمؤمنين ، فكأنما مكروا بأنفسهم ، ووجّهوا الضرر إليهم ، لا إلى غيرهم ، إذ كان المكر عائدا بالو بال عليهم . ومعنى لا يحيق أى لا يحلّ (١) ، ولا ينزل ، ولا يحيط إلا بهم .

وهذه الألفاظ كلها بمعنى واحد .

---

(٢) فى الأصل : « لا يجعل » وهو تحريف من الناسخ .

ومن السورة التى يذكر فيها « يس »

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ، وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا ، وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ، فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [٧ ، ٨] .

وهاتان استعارتان . ومن أوضح الأدلة على ذلك أنّ الكلام كلّه فى أوصاف القوم المذمومين . وهم فى أحوال الدنيا دون أحوال الآخرة

ألا ترى قوله تعالى بعد ذلك : ﴿ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [١٠] . وإذا كان الكلام محمولا على أحوال الدنيا دون أحوال الآخرة ، وقد علمنا أن هؤلاء القوم الذين ذهب الكلام إليهم كان الناس يشاهدونهم غير مقمحين بالأغلال ولا مضروب عليهم بالأسداد ، علمنا أن الكلام خرج مخرج قوله سبحانه : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ (١) وكأنّ ذلك وصف لما كان عليه الكفار عند سماع القرآن من تنكيس الأذقان ، وَلَيِّ الأعناق ، ذهابا عن الرشد ، واستكبارا عن الانقياد للحق ، وضيقَ صدورٍ بما يَرِدُ عليهم من مواقع البيان ، وقوارع القرآن . وقد اختلِفَ فى معنى الإقْمَاح . فقال قوم : هو غض الأبصار ، واستشهدوا بقول بشر بن أبى (٢) خازم فى ذكر السفينة .

---

(١) سورة البقرة . الآية رقم ٧ .

(٢) البيت فى « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى ج ١٥ ص ٨ منسوبا إلى بشر فقط من غير ذكر لأبيه. وفى كتاب « القرطين » لابن مطرف ج ٢ ص ٨٧ لم ينسب لقائله . ولكن مصحح الكتاب نسبه فى الهامش إلى بشر بن أبى حازم بالحاء المهملة كما جاء مثل ذلك فى كتاب « الحماسة » لابن الشجرى طبع حيدر أباد ص ٥ ، ٣٠٤ أمالى صفحة ١٠٣ ، ٢٦٩ فجاء بغير ذلك . والصواب بالخاء المعجمة والزاى . وله ترجمة فى « الشعر والشعراء » لابن قتيبة ص ٢٢٧ ، والخزانة ج ٢ ص ٢٦١ — ٢٦٤ ، ومختارات ابن الشجرى ج ٢ ص ١٩ — ٣٣ والمفضليات بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون.

ونحنُ على جَوَانِبِها قُعـــودٌ نَغُضُّ الطَّرفَ كالإبل القِمَاحِ

وقال قوم : المقْمَحُ : الرافع رأسه متعمدا . فـكأنَّ هؤلاء المذمومين شبِّهوا على المبالغة فى وصف تـكارُهِهِم للإيمان ، وتضايُق صدورهم لسماع القرآن ، بقوم عوقبوا لجذبت أذقانهم بالأغلال إلى صدورهم مضمومةً إليها أيْمانُهُم ، ثم رفعت رءوسهم ، ليـكون ذلك أشدَّ لإيلامهم ، وأبلغَ فى عذابهم .

وقيل : إن المقمح الغاضُّ بصره بعد رفع رأسه ، فـكأنه جامعٌ بين الصفتين جميعا .

وقيل إن قوله تعالى : ﴿ فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ ﴾ يعنى به أَيمانَهم المجموعة بالأغلال إلى أعناقهم ، فاكتفى بذكر الأعناق من الأَيْمان لأن الأغلال تجمع بين الأيمان والأعناق . وكذلك معنى السَّدِّ المجعول بين أيديهم ومن خلفهم ، إنما هو تشبيه بمن قَصُر خطْوُه وأُخِذت عليه طرقه . ولما كان مايصيبهم من هذه المشاق المذكورة والأحوال المذمومة إنما هو عقِيب تلاوة القرآنِ عليْهم ، ونفْثِ قوارعه فى أسْماعِهِمْ ، حَسُنَ أن يُضيف سبحانَهُ ذلك إلى نفسه ، فيقول : إنا جعلناهم على تلك الصفات .

وقد قرىء سَدًّا بالفتح ، وسُدا بالضم . وقيل إن السَّد بالفتح مايصنعه الناس ، والسُّدُّ بالضم مايصنعه الله تعالى .

وقال بعضهم : المراد بذكر السد هنها : الإخبار عن خذلان الله سبحانه إياهم ، وتركه نصرَهم ومعونتهم ، كما تقول العرب فى صفة الضال المتحير : فلانٌ لا ينفذ فى طريق يسلـكه ، ولا يعلم أمامه أم وراءه خير له . وعلى ذلك قول الشاعر :[١]

---

(١) لم أهتد إلى اسم الشاعر بعد طويل بحث ورجوع إلى كتب الشواهد والدواوين . والشكر أجزل الشكر لمن يهدينا إليه .

فأصبح لا يَدْرى وإن كانَ حَازِما أقدّامُه خَيرٌ له أمْ وَرَاؤُهُ

وأما قوله سبحانه : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ فهو أيضا فى معنى الخَتْم والطَّبع ، وواقعٌ على الوجه الذى يقعان عليه . وقد تقدم إيماؤنا إليه .

وقوله سبحانه : ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَاهُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [٣٧] . وهذه استعارة . والمراد نُخرجُ منه النهارَ ، ونستقصى تخليص أجزائه ، حتى لا يبقى من ضوء النهار شىء مع ظلمة الليل ، فإذا الناس قد دخلوا فى الظلام . وهـذا معنى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَاهُمْ مُظْلِمُونَ ﴾ كما يقال : أَفْجَروا . إذا دخلوا فى الفجر ، وأنجدوا . وأَتْهَمُوا . إذا دخلوا نَجْدا وتهامة .

والسَّلخ : إخراج الشىء مما لابسه والتحم به . فـكل واحد من الليل والنهار متصل بصاحبه اتصال الملابس بأبدانها ، والجلود بحيوانها . ففى تخليص أحدهما من الآخر ــ حتى لا يبقى معه منه ظرف ، ولا عليه منه أثر ــ آية باهرة ، ودلالة قاهرة (١) . فسبحان الله رب العالمين

وقوله سبحانه فى ذكر البعث : ﴿ قَالُوا يَاوَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ، هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴾[٥٢] وهذه استعارة . لأن المَرْقَدَ ههنا عبارة عن الممات ، فشبّهوا حال موتهم بحال نَوْمِهم ، لأنها أشبه الأشياء بها . وكذلك قوة شَبه حالِ الاستيقاظ بحال الإحياء والإنْشار. وعلى ذلك قوله عليه السلام : (إنَّكُمْ تموتُونَ كما تنَامُونَ ، وَتُبْعَثُونَ كما تَسْتَيْقِظُونَ)(٢) . وقال بعضهم : الاستعارة ههنا أبلغ من الحقيقة . لأن

---

(١) هكذا بالأصل . ولا معنى للدلالة القاهرة . ولعلها ظاهرة .

(٢) هذا الحديث من خطبة له عليه السلام ، وهى أول خطبة خطبها بمكة حين دعا قومه إلى الإسلام. وهى فى كتاب «جمهرة خطب العرب» ج ١ ص ٥١ . وقد نقلها عن «السيرة الحلبية» ج ١ ص ٢٧٢ ، وعن «الكامل» لابن الأثير ج ٢ ص ٢٧ .

النوم أكثر من الموت ، والاستيقاظ أكثر من الإحياء بعد الموت . لأن الإنسان الواحد يتكرر عليه النوم واليقظة مرات ، وليس كذلك حال الموت والحياة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ، فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴾[٦٦] . وهذه استعارة . والمراد بالطمس ههنا : إذهاب نور الأبصار حتى يبطل إدراكها ، تشبيها بطمس حروف الكتاب ، حتى تشكل قراءتها .

وفيه أيضا زيادة معنى ، لأنه يدلُّ عَلَى مَحْوِ آثارِ عيونهم ، مع إذهاب أبصارها ، وكَسْف أنوارها . وقيل معنى الطَّمْس إلحامُ الشقوق التى بين الأجفان حتى تكون مبهمة ، لا شقَّ فيها ، ولا شَفر لها . يقولون : أعمى مطموس وطميس، إذا كان كذلك .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [٦٨] وقرىء : ننكِّسه بالتشديد . وهذه استعارة . والمراد ـ والله أعلم ـ أنَّا نُعيد الشيخَ الكبير إلى حال الطفل الصغير فى الضَّعف بعد القوَّة ، والتثاقُل بَعْد النهضة ، والإِخْلاق [١] بَعْد الجدَّة . تشبيها بمن انتكس على رأسه ، فصار أعلاه سُفلا ، وأسفلُه عُلْواً .

وقوله سبحانه : ﴿ لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [٧٠] وهذه استعارة . والمراد بالحى ههنا : الغافل الذى يستيقظ إذا أُوقِظَ ، ويتَّعظ إذا وعِظ . فسمَّى سبحانه المؤمن[٢] الذى ينتفع بالإنذار حيا لنجاته ، وسَمَّى الكافر الذى لا يُصغى إلى الزواجر ميتا لهُلْكِه .

وقوله سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ [٧١] وهذه استعارة . والمراد بذكر الأيدى ههنا قسمان من أقسام اليد فى اللغة

---

(١) الإخلاق : كون الشىء خلقا باليا بعد جدته .

(٢) فى الأصل : « للون » وهو تحريف من الناسخ . والتصويب مما يقتضيه السياق والمقابلة بين المؤمن والكافر ، والحى والميت .

العربية . إما أن تكون بمعنى القوة ، و بمعنى تحقيق الإضافة . فكأنه سبحانه قال : أَوَ لم يرَوا أنا خلقنا لهم أنعاما اخترعناها بقوة تقديرنا ، وَمُتْقَنِ تدبيرنا .

أو يكون المعنى أَنَّ هذه الأنعام مما تولّينا خَلْقَهُ من غير أَنْ يشاركنا فيه أحد من المخلوقين . لأن المخلوقين قد يعملون سفائن البحر ، ولا يعملون سفائن البرِّ ، التى هى الأنعام المذللةُ ظهورُها ، والمحلَّلَةُ لحومُها . فهذا وجه فائدة الإضافة فى قوله تعالى : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ . والله أعلم .

ومن السورة التى يذكر فيها «الصافات»

قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ، كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾[٤٨،٤٩] وهذه استعارة . والمراد بالقاصرات الطَّرْف هنا : اللواتى جعلْنَ نظرهن مقصورا على أزواجهنَّ . أى حَبَسْنَ النظر عليهم ، فلا يتعدينهم إلى غيرهم . وجىء بذكر الطَّرف على طريق المجاز . وإلا فحقيقة المعنى أنهن حَبَسْنَ الأنفُسَ على الأزواج عِفَّةً ودِينا ، وخلقا وصونا .

وإنما وقعت الكناية عن هذا المعنى بقصْر الطَّرف ، لأن طماحَ الأعين فى الأكثر يكون سببا لتتبُّعِ النفوس وتطَرُّب القلوب ، وعلى هذا قول الشاعر :

وَإِنَّكَ إِنْ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِدًا ... لقلبك يوما أَتعبَتْك المَناظِرُ (١)

والطرف هنا واحد فى تأويل الجميع : ونظيره قوله سبحانه : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ (٢) . أى على أسماعهم ، أو مواضع استماعهم .

---

(١) البيت هوأحد بيتين أنشدتهما امرأة أمام أبى الغصن الأعرابى ، وكان قد خرج حاجا ، فمر بقباء ، وإذا جارية كأن وجهها سيف صقيل .. والقصة كاملة فى الجزء الرابع من «عيون الأخبار» لابن قتيبة . ص ٢٢ . وفى «شرح شواهد الكشاف» للعلامة محب الدين ص ١٣٤ أنه من أبيات «الحماسة» . وفى «شرح الحماسة» للمرزوقى ج ٣ ص ١٢٣٨ لم يذكر اسم قائله . وإنما اكتفى بقوله : وقال آخر . ولم يتعرض العلامة المرزوقى لتحقيق اسم هذا الشاعر أو الشاعرة ، وإنما اكتفى بشرح البيتين شرحا أدبيا . وهما:

وكنت إذا أرسلت طرفك رائدا ... لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذى لا كله أنت قادر ... عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٧ .

ومن السورة التى يذكر فيها «ص»

قوله تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴾ [١٢] وهذه استعارة على بعض الأقوال، وهو أن يكون معنى ذى الأوتاد يعنى ذو المُلْك الثابت، والأمر الواطد، والأسباب التى بها يثبت السلطان، كما يثبتُ الخباء بأوتاده، ويقوم على عماده.

وقد يجوز أيضا أن يكون معنى ذى الأوتاد، أى ذو الأبنية المشيَّدة، والقواعد الممهدة، التى تشبَّه بالجبال فى ارتفاع الرءوس ورسوخ الأصول. لأن الجبال تسمى أوتاد الأرض. قال سبحانه: ﴿ وَجَعَلْنَا الْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ (١).

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَالَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [١٥]. وقُرِىء: منْ فُوَاق(٢) بالضم. وقد قيل إنهما لغتان، وذلك قول الكسائى. وقال أبو عبيدة: مَنْ فتَح أراد مالها من راحة، وَمَنْ ضمّ أراد مالها فى إهلاكهم من مهلة بمقدار فُواق الناقة، وهى الوقفة التى بين الحلبتين. والموضع الذى يحقق الكلام بالاستعارة على قراءة من قرأ من فواق بالفتح، أن يكون سبحانه وَصَفَ تلك الصيحة بأنها لا إفاقة من سكرتها، ولا استراحة من كربتها، كما يفيق المريض من علته، والسكران من نشوته. والمراد أنه لا راحة للقوم منها. فجعل سبحانه الراحة لها على طريق المجاز والاتساع. ومثله كثير فى الكلام.

---

(١) فى سورة «عم» قوله تعالى: « ألم نجعل الأرض مهادا، والجبال أوتادا » الآية ٧.

(٢) الضم هو قراءة حمزة والكسائى. وبقية القراء قرءوها بفتح الفاء. وقال الجوهرى: الفواق بالفتح والفواق بالضم ما بين الحلبتين من الوقت. وفى الحديث الشريف: (العيادة قدر فواق الناقة) انظر « الجامع لأحكام القرآن» ج ١٥ ص ١٥٦.

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [٢٣]. وهذا الكلام داخل فى حيِّز الاستعارة . لأن النعاج ههنا كناية عن النساء . وقد جاءت فى أشعارهم الكناية عن المرأة بالشاة ، وعلى ذلك قول الأعشى .

فرميت غفلة عينـــه عن شاته   فأصبت حبة قلبها وطحالها (١)

أى : عن امرأته . وقال عنترة :

يَا شَاةَ مَا قَنَصٍ لمن حلَّت له   حَرُمَتْ عَلَيَّ وَلَيْتَهَا لَمْ تَحْرُمِ (٢)

وربما سمَّوا الظَّبية نعجة ، والظَّبية شبيهة بالمرأة ، فتكون اللفظة مستعارة على هذا التركيب

وإنما شُبِّهت النساء بالنعاج لأن النعاج يُرتبطن للاحتلاب والاستنتاج ، والنساء يُصْطَفَيْنَ للاستمتاع والاستيلاد .

وقوله تعالى فى ذِكْرِ الخَيل حاكيا عن سليمان عليه السلام لما عُرِضَتْ عليه ، فكاد أن يفوتَه للشُّغل بها وَقْتُ صلاةٍ كان يُصَلِّيها ، فضَرَبَ رُءوسها وعَرَاقيبها بالسيف ، على ما وردت به الأخبار : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [٣٣] وهذه استعارة . لأن المسْح ههنا ــ فى أكثر أقوال أهلِ التأويل ــ

---

(١) هذا البيت من قصيدة للأعشى يمدح بها قيس بن معد يكرب . ومطلعها :

رحلت سمية غدوة أجـــالها   غضبى عليك ، فما تقول بدالها

وتبلغ أبياتها ٥٤ بيتا ، كما فى ديوانه الكبير الذى نشرته مكتبة الآداب بتحقيق الدكتور م . محمد حسين ــ ص ٢٧ . والعرب تكنى بالشاة عن المرأة والزوجة . والأعشى من شعراء العصر الجاهلى الذين اشتهروا بشعر الخمر ووصف مجالسها وآلاتها مما كان له أثر فى الشعراء بعده كالأخطل وأبى نواس .

(٢) قال ابن مطرف الكنانى فى شرح هذا البيت : (يعرض بجارية يقول : أى صيد أنت لمن حل له أن يصيدك ، فأما أنا فإن حرمة الجوار قد حرمتك على) ، وتجد شرحه فى « شرح القصائد العشر » للإمام التبريزى ص ٢٠٠ . وقال بعض النحاة : إن « ما » زائدة والأصل ياشاة قنص .

كنايةٌ عَنِ الضَّرْب بالسيف . وامتسَحَ رأسَه : إذا فَعَـل به ذلك . وهـذه الباء ههنا للإلصاق . فكأنه تعـالى قال : وَأَلْصِقَ السيف بسوقها وأعناقها . كما يقول القائل : مسحْتُ يَدى بالمنديل . أى ألصقْتُها به . وعلى ذلك قول الشاعر (١) :

نَمَشُّ (٢) بِأَعْرَافِ الجيادِ أَكُفَّنَا إذَا نَحْنُ قُمْنَا عن شِوَاءٍ مُضَهَّبِ

أى نلصق أيدينا بأعرافها، كما نلصقها بالمناديل التى تمسح بها الأيدى . وقد صرَّح بذلكَ الشاعرُ الآخر (٣) فقال :

* أَعْرَافُهُنَّ لِأَيْدِينَا مَنَادِيلُ *

والشاهد الأعظم على ذلك ماورد فى التنزيل من قوله سبحانه : ﴿ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ﴾ (٤) على قراءة من قرأ : ﴿ وَأَرْجُلِكُمْ ﴾ جرًّا . أى ألصقوا الْمَسْحَ بهذه المواضع . وهذه الآية يَسْتَدِل بها أهلُ العراق على أنَّ استيعاب الرأس بالمسح ليس بواجب ، خلافا لقول مالِك . وقال لى الشيخ أبو بكر محمد

---

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى ، أمير شعراء الجاهلية .

(٢) فى الأصل « نمس » بالسين المهملة وهو تحريف من الناسخ ، كما أنه ترك كلة مضهب بدون نقط على الضاد المعجمة . والبيت من بائية امرئ القيس التى يقول فى مطلعها :

خليلى مرا بى على أم جندب نقض لبانات الفؤاد المعذب

انظر « شعراء النصرانية » للأب لويس شيخو اليسوعى . ص ٢٣ .

(٣) هو عبدة بن الطبيب الشاعر الجاهلى . والبيت كاملا هو :

ثمت قمنا إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل

ويقول ابن قتيبة فى « الشعر والشعراء » إنه أخذه من قول امرئ القيس :

نمش بأعراف الجيـاد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مضهب

(٤) سورة المائدة . الآية رقم ٦ .

ابن موسى [١] الخوارزمى ـ أدام الله توفيقه ـ عند بلوغى عليه فى القراءة من مختصر أبى جعفر الطحاوى [٢] إلى هذه المسألة : سألت أبا على الفارسى النحوى [٣] وأبا الحسن على ابن عيسى الرمانى [٤] : هل يقتضى ظاهرُ الآية إلصاق الفعل بجميع المحل أو بالبعض ؟ فقالا جميعا : إذا ألصق الفعل ببعض المحل تناوله الاسم . قال : وهذا يدل على الاقتصار على مسح بعض الرأس كما يقوله أصحابنا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِى الْأَيْدِى وَالْأَبْصَارِ ﴾ [٤٥] وهـذه استعارة . والمراد بها ـ والله أعلم ـ أولى القُوَى فى العبادة ، والبصائر فى الطاعة .

ولا يجوز أن يكون المراد بالأبصار ههنا الجوارح والحواس ، لأن سائر الناس يشاركون الأنبياءَ عليهم السلام فى خَلْق ذلك لهم . ولا يحسُنُ مَدْحُ الإنسان بأن له يَدًا وقَدَمًا وعَيْنًا وفمًا . وإنما يحسُنَ أَنْ يُمْدَحَ بأن له نفْسا شريفة ، وهمة منيفة ، وأفعالاً جميلة ، وخلالا محمودة .

وقيل أيضا معنى أُولى الأيدى : أى أُولى النِّعَم فى الدين ، لأن ورود اليد بمعنى النعمة

---

(١) كدت أيأس من الحصول على ترجمة له إلى أن وجدته « فى تاريخ بغداد » ج ٣ ص ٢٤٧ . قالوا : ماشاهد الناس مثله فى حسن الفتوى والإصابة فيها وحسن التدريس ، وقد دعى إلى ولاية الحكم مرارا فامتنع منه . توفى سنة ٤٠٣ هـ أى قبل وفاة الشريف الرضى بثلاث سنوات .

(٢) هو الإمام أبو جعفر الطحاوى المصرى ، برع فى الفقه والحديث ، وإليه انتهت رياسة الحنفية بمصر ، وتفقه فى مذهب الإمام أبى حنيفة حتى صار إماما . توفى سنة ٣٢١ هـ

(٣) هو الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسى كان إماما فى النحو والعربية . وتقدمت ترجمته فى الهامش عند الكلام على سورة طه .

(٤) هو مفسر ونحوى كبير ، ولد ببغداد وتوفى بها سنة ٣٨٤ هـ وله كتب « التفسير » و « شرح أصول ابن السراج » و « شرح سيبويه » و « معانى الحروف » وترجمته فى « بغية الوعاة » و « ابن خلكان » و « الأعلام » للزركلى .

مشهور فى كلامهم ، فإنهم أسْدَوْا إلى الناس أيديا بدعايتهم إلى الإيمان ، وافتلاتهم من حبائل الضَّلال .

وأما قوله سبحانه وتعالى فى هـذه السورة : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [٧٥] فقد مضى من الكلام على قوله تعالى فى يس : ﴿ أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾ (١) ماهو بعينه الكلام على هـذا الموضع ، فلا فائدة فى إعادته . وجُملته أن المراد بقوله تعالى : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ مزيةُ الاختصاص بخَلْق آدم عليه السلام من غير معونة مُعين ، ولا مظاهَرةِ ظهير .

---

(١) سورة يس . الآية رقم ٧١ .

ومن السورة التى يذكر فيها « الزُّمرُ »

قوله تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ ، وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱللَّيْلِ ﴾ [٥] وهذه استعارة . والمعنى : يُعلى هذا على هذا . وذلك مأخوذ من قولهم : كار العِمامَة على رأسه يكورها . إذا أدارها عليه . وقد قالوا : طَعَنه فكوَّرَه . أى صَرَعه . ومنه قول أبى كبير الهذلى (١) :

متكورين على المعارى بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ كتعْطَاطِ المَزَادِ ٱلْأَنْجَلِ

ومنه الحديث المأثور : (نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ٱلْحَوْرِ بَعْدَ ٱلْكَوْرِ)(٢) أى من الإدبار بعد الإقبال . وقيل من القلة بعد الكثرة . لأنهم يسمُّون القطيع الكثير من البقر وغيرها كوراً . ومنه قول أبى ذؤيب(٣) فى صفة الثور :

---

(١) أبو كبير الهذلى هو عامر بن الحليس . وهو شاعر جاهلى . وله ترجمة فى « الشعر والشعراء » و « الإصابة » و « الخزانة » و « اللآلى » . وزعموا أنه تزوج أم الشاعر « تأبط شرا » وكان هذا غلاما صغيرا فلما رآه يكثر الدخول على أمه تنكر له ... والقصة كاملة فى كتاب « ديوان الهذليين » ج ٢ ص ٨٨ ومتكورين أى بعضهم على بعض ، والمعارى : السوءات . والتعطاط من العط ، وهو الشق ، والأنجل : الواسع .

(٢) فى « أساس البلاغة » : « وأعوذ بالله من الحور بعد الكور » . والباطل فى حور — بالضم — وهما النقصان ، كالهون والهون . والحديث كاملا فى « المجازات النبوية » طبع القاهرة صفحة ١١٣ ، ونصه : (اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر . وكآبة المنقلب ، والحور بعد الكور . وسوء المنظر فى الأهل والمال) .

(٣) هو أبو ذؤيب الهذلى خويلد بن خالد ، جاهلى إسلامى ، وكان راوية للشاعر الهذلى ساعدة بن جؤية . وقالوا : إنه خرج مع عبد الله بن الزبير فى مغزى نحو المغرب فمات . وهو صاحب العينية المشهورة التى يرثى بها سبعة من أبنائه ماتوا فى يوم واحد ، ومطلعها :

أمن المنون وريبها نتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وشعره فى « ديوان الهذليين » طبع دار الكتب المصرية .

وَلَا شبوبٌ من الثيرانِ أَفْرَدَهُ عنْ كَوْرِهِ كَثْرَةُ الْإِغْرَاءِ وَالطَّرَدِ

أى عن سربه الكثير .

فيجوز أن يكون معنى ﴿ يُكَوِّرُ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱللَّيْلِ ﴾ على قول من يقول : طعنه فكوَّره ، يريد : فصَرَعَهُ . أى يلقى الليل على النهار ، ويُلقى النهار على الليل .

ويكون المعنى على قول من يذهب إلى أن الكَوْر اسم للكثرة ، أى يُكثر أجزاءَ الليل على أجزاء النهار ، حتى يَخْفَى ضوء النهار وتغلب ظلمة الليل . ويكوِّرُ النهار على الليل . أى يُكثر أجزاء النهار ، حتى تظهر وتنتشر وتتلاشى فيها أجزاء الليل وتضمحل .

وقوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ ، وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ [٤٢] وفى هذا الكلام استعارة خفية . وذلك أنَّ قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ أى يقبضها ﴿ وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ﴾ منسوقٌ تعبير . فظاهر الخطاب يقتضى أنه سبحانه يَتَوَفَّى الأنفس التى لم تمت فى منامها أيضا . ونحن نجد أمارة بقاء نفس النائم فى جسده بأشياء كثيرة . منها ظهور التنفس والحركة وحذف لسانه بالكلمة بعد الكلمة ، وغير ذلك مما يجرى مجراه . فيكون معنى توفِّى النفس النائمة ههنا اقتطاعها عن الأفعال التمييزية ، والحركات الإرادية ، كالعُزوم(١) والقُصُود وترتيب القيام والقعود، إلى غير ذلك مما فى معناه .

وقال بعضهم : الفرق بين قبض النوم وقبض الموت أن قبض النوم يضاد اليقظة

---

(١) جمع عزم وهو مايعزم الإنسان عليه من قصد ونية .

وقبضَ الموت [يضاد الحياة][1] . وقبضُ النوم تكون الروح معه فى البدن ، وقبضُ الموت تخرج الروح معه من البدن .

وقوله سبحانه : ﴿ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ ٱلسَّاخِرِينَ ﴾ [٥٦] وهذه استعارة . وقد اختلف فى المراد بالجنب ههنا . فقال قوم : معناه فى ذات الله .

وقال قوم : معناه فى طاعة الله ، وفى أمر الله . لأنه ذَكَر الجنب على مَجْرى العادة فى قولهم : هذا الأمر مُغال فى جَنب ذلك الأمر أى فى جهته . لأنه إذا عبَّر عنه بهذه العبارة دل[2] على اختصاصه به من وجه قريب من معنى صفته .

وقال بعضهم : معنى فى جنْب الله . أى فى سبيل الله ، أو فى الجانب الأقرب إلى مرضاته ، بالأوْصل إلى طاعاته .

ولما كان الأمر كلُّه يتشعب إلى طريقين : إحداهما هدًى ورشاد ، والأخرى غىٌّ وضلال ، وكلٌّ واحد منهما مجانب لصاحبه ، أو هو فى جانب ، والآخر فى جانب ، وكان الْجَنْبُ والجانِبُ بمعنى واحد، حسنت العبارة ههنا عن سبيل الله بجنب الله ، على النحو الذى ذكرناه .

وقوله تعالى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[٦٣] وهذه استعارة . والمقاليد : المفاتيح . قال أبو عُبيدة : واحدها مقليد ، وواحد الأقاليد إقليد . وهما بمعنى واحد . وقال غيره : واحدها قلد على غير قياس .

---

(١) مابين حاصرتين ليس فى الأصل ، وقدزدناها ، لأن الـكلام يستقيم بها. ولعل الناسخ نسيها وهو يكتب فأسقطهامن مكانها

(٢) فى الأصل : (ودل) بالواو ولا معنى لها .

وقال أبو عمرو بن العلاء[1] : وجْهُهُ فى العربية أن يكون الواحد على لفظ مِقْلَدٌ ، ثم تجمع مَقالِد . فمن شاء أن يُشبع كسرة اللام قال مقاليد . كما قالوا : درهم ودراهيم.

قال : وسمعتُ أبا المنذر يقول : واحد المفاتيح مِفْتَاحٌ . وواحد المفاتح مِفْتَحٌ . والمعنيان جميعا واحد .

والمراد بمقاليد السموات والأرض ههنا ــ والله أعلم ــ أى مفاتيح خيراتهما ، ومعادن بركاتهما، من إدرار الأَمطار ، و إيراق الأشجار ، وسائر وجوه المنافع ، وعوائد المصالح .

وقد وصف سبحانه السماءَ فى عدة مواضع بأنَّ لها خزائنَ وأبواباً ، فحَسُن على مقتضى الكلام أن توصَف بأن لها مقاليد وأغلاقا .

قال سبحانه : ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ﴾ [2] وقال تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ ٱلسَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ [3] وقال عزَّ مِنْ قائل : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [4] .

وقالوا : خزائن السموات الأَمطار ، وخزائن الأرض النبات . وقد يجوز أن يكون معنى : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أى طاعة السموات والأرض ومَنْ فيهن . كما يقال : ألقى فلان إلى فلان مقاليده . أى أطاعه ، وفوَّض إليه أمره .

وعلى ذلك قول الأعشى [5] :

---

(١) هو زبان بن عمار التميمى البصرى . كان إماما فى اللغة والأدب والشعر ورواية الأخبار . وقد تلقى أخباره عن أعراب أدركوا الجاهلية . توفى بالكوفة سنة ١٥٤ هـ

(٢) سورة الأعراف : الآية ٣٩

(٣) سورة القمر : الآية رقم ١١ .

(٤) سورة المنافقون . الآية رقم ٧ .

(٥) سبقت ترجمته فى الحديث عن مجازات سورة ص . والبيت من قصيدة للأعشى يمدح بها « هوذة ابن على الحنفى » ويذم « الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشى » . ومطلعها :

أجدك ودعت الصبا والولائدا … وأصبحت بعد الجور فيهن قاصدا

فتًى لو يُنادى ٱلشَّمس أَلْقتْ قِناعَهَا أَو القمرَ ٱلسَّارِى لأَلْقَى ٱلْمَقَالِدَا

أى لسلم العلوّ إليه ، واعترف له به .

وقال بعض العلماء : ليس قول الشاعر ههنا : ينادى الشمس ، من النداء الذى هو رفع الصوت ، وإنما هو من المجالسة . تقول : ناديت فلانا . إذا جالسته فى النادى . فكأنه قال : لو يجالس الشمس لألقت قناعها شغفا به ، وتبرجاله . وهذا من غريب القول .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [٦٧] وهاتان استعارتان . ومعنى قبضته ههنا أى مِلْكٌ له وخالص ، قد ارتفعت عنه أيدى المالكين من بريته ، والمتصرفين فيمن خليقته . وقد ورث تعالى عبادَه ما كان مِلكهم فى دار الدنيا من ذلك ، فلم يَبْقَ مِلْك إلا انتقل ، ولا مالك إلا بَطل .

وقيل أيضا : معنى ذلك أن الأرض فى مقدوره ، كالذى يقبض عليه القابض ، فتستولى عليه كفه، ويحوزه ملكه ، ولا يشاركه فيه غيره .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أى مجموعات فى ملكه ، ومضمومات بقدرته . واليمين ههنا بمعنى المِلك . يقول القائل : هذا مِلْك يمينى . وليس يريد اليمين التى هى الجارحة . وقد يعبرون عن القوة أيضا باليمين . فيجوز على هذا التأويل أن يكون معنى قوله سبحانه : ﴿ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ أى يجمع أقطارها ويطوى انتشارها بقوته ، كما قال سبحانه : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَاءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ [1] ﴾ . وقيل فى اليمين ههنا وجه آخر . وهو أن تكون بمعنى القَسَم . لأنه سبحانه لما قال فى «الأنبياء» : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَاءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا

---

(١) للكتاب ، أو للكتب ، على قراءتى الإفراد والجمع ، كما سبق القول فى سورة الأنبياء . آية ١٠٤ .

إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ كان التزامه تعالى فِعْلَ ما أوجبه على نفسه بهذا الوعد كأنه قَسَمٌ أَقْسَمَ به ليفعلنَّ ذلك . فأخبر سبحانه فى هذا الموضع من السورة الأخرى أن السموات مَطْويات بيمينه ، أى بذلك الوعد الذى ألزمه نفسه سبحانه . وجرى مَجرى القَسَم الذى لابد أن يقع الوفاء به ، والخروج منه .

والاعتمادُ على القولين المتقدمين أَوْلَى .

ومن حم

وهى السورة التى يذكر فيها « المؤمن »

قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً ﴾ [٧] وهذه استعارة . لأن حقيقة السعة إنما توصف بها الأوعية والظروف التى هى أجسام ، ولها أقدار ومساحات ، والله سبحانه يتعالى عن ذلك .

والمراد ـ والله أعلم ـ أنَّ رحمتك وعلمك وَسِعَا كُلَّ شىء ، فنقل الفعل إلى الموصوف على جهة المبالغة كقولهم : طِبْتُ بهذا الأمر نفْساً . وضِقتُ به ذَرْعًا . أى طابت نفسى ، وضاق ذَرْعى . وجُعل العلم موضع المعلوم ، كما جاء قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾ (١) أى بشىء من معلومه .

وقوله سبحانه : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴾ [١٥] . وفى هذه الآية استعارتان . إحداهما قولهُ تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَاتِ ﴾ والمعنى : أن منازل العز ، ومراتب الفضل التى يخصُّ بها عبادَه الصالحين ، وأولياءه المخلصين رفيعة الأقدار ، مشرفة المنار .

فالدرجات المذكورة هى التى يرفع عباده إليها ، لا التى يرتفع هو بها . تعالى عن ذلك عُلُوًّا كبيرا .

---

(١) سورة البقرة . الآية رقم ٢٥٥ .

والاستعارة [(١) الأخرى] قوله سبحانه : ﴿ يُلْقِي ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ والرُّوح ههنا كناية عن الوحى كقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾ (٢) وإنما سمِّى روحا لأن الناس يَحْيَوْنَ به من موت الضلالة ، وينشرون من مدافن الغفلة . وذلك أحسنُ تشبيه ، وأوضح تمثيل .

وقوله سبحانه : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد بخائنة الأعين ـ واللهُ أَعْلَمُ ـ الرَّيْب فى كسر الجفون ، ومرامز العيون .

وسمَّى سبحانه ذلك خيانة ، لأنه أمارة للريبة ، ومجانب للعفة .

وقد يجوز أن تكون خائنة الأعين ههنا صفةً لبعض الأعين بالمبالغة فى الخيانة ، على المعنى الذى أشرنا إليه . كما يقال : علَّامة ، ونسَّابة .

وأنشدوا قول الشاعر (٣) فى مثل ذلك :

حَدَّثْتَ نَفْسَكَ بِالْوَفَاءِ وَلَمْ تَكُنْ ... لِلْغَدْرِ خَائِنَةَ مُغِلِّ ٱلْأَصْبُعِ

أى لم تكن موصوفا بالمبالغة فى الخيانة . ومعنى مغلِّ الأصبع : أى سارق مختلس .

---

(١) هذه اللفظة ساقطة من الأصل ، وهى ضرورية فى معرض تفصيل الاستعارتين .

(٢) سورة الشورى . الآية رقم ٥٢ .

(٣) لم ينسبه المؤلف لقائله . وفى « شرح شواهد الكشاف » للعلامة محب الدين : أنه للشاعر الكلابى . وقد استشهد به الإمام الزمخشرى فى تفسيره عندما تحدث عن قوله تعالى فى سورة النساء : (ولا تزال تطلع على خائنة منهم) .

وأضاف الأغلال إلى الأصبع ، كما أضاف الآخر[1] الخيانة إلى اليد فى قوله :

أولَّيْتَ العِرَاقَ وَرَافِدَيْهِ فَزَارِيًّا أَحَذَّ يَدِ الْقَمِيصِ

أى خفيف اليد فى السرقة والأخذ الخفيف السريع . وعنى برافديه : دجلة والفرات .

وإنما ذكرت اليد والأصبع فى هذين الموضعين ، لأن فعل السارق والمختلس فى الأكثر إنما يكون باستعمال يده ، واستخدام أصابعه .

(١) هو الشاعر الفرزدق . والبيت من أبيات فى ديوانه ، وقد أشار إليه ابن قتيبة فى مقدمته لكتابه « الشعر والشعراء » ص ٣٤ ، وهو يتحدث عن التكلف وضرورات القافية . والفرزدق يخاطب الخليفة يزيد بن عبد الملك شاكيا عمر بن هبيرة .

وفى « أساس البلاغة » للزمخشرى روى هذا البيت هكذا :

بعثت على العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص

ومن حم

وهى السورة التى تجب فيها « السجدة »[1]

قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ ﴾ [٥] وهذه استعارة . والأكنَّة جمع كنان ، وهو الستر والغِطاء . مثل : عِنان ، وأعنَّة . وسِنَان ، وأسنَّة .

وليس هناك على الحقيقة شيء مما أشاروا إليه . وإنما أخرجوا هذا الكلام مُخْرَج الدلالة على استثقالهم ما يسمعونه من قوارع القرآن ، وبواقع البيان . فكأنهم من قوة الزهادة فيه ، وشدَّةِ الكراهية له، قد وقرت أسماعهم عن فهمه ، وأُكِنَّتْ قلوبهم دون علمه .

وذلك معروف فى عادات الناس أن يقول القائل منهم لمن يَشْنَأُ كلامه ، ويستثقل خطابه : ما أسمعُ قولك ، ولا أعِي لفظك . وإن كان صحيحَ حاسَّةِ السمع . إلا أنه حَمَل الكلام على الاستثقال والمقْتِ .

وعلى هذا قول الشاعر[2] :

وكلامٍ سَيِّءٍ قدْ وقرَتْ أذُنى عنه ، وما بى من صمَمْ

---

(١) هى سورة فصلت ، وهى السورة الحادية والأربعون من القرآن .

(٢) لم أهتدإلى اسمهذا الشاعر، وقد ورد هذا البيتفى « أساس البلاغة » للزمخشرى مادة « وقر » ولم يذكر قائله . وروايته فى الأساس هكذا :

كم كلام سيء قد وقرت أذنى عنه ، وما بى من صمم

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَى إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ، فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ [١١] . وهذه استعارة . فليس هناك ـ على الحقيقة ـ قول ولا جواب ، وإنما ذلك عبارة عن سرعة تكوين السموات والأرض . كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (١) ولو لم يكن المراد ما ذكرنا لكان فى هذا الكلام أمر للمعدوم ، وخطاب لغير الموجود . وذلك يستحيل من من فعل الحكيم سبحانه .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ أنهما جرتا على المراد ، ووقفتا عند الحدود والأقدار ، من غير معاناة طويلة ، ولا مشقة شديدة . فكانت فى ذلك جارية مَجْرى الطائع المميِّز إذا انقاد إلى ما أُمر به ، ووقَفَ عند ما وقف عندهُ .

وقال بعضهم : معنى قوله سبحانه : ﴿ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ﴾ أى : كُونَا على ماأُريد منكما من لين وشدة ، وسهل وحُزونةٍ ، وصَعْبٍ وذَلول ، ومُبْرَمٍ وسحيل (٢) .

والكره والشدة بمعنى واحد فى اللغة العربية . يقول القائل منهم لغيره : أنا أكره فراقَكَ . أى يصعُبُ علىَّ أن أفارقك .

وقال سبحانه : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ ﴾ (٣) أى شديد عليكم . ومعنى الطوع ههنا : التشهد (٤) والانقياد من غير إبطاء ولا اعتياص .

وإنما قال سبحانه : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ لأنه جعل السموات والأرضَ كلَّها كالواحدة والأرض جميعا كذلك ، فحسُن أن يعبر عنهما بعبارة الاثنين دون عبارة الجميع .

---

(١) سورة النحل الآية رقم ٤٠ .
(٢) المبرم : الخيط أو الحبل الذى فتل فتلتين ، والسحيل : الحبل الذى فتل فتلا واحدا .
(٣) سورة البقرة . الآية رقم ٢١٦ .
(٤) هكذا بالأصل . ولعلها التسهل .

وأما قوله سبحانه : ﴿ قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾ فكان وَجْه الكلام أن يكون طائعتين ، أو طائعات رداً على معنى التأنيث . فالمراد به ـ والله أعلم ـ عند بعضهم : قالتا أتينا بمن فينا من الْخَلْق طائعين . فكان (طائعين) وَصْفاً للخلق المميزين ، لا وصفا للسموات والأرض .

وقال بعضهم : لَمَّا تَضَمَّنَ الكلامُ ذِكْرَ السموات والأرض فى الخطاب لهما ، والكناية عنهما بما يُخَاطَبُ به أهلُ التميز ويُكْنَى به عن السامعين الناطقين ، أُجْرِيَتَا فى رد الفعل إليهما مُجْرَى العاقل اللبيب ، والسامع المجيب . وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (١) . ولو أُجرى اللفظ على حقيقته ، وَحُمِلَ على محجَّته لقيل ساجدات . ولكن المراد بذلك لما كان ما أشرنا إليه حَسُنَ ، أن يُقال ساجدين ، وطائعين .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾ [١٧] وهذه استعارة . والمراد بالعَمَى ههنا ظلام البصيرة ، والمتاه فى الغواية . فإن ذلك أخفُّ على الإنسان وأشد ملاءمة للطباع ، من تحمل مشاق النظر ، والتلجيج فى غمار الفكر .

وقوله تعالى : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [٢٣] وهذه استعارة . لأن الظن الذى ظنوه على الحقيقة لم يُرْدِهِمْ بمعنى يُهْلِكهم . وإنما أهلكهُمُ اللهُ سبحانه جزاءً على ماظنوه به من الظنون السيئة ، ونَسَبُوه إليه من الأفعال القبيحة . فلما كان ذلك الظن سببا فى هلاكهم جاز أن يُنْسَب إليه الهلاكُ الواقع بهم .

---

(١) سورة يوسف . الآية رقم ٤ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً ، فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [٣٩] وهذه استعارة . وقد مضى الكلام على نظيرها فى «الحج» . إلا أن ههنا زيادة ، وهى صفة الأرض بالخشوع ، كما وُصفت هناك بالهمود . واللفظانِ جميعا يرجعان إلى معنى واحد ، وهو ما يظهر على الأرض من آثار الجدب ، وأعلام المحْل ، فتكون كالإنسان الخاشع الذى قد سكنت أطرافه ، وتطأطأ استشرافه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [٤١] ، [٤٢] وهذه استعارة . وقد قيل فيها أقوال : منها أن يكون المراد بذلك أن هذا الكتاب العزيز لا يشبهه شىء من الكلام المتقدم له ، ولا يشبهه شىء من الكلام الوارد بعده . فهذا معنى : ﴿ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ لأنه لو أشبهه شىء من الكلام المتقدم أو الكلام المتأخر لَأَبْطَل معجزته ، وفصم حجته . فكأن الباطل قد أتاه من إحدى الجهتين المذكورتين ، إما من جهة أمامِه ، وإما من جهة ورائه . وهذا معنى عجيب .

وقال بعضهم : معنى ذلك أنه لا تَعْلَقُ به الشُّبهةُ من طَرِيقِ المشاكلة ، ولا الحقيقة من جهة المناقضة ، فهو الحق الخالص الذى لا يشوبه شائب ، ولا يلحقه طالب .

وقال بعضهم : معنى ذلك أن الشيطان والإنسانَ لا يقْدِران على أن ينتقصا منه حقا ، ولا يزيدا فيه باطلا .

وقال بعضهم : معنى ذلك أنه لا باطل فيه من الإخبار عمّا كان وما يكون . فكأنّ المراد بقوله سبحانه : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ﴾ أى من جهة ما أخبر عنه

من الأمور الواقعة . وَ بِقَوْله : ﴿وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أىْ من جهة ما أخبر عنه من الأمور المتوقعة .

وقوله سبحانه : ﴿أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [٤٤] وهذه استعارة . والمراد بها — والله أعلم — صفتُهم بالتباعد عن طريق الرشد ، والإعراضِ عن دُعاء الحق . كأنهم من شدة الذهاب بأسماعهم ، والانصراف بقلوبهم يُنَادَوْنَ من مكان بعيد . فالنداء غير مُسمع لهم ، ولا واصل إليهم . ولو سَمِعُوه لضلّ عنهم فَهْمُه ، للصدّ (١) المنفرج بينهم و بينه .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ، وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ [٥١] وهذه استعارة ، والمراد بها صفة الدعاء بالسَّعة والكثرة ، وليس يراد العرض الذى هو ضد للطول . وذلك أن صفة الشىء بالعرض تفيد فيه معنى الطول ، لأنه لو لم يكن مع العرض طولٌ لكان العرض هو الطُّولُ . ألا ترى أنهم يصفون الرُّمْحَ بالطول ، ولايصفونه بالعرض إذ كان طولهُ أضعافَ عرضه . و يصفون الإزَار بأنه عريض إذ كان عرضه مقارباً لطوله .

وقد استقصينا شرح ذلك فى كتابنا الكبير ، واقتصرنا منه ههنا على البُلغة الكافية ، والنكتة الشافية .

(١) غير واضحة بالأصل ، ولعلها للبعد .

ومن حم عسق

وهى السورة التى يذكر فيها « الشورى »

قوله تعالى : ﴿ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [١٣] وهذه استعارة . والمراد بإقامة الدين إعلان شعاره ، وإعلاء مناره ، والدوام على اعتقاده ، والثبات على العمل بواجباته .

وقد مضى الكلام على نظائر هذه الاستعارة فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والدحْض : الزَّلق . فكأنه تعالى قال : حجتهم ضعيفة غير ثابتة ، وزالَّةٌ غير متماسكة ، كالواطىء الذى تضعف قدمُه فيزلق عن مستوى الأرض ، ولا يستمر على الوطء . وداحضةٌ ههنا بمعنى مدحوضة . وإذا نُسب الفعل إليها فى الدحوض كان أبلغ فى ضعف سنادها ، ووهاء عمادها . فكأنها هى المبطلة لنفسها من غير مُبْطِلٍ أبْطلها ، لظهور أعلام الكذِبِ فيها ، وقيام شواهدِ التهافُت عليها . وأطلق تعالى اسم الحجة عليها وهى شبهة ، لاعتقاد المُدْلى بها أنها حجة ، وتسميته لها بذلك فى حال النزاع والمناقلة .

وأيضا فإن المتكلم بها لما أوردها مورد الحجة ، وأسلكها طريقها ، وأقامها مقامها ، جاز أن يطلق عليها اسمها .

كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [٢٠] وهــذه استعارة . والمراد بحرث الآخرة والدنيا كَدْحُ الـكادح لثواب الآجـلة وحُطام العاجـلة ، فهـذا من التشبيـه العجيب ، والتمثيـــل المصيب . لأن الحارث المزدَرِعَ إنما يتوقع عاقبـة حَرْثِهِ ، فيجنى ثمرةَ غراسه ، ويفوز بعوائد ازدراعه .

وقيل معنى : ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أى نعطيـه بالحسنـة عَشْرًا إلى ما شئنا من الزيادة على ذلك . وَمَنْ عمـل للدنيا دُون الآخرة أَعْطيناه نصيباً من الدُّنيا دُونَ الآخرة .

وقوله سبحانه : ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَـهُ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيـدُ﴾ [٢٨] وهــذه استعارة . وليس المراد أن هنـاك رحمـةً كانت مطْوِيَّةً فنُشرتْ ، وخفيَّةً فأُظْهِرَتْ . وإنما معنى الرحمة ههنا الغيثُ المنزَّل لإحياء الأرض ، وإخراج النَّبْت . ونَشْرُهُ عبارةٌ عن إظهار النفع به ، وتعريفِ الخَلْق عواقبَ المصالحِ بموْقعه .

وقوله تعـالى : ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَـا خَاشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [٤٥] وهــذه استعارة . وقد أشرنا إليها فيما تقدم لمعنى جرَّ ذكرها . والمراد بذلك أن نظرهم نظَرُ الخائف الذليل ، والمرتاب الظَّنين . فهو لا ينْظُرُ إلا مُسْتَرِقًا ، ولا يُغْضِى إلا مُشْفقا . وهذا معنى قولهم : فلانٌ لا يملأُ عَيْنيه مِنْ فلان . إذا وصفوه بعظم الهَيْبَة له ، وشدَّة المخافة منه . فـكأنهم لا ينظرون بمتَّسعاتِ عيونهم ، وإنما ينظرون بشفافاتها[١] . مِنْ ذُلِّهم ومَخافتهم .

---

(١) لعلها جمع شفافة وهي بقية الشيء .

وقد يجوز أن يكون الطرف ههنا بمعنى العين نفْسِها . فكأنه تعالى وصفهم بالنظر من عين ضعيفة ، على المعنى الذى أشرنا إليه ، أو يكون الطرف مصدرَ قولك : طَرَفْتُ ، أَطْرِفُ ، طَرْفاً . إذا لحظت . فيكون المعنى أن لحظهم خفِيٌّ ، لأن نظرهم اسْتراقٌ ـ كما قلنا أولا ـ من عظيم الخيفة ، وتوقُّع العقوبة .

ومن حم

وهى السورة التى يذكر فيها « الزخرف»

قوله سبحانه : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [٥] وهذه استعارة . ويقال : ضربتُ عنه وأضربت عنه بمعنى واحد .

وسواء قولك ذهبتُ عنه صَفْحًا ، وأعْرَضْتُ عنه صفْحاً ، وضَرَبْتُ وأضْرَبْتُ عنه صَفْحاً ، ومعنى صفحاً ههنا أى أعرضتُ عنه بصفحة وجهى .

والمراد ـ والله أعلم ـ أَفَنُعرض عنكم بالذِّكْر ، فيكون الذِّكْرُ مرورا بصَفْحه عنكم من أجْل إسرافكم و بغْيكُمْ ؟ أى لسنا نفعل ذلك ، بل نوالى تذكيركم لتتذكروا ، ونتابع زجركم لتنزجروا . ولما كان سبحانه يستحيل أن يصف نفسه بإعراض الصفحة ، كان الكلام محمولا على وَصْف الذِّكْر بذلك على طريق الاستعارة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ مَاءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴾ [١١] وهذه استعارة . وقد مضى مثلها فيما تقدم ، إلا أن ههنا إبدال لفظة مكان لفظة . لأن مامضى(١) من نظائر هذه الاستعارة إنما يكونُ يَردُ بلفظ إحياء الأرض بعد موتها . وورد ذلك ههنا بلفظ الإنشار بعد الموت . وهو أبلغ . لأن الإنشار صفة تختص بها الإعادة بعد الموت ، والإحياء قد يشترك فيه ما يُعاد من الحيوان بعد موته ، وما يُعاد من النبات والأشجار بعد تسلبه(٢) وجفوفه . يقال : قد أحيا اللهُ الشجر .

---

(١) فى الأصل . (لأن أمضى) وهو تحريف من الناسخ .

(٢) هكذا بالأصل . ولعلها (تلبده) .

كما يقال : قد أحيا البشرَ . ولا يقال : أنْشَرَ اللهُ النبــات ، كما يقال : أنْشَرَ الأموات .

وقوله سبحانه : ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [٢٨] وهــذه استعارة . لأن الــكلام الذى هو الأصوات المقطَّعة ، والحروف المنظومة ، لا يجوز عليه البقاء . وإنما المراد ـ والله أعلم ـ أن إبراهيم عليه السلام جَعَل الــكلمة التى قالها لأبيه وقومه وهى قوله : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [٢٦،٢٧] باقيةً فى عقبه ، بأن وَصَّى بهــا وَلدَهَ ، وأَمرَهم أن يتواصَوْا بها ما تناقلَتهم الأصلابُ ، وتنَاسَخَتْهمُ الأدْوار . وهــذه الكلمة هى(١) كلمــة الإخلاص والتوحيد . والله أعلم .

وقوله سبحانه : ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [٤٥] وهذا الــكلام أيضا داخل فى قبيل الاستعارة . لأن مسألة الرسل الذين دَرجَت قُرونُهم وَخلَتْ أزمانُهم غير مُمكنة . وإنما المراد ـ واللهُ أعلمُ ـ واسأل أصحابَ مَنْ أرسلنا من قبلك من رسلنا ، أو استَعلِمْ مافى كتبهم ، وتعَرَّفْ حقائق سُننهم . وذلك على مثال : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٢) .

وقال بعضهم : مسألةُ الرسل ههنا بمعنى المسألة عنهم ، عليهم السلام ، وعمَّا أتَوْا به من شريعة ، وأقاموه من عماد سنَّة . وقد يأتى فى كلامهم : اسألْ كذا . أى اطلبه ، واسألْ عنه .

قال سبحانه : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾(٣) أى مسئولا عنه .

---

(١) فى الأصل « وهى » والواو زائدة من الناسخ .

(٢) سورة يوسف . الآية رقم ٨٢ .

(٣) سورة الإسراء . الآيه رقم ٣٤ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾[١] أى سُئِل عن قتلها ، وُطلب بدمها . فكأنه تعالى قال لنبيه عليه السلام : واسأل عن سنن الأنبياء قبلك ، [و][٢] شرائع الرسل الماضين أمامك ، فإنك لا تجد فيها إطلاقا لعبادة معبود إلا الله سبحانه . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

---

(١) سورة التكوير . الآيتان ٨، ٩ .

(٢) ليست الواو بالأصل ، وقد وضعناها لأن السياق يقتضيها عطفا على ماقبلها .

ومن حم

وهى السورة التى يذكر فيها « الدخان »

قوله سبحانه : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [٤] وهذه استعارة ، وقد مضى الكلام على مثلها فى بنى إسرائيل . والمراد ـ والله أعلم ـ تبيين كل أمر حكيم فى هذه الليلة ، حتى يصير كفَرْق الصبح فى بيانه ، أو مَفرِق الطريق فى اتضاحه . ومنه قولهم : فرقت الشعر . إذا خلصت بعضه من بعض ، وبيَّنتَ مخطَّ وسطه بالمدْرَى(١) أو بالأصْبع .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَلَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ [١٩] وهذه استعارة . والمراد بالعُلُوِّ ههنا : الاستكبار على الله سبحانه ، وعلى أوليائه .

ويوصَف المستكبر فى كلامهم بأن يُقال : قد شمخ بأنفه . وهذه الصفة مِثْلُ وصفه بالعلو . لأن الشامخ : العالى .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾(٢) أى تجبّر فيها ، واستكبر على أهلها . وليس يراد بذلك العلوُّ الذى هو الصعود . وإنما يراد به العلوُّ الذى هو الاستكبار والعتوُّ . وضدُّ وصفهم المستكبرَ بالعلو والتطاول وَصْفُهُم المتواضع بالخشوع والتضاؤل .

وقوله سبحانه : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . وقد قيل فى معناها أقوال : أحدها أن البكاء ههنا بمعنى الحزن ، فكأنه

---

(١) المدرى : المشط الذى يدرى به الرأس ويمشط .

(٢) سورة القصص . الآية رقم ٤ .

تعالى قال : فلم تحزن عليهم السماء والأرض بعد هلاكهم وانقطاع آثارهم . وإنما عبَّر سبحانه عن الحزن بالبكاء لأن البكاء يصدر عن الحزن فى أكثر الأحوال . ومن عادة العَرَب أن يصفُوا الدَّار إذا ظَعَنَ عنها سُكَّانها ، وفارقها قُطَّانها بأنها باكية عليهم ، ومتوجعة لهم . على طريق المجاز والاتساع . بمعنى ظهور علَامات الخشوع والوحشة عليها ، وانقطاع أسباب النعمة والأنَسَة عنها .

ووجه آخر وهو أن يكون المعنى : لوكانت السموات والأرض من الجنس الذى يصح منه البكاء لم تبكيا عليهم ، ولم تتوجَّعا لهم ، إذ كان الله سبحانه عليهم ساخطا ، ولهم ماقِتاً .

ووجه آخر ، قيل معنى ذلك : مابكى عليهم من السموات والأرض مايبكى على المؤمن عند وفاته ، من مواضع صلواته ، ومَصَاعِد أعماله ، على ماوَرَد الخبَرُ به .(١)

وفى ذلك وَجْهان آخران يخرجُ بهما الكلام عن طريق الاستعارة ، فأحدهما أن يكون المعنى : فما بكى عليهم أهل السماء والأرض . ونظائرُ ذلك فى القرآن كثيرة . والآخَر أن يكون المعنى أنه لم ينتصر أحدٌ لهم ، ولم يَطْلُب طالب بثأرهم .

ومضى فى أشعار العرب : بَكَيْنا فلانا بأطراف الرماح ، وبمضارب الصفاح . أى طلبنا دمه ، وأدركْنا ثأره .

---

(١) روى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مامن مؤمن إلا وله فى السماء بابان : باب ينزل منه رزقه ، وباب يدخل منه كلامه وعمله ، فإذا مات فقداه فبكيا عليه . ثم تلا قوله تعالى ﴿ فما بكت عليهم السماء والأرض ﴾ انظر « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٦ ص ١٤٠ وقال على وابن عباس رضى الله عنهما : إنه يبكى عليه مصلاه من الأرض ، ومصعد عمله من السماء . (نفس المصدر السابق) .

ومن حمٓ

ومن السورة التى يذكر فيها « الجاثية »

قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [١٨] وهذه استعارة . لأن الشريعة فى أصل اللغة اسم للطريق المُفْضِيَةِ إلى الماء المورُود . وإنما سُمِّيَتِ الأديان شرائع لأنها الطرق الموصِّلة إلى موارد الثواب ، ومنافع العباد ، تشبيها بشرائع المناهل التى هى مَدْرَجَةٌ إلى الماء ، ووُصْلَةٌ إلى الرِّواء .

وقوله سبحانه : ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة . وقد مضت الإشارة إلى نَظيرها فيما تقدم . والمعنى أن الكتاب ناطق من جهة البيان ، كما يكون الناطق من جهة اللِّسانِ . وشهادة الكِتَاب ببيانه ، أقوَى من شهادة الإنسان بلسانه .

ومن حم

وهى السورة التى يذكر فيها « الأحقاف »

قوله تعالى : ﴿إِيتُونِى بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَـذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [٤] وهـذه استعارة على أحد التأويلات . وهو أن يكون معنى : ﴿أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ﴾ أى شىء يستخرج من العلم بالكشف والبحث ، والطَّلبِ والفَحْص ، فتثور حقيقته ، وتظهر خبيئته ، كما تُستْثار الأرض بالمحافر ، فيخرجُ نباتُها ، وتظهر نثائلها[١] . أو كما يُستَثَار القنيص من مجاثمه ، و يُستطلع من مكامنه .

وسائر التأويلات فى الآية تُخرج الكلام عن حيِّز الاستعارة . مثل تأولهم ذلك على معنى خاصة[٢] من عِلْم . أى بقية من علم ، وما يجرى هذا المجرى .

وأنشد أبو عبيدة للراعى[٣] فى صفة ناقة :

وذات أثارة أكلت عليها نباتا فى أكمته قفـــــارا

---

(١) النثائل : جمع نثيلة ونثالة وهى التراب المستخرج من الحفر .

(٢) الخاصة : البقية من الشىء . انظر « القرطبى » ج ١٦ ص ١٨٢ .

(٣) هو الراعى النميرى حصين بن معاوية . ولقب بهذا اللقب لأنه كان يصف راعى الأبل فى شعره وكان معاصرا للشاعر جرير فى العصر الأموى ودخل معه فى مهاجاة لأنه اتهمه بالميل إلى الفرزدق . والبيت فى « مقاييس اللغة » لأحمد بن فارس ج ١ ص ٥٦ بتحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون . وقد ورد فى المقاييس هكذا :

وذات أثارة أكلت عليها نباتا فى أكمته تؤاما

وقد رواه القرطبى فى « الجامع » ج ١٦ ص ١٨٢ كما . رواه الشريف هنا .

أى ذات بقية من شحم رعت عليها هذا النبات المذكور . وقوله قفارا أى خاليا من الناس ، ليس به راعية غيرها ، فهو أهنأ لها ، وأرْفق بها

وقال صاحب « الغريب[1] المصنف » : يقال سَمِنَتْ الناقةُ على أَثارةٍ ، أى على سِمَنٍ متقدم قد كان قبل ذلك .

(١) هو أبو عبيد القاسم بن سلام ، اشتغل بالحديث والفقه واللغة والأدب وهو صاحب كتاب « غريب الحديث » وكتاب « غريب المصنف » المشار إليه هنا بالتعريف . وقد اشتغل فى تأليفه أربعين عاما . وتوفى سنة ٢٢٣ هـ . وأخباره فى « وفيات الأعيان » و « الفهرست » و « طبقات الأدباء » و « تاريخ آداب اللغة العربية » وهناك « الغريب المصنف » أيضا لأبى عمرو إسحاق بن مرار الشيبانى ، كما فى « كشف الظنون » والمقصود هنا كتاب أبى عبيد ، كما فى « المجازات النبوية » للمؤلف ص ٢٢٠ .

ومن السورة

التى يذكر فيها « محمد » صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قوله سبحانه : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾[٤] وهذه استعارة . والمراد بالأوزار ههنا الأثقالُ ، وهى آلةُ الحرب وعتادها ، من الدروع ، والمَغافِر ، والرماحِ ، والمناصِل وما يجرى هذا المجرى ، لأن جميع ذلك ثقلٌ على حامله، وشاقٌّ(١) على مستعمله .

وعلى هذا قول الأعشى .

وأعددْتُ للحرْب أوْزَارها رماحاً طِوَالاً وخيْلاً ذُكُورا(٢)
ومِنْ نَسْج دَاودَ موضونةً تساقُ مع الحى عِيرا فعيرا

والمراد بذلك فى الظاهر: الحرب ، وفى المعنى: أهل الحرب ، لأنهم الذين يصحُّ وصفُهم بحمل الأثقال ووضعها ، ولُبْسِ الأسلحة ونزعها .

وقوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴾ [٢١] . وهـذه استعارة ، لأن العزم لا يوصف بحقيقته إلا الإنسان المميز الذى يوطِّنُ النفسَ على فِعل الأمر قبل وقته ، عَقْداً بالمشيئة على فعله . فيصح أن يسمَّى عازما عليه ،

---

(١) فى الأصل « وساق » بالسين المهملة . وهو تحريف .

(٢) فى « الجامع لأحكام القرآن » للقرطبى ج ١٦ ص ٢٢٩ ، روى البيتان هكذا :

وأعددت للحرب أوزارها رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدى بها على أثر الحى عيرا فعيرا

وفى الديوان ص ٩٩ ، روى البيتان كما فى رواية الشريف الرضى هنا .

و إنما قال تعالى : ﴿ عَزَمَ ٱلْأَمْرُ ﴾ مجازا . أى قويت العزائم على فعله ، فصار كالعازم في نفسه .

وقال بعضهم : معنى عَزَم الأمر ، أى جَدَّ الأمر ، ومنه قول النابغة الذبيانى(١) .

حياك ود فأنا لا يحلُّ لنا لَهْو النساء لأن الدين قد عزما

أى استحكم وَجَدَّ ، وقوى واشتدَّ .

وقوله سبحانه : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤] وهذه استعارة . والمراد : أم قلوبهم كالأبواب المقفلة ، لا تنفتح لوَعْظِ واعظٍ ، ولا يلجُ فيها عذل عاذل . وفى لغة العرب أن يقول القائل إذا وصف نفسه بضيق الصدر ، وتشعُّب الفكر : قلبى مُقْفَل ، وصدرى ضيِّقٌ . و إذا وصَفَ غيره بضد هذه الصفات : قال انفتح قلبه ، وانفسح صدرُهُ .

وقد يجوز أيضا أن يكون المعنى أن(٢) . . . .

. . . .

. . . .

---

(١) انظر القصيدة فى شعر النابغة بديوان « فحول الشعراء » المطبوع فى بيروت سنة ١٣٥٢ هـ ص ٩٣ . ومطلع القصيدة :

بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما واحتلت الشرع فالأجزاع من أضما

(٢) هنا قدر ورقتين ضائعتين من الأصل ، من الآية ٢٤ من سورة محمد إلى الآية ١٥ من سورة ق .

ومن السورة التى يذكر فيها « قٓ »

[﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾][١٦] . . . . وأراد سبحانه أنه يعلم غيب الإنسان ووساوس إضماره ، ونجىَّ أسراره . فكأنه باستبطانه ذلك منه أقرب إليه من وريده . لأن العالم بخفايا قلبه ، أقرب إليه من عروقه وعَصَبه .

وليس القرب ههنا من جهة المسافة والمساحة ، ولكن من جهة العلم والإحاطة .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾[١٩] وهذه استعارة . والمراد بسَكْرة الموت ههنا : الكرْبُ الذى يتغشى المحتضر عند الموت ، فيفقد لِه تميزه ،ويفارق معه معقولهُ . فشبَّه تعالى ذلك بالسَّكْرة من الشراب ، إلا أن تلك السَّكْرة مُنعمة ، وهذه السَّكْرة مؤلمة .

وقوله تعالى : ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون جاءت بالحق من أمر الآخرة ، حتى عَرَفه الإنسان اضطرارا ، ورآه جهارا . والآخر أن يكون المراد ﴿ بالحق ﴾ ههنا أى بالموت الذى هو الحق .

وقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ [٢٢] . وهذه استعارة فالمراد بها مايراه الإنسان عند زوال التكليف عنه مِنْ أَعْلام السَّاعة ، وأَشْراط القيامة ، فتزول عنه اعتراضات الشكوك ، ومشْتبهات الأمور ، يصدِّق بما كَذَّب ، ويُقرُّ بما جحَد ، ويكون كأنه قد نفَذ(١) بَصَرُه بعد وقوف ،

---

(١) فى الأصل « نفد » بالدال المهملة وهو تحريف فاحش من الناسخ لأنه ليس القصد نفاد البصر وضياعه ، بل القصد نفوذه وحدته .

وأحَدَّ بعد كلال و نُبُوٍّ . فهذا معنى قوله سبحانه : ﴿ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾ [٣٠] . وهذه استعارة . لأن الخطاب للنار والجواب منها فى الحقيقة لا يصحان . و إنما المراد ــ والله أعلم ــ أنها فيما ظهر من امتلائها ، وَبانَ من اغتصاصها بأهلها، بمنزلة الناطقة بأنه لا مَزِيدَ فيها ، ولا سَعَة عندها . وذلك كقول الشاعر :(١)

امتلأ الحوض وقال قَطْنِى مَهلا رُوَيْداً قد مَلأْت بَطْنى

ولم يكن هناك قول من الحوض على الحقيقة ، ولـكن المعنى أن ماظهر من امتلائه فى تلك الحال جارٍ مَجْرى القول منه ، فأقام تعالى الأمر المدرَكَ بالعين ، مُقَام القول المسموع بالأذن .

وقيل : المعنى أنا نقول لخزَنَةِ جهنمَ هذا القول ، ويكونُ الجوابُ منهم على حدِّ الخطاب . و يكون ذلك من قبيل : ﴿ وَٱسْأَلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ (٢) فى إسقاط المضاف و إقامة المضاف إليه مقامه . وذلك كقولهم : ياخيل الله اركبى ، والمراد يارجالَ الله اركبى .

وعلى القول الأول يكون مخرج هـذا القول لجهنم على طريق التقرير لاستخراج الجواب بظاهر الحال ، لا على طريق الاستفهام والاستعلام . إذ كان الله سبحانه قد عِلَمَ امتلاءَها قبْل أن يَظهر ذلك فيها . و إنما قال سبحانه هـذا الـكلام ليعلم الخلائقُ صحة وَعْده ، إذ يقول تعالى : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ (٣) . والوجه

---

(١) لم أهتد إلى اسم قائل هـذا الرجز . وفى « الجامع لأحكام القرآن » ج ١٧ ص ١٨ لم ينسبه لقائله . بل قال : إنه لشاعر .

(٢) سورة يوسف : الآية رقم ٨٢ .

(٣) سورة هود . الآية رقم ١١٩ .

[فى قوله[١]] تعالى فى الحكاية عن جهنم : ﴿ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴾ بمعنى لا مِن مَزِيْدٍ فىَّ . وليس ذلك على طريق طلب الزيادة ، وهذا معروف فى الكلام . ومثله قوله عليه السلام : (وَهَلْ تَرَكَ[٢] عَقِيل لنا مِنْ دَارٍ ؟) أى ماترك لنا دارا .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[٣٧] وهذه استعارة. وقد مضى نظيرٌ لها فيما تقدم . والمعنى أنه بالَغَ فى الإصغاء إلى الذكرى ، وأشْهَدَها قلبَه ، فكان كالمُلْقى إليها سَمْعَه ، دُنوًّا من سماعِها ، ومَيْلا إلى قائلها .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ﴾[٣٧] أى عَقْلٌ ولُبٌّ . [و][٣] يعبَّر عنهما بالقلب ، لأنهما يكونان بالقلب . أو يكون المعنى : لمن كان به قلب ينتفع به . لأن من القلوب مالا يُنْتَفَعُ بِهِ ، إذا كان مائلا إلى الغىِّ ، ومنصرفاً عن الرُّشد .

---

(١) مطموسة فى الأصل .

(٢) قاله عليه السلام حين فتح مكة . فقد مضى الزبير بن العوام برايته حتى ركزها عند قبة رسول الله ، وكان معه أم سلمة وميمونة رضى الله عنهما ، وقيل : يارسول الله ! ألا تنزل منزلك من الشعب ؟ فقال : وهل ترك لنا عقيل منزلا ؟ وكان عقيل بن أبى طالب قد باع منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنزل إخوته . والرجال والنساء بمكة . فقيل : يارسول الله ! فانزل فى بعض بيوت مكة فى غير منازلك،فقال ! : لا أدخل البيوت ! فلم يزل مضطربا بالحجون لم يدخل بيتا ، وكان يأتى المسجد من الحجون لكل صلاة .انظر الخبر فى « إمتاع الأسماع » للمقريزى المؤرخ ، جـ ١ ص ٣٨١ .

(٣) ليست بالأصل ، والسياق يقتضيها .

ومن السورة التى يذكر فيها « الذاريات »

قوله سبحانه فى صفةِ حجارةِ القذْفِ : ﴿ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾[٣٤] وهذه استعارة . والمسوّمة : المُعْلَمَةُ . وأصْلُ ذلك مستعمل فى تسْويم الخيل للحرب . أى تعليمها بعلامات تتميز بها من خيل العدو . شبِّهت هذه الحجارة بها لأنها مُعَلَّمةٌ بعلامات تدلُّ على مكروه المصابين ، وَضَرَر المعاقَبين ، كما كانت الخيل المسوّمة تدل على ذلك فى لقاء الأعداء . و إرسال هذه للعراك كإرسال تلك للهلاك .

وقيل : إن التسويم فى تلك الحجارة هو أن تجعل نكتة سوداء فى الحجَرَ الأبيض ، أو نكتة بيضاء فى الحجَرَ الأسود .

وقيل : كان عليها أمثالُ الطوابيع والخواتيم . وقد تكلمنا على نظير هذه الاستعارة فى «هود » .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أى خَلَقَها سبحانه كذلك من غير أن يفعلها فاعل ، أو يجعلها جاعِلٌ . فلأجْل هذه الحال وَجَبَ أن يَجعل لها تعالى هذا الاختصاص بقوله : ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ . وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك أنها مسوّمة فى سلطان الله تعالى ومَلَكُوتِه . وفى موضعِ العِقَابِ المُعَدِّ للمذنبين من خَلْقه .

وقوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّى بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[٣٩] وهذه استعارة .

وقد قيل : إن المُراد بها أنه أعرض بجنوده الذين هم كالركن له ، والحجارة

دونه . وقد يسمَّى أعوانُ المرء وأنصارُه أركانَه واعتماده (١) ، إذ كان بهم يَصُولُ ، وإليهم يَؤول .

وقيل أيضا معنى ذلك فتوَلَّى (٢) وسلطانه ، فإن ذلك كالركن له والمانع منه . ونظيره قولُه سبحانه حاكيا عَنْ لوطٍ عليه السلام : ﴿ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ (٣) أى إلى عزٍّ دافع ، وسُلطان قامع .

وقوله سبحانه : ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴾ [٤١] وهذه استعارة . ومعنى العقيم ههنا التى لا تحمل القِطار ، ولا تُلْقح الأشْجار ، ولا تعود بخير ، ولا تنكشف عن عواقب نفع . فهى كالمرأة التى لا يُرجَى وَلدُها ، ولا يَنمَى عَدَدُها .

---

(١) هكذا بالأصل . ولعلها « وأعماده » .

(٢) بياض بالأصل.

(٣) سورة هود · الآية رقم ٨٠ .

ومن السورة التي يذكر فيها « الطُّور »

قوله تعالى: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا ، أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [٣٢] وهذه استعارة . أى كانوا حكماء عقلاء كما يدَّعون ، فكيف تحمِلُهم أحلامهم وعقولهم على أن يرموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسِّحْرِ والجنون ، وقد علموا بُعْدَه عَنْهما ، ومباينتَه لهما.؟

وهذا القول منهم سفه[(١)] وكذب ، وهاتان الصفتان مُنافيتان لأوصاف الحلماء ، ومذاهب الحكماء .

ومخرجُ قوله سبحانه : ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا﴾ مخرج التبكيت لهم ، والإزراء عليهم . ونظير هذا الكلام قوله سبحانه حاكيا عن قوم شُعيبٍ عليه السلام : ﴿قَالُوا يَاشُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾[(٢)] أى دينك وماجئتَ به من شريعتك التى فيها الصلوات وغيرُها من العبادات ، تَحمِلُكَ على أَمرِنَا بِتَرْكِ ما يَعْبُدُ آباؤنا[(٣)] . وقد مضى الكلام على ذلك فى موضعه .

وقوله سبحانه : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ النُّجُومِ﴾[٤٩] وقُرِئَ : ﴿[(٤)] وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ بكسر الهمزة . وهذه استعارة على القراءتين جميعاً .

---

(١) فى الأصل « صفه » بالصاد . وهو تحريف بالغ .

(٢) سورة هود . الآية رقم ٨٧ .

(٣) كرر الناسخ هذه العبارة من قوله : أى دينك إلى قوله ما يعبد آباؤنا .

(٤) قرأ السبعة : وإدبار بكسر الهمزة على أنها مصدر للفعل أدبر . وقرأ سالم بن أبي الجعد ويعقوب وسلام وأيوب : وأدبار بالفتح . انظر القرطبي ج ١٧ ص ٨٠ .

فمن قرَأ بفتح الهمزة كان معناه : وأَعْقَابَ النجوم . أى أواخرها إذا انصرفت . كما يقال : جاءَ فلانٌ فى أعْقَاب القوم . أى فى أواخرهم . وتلك صفة تخصُّ الحيوان المتصرف الذى يوصَفُ بالمجىء والذَّهاب ،والإقبال والإدْبارِ . ولـكنها استُعملت فى النجوم على طريق الاتساع . فأَمَّا قراءةُ مَن قَرَأ : ﴿ وإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴾ بالـكسر فمعناه قريب من المعنى الأول . فـكأنه سبحانه وَصَفها بالإدبار بعد الإِقبال . والمراد بذلك الأُفُولُ بعَد الطلوع ، والهبوطُ بَعْد الصعود .

ومن السورة التى يذكر فيها « النَّجم »

قوله سبحانه : ﴿ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴾[١١] وهذه استعارة . والمراد ـ والله أعلم ـ أن ما اعتقده القلب من صحة ذلك المنظر الذى نظره ، والأمرِ الذى باشره لم يكن عن تخيُّلٍ وتوهُّمٍ ، بل عن يقينٍ وتأمُّلٍ .فلم يكن بمنزلة الـكاذب من طريق تَعَمُّد الـكذب ، ولا من طريق الشكوك والشُّبَه .

وقوله سبحانه : ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾[١٧] وهذه استعارة . وهى قريبة المعنى من الاستعارة الأولى . والمراد بذلك ـ والله أعلم ـ أن البَصَر لم يَمِلْ عن جهة المبصَرِ (١) إلى غيره مَيْلا يدخُل عليه به الاشتباه ، حتى يشكَّ فيما رآه . ولا طغى ، أى لم يجاوز المُبصر ويرتفع عنه ، فيكون مخطئا لإدراكه ، ومتجاوزا لمحاذاته .

فكأن تلخيص المعنى أن البصر لم يقصر عن المرئِىِّ فيقع دونه ، ولم يزد (٢) عليه فيقع وراءه ، بل وافَق موضعه ، ولم يجاوز موقعه . وأصل الطغيان طلبُ العلو والارتفاع ، من طريق الظلم والعدوان ، وهو فى صفة البصر خارجٌ (٣) على المجاز والاتساع .

---

(١) فى الأصل « البصر » وهو تحريف من الناسخ .
(٢) فى الأصل « ولم يرد » بالراء المهملة ، وهو تحريف .
(٣) أى سائر على طريق المجاز والاتساع فى التعبير .

ومن السورة التي يذكر فيها «انشقاق القمر»

قوله تعالى : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ [١١ ، ١٢] وهذه استعارة . والمراد ـ والله أعلم ـ بتفتيح أبواب السماء تسهيلُ سُبُلِ الأمطار حتى لايحبسها حابس ، ولا يلفتها لافت . ومفهومُ ذلك إزالةُ العوائق عن مجارى العيون من السماء ، حتى تصير بمنزلة حبيس فُتح عنه بابٌ ، أو مَعقولٍ أطْلِقَ عنه عقال . وقوله تعالى : ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ أى اختلط ماء الأمطار المنهمرة ، بماء العيون المتفجرة ، فالْتقى ماءاهما على ماقَدَّره الله سبحانه ، من غير زيادةٍ ولا نُقصان . وهذا من أفصح الكلام ، وأوقع العبارات عن هذه الحال .

وقوله سبحانه : ﴿ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴾ [٢٥] ولفظُ إلقاء الذِّكْرِ ههنا مستعار : والمراد به أن القرآن لعظم شأنه ، وصعوبة أدائه ، كالعبء الثقيل الذى يشقُّ على من حُمِّلَهُ ، وأُلْقِيَ عليه ثقله .

وكذلك قال تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ (١) . وكذلك قولُ القائل : (ألقيتُ على فلان سؤالا ، وألقيتُ عليه حسابا) أى سألتُه عما يستكدُّ له هاجسَه ، ويستعمل به خاطره .

وقوله سبحانه : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ [٤٦] وهذه استعارة . لأن المرارة لايوصف بها إلا المذوقات والمتطعمات ، ولكنَّ الساعة لما كانت مكروهة عند مستحقِّ العقاب ، حَسُنَ وصفها بما يوصفُ به الشيء المكروهُ المذاق .

ومن عادة مَن يُلاقى مايكرهُه ، ويَرى مالا يُحبُّه، أن يُحْدث ذلك تهيُّجا فى وجهه، يدل

---

(١) سورة المزمل . الآية رقم ٥ .

على نفور جأشه ، وشدة استيحاشه ، فكذلك هؤلاء إذا شاهَدوا أَماراتِ العذاب ، ونوازلَ العقاب ، ظَهرَ فى وجوههم مايُستدل به على فَظاعة الحال عندهم ، و بلوغ مكروهها من قلوبهم ، فكانوا كلائك (١) المُضغَةِ المَقِرَة ، (٢) وذائِق الكأْس الصَّبِرَة ، فى فَرْط التقطيب ، وشدة التهيج . وشاهِدُ ذلك قولُه سبحانه : ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾ (٣) .

---

(١) اللائك : اسم فاعل من لاك يلوك أى مضغ .

(٢) المقرة على وزن فرحة : المرة الطعم يقال: مقر الشيء مقرا إذا صار مرا

(٣) سورة المؤمنون . الآية رقم ١٠٤ .

ومن السورة التى يذكر فيها «الرحمن» سبحانه

قولُه تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾ [٦] وهذه استعارة : والنجم ههنا مانَجَم من النبات . أى طَلَعَ وظَهرَ . والمراد بسجود النبات والشجر ـ واللهُ أعلمُ ـ مايظهر عليها من آثار صنعة الصانع الحكيم ، والمقدِّر العليم ، بالتنقل من حال الإطْلاع ، إلى حال الإيناع ، ومن حال الإيراق إلى حال الإثمار ، غير ممتنعة على المصرِّف ، ولا آبية على المدبِّر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [٧] ولَفْظُ الميزان ههنا مستعار ، على أحد التأويلين . وهو أن يكون معناه العدل الذى تستقيم [(١)] به الأمور ، ويعتدل عليه الجمهور . وشاهِدُ ذلكَ قولُه تعالى : ﴿ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ [(٢)] أى بالعدل فى الأمور .

ورُوى عن مجاهد [(٣)] أنه قال : القسطاس : العدل بالرومية . ويقال : قُسطاس ، وقِسطاس . بالضم والكسر ، كقُرطاس وقِرطاس .

وقولُه تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ، بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ [١٩] ، [٢٠] وهذه استعارة . والمراد بها أنه سبحانه أرسل البحرين طاميين ، وأمارَهما مائعين ،

---

(١) فى الأصل « يستقيم » وهو تحريف .

(٢) سورة الإسراء . الآية رقم ٣٥ .

(٣) هو من المفسرين الأولين للقرآن الكريم ، والمشهور أنه أول من دون فى التفسير ، وتفسيره غير موجود ، ولعل الموجود هو تفسير ابن عباس رواه مجاهد . وذكر ابن عطية فى « مقدمته » أن صدر المفسرين والمؤيد فيهم هو على بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويتلوه عبدالله بن عباس ، ويتلوه مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما ويذكر ابن عطية أن مجاهدا قرأ على ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية . وذكر جورجى زيدان أن مجاهدا توفى سنة ١٠٤ هـ . انظر « تاريخ آداب اللغة العربية » ج ١ ص ٢٠٥ ، و « مقدمتان فى علوم القرآن » بتحقيق المستشرق أرثر جفرى ، ونشر مكتبة الخانجى .

وهما يلتقيان بالمقاربة ، لا بالممازجة ، فبينهما حاجز يمنعهما من الانحراق[1] ويصدُّهما عن الاختلاط .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ لَا يَبْغِيَانِ ﴾ أى لا يغلب أحدهما على الآخر ، فيقلبه إلى صفته ، إمَّا الملحُ على العذب ، أو العذب على الملح . وكنى تعالى بلفظ البغْى عن غلَبة أحدهما على صاحبه . لأن الباغى فى الشاهد اسم لمن تغلَّب من طريق الظلم بالقوة والبسطة ، والتطاول والسطوة .

وقد مضى الكلام على مثل هذه الاستعارة فيما تقدم . إلاَّ أن فيها ههنا زيادة أَوْجَبَت إعادةَ ذِكْرِها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٢٢] وهذه استعارة . وقد تقدم الكلام على نظيرها . والمراد : وتبقى ذاتُ ربِّك وحقيقتُه .

ولو كان الكلام محمولا على ظاهره لكان فاسدا مستحيلا على قولنا وقول المخالفين . لأنه لا أحدَ يقول من المشبِّهة والمجسِّمة ، الذين يثبتون لله سبحانه أبعاضا مؤلفة[2] ، وأعضاء مصرَّفة إنَّ وجه الله سبحانه يَبْقى ، وسائره يَبْطُل ويَفْنَى . تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا .

ومن الدليل على أن المراد بوجه الله ههنا ذاتُ الله قولُهُ سبحانه : ﴿ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ألا ترى أنه سبحانه لما قال فى خاتمة هذه السورة : ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ﴾ قال: ﴿ ذِى الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [٧٨] ولم يقل (ذو) لأن اسم الله غيرُ الله ، ووجهُ

---

(١) هكذا بالأصل ولعلها الانجراف أو الإغراق .

(٢) فى الأصل « ومؤلفة » بواو قبل الصفة . وهى زائدة من الناسخ .

الله هو الله ، وهذا واضح البيان ، وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدم .

وقوله سبحانه : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ ﴾ [٣١] وهذه استعارة . وقد كان والدى الطاهر الأوحد ، ذو المناقب ، أبو أحمد الحسين[١] ، بن موسى الموسوى ، رضى الله عنه وأرضاه ، سألنى عن هذه الآية فى عُرض كلام جرَّ ذكرها ، فأجبتُه فى الحال بأعرف الأجوبة المقولة فيها . وهو أن يكون المراد بذلك: سنعمد لعقابكم ونأخذ فى جزائكم على مساوىء أعمالكم ، وأنشدتهُ بيت جريرٍ كاشفا عن حقيقة هذا المعنى . وهو قوله :

ألآنَ وقد فرغت إلى نمير فهذا حين صرت لها عذابا

فقال : فرغت إلى نُمير ، كما يقول : عمدت إليها . فأعلمنا أن معنى فرغت ههنا معنى عمدت وقصدت . ولو كان يريد الفراغ من الشغل لقال : فرغت لها ، ولم يقل فرغت إليها .

وقال بعضهم: إنما قال سبحانه : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ ولم يقل : سنعمِد . لأنه أراد أى سنفعل فعل من يتفرغ للعمل من غير تمجيع[٢] فيه ، ولا اشتغال بغيره عنه ، ولأنه لما كان الذى يعمد إلى الشىء ربما قصَّر فيه لشغله معه بغيره ، وكان الفارغ له ـ فى الغالب ـ هو المتوفِّرَ عليه دون غيره ، دُلِلْنا بذلك على المبالغة فى الوعيد من الجهة التى هى أعرف عندنا ، ليقع الزجر بأبلغ الألفاظ ، وأدلِّ الكلام على معنى الإيْعاد .

وقال بعضهم : أصل الاستعارة موضوع على مستعار منه ومستعار له ، فالمستعار منه

---

(١) كان نقيب العلويين فى بغداد . وهو والد الشريفين : الرضى ، والمرتضى . وقد تعرض للقبض عليه من قبل عضد الدولة بن بويه سنة ٣٦٩ هـ ثم أطلقه ابنه شرف الدولة بن بويه ، وعزل عن النقابة سنة ٣٨٤ هـ ثم أعيد إليها سنة ٣٩٤ هـ وأضيف إليه الحج والمظالم ، فلم يزل على ذلك إلى أن توفى ضريرا سنة ٤٠٠ هـ فرثاه ولداه كما رثاه أبو العلاء المعرى ، ومهيار الديلمى ، وجماعة من الشعراء .

(٢) التمجيع : الممازحة والماجنة فى العمل وعدم أخذه مأخذ الجد .

أصل ، وهو أقوى . والمستعارُ له فرعٌ ، وهو أضعف . وهذا مطَّرد فى سائر الاستعارات ، فإذا تقرر ذلك كان قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلثَّقَلَانِ ﴾ من هذا القَبيل .

فالمستعار منه ههنا مايجوز فيه الشغل ، وهو أفعال العباد ، والمستعار له مالا يجوز فيه الشغل ، وهو أفعال الله تعالى . والمعنى الجامعُ لهما الوعيدُ ، إلا أن الوعيد بقول[1] القائل : سأتفرغ لعقُوبتك ، أقوى من الوعيد بقوله : سأعاقبك . مِن قِبلِ أنه كأنما قال : سأتجرد لمعاقبتك ، كأنه يريد استفراغ قوّته فى العقوبة له .

ثم جاء القرآن على مَطْرَح كلام العرب ، لأن معناه أسبق إلى النفس ، وأَظْهَرُ للعقل ، والمراد به تغليظ الوعيد ، والمبالغة فى التحذير . ومثل ذلك قولهُ تعالى فى المدَّثِّر ، عليه الصلاة والسلام ، : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [2] فالمستعار منه ههنا مايجوز فيه المنع ، وهو أفعال العباد ، والمستعارُ له مالا يجوز فيه المنع ، وهو أفعال القديم سبحانه كما قلنا أولا . والمعنى الجامع لهما التخويف والتهديد .

والتهديدُ بقول القائل : ذَرْنى وفلاناً ـ إذا أراد المبالغة فى وعيده ـ أَقْوَى مِنْ قوله : خوِّفْ فلانا من عقوبتى ، وحَذِّرْهُ من سطوتى . وهذا بَيِّنٌ بحمد الله تعالى .

وقد يجوز أن يكون لذلك وجْه آخر ، وهو أن يكون معنى قوله تعالى : ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ ﴾ أى سنُفَرِّغُ لكم ملائكتنا الموكَّلين بالعذاب ، والمعدين لعقاب أهل النار . ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [3] أى جاء ملائكةُ ربِّك . ويكون تقدير الكلام : وجاء ملائكة ربِّك وهم صفًّا صفًّا . كما تقول: أَقبل القوم وهمْ

(١) فى الأصل « يقول » على أنها فعل مضارع . وهو تحريف من الناسخ .

(٢) سورة المدثر . الآية رقم ١١ .

(٣) سورة الفجر . الآية رقم ٢٢ .

زَحْفاً زَحْفاً. والملك ههنا لفظ الجنس ، وإنما أعيد ذكر الملك ليدل على المحذوف الذى هو اسم الملائكة ، لأنه ما كان يسُوغُ أن يقول : وجاء ربك وهُمْ صفًّا صفًّا ، ويريد الملائكة على التقدير الذى قدرناه ، لأن الكلام كان يكون مُلْبَسًا ، والنظام مختلاً مضطرباً .

وقد يجوز أيضا أن يكون المعنى : وجاء أمر ربك ، والمَلَكُ صفًّا صفًّا . كلا القولين جائز .

وقرأنا[1] حمزة والكسائى : سيفرُغ لكم ، بالياء وفتحها ، وقرأنا[2] : سنفرُغ لكم بالنون كقراءة السبعة .

---

(١) هكذا في الأصل ، ولعلها « وقرأ حمزة والكسائى » كما فى القرطبي ج ١٧ ص ١٦٩ .

(٢) ليس قوله « وقرأنا » واضحا لأن هذه قراءة ابن شهاب والأعرج، كما فى « الجامع لأحكام القرآن » .

ومن السورة التى يذكر فيها « الواقعة »

قوله[1] تعالى : ﴿ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴾ [٢] وهذه استعارة . والمراد أنها إذا وقعت لم ترجع عن وقوعها ، ولم تَعْدل عن طريقها ، كما يقولون : قد صَدَقَ فلانٌ الحَمْلَةَ [2] ولم يَكْذِبْ . أى ولم يرجع على عَقِبه ، ويقف عن وجهة عزمه جُبْناً وضعفا ، أو وجلاً وخوفا .

وكاذبة ههنا مصْدَرٌ ، كقولك : عافاه الله عافية ، فيكون كَذَبَ كذباً وكاذِبَةً .[و][3] تلخيص المعنى: ليس لوقْعتها كذب ولا خُلْفٌ. وقيل أيضا : ليس[4] لها قضية كاذبة، لإخبار الله سبحانه بها ، وقيام الدلائل عليها ، فحذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامَهُ ..

وذلك فى كلامهم أظهر مِنْ أن يُتعاطَى بيانهُ .

وقيل أيضا : ليس لها نفسٌ كاذبة فى الخبر[5] عنها ، والإعلامِ بوقوعها . والمعنيان واحد .

---

(١) فى الأصل « وقوله » بواو قبل الكلمة وهى زيادة من الناسخ .

(٢) فى الأصل « الجملة » بالجيم المعجمة، وهو تحريف من الناسخ .

(٣) ليست هذه الواو بالأصل وهى ضرورية .

(٤) مطموسة بالأصل وهى مفهومة من السياق .

(٥) فى الأصل « الخير » بالياء المثناة التحتية . وهي تحريف .

ومن السورة التى يذكر فيها « الحديد »

قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ ، وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ، وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٣] .

وهذه استعارة عليه سبحانه ، كإطلاقنا لذلك على غيره ، لأنه سبحانه لايأتى بالكلام المستعار والمجاز عليه ـ كما قلنا فى أول هذا الكتاب ـ ولكن لأن ذلك اللفظ أبعَدُ فى البلاغة منزعا ، وأبْهَرُ فى الفصاحة مطلعا .

والواحد منَّا ـ فى الأكثر ـ إنما يستعير أغلاق الكلام ، ويَعْدِل عن الحقائق إلى المجازات ، لأن طرُق القول ربما ضاق بعضها عليه فخالَف إلى[1] . . . . . بقية الكلام ، وربما استَعْصَى بعضها على فكرهِ فعَدَل إلى المطاوعة .

معنى قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ ﴾ أى الذى لم يَزَلْ قبل الأشياء كلها ، لاعن انتهاء مدة ، ﴿ وَٱلْآخِرُ ﴾ أى الذى لايزال بعْد الأشياء كلِّها ، لاإلى انتهاء غاية .

﴿ وَٱلظَّاهِرُ ﴾ المتجلى للعقول بأدلَّته ، ﴿ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ أى الذى لا تدركه[2] أبصار بَرِيَّته .

وقال بعضهم: قد يجوز أن يكون معنى الظاهر ههنا أى العالم بالأشياء كلها . من قولهم : ظَهَرْتُ عَلى أمْر فلان أىْ عَلمتُهُ . ويكون الظاهر مخصوصا بما كان فى الوجود والجهْر ، ويكون الباطنُ مخصوصا بما كان فى العدَم والسر[3] .

---

(١) هنا لفظة غير واضحة .

(٢) فى الأصل (لايدركه) .

(٣) فى الأصل « والستر » وهو تحريف .

وتلخيص معنى الظاهر والباطن أنه العالم بما ظَهَرَ وَمَا بَطَن ، وما اسْتَسَرَّ وما عَلَن .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [١٠] وهـذه استعارة على ماتقدم فى كلامنا من نظير ذلك . والمعنى أن الخلائق إذا فَنُوا وانقرضوا خلَّوا ما كانوا يسكُنُونه ، وزالت أيديهم عما كانوا يملكونه (١) . . . . . إلا الله سبحانه ، وصار تعالى كأنه قد ورث عنهم ماتركوه (١) . . . . خلفوه . لأنه الباقى بعد فنائهم ، والدائم بعد انقضائهم .

وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ ﴾ [١٢] وهذه استعارة على أحد التأويلين (٢) . . . .

وقوله سبحانه : ﴿ مَأْوَاكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [١٥] وهذه استعارة . ومعنى مولاكم : أى أَمْلَكُ بكم ، وأَوْلَى بأخذكم . وهذا بمعنى المولى (٣) من طريق الرق ، لاالمولى من جهة العتق . فكأنَّ النار ـ نعوذ بالله منها ـ تملكهم رِقا ، ولا تحررهم عتقا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [٢٩] وهذه استعارة .

ومعنى بيد الله ، أى فى مِلْك الله وقدرته ، يبسُطُهُ إذا شاء على حَسَب المصالح والمفاسد ، والمَغَاوِى والمَرَاشِد . وقد مضى الكلام على نظائرها .

---

(١) هنا ألفاظ ممحوة .

(٢) هنا بضعة أسطر مبتورة الأطراف غير واضحة المعالم .

(٣) في الأصل « بمعنى أولى » وهو تحريف واضح .

ومن السورة التى يذكر فيها « المجادلة »

قوله سبحانه : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [٧] وظاهرُ هذا الكلام محمول على المجاز والاتساع ، لأن المراد به إحاطته تعالى بعِلْم نجوىَ المتناجين ، وَمعَاريض المتخافتين ، فكأنه سبحانه يعلم جميع ذلك، سامع للحوار ، وشاهد للسِّرار .

ولو حُمل هذا الكلام على ظاهره لتناقضَ . ألا ترى أنه تعالى لوكان رابعا لثلاثة فى مكان على معنى قول المخالفين، استحال أن يكون سادسا لخمسة فى غير ذلك المكان إلا بعد أن يفارق المكان الأول ، ويصير إلى المكان الثانى ، فينتقل كما تنتقل الأجسام ، ويجوز عليه الزوال والمقام . وهذا واضح بحمدالله وتوفيقه .

وقوله سبحانه : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ﴾ [١٢] وهذه استعارة . وقد مضت لها نظائر كثيرة .

والمراد بقوله تعالى : ﴿ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَاكُمْ ﴾ أى أمام نجواكم، وذلك كقوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ﴾ (١) أى مطرقة أمام الغيث الوارد ، ومبشِّرة بالخير الوافد .

وقوله سبحانه : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾ [١٦] وهذه استعارة . والكلام وارد فى شأن المنافقين .

والمراد أنهم جعلوا إظهار الإيمان الذين (٢) يبطنون ضدّه جُنَّةً يعتصمون بها و يستلئمون (٣)

---

(١) سورة الأعراف . الآية رقم ٥٦ .

(٢) هكذا بالأصل . والصواب : الذى

(٣) بالأصل : يستلمون ، وهو تحريف ويستلئم : أى يلبس الدرع

فيها، تعوُّذًا بظاهر الإسلام الذى يسَعُ مَن دخل فيه، ويعيذُ[1] من تعوّذ به.

وقوله سبحانه: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [٢١] وهذه استعارة. والمراد بالكتابة هنا الحُكْمُ والقضاء. وإنما كَنَى تعالى عن ذلك بالكتابة، مبالغةً فى وصف ذلك الحكم بالثبات، وأنَّ بقاءه كبقاء المكتوبات.

وقوله سبحانه: ﴿أُولَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [٢٢] وفى هذا الكلام استعارتان، إحداهما قوله تعالى: ﴿أُولَـٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَانَ﴾ ومعناه أنه ثبّته فى قلوبهم، وقرّره فى ضمائرهم، فصار كالكتابة الباقية، والرُّقوم الثابتة، على ماأشرنا إليه من الكلام على الاستعارة المتقدمة. وذلك كقول القائل: هو أبقَى من النقش فى الحَجَرِ، ومن النقْش فى الزُّبُر.

والاستعارة الأخرى قولُه تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ ولذلك وجهان: إمّا أن يكون المراد بالروح هنا القرآن، لأنه حياة فى الأديان، كما أنَّ الروح حياة فى أمر الأبدان. وقال سبحانه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾[2] والمراد القرآن.
والوجه الآخر أنْ يكون الروح هنا معنى النَّصر والغَلَبة والإظهارِ للدولة. وقد يُعبَّر عن ذلك بالريح. والرَّوْحُ والريحُ يرجعان إلى معنى واحد. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾[3] أى دولتكم واستظهارُكم.

---

(١) فى الأصل «ويعيد» بالدال المهملة، وهو تحريف من الناسخ.
(٢) سورة الشورى الآية رقم ٥٢.
(٣) سورة الأنفال الآية رقم ٤٦.

ومن السورة التى يذكر فيها « الحشر »

قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [٩] الآية . وهذه استعارة لأن تبوُّؤَ الدار هو استيطانها والتمكن فيها ، ولا يصحّ حمْل ذلك على حقيقته فى الإيمان . فلا بُدَّ إذن من حمله على المجاز والاتساع .

فيكون المعنى أنهم استقروا فى الإيمان كاستقرارهم فى الأوطان . وهذا من صميم البلاغة ، ولباب الفصاحة . وقد زاد اللفظ المستعار ههنا معنى الكلام رونقا . ألا ترَى كم بين قولنا : استقَرُّوا فى الإيمان ، و بين قولنا : تَبَوَّءوا الإيمان .

وأنا أقول أبدا إن الألفاظ خَدَمٌ للمعانى ، لأنها تعمل فى تحسين معارضها ، وتنميق مطالعها .

وقوله سبحانه : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾[٢١] وهذا القول على سبيل المجاز . والمعنى أن الجبلَ لو كان مما يَعى القرآنَ ويَعْرف البيان ، لخشع فى[١] سماعه ، ولتصدَّع من عظم شأنه ، على غِلَظِ أجرامه ، وخشونة أكنافه . فالإنسان أحقُ بذلك منه ، إذ كان واعيا لقوارعه ، وعالما بصوادعه .

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها « من » .

ومن السورة التى يذكر فيها «الامتحان [١]»

قوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾ [١] وهذه استعارة على أحد التأويلين ، وهو أن يكون المعنى : تلقون إليهم بالمودة ليتمسَّكوا [٢] بها منكم . كما يقول القائل : أَلْقَيْتُ إلى فلانٍ بالحبل ليتعلق به ، وسواءٌ قال : ألقيت بالحبل ، أو ألقيت الحبل . وكذلك لوقال : ألقيت إلى فلان بالمودة ، أو أَلْقَيْتُ إليه المودة . وكذلك قولهم : رَمَيْتُ إليه بما فى نفسى ، وما فى نفسى ، بمعنى واحد .

وقال الكسائى : تقول العرب : أَلْقِهِ من يَدِكَ وأَلْقِ به من يَدِكَ ، واطرحه من يدك ، واطْرَحْ به من يدك ، كلام عربى صحيح . وقد قيل : إن فى الكلام مفعولا محذوفا ، فكأنه تعالى قال : تُلقون إليهم أسرار النبى صلى الله عليه وسلم بالمودة التى بينكم . وهذه الآية نزلت فى قوم من المسلمين ، كانوا يخالُّون قوما من المنافقين ، فيتَسَقَّطونهم أسرار النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، استزلالا لهم ، واستغمارا لعقولهم .

وقوله سبحانه : ﴿ وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ ﴾ [٢] وهذه استعارة . لأن بسْط الألسن على الحقيقة لايتأتَّى كما يتأتَّى بسْط الأيدى ، وإنما المراد إظهار الكلام السيىء فيهم بعد زمِّ الألسن عنهم ، فيكون الكلام كالشىء الذى بُسط بعد انطوائه ، وأُظهر بعد إخفائه .

وقد يجوز أيضا أن يكون تعالى إنما حَمل بَسْط الألسن على بسط الأيدى ، ليتوافق الكلام ، ويتزاوج النظام ، لأن الأيدىَ والألسن مشتركة فى المعنى المشار إليه ، فللأيدى الأفعالُ وللألسن الأقوال . وتلك ضررها بالإيقاع ، وهذه ضررها بالسَّماع .

---

(١) هى سورة الممتحنة .

(٢) فى الأصل « ليتسمكوا » وهو تحريف من الناسخ .

وقوله سبحانه : ﴿ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ ﴾ [١٠] وقرأ أبو عمرو وحده ﴿ تَمَسَّكُوا ﴾ بالتشديد ، وقرأ بقية السبعة ﴿ تُمْسِكُوا ﴾ بالتخفيف . وهذه استعارة . والمراد بها : لا تُقيموا على نكاح المشركات ، وخلاطِ الكافرات ، فكَنَى سُبحانه عن العلائق التى بين النساء والأزواج بالعِصَم ، وهى ههنا بمعنى الحِبال ، لأنها تصلُ بعضَهم ببعض ، وتربطُ بعضَهُم إلى بعض . وإنما سميت الحِبالُ عصَما ، لأنها تعصم المتعلق بها والمستمسك بقوّتها . وقال الشاعر :

* وآخذ من كل حيٍّ عصم *

أى حبالا . وهى بمعنى العهود فى هذا الشعر .

وقال أبو عبيدة : العِصْمة : الحَبْل والسَّبَبُ . وقال غيره : العِصَمُ : العقد . فكأنه تعالى قال : وَلَاتَمَسَّكُوا بعقد الكوافر ، أى بعقود نكاحهن . وأبو حنيفة يستشهد بهذه الآية على أنه لا عِدَّةَ فى الحرْبية إذا خرجتْ إلى دار الإسلام مُسلمةً ، و بانَتْ مِن زوجها بتخليفها له فى دار الحرب كافرا : ويقول إن فى الاعتداد منه تَمسُّكا بعصمة الكافر التى وقع النهى عن التمسك بها . و يذهبُ أن الكوافر ههنا جمع فرقةٍ كافرة ، كما أن الخوارج جَمْعُ فرقةٍ خارجة . ليصحَّ حَمْلُ الكوافر على الذكور والإناث .

و يكون قوله تعالى : ﴿ولا تَمَسَّكوا﴾ خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين . والمعنى : ولا تأمروا النساء بالاعتداد من الكفار ، فتكونوا كأنكم قد أمرتموهُنَّ بالتمسك بِعِصَمِهِمْ . وقال أبو يوسف(١) ومحمد(٢) يجب عليها العدّة .

---

(١) أبو يوسف هو يعقوب بن إبراهيم الأنصارى الكوفى ، صاحب الإمام أبى حنيفة النعمان . تولى القضاء ببغداد فى أيام المهدى والهادى والرشيد ؛ وهو أول من لقب بقاضى القضاة فى الإسلام ، وأول من وضع الكتب فى الفقه الحنفى . توفى سنة ١٨٢ هـ .

(٢) محمد هو محمد بن الحسن بن واقد الشيبانى ، كان إماما فى الفقه والأصول ، وهو صاحب أبى حنيفة وناشر علمه ومذهبه . تولي القضاء فى زمن الرشيد ، ثم صحبه إلى خراسان فمات في الري سنة ١٨٩ هـ .

ومن السورة التى يذكر فيها « الصف »

قوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ [٥] وهذه استعارة . وكنا أغفلنا الكلام على نظيرها فى آل عمران . وهو قوله تعالى · ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾[1] لأن ذلك أدخلُ فى باب الكلام على الآى المتشابهة ، وأبعدُ من الكلام على الألفاظ المستعارة . إلا أننا رأينا الإشارة إلى هذا المعنى ههنا ، لأنه مما يجوز أن يَجْرى فى مضمار كتابنا هذا ، فنقول :

إن المراد بقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ أىْ لا تحمِّلنا من التكاليف مالا طاقة لنا به ، فتزيغ قلوُبنا ، أى تميل عن طاعتك ، وتعدلُ عن طريق مَرْضاتك ، فتصادفها زائغة ، أو يحكم عليها الزيْغُ عند كونها زائغة .

وقد يجوز أن يكون المرادُ بذلك : أى أدِمْ لنا أَلطَافك وعِصَمَك لتدوم قلوُبنا على الاستقامة ، ولا تزيغ[2] عن مناهج الطاعة . وحَسُن أن يُقال : لا تُزِغْ قُلوبنا بمعنى الرغبة فى إدامة الألطاف ، لما كان إعدامُ تلك الألطاف فى الأكثر يَكُونُ عنه زَيْغُ القلوب ، ومواقعةُ الذنوب .

وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

وأما قوله تعالى فى هذه السورة : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ فهو أوضح فيما يذهَبُ إليه من الأول ، لأنه سبحانه لما زاغوا عن الحق حَكَم عليهم بالزَّيْغ عنه، وحُكمه

---

(١) سورة آل عمران الآية رقم ٨ .

(٢) فى الأصل « ولا تزغ » وهو تحريف إذ لا محل لجزم الفعل هنا .

بذلك أن يأمر أولياءه بذمّهم ولَعْنهم والبراءة منهم عقوبة لهم على ذميم فعلهم . وقد يجوز أن يكون معنى ذلك أنهم لما زاغوا عن الحق خذلهم وأبْعدهم وخلَّاهم واختيارهم ، وأضاف سبحانه الفعل إلى نفسه على طريق الاتساع ، لما كان وقوع الزَّيغ منهم مقابلا لأمره لهم باتباع الحقّ ، وسلوك الطريق النهْج . كما قال تعالى : ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي (١) ﴾ أى وَقَع نسيانكم لذِكرى، فى مقابلة أمرِ أولئك العِباد الصالحين لكم بأن تسلكوا الطريق الأسلم ، وتتّبعوا الدين الأقوم .

ومن السورة التى يذكر فيها « الجمعة »

قوله سبحانه : ﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ [٧] وهذه استعارة . والمراد : ولا يتمنَّوْن الموت أبدا خوفا مما فَرَط منهم من الأعمال السيئة ، والقبائح المجترحة . ونَسَب تعالى تلك الأفعال إلى الأيدى لغلبة الأيدى على الأعمال ، و إن كان فيها مايُعمل بالقلب واللسان .

ومن السورة التى يذكر فيها « المنافقون »

قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ [٧] وهذه استعارة . والمراد بخزائن السموات والأرض مواضع أرزاق العباد ، من مَدَارّ السحاب ، ومخارج الأعشاب ، وما يجرى مَجرى ذلك من الأرفاق .

وقال بعضهم : المراد بالخزائن ههنا مقدوراتُ الله سبحانه ، لأن فيها كلَّ مايشاء

---

(١) سورة المؤمنون الآية رقم ١١٠ .

إخراجه ، من مصالح العباد ، ومنافع البلاد . وقد مضى الكلام على هذا المعنى فيما تقدَّم .

ومن السورة التى يذكر فيها « التغابُن »

قوله تعالى : ﴿ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِى أَنْزَلْنَا ﴾ [٨] وهذه استعارة . والمراد بالنور ههنا القرآن . وإنما سُمِّى نورا لأن به يُهتدى فى ظُلَم الكفر والضلال ، كما يُهتدى بالنور الساطع ، والشهاب اللامع . وضياء القرآن أشرفُ من ضياء الأنوار ، لأن القرآن يعشُو إليه القلب ، والنورُ يعشُو إليه الطَّرف .

وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾ [٩] فذكر التغابن ههنا مجاز ، والمراد به ـ والله أعلم ـ تشبيه المؤمنين والكافرين بالمتعاقدين والمتبايعين ، فكأن المؤمنين ابتاعوا دار الثواب ، وكأنَّ الكافرين اعتاضوا منها دار العقاب ، فتفاوتوا فى الصَّفقة ، وتغابنوا فى البيْعة ، فكان الربحُ مع المؤمنين ، والخسران مع الكافرين .

ويشبه ذلك قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ؟ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ (١) ﴾ الآية .

وليس فى السورة التى يذكر فيها « الطلاق » (٢) شىء من الغرض الذى نقصدهُ فى هذا الكتاب .

---

(١) سورة الصف . الآيتان ١٠ ، ١١ .

(٢) يرى المؤلف رضى الله عنه أن سورة الطلاق ليس فيها شىء من مجازات القرآن .

ومن السورة التى يذكر فيها « التحريم »

قوله تعالى : ﴿ إِنْ تَتُوبَا إِلَى ٱللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾[٤] وهـذه استعارة . ومعنى صَغَت قلوبكما : أى مالت وانحرفت .

قال النضر بن[١] شميل : يقال قد صغوتُ إليه وصغَيت ، وصغِيت ، وأصغيت إليه ، وهو الكلام . ولم تمل قلوبهما على الحقيقة ، وإنما اعتقد قلباهما خلاف الاستقامة فى طاعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فحسُن أن يوصف بميل القلبين من هذا الوجه . وذلك كقول القائل : قد مال إلى فلان قلبى . إذا أحبه . وقد نفر عن فلان قلبى . إذا أبغضه . والقلب فى الأمرين جميعا بحاله ، لم يخرج عن نياطه ، ولم يُزَلْ عن مناطه .

وإنما قال سبحانه : قلوبكما ، والخطاب مع امرأتين ، لأن كل شيئين من شيئين تجوز العبارة عنهما بلفظ الجمع فى عادة العرب . قال الراجز[٢] .

---

(١) هو النضر بن شميل بن خرشة التميمى المازنى وكان عالما بأيام العرب ورواية الحديث واللغة . اتصل بالخليفة المأمون العباسى فأكرمه وقربه إليه . توفى بمرو سنة ٢٠٣ هـ .

(٢) لم يذكر القرطبى اسم هذا الراجز . وقد نسبه محقق « الجامع لأحكام القرآن » للشاعر الخطام المجاشعى ونبه على ذلك فى هامش الجزء الخامس ص ٧٣ . ولم يذكر ابن مطرف الكنانى فى « القرطين » اسم الشاعر واكتفى بقوله : أنشدنى بعضهم، وكذلك فعل العلامة محب الدين فى « شرح شواهد الكشاف » ص ٣١٨ .

والخطام اسمه بشر — كما كتب ذلك بخطه عبد القادر البغدادى ، على هامش « المؤتلف والمختلف » للآمدى ص ١١٢ — وهو شاعر إسلامى اشتهر بالرجز .

والقذف (بفتحتين وبضمتين) : البعيد من الأرض . والمرت (بفتح الميم وسكون الراء) : الأرض لا ماء فيها ولا نبات . والظهر : ما ارتفع من الأرض .

وَمَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْنِ مَرْتَيْن ظهراهما مثل ظهور التُّرْسَيْنِ

وقال الله سبحانه فى موضع آخر : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ﴾[1] و إنما أراد سبحانه قَطْع يمين السارق ، ويمين السارقة . وذلك مشهور فى اللغة .

وقوله سبحانه : ﴿ يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ﴾[٨] وهذه استعارة . لأن نصوحا من أسماء المبالغة . يقال : رجل نصوحٌ . إذا كان كثير النصح لمن يستنصحه . وذلك غير متأت فى صفة التوبة على الحقيقة . فنقول : إن المراد بذلك ـ والله أعلمُ ـ أنَّ التوبة لما كانت بالغة غاية الاجتهاد فى تلافى ذلك الذَّنْب[2] ، كانت كأنها بالغةٌ غاية الاجتهاد فى نصح صاحبها ، ودلالته على طريق النجاة بها . فحسُن أن تسمَّى « نصوحا » من هذا الوجه .

وقال بعضهم : النَّصوح : هى التوبة التى يُناصح الإنسانُ فيها نفسه ، و يبذل مجهوده فى إخلاص الندم ، والعزم على ترك معاودة الذنب . وقرأ أبو بكر بن عياش[3] عن عاصم[4] : ﴿ نُصُوحًا ﴾ بضم النون . على المصدر . وقرأ بقية السبعة ﴿ نَصوحاً ﴾ بفتح النون على صفة التوبة .

---

(١) سورة المائدة . الآية رقم ٣٨ .

(٢) فى الأصل « المذنب » وهو تحريف .

(٣) أبو بكر بن عياش . واسمه شعبة هو إمام فى اللغة والقراءات ، وكان راوى عاصم وإماما من أئمة السنة توفى سنة ١٩٣ هـ . له ترجمة موجزة فى « الأعلام » ، و « النشر » ، و « القراءات واللهجات » لعبد الواهاب حمودة ، و « الفهرست » لابن النديم .

(٤) هو عاصم بن أبى النجود الكوفى الأسدى أحد القراء السبعة ، كان ثقة فى القراءات . وله اشتغال بحديث رسول الله . توفى سنة ١٢٧ هـ وقد روى عنه أبو بكر بن عياش . وله ترجمة فى « تهذيب التهذيب » و « الوفيات » و « الأعلام » للزركلى ، و « القراءات واللهجات » لعبدالوهاب حمودة .

وقوله سبحانه : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ ، كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا ﴾[١٠] وهذه استعارة . لأن وصف المرأة بأنها تحت الرجُل ليس يراد به حقيقة الفَوْق والتَّحْت ، وإنما المراد أَنَّ منزلة المرأة منخفضة عن منزلة الرجل ، لقيامه عليها ، وغلبته على أمرها . كما قال سبحانه : ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾[١] . وكما يقول القائل : فُلانٌ الجنديُّ تحت يَدَىْ فلان الأمير . إذا كان من شحنة عمله ، أو متصرفا على أمره . وكما يقول الآخر : لا آخذ رزقى من تحت يَدَىْ فلان . إذا كان هو الذى يلى إطلاق رزقه ، وتوفية مستحَقه . وذلك مشهور فى كلامهم .

ومن السورة التى يذكر فيها « الملك »

قولهُ تعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [١] وهـذه استعارة . وقد مضت لها نظائرها فيما تقدم . والمراد بذكر اليد ههنا استيلاء الملك وتدبير الأمر . يقال : هـذه الدار فى يد فلان أى فى ملـكه . وهـذا الأمر فى يد فلانٍ أى هو المدبِّر له .

فمعنى ﴿ بِيَدِه الْمُلْكُ ﴾ أى هو مالك الْمُلك ، ومدبِّر الأمر .

وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[٤] وهذه من الاستعارات المشهورة . والمراد بها — والله أعلم — أى كرِّر أيها الناظر

---

(١) سورة النساء . الآية رقم ٣٤ .

بصَرك إلى السماء مفكرا فى عجائبها ، ومستنبطا غوامض تركيبها ، يرجعْ إليك بصرك بعيدا مما طلبه ، ذليلا[1] بفوْتِ ماقدَّره .

والخاسئ فى قول قوم : البعيدُ . من قولهم : خسأت الكلْبَ . إذا أبْعَدْته . وفى قول قوم : هو الذليل[2] . يقال رجل خاسٍ أى ذليل ، وقد خسئ أى خَضَع وذَلَّ . والحسير : البعير المُعْيَ ، الذى قد بَلَغَ السير مجهوده ، واعتصر عوده . فتلخيص المعنى أن البصر يرجع بعد سروحه فى طلب مراده ، وإبعاده فى غايات مرامه ، كالًّا مُعْيًى[3] ، بعيدا من إدراك بغيته ، خائبا من نيل طلبته

وقوله سبحانه فى صفة نار جهنم نعوذ بالله منها : ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِىَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [٨،٧] الآية .

وفى هذا الكلام استعارتان . إحداهما قوله تعالى : ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهِيقاً وَهِىَ تَفُورُ﴾ والشهيق : الصوت الخارج من الخوف عند تضايق القلب من الحزن الشديد ، والكمد الطويل . وهو صوتٌ مكروه السماع . فكأنه سبحانه وَصَف النار بأنَّ لها أصْوَاتاً مقطعة تهُول من سمعها ، ويُصعق من قرُبَ منها .

والاستعارة الأخرى قوله سبحانه : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من قولهم : تغيظت القِدْرُ . إذا اشتد غليانها ، ثم صارت الصفة به مخصوصة بالإنسان المغضب . فكأنه سبحانه وَصَف النار ـ نعوذ بالله منها ـ بصفة المغيظ الغضبان ، الذى من شأنه إذا بلغ ذلك الحد أن يبالغ فى الانتقام ، ويتجاوز الغايات فى الإيقاع والإيلام .

وقد جرت عادتهم فى صفة الإنسان الشديد الغيظ بأن يقولوا : يكاد فلان يتميز غيظا .

---

(١) فى الأصل « دليلا » بالدال المهملة وهو تحريف من الناسخ .

(٢) فى الأصل « الدليل » بالدال المهملة، وهو تحريف .

(٣) الكال : هو الذى أدركه الكلال . والمعي : هو الذى أدركه الإعيا، .

أى تكاد أعصابه المتلاحمة تتزايل ، وأخلاطه المتجاورة تتنافى وتتباعد ، من شدة اهتياج غيظه ، واحتدام طبعه . فأَجْرى سبحانه هـذه الصفة ـ التى هى أبلغ صفات الغضبان ـ على نار جهنم لمـا وصفها بالغيظ ، ليكون التمثيل فى أقصى منازله ، وأَعلى مراتبه .

وقوله سبحانه : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾[١٥] وهـذه استعارة . لأن الذَّلول من صفة الحيوان المركوب . يقال : بعيرٌ ذَلول . وفَرسٌ ذَلُول . إذا أمكن مِنْ ظهره ، وتصرَّف على مراده راكبُه .

وضـدُّ ذلك وصفُهم للمركوب المـانع ظهرَه ، والممتنِع على راكِبه بالصَّعب والمصْعَب .

والمعنى : أنه سبحانه جَعَل الأرض للناس كالمركوب الذلول ، ممكنةً من الاستقرار عليها ، والتصرُّفِ فيها ، طائعة غير مانعة ، ومذعنةً غير مدافعة .

والمراد بقوله تعالى : ﴿فَٱمْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا﴾ أى فى ظهورها وأعاليها ، وأعلى كلِّ شىء منكبٌ له .

وقال بعضهم : معنى ذلك أنه سبحانه لما أصابنا فى بعض الأحيان بالرجفات والزلازل التى لا قَرار مَعها على وجْه الأرض ، وخَلَق الجبال الخشُن الملَامس ، الصعبةَ المسالك لتكون للأرض ثقلا ، وللخلق معقلا ، أعْلَمنا سبحانه أنه لولا ما أنعم به علينا من تسكين الأرض وتوطئتها ، ونَفْى الحزُونة[١] والوعُوث عن أكثرها حتى أمكنتْ من التصرف على ظهرها ، لما كان عليها مثبت قدم ، ولا مسْرحُ نَعمٍ . وقد استقصينا الكلام على ذلك فى كتابنا الكبير .

---

(١) الحزونة : غلظ الأرض ، والوعوث : صعوبة الطريق وتعسر السلوك فيه .

وقوله سبحانه : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [٢٢] وهذه استعارة، والمراد بها صفةُ مَنْ يخبط فى الضلال ، و ينحرفُ عَن طريق الرشاد . لأنهم يَصِفون مَنْ تلك حَالُهُ بأنه ماشٍ على وَجْهه . فيقولون : فلانٌ يَمشى على وجهه ، ويَمضى على وجهه ، إذا كان كذلك .

و إنما شَبَّهوه بالماشى على وجهه ، لأنه لاينتفع بمواقع بصَره ، إذ كان البصرُ فى الوجه . و إذا كان الوجه مكبو با على الأرض كان الإنسان كالأعمى الذى لا يسلك جَدَدا ، ولا يقصد سددا .

ومن الدليل على أن قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ﴾ من الكنايات عن عَمَى البصر ، قولُه تعالى فى مقابلة ذلك : ﴿أَمْ مَنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ لأن السَّوىَّ ضدُّ المنقوص فى خَلْقه ، والمبتلى فى بعض كرائم جسمه .

ومن السورة التى يذكر فيها « نٓ والقلم »

قوله سبحانه : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [٤٢] وهذه استعارة . والمراد بها الكنايةُ عن هَول الأمر وشدته ، وعظم الخطب وفظاعته . لأن من عادة الناس أن يشمِّروا عن سُوقِهم عند الأمور الصَّعبة ، التى يُحتاج فيها إلى المعاركة، و يُفزَع عندها إلى الدفاع والممانعة . فيكون تشمير الذيول عند ذلك أمكنَ للقراع ، وأصدق للمِصَاع .

وقد جاءَ فى أشعارهم ذكر ذلك فى غير موضع . قال قيس [1] بن زهير بن جذيمة العَبْسى :

---

(١) قيس بن زهير هو صاحب الفرسين : داحس والغبراء وبسببهما قامت الحرب بين عبس وذبيان ودامت أربعين سنة . وتجد أخباره فى « اللسان » و « أيام العرب » و« الشعر والشعراء » و « شعراء النصرانية » وغيرها .

فإن[1] شمَّرت لكَ عن ساقها　　فوَيها ربيعُ فلا تسأم[2]

وقال الآخر[3] :

قد شمَّرت عن ساقها فشُدُّوا　　وجدَّت الحرب بكم فجدُّوا

وقوله سبحانه : ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [٤٤] وهذه استعارة . ولها نظائر فى القرآن . منها قوله تعالى : ﴿ وَذَرْنِي[4] وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾[5] ومعنى ذلك أن الكلام خرَج على مذهبٍ للعرب معروف ، وغرضٍ مقصود . يقول قائلهم لمخاطبه إذا أراد تغليظ الوعيد لغيره : ذَرْنى وفلانا فستعلمُ ماأنزلهُ به . فالمراد إذن بهذا الخطاب النبى صلى الله عليه وعلى آله . فكأنه تعالى قال له : ذَر عقابى وهؤلاء المكذبين . أى[6] اترك مسألتى فى التخفيف عنهم ، والإبقاء عليهم . لأن الله سبحانه لايجوز عليه المنع ، فيصح معنى قوله تعالى لنبيِّه عليه السلام : ذَرْنى وكذا ، لأنه المالك لاينازَع ، والقادر لايُدافَع .

وقولُه تعالى : ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ

---

(١) فى الأصل « فإذا » وهو تحريف من الناسخ به ينكسر الوزن .

(٢) هكذا بالأصل . وفى « شعراء النصرانية » ص ٩٢٧ يروى هكذا :

فإن شمرت لك عن ساقها　　فويها ربيع ولم يسأموا

(٣) هو رويشد بن رميض العنبرى المعروف بشريح بن ضبيعة ، كما فى هامش « العقد الفريد » ج ٤ ص ١٢٠ طبع لجنة التأليف والترجمة . وفى « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقى بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون أن اسمه رشيد بن رميض ، لارويشد . ويرجح الأستاذ هارون أنه العنزى ، لا العنبرى ، نسبة إلى بنى عنزة ، ص ٣٥٤ .

(٤) فى الأصل : فذرنى بالفاء . وهو تحريف . والصواب بالواو . سورة المزمل . الآية رقم ١١ .

(٥) سورة المدثر . الآية رقم ١١ .

(٦) فى الأصل « أنترك » وهو تحريف من الناسخ .

وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ [٥١] وهذه استعارة . والمراد بالإزلاق ههنا : إزلالُ القدم حتى لايستقر على الأرض . وذلك خارج على طريقة للعرب معروفة . يقول القائل منهم : نظرَ إلىَّ فلانٌ نظَرا يكاد يَصْرَعنى به . وذلك لايكونُ إلا نظر المقْتِ والإبغاض ، وعند النزاع والخصام . وقال الشاعر (١) :

يتقارضون إذا التقَوْا فى موقف نظَرا يُزِيل مواقف الأقدامِ

وقد أنكر بعضُ العلماء أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ الإصابة بالعين ، لأن هذا من نظر السخط والعداوة ، وذلك من نظر الاستحسان والمحبَّة .

ومن السور التى يذكر فيها « الحاقة »

قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾ [٦] وهذه استعارة . والمراد بالصَّرصر: الباردة . وهو مأخوذ من الصِّرِّ ، والعاتية : الشديدةُ الهبوب التى ترد بغير ترتيب ، مشبَّهةً بالرجل العاتى ، وهو المتمرد الذى لا يبالى على ماأقدم ، ولا فيما ولج ووقع .

وقوله سبحانه : ﴿ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ﴾ [١٠] وهذه استعارة . والمراد بالرابية ههنا : العالية القاهرة . مِنْ قولهم : رَبَا الشىء إذا زاد . والرِّبا مأخوذ من هذا . فكأن تلك الأخذة كانت قاهرة لهم ، وغالبةً عليهم .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴾ [١١] وهذه استعارة .

---

(١) لم يذكر « لسان العرب » اسم الشاعر . وفى شرح « شواهد الكشاف » لم ينسب لقائل أيضا . انظر اللسان مادة قرض . وقد استشهد الزمخشرى بهذا البيت فى حديثه عن هذه الآيات بالذات ، ولكنه روى « نظرا يزل » بدلا من « يزيل » .

والمراد بها قريب من المراد بالاستعارتين الأوليين (١) ، وهو تشبيه للماء فى طموِّ أمواجه، وارتفاع أثباجه بحال الرجل الطاغى ، الذى علا متجبرا ، وشمخ متكبرا .

وقال بعضهم : معنى طغى الماء أى كثُر على خُزّانه ، فلم يضبطوا مقدار ماخرج منه كثرة ، لأن للماء خزَنَةً ، وللرياح خزَنَةً من الملائكة عليهم السلام ، يخرجون منهما على قدر مايراه الله سبحانه من مصالح العباد ، ومنافع البلاد ، على ماوردت به الآثار .

وقوله تعالى : ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [٢١] وهذه استعارة . وكان الوجه أن يُقال : فى عيشة مرضيَّة . ولكن المعنى خرج على مخرج قولهم : شعرٌ شاعرٌ ، وليلٌ ساهر . إذا شُعر فى ذلك الشعر وسُهر فى ذلك الليل ، فكأنهما وصفا بما يكون فيهما ، لا بما يكون منهما . فبَانَ أنَّ تلك العيشة لما كانت بحيث يرضى الإنسان فيها حالَهُ جاز أن توصَفَ هى بالرضا . فيقال راضية . على المعنى الذى أشرنا إليه . وعلى ذلك قول أوس بن حجر (٢) .

جُدلت على ليلةٍ ساهرة بصحراء شرج إلى ناظره (٣)

وَصفَ الليلة بصفة الساهر فيها ، وظاهرُ الصفة أنها لها .

وقال بعضهم : إنما قال تعالى : ﴿ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ لأنها فى معنى : ذات رضى ، كما قيل : لابِنٌ ، وتامرٌ . أى ذو لبَنٍ ، وتَمْرٍ .

وكما قالوا لِذِى الدِّرع: دارع، ولِذِى النَّبْل: نابِل، ولصاحِب الفَرسَ : فارسٌ . وإنما

---

(١) فى الأصل « الأولتين » وهو تحريف شنيع من الناسخ .

(٢) هو أوس بن حجر بن مالك التميمى ، كان شاعر تميم فى الجاهلية ، وعمر طويلا ، ولم يدرك الإسلام . وفى شعره رقة وحكمة . وهو صاحب الأبيات المشهورة التى أولها :

أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا

(٣) البيت فى « الأغانى » جـ ١١ ص ٧٢ . وفى مخطوطتنا هذه « حدلت » بالحاء المهملة ، وفى أصول « الأغانى » خذلت بالخاء والذال المعجمتين . وجدلت : صرعت . وشرج ، وناظرة : اسما مكان بأرض بنى أسد .

جاءوا به على النَّسب ، ولم يجيئوا به على الفعل . وعلى ذلك قول النابغة الذُّبيانى [(١)] :

كِلينى لهمٍّ ياأميمةُ ناصِبِ وليلٍ أقاسيه بَطِيءِ الكواكِبِ

أى : ذى نَصَب . قال فكأن العيشة أُعطيَتْ من النعيم حتى رضيتْ ، فحسُن أن يقال : راضية ، لأنها بمنزلة الطالب الرضا ، كما أنَّ الشهوة بمنزلة الطالب المشتهى .

وقوله سبحانه : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [٤٤، ٤٥] وهذه استعارة على أحد التأويلات ، وهو أن يكون المراد باليمين ههنا القوة والقدرة . فيكون المعنى : أنه لو فعل مانكْرَهُ فِعْلَه لا نتقمنا منه عن قدرة ، وعاقبناه عن قوة .

وقد يجوز أن تكون اليمين ههنا راجعةً على النبى صلى الله عليه وسلم ، فيكون المعنى : لو فعل ذلك لسلبناه قُدرته ، وانتزعنا منه قوّته . ويكون ذلك كقوله سبحانه : ﴿ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ ﴾ [(٢)] أى تُنبت الدُّهن على بعض التأويلات . وكقول الشاعر [(٣)] :

نضرب بالسيف ونرجو بالفرَج

أى نرجو الفرَج .

---

(١) هو أشهر من أن نعرف به هنا ، وهو من شعراء الجاهلية المقدمين ، وأخباره مع النعمان بن المنذر واعتذاراته له معروفة متعالمة .

(٢) سورة المؤمنون . الآية رقم ٢٠ .

(٣) هو النابغة الجعدى كما فى « معجم ياقوت » و« تاج العروس » وقد نقل ذلك عنهما محقق « معجم ما استعجم » للبكرى ص ١٠٢٩ . والبيت كاملا هو :

نحن بنو جعدة أرباب الفلج نضرب بالبيض ونرجو بالفرج

والفلج بفتحتين : اسم مكان لبنى جعدة من قيس ببلاد نجد .

وفى « القرطين » لابن مطرف : نضرب بالسيف ، مثل رواية مخطوطتنا هذه . ج ٢ ص ٣٠ .

ومن السورة التى يذكر فيها « سأل سائل »

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ، نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ، تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴾ [١٧] وهذه استعارة . والمراد بدعائها مَنْ أدبر وتولَّى — والله أعلم — أنه لما استحقها بإدباره عن الحق صارت كأنها تدعوه إليها ، وتَسُوقُه نحوها . وعلى ذلك قول ذى الرمَّة(١) فى صفة الثور :

غدا بوهنين مجتازا لمرتعه بذى الفوارس تدعو أنفه الرِّبب

والرِّبَبُ جمع رِبَّة ، وهى نبت من نبات الصيف .

يقول لما وجد رائحة الربب مضى نحوها فكأنها دعته إلى أكلها . وقد يجوز أيضا أن يكون المراد بذلك أنها لا يفوتها ذاهب ، ولا يُعجزها هارب . فكأنها تدعو الهاربَ منها فيجيبها ، مدًّا له بأسبابها ، وردًّا له إلى عذابها .

وقال بعض المفسرين : إنه تخرج عنُق من النار ، فتتناول الكافر حتى تقحمه فيها ، فكأنها بذلك الفعل داعية له إلى دخولها .

وقد يجوز أن يكون المراد أنها تدعو مَن أَدْبَر عن الحق . بمعنى أنها تخوِّفه بفظاعة الخبرَ عنها ، وتغليظِ الوعيد بها ، فكأنها تستعطفه إلى الرشد(٢) ، وتستصرفه عن الغى .

وحُكى عن المبرِّد أنه قال : تدعُو مَن أَدْبَر وتولَّى . أى تعذِّبه . وحُكى عن الخليل أن أعرابيا قال لآخر : دعاكَ الله . أى عذبك الله . وقال ثعلب : معنى دَعاكَ الله . أى أماتكَ اللهُ . فعلى هذا القول يدخل الكلام فى باب الحقيقة ، ويخرج عن حيز الاستعارة .

---

(١) هو أبو الحارث غيلان بن عقبة . شاعر فحل اشتهر بالتشبيب وبكاء الأطلال ذاهبا مذهب الجاهليين . توفى بأصبهان سنة ١١٧ هـ .

(٢) كانت بالأصل : (الرتبة) وهي تحريف . فصوبناها علي طريق المقابلة مع الغي .

ومن السورة التي يذكر فيها « نوح » عليه السلام

قوله سبحانه : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً ﴾ [١٣] وهذه استعارة . لأن الوقار ههنا وُضع وَضْع الحلم مجازا . يقال : رجل وقور . بمعنى حليم .

فأما حقيقة الوقار الذى هو الرزانة والثقل فلا يجوز أن يوصف بها القديم سبحانه ، لأنها من صفات الأجسام ، وإنما يجوز وصفه تعالى بالوقار ، على معنى الحِلْم كما ذكرنا . والمعنى أنه يؤخر عقاب المذنبين مع الاستحقاق ، إمهالا للتوبة ، وإنظارا للفيئة والرجعة . لأن الحليم فى الشاهد اسم لمن يترك الانتقام عن قدرة . ولا يسمى غير القادر إذا ترك الانتقام حليما ، للعلّة التى ذكرناها . وقوله تعالى: ﴿لا ترجون﴾ ههنا أى لا تخافون . فكأنه سبحانه قال : مالكم لا تخافون لله حِلْما ؟ وإنما أَخَّر عقوبتكم ، إمهالا لكم ، وإيجابا للحجة عليكم . وإلاَّ فعقابه من ورائكم ، وانتقامه قريبٌ منكم .

وقد جاء فى شعر العرب لفظ الرجاء ، والمرادُ به الخوف . ولا يَرِدُ ذلك إلا وفى الكلام حرف نفى . لا يقال : فلان لا يرجو فلانا بمعنى يخافه ، بل يقال : فلان لا يرجو فلانا . أى لا يخافه . وقال الهذلى أبو ذؤيب[١] :

إذا لسعتْه الدَّبر[٢] لم يرج لَسْعَها وحالفها فى بيت نُوب عواسل[٣]

أراد : لم يَخَفْ لسعْها .

---

(١) أبو ذؤيب الهذلى : تقدمت الإشارة إليه والترجمة له فى الحديث عن مجازات سورة الزمر .

(٢) الدبر : جماعة النحل والواحدة دبرة .

(٣) فى الأصل « عوامل » والتصويب عن « ديوان الهذليين » ورواية ابن قتيبة فى « تأويل مشكل القرآن » عوامل بالميم كما فى الأصل . ص ١٤٧ .

وقال الآخر(١) :

لاترتجى حين تلاقى الذائدا أخمسةً لاقَت معاً أو واحدا

أى لاتخاف . وقال بعض العلماء : إنما كَنَوا عن الخوف بالرجاء فى هذه المواضع ، لأن الراجى ليس يستيقن ، فمعه طرف من المخافة . وقال بعضهم : الوقار ههنا بمعنى العظمة وسعة المقدرة . وأصل الوقار ثبوت مابه يكون الشىء عظيما من الحلم والعلم اللذين يؤمن معهما الخرق والجهل .

ومن ذلك قول القائل : قد وَقَر قولُ فلان فى قلبى . أى ثَبَت واستقرَّ ، أو خدش وأثر .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ [١٧] وهذه استعارة . لأن حقيقة الإنبات إنما تجرى على ماتُطلعهُ الأرض من نباتها ، وتُخرجه عند ازدراعها . ولما كان سبحانه يخرج البريَّة من مَضايق الأحشاء ، إلى مَفَاسح الهواء ، ويُدرجهم من الصغر إلى الكِبَر ، وينقلهم من الهيئات والصور ، كل ذلك على وجه الأرض ، جاز أن يقول سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ .

وقال بعضهم قد يجوز أن يكون المراد بذلك خَلْق آدم عليه السلام من الطين ، وهو أصل الخليقة . فإذا خلقه سبحانه من طين الأرض كانَ نسله مخلوقين منها ، لرجوعهم إلى الأصل المخلوق من طينها . فحسُنَ أن يقول سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ﴾ أى استخرجكم من طين الأرض . ونباتا ههنا مصدرٌ وَقَع مخالفا لما يُوجبه بناء فِعْلِه . وكان الوجه أن يكون : إنباتا . لأنه فى الظاهر مصدر أَنْبتكم . وقد قيل إن هناك فعلا محذوفا

---

(١) لم ينسب فى « أساس البلاغة » لقائله . وروى فى الأساس هكذا :

لاترتجى حين تلاقى الذائدا أسبعة لاقت معا أم واحدا

جُرى المصدر عليه ، فكأنه تعالى قال : واللهُ أنبتكم من الأرض فنبتُّم نباتا . لأن أنبت يدل على نَبَتَ من جهة أنه مضمن به .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ، لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾ [١٩ ، ٢٠] وهذه استعارة . والمراد بالبساط ههنا : المكان الواسع المستوى . مشبَّه بالبساط ، وهو النمط الذى يمد على الاستواء فيُجْلَسُ عليه .

وقال الأصمعى (١) : و بنو تميم خاصة يقولون بَسَاط ، بفتح الباء . وقال الشاعر: (٢)

وَدُونَ يَد الحَجَّاج مِنْ أَنْ يَنَالَنى   بساط لأيدى الناعجات (٣) عريض

وتَصْيير الأرض بساطاً ، كتصييرها فِراشا ومهادا .

وهذه الألفاظ الثلاثة ترجع إلى معنى واحد :

ومن السورة التى يذكر فيها « الجن »

قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾ [١١] وهذه استعارة . والمراد بذلك ــ والله أعلم ــ كنا ضروبا مختلفة ، وأجناسا مفترقة .

---

(١) هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب الراوية المشهور وأحد علماء اللغة الأثبات . ونسب إلى جده « أصمع » وكان يتلقى الأخبار مشافهة من البوادى ويتحف بها الخلفاء فيكافأ عليها بأجزل الهبات . قال فيه الأخفش : مارأينا أحدا أعلم بالشعر من الأصمعى . وقد انفرد برواية قصائد جمعها المستشرق الألمانى وليم أهلورت . وتوفى بالبصرة سنة ٢١٦ .

(٢) هو العديل بن الفرخ ، ولقبه العباب : والعباب اسم كلب له فلقب باسم كلبه . وكان هجاالحجاج ابن يوسف فطلبه فهرب منه إلى قيصر ملك الروم ، فقال أبياتا منها هذا البيت . وأخباره فى « الشعر والشعراء » ص٣٧٥ ، و«الأغانى» جـ٢٠ و«الخزانة» جـ٢.

(٣) فى « الشعر والشعراء » « اليعملات » والناعجات هى النياق البيض . واليعملات : جمع يعملة وهى الناقة المطبوعة على العمل .

والطرائق : جمع طريقة . وهى ـ فى هذا الموضع ـ المذهب والنحلة . والقِدَدُ : جمع قِدَّة ، وهى القطعة من الشىء المقدود طولا ، مثل فِلْذة وفِلَذ ، وقِرْبة وقِرَب . وقد غَلبَ على ما كان من القِطَع طولا لفظُ القَدّ ، وعلى ما كان من القِطع عَرضا لفظ القَطّ . فكأنه سبحانه شبه اختلافهم فى الأحوال ، وافتراقهم فى الآراء بالسُّيور المقدودة ، التى تتفرق عن أصلها ، وتتشعب بعد ائتلافها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [١٥] وهذه استعارة . والمراد أن نار جهنم ـ ونعوذ بالله منها ـ يُسْتدام وقودُها بهم ، كما يستدام وَقُودُ النار بالحَطب ، لأن كل نار لا بدَّ لها من حشاش يحشها ، ووقود يمدها .

وقوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴾ [١٩] وهذه استعارة . واللِّبد ههنا كناية عن الجماعات المتكاثرة التى تظاهرت من الكفار على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، أى اجتمعوا عليه متألبين ، وركبوه مترادفين . فكانوا كلِبَد الشَّعْر ، وهى طرائقه وقطعُه التى يَرْكب بعضُها بعضا . وواحدتها لِبْدة . ومنه قيل : لِبْدة الأسد . وهى الشعر المتراكب على مناكبه . وذلك أبلغُ ماشبِّهت به الجموع المتعاظلة ، والأحزاب المتألفة .

وقال بعض أهل التأويل : المراد بذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما صلَّى الصبح ببطن نخلة [(١)] منصرفا من حُنين ، وقد حضره الوفد من الجن ـ وخبرُهم مشهور ـ كادوا يركبون منكبه ، ويطأون أثوابه ، لما سمعوا قراءته ، استحسانا لها ، وارتياحا إليها ، وتعجبا منها

رُوى عن ابن عباس فى هذا المعنى ـ وهو أغرب الأقوال ـ أن هذا الكلام من صلة كلام الجن لقومهم لما رجعوا إليهم ، فقالوا إنَّا سمعنا قرآنا عجبا . وذلك أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لما قام ببطن [(١)] نخلة يصلى بأصحابه عَجِب الجن الحاضرون من طواعيتهم له فى

---

(١) فى الأصل « بطن نحلة » بالحاء المهملة . وهو تحريف والتصويب عن « معجم ما استعجم » للبكرى .

الركوع والسجود. والقيام والعقود ، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا فى جملة ماقصُّوه عليهم : وأَنَّه لما قام عبدُ الله يدعوه ـ أى يصلى له ـ كادوا يكونون عليه لبداً . أى كاد أصحابه يركبونه تزاحما عليه ،وتدانيا إليه ، واحتذاءً لمثاله ، واستماعا لمقاله .

ومن السورة التى يذكر فيها « المزمل »

عليه الصلاة والسلام

قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ [٥] وهذه استعارة . لأن القرآن كلام ، وهو عَرَض من الأعراض . والثقل والخفة من صفات الأجسام ، والمراد بها صفة القرآن بعظم القدر ، ورجاحة الفضل[1] ، كما يقول القائل : فلان رَصِينٌ رزينٌ . وفلان راجحٌ ركين . إذا أراد صفته بالفضل الراجح ، والقدْر الوازن .

وقوله سبحانه . ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱللَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وِطاءً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾[٦]وقرىء : وَطْأً[2] بالقصر . وهــذه استعارة .

والمراد بناشئة الليل ههنا ما يُنشأ فعله ، أى يُبتدَأ به من عمل الليل ، كالتهجد فى أثنائه ، والتلاوة فى آنائه . ومعنى ﴿ أشد وَطْأً ﴾ فى قول بعضهم ، أى أشد مواطاة ، وهو مصدر . يقال : واطاه ، مواطاة ، ووطاءً . أى يواطىء فيها السمع القلبَ ، واللسانُ

---

(١) فى الأصل « الفصل » بالصاد المهملة .

(٢) قرأ أبو العالية وأبو عمرو ومجــاهد وابن أبى إسحــاق وحميد وابن عامر والمغيرة وأبو حيوة « وطاء » بالمد . وقرأ الباقون « وطأ » بفتح الواو وسكون الطاء ، على وزن بحر . انظر « القرطبى » جـ ١٩ ص ٣٩ .

العملَ ، لقلة الشواغل العارضة ، واللوافت الصارفة ، ولأن البال فيها أجمع ، والقلب أفرغ ، فالقراءة فيها أقوم ، والصلاة أسلم .

ومَن جعَل وطاء ههنا اسما (١) لما يُستوطى و يفترش ، كالمهاد وما يجرى مجراه ، فأنه ذهب إلى أن عمل الليل أوعث مقاما ، وأصعبُ مراما . وعندهم أن كل ما يُنشأ بالليل من قراءة ، أو تهجد ، أو طروق ، أو ترحل أشقُّ على فاعِلِه ، وأصعَبُ على مستعمله ، لأن الليل موحش هائل ، ومخوف مُحاذَرٌ . [فكل (٢)] ماوقع فيه مما أومأنا إليه كان كالنسيب له ، والشبيه به .

ومن قرأ وَطْأً بالقصر فالمعنى فيه قريب من المعنى الأول . والمراد أن قيام الليل أشد وَطْأً عليك أى أصعب وأشق، كما يقول القائل : هذا الأمر شديد الوطأة علىَّ . إذا وصف بلوغه منه وصعوبته عليه ومع أن عمل الليل أشد كلفة ومشقة فهو أَقْوَمُ صلاة وقراءة، للمعنى الذى قدمنا ذكره .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾[٧] وهذه استعارة . والمراد بها المضطَرَبُ الواسع ، والمجالُ الفاسح . وذلك مأخوذ من السباحة فى الماء ، وهى الاضطراب فى غمراته ، والتقلب فى جهاته . فكأنه سبحانه قال : إن لك فى النهار متصرفا ومتسعا ، ومذهبا منفسحا ، تقضى فيه أوطارك ، وتبلغُ آرابَك .

وقوله سبحانه : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيباً ﴾[١٧] وهذه استعارة . والمراد بها : أن الولدان الذين هم الأطفال لو جاز أن يَشِيبُوا لرائع خَطْب ،

---

(١) فى الأصل « السماء » وهو تحريف من الناسخ .
(٢) ليست بالأصل، ويبدو أنها مطموسة، وقد زدناها لأن النص يتطلبها .

أو طارقِ كرْب ، لشابُوا فى ذلك اليوم لعظيم أهواله ، وفظاعة أحواله . وذلك كقول القائل : قد لقيتُ من هذا الأمر ماتشيب منه النواصى ـ كنايةً عن فظيع مالاقى ، وعظيم ماقاسى .

ومن السورة التى يذكر فيها « المدثر »

عليه السلام

قوله سبحانه : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ [٤] وهـذه استعارة على بعض التأويلات ، وهو أن تكون الثياب ههنا كناية عن النفس أو عن الأفعال والأعمال الراجعة إلى النفس . قال الشاعر(١) :

أَلَا أَبْلغْ أَبَا حَفْصٍ رسولا ... فِدًى لَكَ مِنْ أخى ثقة إزارى

قيل : أراد فِدًى لك نفسى . وكذلك قول الفرزدق :

سكَّنتُ جروتها(٢) وقلت لها اصبرى ... وشددتُ فى ضيق المَقام إزارى

---

(١) هو بقيلة الأكبر الأشجعى ، وكنيته أبو المنهال . شاعر إسلامى . وله خبر مع عمر بن الخطاب بشأن رجل كان واليا على مدينتهم اسمه جعدة بن عبد الله ، وكان له شأن غير مرضى مع النساء . فأرسل الشاعر بقيلة أبياتا إلى عمر يستعديه على هـذا الوالى . والقصة كاملة فى « لسان العرب » . وذكر ابن مطرف الكنانى فى « القرطين » الأبيات فى ص ٨٠ جـ ٢ ولم ينسبها لقائلها واكتفى بقوله: روى فى بعض الحديث أن رجلا كتب إلى عمر بن الخطاب .وفى مادة أزد فى « لسان العرب » أن اسمه نفيلة ، والتصويب عن « المؤتلف والمختلف » ص ٦٢ حيث ورد فى باب الباء لا النون .

(٢) فى ديوان الفرزدق ص ٣٢٢ .

فضربت جروتها وقلت لها اصبرى ... وشددت فى ضيق المقام إزارى

وضرب الجروة: كناية عن العزم والتصميم على الأمر .

أى شددت نفسى ، وذمرت قلبى. والإزار والثياب يتقارب معناهما . وعلى هذا فسَّروا قول امرىء القيس :

* فسُلِّى ثيابى من ثيابك تنسلِ (١) *

أى نفسى من نفسك ، أو قلبى من قلبك .

ويقولون : فلان طاهر الثياب ، أى طاهر النفس ، أو طاهر الأفعال . فكأنه سبحانه قال : ونفسَك فطهِّر ، أو أفعالك فطهِّر .

وقد يجوز أن يكون للثياب ههنا معنى آخر ، وهو أن الله سبحانه سمَّى الأزواج لباسا فقال تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ ، وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ (٢) واللباس والثياب بمعنى واحد . فكأنه سبحانه أمره أن يستطهر النساء . أى يختارهن طاهرات من دنس الكفر ، ودَرَن العيب ، لأنهن مظانُّ الاستيلاد ، ومضامُّ الأولاد .

وقوله سبحانه : ﴿ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ [٣٤] وهذه استعارة ، والمراد بها انكشاف الصبح بعد استتاره ، ووضوحه بعد التباسه ، تشبيها بالرجل المُسْفِر الذى قد حطَّ لثامه ، فظهرت مجالى وجهه ، ومعالم صورته .

---

(١) البيت بكماله هو :

وإن تك قد ساءتك منى خليقة   فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ١٨٧ .

ومن السورة التى يذكر فيها « القيامة »

قوله تعالى : ﴿ بَلِ ٱلْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ [١٤،١٥] وهذه استعارة . والمراد ـ والله أعلم ـ أن الإنسان حجة على نفسه فى يوم القيامة ، وشاهدٌ عليها بما اقترفتْ من ذنْب ، واحتملت مِنْ وزر . وإن أَلْقى معاذيره . أى هو وإنْ تعلَّق بالمعاذير ولفَّق الأقاويل شاهدٌ على نفسه بما يوجب العقاب ، ويجر النكال .

وقال الكسائى : المعنى : بل عَلَى نفْس الإنسان بصيرة . فجاء على التقديم والتأخير . أى عليه من الملائكة رقيب يرقبه ، وحافظ يحفظ عمله . وقال أبو عبيدة : جاءت هذه الهاء فى بصيرة ، والموصوفُ بها مذكَّر ، كما جاءت فى علَّامة ، ونسَّابة ، وراوية ، وطاغية . والمراد بها المبالغة فى المعنى الذى وَقَع الوصْف به .

ووجْه المبالغة فى صفة المَلَكِ المُحْصِى لأعمال المكلَّف بأنه بصيرة أنَّ ذلك المَلَكَ يتجاوز علم الظواهر إلى عِلْم السرائر ، بما جعل الله تعالى له على ذلك من الأدلة ، وأعطاه من أسباب المعرفة . فهو للعلة التى ذكرناها يُوفى على كل رقيب حافظ ، ومُراعٍ مُلاحظ .

والتأويل الآخر يخرُج به الكلام عن حيِّز الاستعارة . وهو أن تكون المعاذير هنا من أسماء السُّتورِ . لأن أهل اليَمَن يسمُّون السِّتر بالمعذار . فكأن المراد أن الإنسان رقيب على نفسه ، وعالم بمستسر غيبه ، فيما يقارفه من معصية ، أو يقارب به من ريبة ، وإن ألقى ستوره مستخفيا ، وأَغْلق أبوابه متواريا .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِالسَّاقِ ، إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴾ [٢٩،٣٠]

وهـذه استعارة على أكثر الأقوال. والمرادُ بها ـ والله أعلم ـ صفةُ الشِّدَّتين المجتمعتين على المرء من فراق الدنيا، ولقاء أسباب الآخرة. وقد ذكرنا فيما تقدم مذهبَ العرب فى العبارة عن الأمر الشديد، والخطب الفظيع، بذِكْر الكشف عن الساق، والقيامِ عَنْ ساق. فلا فائدة فى تكرير ذلك وإعادته.

وقد يجوز أن يكون السَّاق ههنا جَمْعَ ساقة كما قالوا: حاجةٌ وَحَاجٌ. وغاية وغايٌ. والساقةُ: هم الذين يكونون فى أَعقاب الناس يحفِّزونهم على السَّير، وهذا فى صفة أحوال الآخرة وَسوْق الملائكة السابقين بالكثرة، حتى يلتفَّ بعضهم ببعض من شديد الحفز، وعنيف السير والسَّوق. ومما يقوِّى ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾.

والوجه الأول أقرب، وهذا الوجه أغرب.

ومن السورة التى يذكر فيها

«هل أتى على الإنسان»

قوله سبحانه: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾[٧] وهـذه استعارة. وحقيقة الاستطارة من صفات ذوات الأجنحة. يقال: طار الطَّائر، واستطرتُه أنا إذا بعثتهُ على الطيران. ويقولون أيضا من ذلك على طريق المجاز: استطار لهيبُ النار. إذا انتشر وعَلا، وظهر وفشا. فكأنه سبحانه قال: يخافون يوما كان شرُّه فاشيا ظاهرا، وعاليا منتشرا.

وقوله سبحانه: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [١٠] وهذه استعارة. لأن العبوس من صفة الإنسان القاطب المعبِّس. فشبَّهَ سبحانه ذلك اليوم ـ لقوَّة دلائله

على عظيم عقابه ، وأليم عذابه ـ بالرجل العَبوس الذى يستدلُّ بعبوسه وقُطو به على إرصاده بالمكروه ، وعزمه على إيقاع الأمر المخوف . وأصْلُ العُبوس تقبيض الوجه ، وهو دليل السخط ، وضده الاستبشار والتطلّق وهما دليلا الرضا والخير .

وكما سمَّت العربُ اليوم المحمود طَلْقا ، فكذلك سمَّت اليوم المذموم عَبُوسا . ويقال : يوم قَمْطَرِيرٌ وقماطر (١) إذا كان شديدا ضرُّه ، طويلا شرُّه .

وقوله سبحانه : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا ، وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴾ [١٤] وهذه استعارة . والمراد بتذليل القطوف ـ وهى عناقيد الأعناب وواحدها قطف (٢) ـ أنها جُعلت قريبة من أيديهم ، غير ممتنعة على مجانيهم ، لايحتاجون إلى معاناة فى اجتنائها ، ولا مشقة فى اهتصار أفنانها ، فهى كالظَّهر الذلول الذى يوافق صاحبه ، ويواتى راكبه .

والتذليل ههنا مأخوذ من الذِّل بكسر الذال ، وهو ضد الصعوبة . والذُّل ـ بضم الذال ـ ضدُّ العز والحميَّة .

وقوله سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴾ [٢٧] وهذه استعارة . وقد مضى الكلام على نظيرها فيما تقدم . والمراد باليوم الثقيل ههنا : استثقاله من طريق الشدة والمشقة ، لامن طريق الاعتماد بالأجزاء الثقيلة . وقد يوصف الكلام بالثقيل على هذا الوجه ، وهو عرض من الأعراض ، فيقول القائل : قدْ ثقُل علىَّ خِطَابُ فلان . وما أثقلَ كلام فلان .

---

(١) قماطر : بضم القاف .

(٢) القطف بكسر القاف : العنقود ساعة يقطف ،أو اسم للثمار المقطوفة . والجمع قطوف ، وقطاف .

ومن السورة التى يذكر فيها « المرسلات »

قوله سبحانه : ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [٨] وهذه استعارة . والمراد بطمس النجوم ـ والله أعلم ـ محْو آثارها ، و إذهاب أنوارها ، و إزالتها عن الجهات التى كان يُستدلُّ بها ، ويُهتدَى بسمْتها . فصارت كالكتاب المطموس الذى أشْكَلَت(١) سطورهُ، واستَعْجَمتْ حُروفه .

والطمس فى المكتوبات حقيقة . وفى غيرها استعارة .

ومن السورة التى يذكر فيها « عمَّ يتساءلون »

قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَادًا ، وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [٦ ، ٧] وهاتان استعارتان، وقد مضى الكلام على الأولى منهما . أما معنى كونِ الجبالِ أوتادا فلأَنَّ بها مِسَاكَ الأرض وقوامَها، واعتدالها وثباتها، كما يثبت البيت بأوتاده ، والخباء على أعماده .

ومن السورة التى يذكر فيها « النازعات »

قوله سبحانه : ﴿ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، فَإِذَاهُمْ بِالسَّاهِرَةِ ﴾ [١٣ ، ١٤] وهذه استعارة . لأن المراد بالساهرة ههنا ـ على ماقال المفسرون والله أعلم ـ الأرض .

قالوا إنما سُمِّيت ساهرةً على مثال : عيشة راضية . كأنه جاء على النسب : ذاتُ السَّهر وهى الأرض المَخُوفَة . أى يُسهر فى ليلها ، خوفا من طوارق شرِّها .

---

(١) أشكل الأمر ، على وزن أكرم : التبس .

وقيل أيضا : إنما سمِّيت الأرض ساهرة لأنها لاتنام عن إنماء نباتها وزُروعها ، فعملُها فى ذلك ليلاً كعملها فيه نهارا .

سورة « عبس »

ولم نجد فى السورة التى يذكر فيها : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ (١) شيئا من المعنى الذى قصدنا له .

ومن السورة التى يذكر فيها « إذا الشمس كوِّرت »

قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءودَةُ سُئِلَتْ ، بِأَىِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [٨ ، ٩] وهذه استعارة . والمراد ـ والله أعلم ـ أنها سئلت لالاستخراج الجواب منها ، ولكن لاستخراج الجواب من قاتلها . ويكون ذلك على جهة التوبيخ للقاتل إذ قتل مَن لايُعربُ عن نفسه ، ولم يُذْنب ذَنبا يؤخَذ بجريرته . وقيل معنى سُئِلت أى طُلب بدمها ، كما يقول القائل : سألتُ فلانا حقى عليه . أى طالبته به .

وإنما سميت موءودةً للثقِّل الذى يُلقَى عليها من التراب . وتقول : آدَنى هذا الأمر . أى أثقلنى . ومنه قوله تعالى ﴿ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٢) أى لايثقله ذلك ، كما يُثقِل أحدَنا فى الشاهد حفظُ المتشعبات ، وضبطُ المنتشرات .

وقوله سبحانه : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ، ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ [١٥ ، ١٦] وهاتان استعارتان . فهما جميعا فى صفة النجوم . فأما الخُنَّس فالمراد بها التى تخنِسُ نهارا ، وتطلُع ليلا . والخنَّس جمع خانس وهو الذى يقبَع ويستسرُّ ، ويَخفى ويستتر . وأما الكنَّسُ

(١) ليس فى سورة عبس شىء من المجازات والاستعارات التى تتبعها المؤلف رحمه الله فى القرآن الكريم .

(٢) سورة البقرة . الآية رقم ٢٥٥ .

فجمْعُ كانس ، وهو أيضا المتوارى المستخفى ، مشبَّها بانضمام الوحشية إلى كناسها ، وهو الموضع الذى تأوى إليه من ظلال شجر . وألفاف خمر [1] . وجمعه كُنَّس .

فشبه سبحانه انقباع النجوم فى بروجها ، بتوارى الوحوش فى كُنُسها .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [١٨] وهذه من الاستعارات العجيبة . والتنفس ههنا عبارة عن خروج ضوء الصبح من عموم غسَق الليل . فكأنه متنفِّس من كَرْب ، أو متروِّح من همٍّ ، ومن ذلك قولهم : قد نُفِّس عن فلان الخناق . أى انجلى كربه ، وانفسح قلبه . وقد يجوز أن يكون معنى ﴿ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ أى إذا انشق وانصدع . من قولهم : تنفَّس الإناء إذا انشق ، وتنفست القوس إذا انصدعت . وهذا التأويل يُخرج اللفظ من باب الاستعارة . وقد استقصينا الكلام على هذا المعنى ، فى كتابنا الكبير ، عند موضع اقتضى ذكره .

سورة « الانفطار »

وليس فى السورة التى يذكر فيها ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾ شىء من غرض كتابنا [2] هذا .

---

(١) هكذا بالأصل، ولعلها ثمر .

(٢) ليس فى سورة الانفطار شىء من المجاز .

ومن السورة التى يذكر فيها «المطففون» وبقية المفصل إلى آخر القرآن العظيم

قوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾[١٥] وهذه استعارة مجاز، لأن الحجاب لا يطلق إلا على من يصح عليه الظهور والبطون، والاستتار والبروز. وذلك من صفة الأجسام المحدثة، والأشخاص المؤلفة. والمراد بذكر الحجاب ههنا أنهم ممنوعون من ثواب الله سبحانه، مذودون عن دخول جنته، ودار مقامته. وأصل الحجب المنع. ومنه قولنا فى الفرائض: الإخوة يحجبون الأم عن الثلث إلى السدس. أى يمنعونها من الثلث، ويردُّونها إلى السدس. ومن ذلك أيضا قولهم: حُجِبَ فلان عن باب الأمير. أى رُدَّ عنه، ودُفع دونه. ويجوز أن يكون كذلك معنى آخر، وهو أن يكون المراد أنهم غير مقربين عند الله سبحانه بصالح الأعمال واستحقاق الثواب. فعبَّر سبحانه عن هذا المعنى بالحجاب. لأن المُبْعَد المُقْصَى يُحجب عن الأبواب، ويُبْعَد من الجناب.

سورة «الانشقاق»

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ، وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [٣،٤] وهذه استعارة. والمراد بها بعثُ الأموات، وإعادة الرفات. فكأن الأرض كانت حاملا بهم فوضعتهم، أو حاملة لهم فألقتهم، فكانوا كالجنين المولود، والثقل المنبوذ.

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [١٧] وهذه استعارة. ومعنى «وَسَقَ» ههنا أى ضم وجمع. فكأنه يضم الحيوانات الإنسية إلى مساكنها، والحيوانات الوحشية إلى

مواجها ، والطيورَ إلى أوكارها ومواكنها(١) . فكأنه ضم ما كان بالنهار منتشرا ، وجَمع ما كان متبددا متفرقا . والأوساق مأخوذة من ذلك ، لأنها الأحمال التى يجمع فيها الطعام وما يجرى مجراه . ويقال : طعام موسوق . أى مجموع فى أوعيته .

وقد قيل : إن معنى « وَسَقَ » أى طرَد . والوسيقة : الطريدة . فكأن الليل يطرد الحيوانات كلها إلى مثاويها ، ويسوقها إلى مخافيها .

وقوله سبحانه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ ﴾ [١٩] وهذه استعارة على بعض التأويلات . والمراد بها لَتَنْقَلِبُنَّ من حال شديدة إلى حال مثلها ، من حال الموت وشدته ، إلى حال الحشر وروعته .

وقيل : لتركبن سُنَّةَ من كان قبلكم من الأمم .

وقيل : المراد بذلك تنقُّل الناس فى أحوال الأعمار ، وأطوار الخلق والأخلاق . والعرب تسمى الدواهى « بنات طبَق » . وربما سمَّوا الداهية : أم طبَق . قال الشاعر(٢) .

قد طرَّقت ببكرها أمُّ طبقْ   فنَتَجوها خبَراً ضَخْمَ العُنُقْ

* موت الإمام فِلْقَةٌ من الفلق *

---

(١) الموكن والموكنة بكسر الكاف فيهما : عش الطائر .

(٢) هو خلف الأحمر . وأصله مولى لأبى بردة من فرغانة ، ولكنه حفظ كلام العرب وشعرهم وأخبارهم ، حتى صار يقول الشعر فيجيده وينحله الشعراء المتقدمين . وكان الأصمعى من رواته ، كما سمع هو من حماد الراوية . وأخباره فى « طبقات الأدباء » و « الشعر والشعراء » و « العقد الفريد » و « الفهرست » . وتوفى سنة ١٨٠ هـ .

وأم طبق : هى الداهية . والخبر : الناقة الغزيرة اللبن ، والفلقة : الداهية . وفى « ثمار القلوب » للثعالبى : قال الأصمعى : أول من نعى المنصور بالبصرة خلف الأحمر ، وكنا فى حلقة يونس ، فجاء خلف الأحمر فسلم ، ولم يكن الخبر فشا ، ثم قال : « قد طرقت ببكرها أم طبق » . فقال يونس : وماذاك ياأبامحرز ؟ فقال : « فنتجوها خبرا ضخم العنق » . فقال : لم أدر بعد ! فقال : « موت الإمام فلقة من الفلق » . فارتفعت الضجة بالبكاء والاسترجاع ـ ص ٢٠٧ من « الثمار » .

وانظر الخبر فى « لسان العرب » مادة طبق . وفى الورقة ٦٠ من كتاب « المعول عليه ، فى المضاف والمضاف إليه » للمحبى ، وهو مخطوط مصور بمجمع اللغة العربية

والفلق أيضا من أسماء الدواهى . واحـدها فِلْقَة وفليقة .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾[٢٣] وهـذه استعارة . والمراد بهـا مايُسرُّون فى قلوبهم ، ويكنُّون فى صدورهم .

يقول : القائل أوعَيْتُ هـذا الأمر فى قلبى . أى جعلتهُ فيه كما يجعل الزاد فى وعائه ، ويُضمُّ المتاع فى عيابه ، فالقلوب أوعِيةٌ لما يجعل فيها من خير أو شر ، وعلم أو جهل ، أو باطل أو حق .

سورة « الطارق »

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴾ [٢،١] وهـذه استعارة . لأن الطارق ههنـا كناية عن النجم . فحقيقة الطارق هو الإنسان الذى يطرق ليلا . فلما كان النجم لا يظهر إلا فى حال الليل حَسُن أن يسمَّى طـارقا . وأصل الطَّرق : الدقُّ . ومنه المطرقة . قالوا : وإنما سُمِّى الآتى بالليل طارقا ، لأنه يأتى فى وقت يحتاج فيه إلى الدق أو ما يقوم مقامه للتنبيه على طروقه ، والإيذان بوروده .

وقولـه سبحـانه : ﴿ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ، يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَائِبِ ﴾ [٦ ، ٧] وهذه استعارة . وحقيقة هذا الماء أنه مدفوق لادافق . ولـكنه خرج على مثل قولهم : سرٌّ كاتم ، وليل نائم . وقد مضت لهذه الآية نظائر كثيرة .

وعندى فى ذلك وجه آخر ، وهو أن هذا الماء لما كان فى العاقبة يؤُول إلى أن يَخرج منه الإنسان المتصرف ، والقادر المميز ، جاز أن يَقْوى أمره فيوصَف بصفة الفاعل لاصفة

المفعول ، تمييزا له عن غيره من المياه المهراقة ، والمائعات المدفوقة . وهذا واضح لمن تأمّله .

وقوله سبحانه : ﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ، وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴾ [١١ ، ١٢] وهذه استعارة . والمراد بها صفة السماء بأنها ترجع بدرور[1] الأمطار ، وتعاقُب الأنواء، مرة بعد مرة ، وتُعطى الخيرَ حالةً بعد حالة .

وقد قيل : إن الرَّجع الماء نفسُه . وأنشدوا للمتنخل[2] الهُذَلى يصف السيف :

أبيضُ كالرَّجْع رسوبٌ إذا ماثاخَ فى مُحتفَل يَختَلى

والمراد بالأرض ذاتِ الصَّدْع : انصداعُها عن النبات ، وتشققها عن الأعشاب .وأنشد صاحب « العين [3] » لبعض العرب :

وجاءتْ سِلْتِمٌ لارَجْعَ فيها ولا صَدعٌ فتحتلبُ الرِّعاء

فالرجع : المطر ، والصَّدع : العشب ، والسِّلْتِمُ : السنة المجدبة .

سورة « الغاشية »

وقوله سبحانه : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ﴾ [٢ ، ٣] وهذه استعارة . والمراد بالوجوه ههنا أرباب الوجوه . ومثل ذلك قوله تعالى : فى السورة التى يذكر فيها

---

(١) درت الأمطار درورا: هطلت.

(٢) هو مالك بن عويمر الهذلى ، من أشهر شعراء بنى هذيل . والبيت فى « ديوان الهذليين » ج ٢ ص ١٢ . والرجع : الغدير فيه ماء المطر . وثاخ مثل ساخ : أى غاب . والمحتفل : معظم الشىء . ويختلى : يقطع . والرسوب : الذى إذا وقع غمض مكانه لسرعة قطعه .

(٣) هو الخليل بن أحمد الفراهيدى إمام اللغة والأدب وواضع علم العروض ، وكان أستاذا لسيبويه النحوى المشهور ، ولد فى البصرة ومات بها سنة ١٧٠ هـ وعاش حياته فقيرا صابرا. قال فيه النضربن شميل: مارأى الراءون مثل الخليل ، ولا رأى الخليل مثل نفسه . واشتهر بكتاب «العين» فى اللغة ، وهو لايزال مخطوطا . [illegible]

القيامة: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١) والدليل على ماقلنا إضافته سبحانه النظر إليها ، والنَّظَر إنما يصح من أرِبابها لامنها . لأنه تعالى قال عقب ذلك : ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ، تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (٢) وكذلك قوله تعالى ههنا : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ [٨ ، ٩] والرِّضا والسخط إنما يوصف به أصحاب الوجوه .

فانكشف الكلام على الغَرَضِ المقصود .

وقوله تعالى : ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ [١٠ ، ١١] وهذه استعارة . وقد مضت لها نظائر كثيرة جدا فيما تقدم من كلامنا . أى لاتسمع فيها كلمة ذات لغو . فلما كان صاحب تلك الكلمة يسمَّى لاغيا بقولها ، سمِّيتْ هى لاغية ، على المبالغة فى وصف اللغو الذى فيها .

وقال بعضهم : معنى ذلك: لايسمع فيها نفْس حالفة على كَذِب ،ولا ناطقة برفَثٍ . لأن الجنة لالَغْو فيها ولا رَفَث ، ولا فُحشَ ولا كذب .

سورة « الفجر »

وقوله سبحانه : ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ [٤] وهذه استعارة . والمراد بسُرَى الليل دورانُ فَلَكه ، وسيران نجومه حتى يبلغ غايته ، و يسبق فى قاصيته، و يستخلف النهار موضعه .

وقوله سبحانه : ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ [١٠] وهذه استعارة.والمراد وفرعون ذى المُلك المتقرم (٣) والأمر المتوطد ، والأسباب المتمهدة التى استقر بها بنيانه ، وتمكن سلطانه، كما تثبُت البيوتُ بالأوتاد المضروبة ، والدعائم المنصوبة . وقد مضى نظير ذلك .

---

(١) سورة القيامة . الآيتان رقم ٢٢ ، ٢٣ .

(٢) سورة القيامة . الآيتان ٢٤ ، ٢٥ .

(٣) المتقرم : المتأصل فى السيادة والمجد .

وقوله سبحانه : ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [١٣] وهذه من مكشوفات الاستعارة . والمراد بها العذابُ المؤلم ، والنكال المُمرِض . لأن السَّوط فى عرف عادة العرب يكون على الأغلب سببا للعقوبات الواقعة ، والآلام الموجعة .

وقال بعضهم : يجوز أن يكون معنى ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾ أى أَوْقَع عذاب يخالط اللحوم والدماء ، فيسُوطها سَوْطا ، إذا حرّك مافيها وخلَطَهُ . فالسَّوط على هذا القول ههنا مصدرٌ وليس باسم .

سورة « البلد »

وقوله سبحانه ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا﴾ [٦] وهذه استعارة . وقد مضى نظير لها . والمراد باللُّبَد ههنا المال الكثير الذى قد تراكب بعضه على بعض ، كما تلبَّدت طرائق الشَّعر ، وسبائخ (١) القطن .

وقد يجوز أن يكون ذلك مأخوذا من قولهم : رَجُلٌ لُبَدٌ . إذا كان لازما لبيته لايبرحهُ . وبه سُمِّى نَسْر لقمانَ لُبَدًا ، لمماطلته للعمر ، وطول بقائه على الدهر . فكأنه قال : أهلكتُ مالاً كان باقيا لى ، وثابتا عندى .

وقوله سبحانه : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ، فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [١٠ ، ١١] وهذه استعارة . والمراد بالنَّجْدَيْن ههنا الطريقان المُفضيان إلى الخير والشر . والنَّجد : المكان العالى ، وإنما سَمَّى تعالى هذين الطريقين بالنجدين ، لأنه بيَّنهما للمكلَّفين بيَانا واضحا ليتَّبعوا سبيل الخير ، ويجتنبوا سبيل الشر . فكأنه تعالى بفَرْط البيان لهما قد رفعهما للعيون ، ونَصَبَهُما للناظرين .

---

(١) سبائخ القطن : ماتناثر أو انتفش منه . يقال : طارت سبائخ القطن . انظر « المحيط » .

وقوله سبحانه : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ [١١] استعارة أخرى . وفسَّر تعالى المراد بالعقبة فقال : ﴿ فَكُّ رَقَبَةً أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [١٣، ١٤] الآية .

وقرىء ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾[1] فشبه سبحانه هذا الفعل ـ لو فعله الإنسان ـ باقتحام العقبة ، أى صعودها أو قطعها . لأن الإنسان ينجو بذلك كالناجي من الطريق الشاق ، إذا اقتحم عقبته ، وتجاوز مخافته . وحسُن تمثيل هـذا الفعل ههنا بالعقبة لمـا شبَّه سبحانه سبيلى الخير والشر بالنَّجدين اللذين هما الطريقان الواضحان والعقاب[2] إنما تكون فى طريق السالـكين ، وسبيل المسافرين . وعليها يكون بهر الأنفاس، وشدة الضغاط والمراس .

سورة « الضحى »

وقوله تعالى : ﴿ وَالضُّحَىٰ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴾ [١، ٢] وهذه استعارة . ومعنى سجى ، أى سَـكن . والليل لا يسكُنُ ، وإنما تسكُن حركات الناس فيه ، فأجرى سبحانه صفة السكون عليه لما كان السكون واقعا فيه . وقد مضى الكلام على نظائر ذلك .

سورة « الانشراح »

وقوله سبحانه : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ، وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ، الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴾ [١، ٢، ٣] وهـذا القول مجاز واستعارة ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز أن ينتهى عظم ذنبه إلى حال إنقاض الظَّهر ، وهو صوتُ تقعقُعِ العظام من ثقل

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والـكسائى « فك رقبة أو أطعم » على أنها أفعال ماضية وتكون « رقبة » منصوبة على أنها مفعول به للفعل « فك » ، وقرأ الباقون « فك رقبة أو إطعام » على أنهما مصـدران . وتكون كلمة « رقبة » مجرورة على أنها مضاف إليه .

(٢) العقاب أى العقبات .

الحمل . لأن هذا القول لايكون إلا كنايةً عن الذنوب العظيمة ، والأفعال القبيحة . وذلك غير جائز على الأنبياء عليهم السلام ، فى قول من لا يُجيز عليهم الصغائر ولا الكبائر ، وفى قول من يجيز عليهم الصغائر دون الكبائر . لأن الله سبحانه قد نزَّههم عن مُوبِقات الآثام، ومسحقات (١) الأفعال ، إذ كانوا أمناءَ وَحْيه ، وألسنة أمره ونهيه ، وسفراءه إلى خلقه .

وقد استقصينا الكلام على ذلك فى باب مفرد من كتابنا الكبير .

فنقول: إن المراد ههنا بوضْعِ الوِزر ليس على مايظنه المخالفون من كونه كناية عن الذنب ، وإنما المراد به ما كان يعانيه النبى صلى الله عليه وسلم من الأمور المستصعبة ، والمواقف المخطرة فى أداء الرسالة ، وتبليغ النذارة (٢) ، وما كان يلاقيه عليه السلام من مضار قومه، ويتلقَّاهُ من مَرَامى أيْدى معشره . وكلٌّ ذلك حرجٌ فى صدره ، وثقلٌ على ظهره . فقرَّره الله سبحانه بأنه أزال عنه تلك المخاوف كلها ، وحطَّ عن ظهره تلك الأعباء بأسرها ، وأذاله من أعدائه ، وفضَّله على أكفائه ، وقدَّم ذِكْره على كل ذكر ، ورَفع قدره على كل قدْر ، حتى أَمِنَ بَعْدَ الخيفة ، واطمأنَّ بَعْدَ القلقة .

---

(١) فى الأصل « ومستحقات » وهو تحريف من الناسخ . والأفعال المسحقة هى التى توجب السحق والهلاك

(٢) أى الإنذار ، كالبشارة ، وهى تقديم البشرى.

فهارس الكتاب

١ — فهرس مقدمة محقق النص

٢ — فهرس الأعلام الواردة فى مقدمة المحقق

٣ — فهرس تفصيلى لمسائل الكتاب

٤ — فهرس السور

٥ — فهرس الآيات

٦ — فهرس الأحاديث النبوية

٧ — فهرس الأشعار والأراجيز

٨ — فهرس الأعلام

٩ — فهرس الأعلام المترجمة بالهوامش

١٠ — فهرس اللغة

١١ — فهرس المراجع والمصادر للتحقيق والبحث

١ — فهرس مقدمة

محقق الكتاب

الموضوع	الصفحة
المجازات فى القرآن	٥
الجاحظ ومجازات القرآن	١٠
ابن قتيبة ومجازات القرآن	١٤
تلخيص البيان	١٩
هذه الطبعة من تلخيص البيان	٢٤
القيمة العلمية والأدبية لكتاب تلخيص البيان	٢٩
القراءات فى تلخيص البيان	٤٢
إفاضة الشريف الرضى فى البيان	٤٤
القرآن الكريم بين الحقيقة والمجاز	٥٥
مكان تلخيص البيان بين كتب التفسير	٥٨
أيهما أسبق مجازات القرآن أم المجازات النبوية ؟	٦٢
عصر الشريف الرضى	٦٥
الحياة الأدبية فى عصر الشريف الرضى	٧١
الشعر والشعراء فى عصر الشريف الرضى	٧٥
الشريف الرضى بين أهل السنة والشيعة	٨٠
أساتذة الشريف الرضى	٨٤
الشريف الرضى بين القرآن والحديث وكلام الإمام على	٩٤
تآليف الشريف الرضى	٩٧
استقلال شخصية الشريف فى النقد	١٠٢

٢ — فهرس الأعـــلام

الواردة بمقدمة المحقق

أ

الآمدى : ٧٤ ، ٩٧

آدم متز : ٧٨ ، ١٠٠

ابن أبى الحديد : ٢٧ ، ٩٦ ، ٩٨

ابن أبى الفوارس : ٩٠ ، ٩٢

ابن الأثير : ١٧ ، ٤٢

ابن الأعرابى : ٦٢

ابن الأكفانى : ٨١ ، ٨٣ ، ٩٣

ابن الأنبارى : ١٨ ، ٦٢

ابن بسام : ٧٥

ابن بقية : ٦٧

ابن جنى : ١٨ ، ٢١ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٧

ابن الجوزى : ٧٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢

ابن حجاج : ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠١

ابن حجر : ٩٢

ابن حزم : ٩٦

ابن حفص الكنانى : ٩٠

ابن حنبل : ٣٩ ، ٤٠

ابن خالويه : ١٨ : ٧٤

ابن خلكان : ٥٩ ، ٧٥ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠

ابن خويز منداد : ٥٥

ابن دريد : ٦٢

ابن درستويه : ٦٢

ابن رستم : ٦٢

ابن زولاق : ٩٧

ابن سعد : ٣٩

ابن سكرة : ٧٧

ابن سينا : ١٩

ابن شاكر : ٣١

ابن شهراشب : ١٠٠

ابن عباس : ٣٦

ابن عمر : ٣٦

ابن العميد : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٩٧

ابن عنبسة : ١٠١

ابن فارس : ٧٥ ، ٩٧

ابن الفرات : ٦٥

ابن القاص: ٥٥

ابن قتيبة : ٦ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٦٢

ابن القوطية : ٩٧

ابن كثير : ٣٧ ، ٤٣ ، ٤٤
ابن مسكويه : ٩٧
ابن المعتز : ١٧
ابن نباتة السعدى : ٧٦
ابن نباتة الفارقى: ٧٦ ، ٩٣
ابن نباتة المصرى : ٧٦
ابن النديم : ٩ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٧٣ ، ٩٧ ، ١٠١
ابن هانىء الأندلسى : ٧٥ ، ٧٦
ابن الهذيل : ١٥
أبو أحمد الحسين الموسوى : ٢٠ ، ٥١ ، ٧١ ، ٨٢
أبو الأسود : ٤٩
أبو إسحاق الصابى : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ١٠١
أبو بكر الزبيدى : ١٨
أبو بكر بن عياش : ٤٤
أبو بكر بن العلاف : ٧٥
أبو حكيم الخبرى : ٩٩
أبو بكر الخوارزمى : ٧٤ ، ٩٧ ، ١٠١
أبو بكر محمد الخوارزمى: ٢٠ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١
أبو تمام ٧٦
أبو جعفر الطحاوى : ٢٠
أبو حامد الأسفرائينى : ٨١
أبو الحسن عبد الجبار : ٢١ ، ٨٨
أبو الحسن الرمانى : ١٨ ، ٧٤ ، ٩١
ابن الحسن على بن عيسى الربعى : ٣٩ ، ٧٥ ، ٩١
أبو حنيفة : ٨٩
أبو حيان : ٥٩ ، ٦٠ ، ٩٧
أبو داود : ٤٠
أبو ذؤيب الهذلى : ٢٥ ، ٣٩
أبو الطفيل : ٣٥
أبو العباس النامى : ٧٦
أبو عبيدة : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٧ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٢
أبو عثمان المازنى : ١٨
أبو العلاء المعرى : ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٩٧
أبو على التنوخى : ٧٤
أبو على الجبائى : ١٥
أبو على الفارسى : ١٨ ، ٣٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١
أبو عمرو بن العلاء : ٥ ، ٤٣
أبو الفتح البستى : ٧٤
أبو الفتح كشاجم : ٧٥
أبو الفرج الببغاء : ٧٦
أبو فراس الحمدانى : ٧٥
أبو الفضل الشيرازى ٧٠
أبو القاسم عيسى بن داود : ٨٩ ، ٩٠
أبو كبير الهذلى : ٣٩
أبو هريرة : ٣٩ ، ٤٠
أبو الهندي : ٣٩

أحمد الأسكندرى : ٤٤ ، ٤٥
أحمد عارف الزين : ٧٣
أحمد عباس الأزهرى : ٩٩
أحمد فؤاد الأهوانى : ١٩
أحمد محمد شاكر : ٤٠ ، ٦٣
الأخطل : ٣٥
الأزهرى : ٧٥ ، ٩٧
أسامة بن منقذ : ٦٣
الأصمعى : ٦٢
الأعشى : ٧ ، ١٠٤
الأفوه الأودى : ٣٩
أم سلمة : ٤١
امرؤ القيس : ٣٩
الأنبارى الشاعر : ٦٧

ب

البحترى : ٧٦
البخارى : ٤٠
بديع الزمان الهمذانى : ٧٤ ، ٩٧
بقيلة الأكبر : ٣٩
بهاء الدولة بن بويه : ٢٠، ٦٧، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٢ ، ٨٢
البيضاوى : ٣٧
تاج الدولة البويهى : ٧٢
التلعكبرى : ٩٣
ثعلب : ١٨
الثعالبى : ٧٢ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١
الثعلبى : ٦٠ ، ٦١

ج - ح - خ

الجاحظ : ١٠، ١١ ، ١٢ ١٣ ،١٤، ٢٧ ، ٢٩
الجرجانى : ١٧
جرير الشاعر : ٣٥ ، ٣٩ ، ٥١
جلال الدين السيوطى : ٣٠ ، ٣١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٩١
جورجى زيدان : ٣٩ ، ٩٦ ، ١٠١
الجوهرى : ٧٥ ، ٩٧
حاجى خليفة : ٣١ ، ٣٢ ، ١٠٢
حسان بن ثابت ٨٣ ، ٨٤
حسين على محفوظ : ٢٤ ، ٩٩
الحصرى القيروانى : ٩٧
الحضرمى : ٦٢
حمزة بن حبيب : ٤٣
خالد الواسطى : ٤٠
الخبز أرزى : ٧٥
الخطام : ٣٩
الخطيب البغدادى : ٨٩ ، ٩٠

د ـ ذ

داود النبى عليه السلام : ١٥
داود الظاهرى : ٥٦
ذو الرمة : ٦ ، ٣٩
الراغب الأصبهانى : ٩٧
رضى الدين العزى : ٣١، ٣٣
ركن الدولة : ٧٢
رويس القارىء : ٤٣

رؤبة الراجز : ٦
ريتر المستشرق : ٥ ، ٤٤
الزبير بن العوام : ٤١
الزجاج : ١٨ ، ٥٩
الزرقانى : ٣٥
الزركلى – خير الدين : ٢١ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ١٠٠
زكى مبارك : ٨٢
الزمخشرى : ٤٢ ، ٥٧
الزهرى : ٣٩ ، ٤٠

س

سابور بن أردشير : ٧٢
سامى الخانجى : ٥ ، ٤٥
السجستانى : ١٧ ، ١٨
السرى الرفاء : ٧٥
سعيد المحدث : ٣٩ ، ٤٠
سفيان: ٣٩ ، ٤٠
السكاكى : ١٠ ، ١٧
السلامى : ٧٢ ، ٧٦
سلطان الدولة بن بويه : ٦٧
سلمة بن هشام : ٤٠
السلمى : ٦٢
سهل الديباجى : ٩١
السيرافى : ١٨ ، ٣٨ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ٩١
سيف الدولة : ٨٨ ، ٩٣

ش

شرف الدولة بن بويه : ٢٠ ، ٦٧
الشريف الرضى : ٥ ، ٧ ، ٨ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦
الشريف المرتضى : ٧٤ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧

ص

الصاحب بن عباد : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٩٧ ، ١٠١
صريع الدلاء : ٧٦
صمصام الدولة البويهى : ٦٧ ، ٨٢

ط

الطائع – الخليفة العباسى : ٦٥
الطبرى المؤرخ : ٣٥ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٥٩
الطبرى الفقيه المالكى : ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١
طرفة – الشاعر : ٣٩
الطوسى : ٤١

ع

عاصم بن أبى النجود : ٤٣ ، ٤٤

عاصم الجحدرى : ٤٣
عبد الحسين أحمد الأمينى النجفى : ٢، ٢٣، ٣٩، ٥٩، ٧٧، ٨٦، ٩١، ١٠٠، ١٠١
عبد الحسين الحلى : ٢٣
عبد الرحيم بن نباتة : ٣٩
عبد السلام هارون : ١٠، ٢٦
عبد القاهر الجرجانى : ٥٣
عبدة بن الطبيب : ٣٩
العديل بن الفرخ : ٣٩
العرجى الشاعر : ١١
عز الدولة بختيار : ٦٧، ٧٢
عز الدين بن عبد السلام : ٣٠، ٣١
عضد الدولة بن بويه : ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٨٨
عقيل بن أبى طالب : ٤٠، ٤١، ٥٤
على بن أبى طالب : ٣٥، ٣٨، ٨٤، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩
على بن الجهم : ٩٠
على خان المدنى : ٧٣
عمر بن إبراهيم الكنانى : ٨٣
عمر بن أبى ربيعة : ٣٩
عنترة العبسى : ٣٩
عياش بن أبى ربيعة : ٤٠
عيسى الثقفى : ٤٣
عيسى الحلبى : ١٤، ٢٧، ٦٨
عيسى بن عمر : ٤٣

ف

فخر الدولة بن بويه : ٧٢
فخر الدين الرازى : ٦٠ : ٦١
الفراء : ١٧، ٣٦
الفضل بن دكين : ٤٠
فؤاد سزكين : ٥، ٤٤

ق

القادر ـ الخليفة العباسى : ٦٥، ٦٦، ٨١، ٨٢
قتادة : ٥١
قتادة بن دعامة السدوسى : ٥
القرطبى : ٣٧، ٦٠، ٦١
القزوينى : ١٠
القفطى : ٣٩، ٧٥

ك

الكسائى : ٤٣
كعب الغنوى : ٧

م

مالك بن أنس : ١١
المبرد : ١٨
المتنبى : ٧٢، ٧٥، ٧٦، ٨٧، ٩٣
المتنخل : ٣٩
محمد ـ النبى عليه السلام ٦، ٢٩، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٦٢، ٦٣، ٨٣، ٨٤، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٨، ١٠٥
محمد بن أبى بكر الرازى : ٧٥
محمد بن النعمان : ٨١
محمد أبو زهرة : ٥٦
محمد أبو الفضل إبراهيم : ٣٩

محمد اللبابيدى : ٩٩
محمد محيي الدين عبدالحميد : ٩٦ ، ٩٩
محمد المشكاة : ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥، ٢٨ ، ٣٢ ، ٤١ ، ٨١ ، ٩٨
محمود توفيق : ٥٦
محمود مصطفى : ١٩ ، ٩٨
المرزبان: ٩٢ ، ٩٣
المستكفى ـ الخليفة العباسى : ٦٦ ، ٨٠
مسلم : ٤٠
المسيح عليه السلام : ١٤ ، ١٥
مصطفى عنانى : ٤٥
المطيع ـ الخليفة العباسى : ٦٥ ، ٦٦
معاوية الأموى : ٨٠
المعز لدين الله الفاطمى : ٧٦
معز الدولة البويهى: ٦٥، ٦٦، ٧٠، ٨٠
معمر المحدث : ٣٥ ، ٤٠
المفيد : الشيخ أبو عبد الله بن المعلم محمد ابن النعمان : ٩٢
المقتدر ـ الخليفة العباسى : ٦٥
المقريزى المؤرخ : ٤١
المكتفى ـ الخليفة العباسى : ٦٥
ملاعب الأسنة : ٣٩
المنخل بن سبيع : ٧
المنصور ـ الخليفة العباسى : ٩٣
مهيار الديلمى : ٧٦
مؤيد الدولة البويهى : ٧٢
موسى عليه السلام : ١٥ ، ١٦
المولى تاج الدين حسن : ٩٨
المولى سلطان محمود : ٩٨
المولى عبدالباقى الخطاط : ٩٨
ميمونة رضى الله عنها : ٤١

ن

النابغة الذبيانى : ٣٩
نافع القارئ : ٤٣
النجاشي: ١٠٠
النسابة العمرى: ٥٩
النسفي: ٣٧

هـ ـ و

هشيم المحدث: ٤٠
الوأواء: ٧٦
الواحدى: ٥٩
الوليد بن الوليد: ٤٠
وهب بن عبدالله : ٣٥

ى

ياقوت الحموى الرومى : ٧٥ ، ٨٧
يحي بن سعيد: ٧٠
يزيد بن الصعق : ١٠
يزيد بن معاوية: ٩٣
يعقوب عليه السلام : ١٥
يعقوب ـ صاحب إصلاح المنطق : ٨
يوسف عليه السلام : ١٦ ، ٤٠ ، ٥٧
يونس المحدث القارئ : ٤٠

٣ — فهرس

تفصيلى لمسائل الكتاب

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة البقرة
١١٣	العقوبة على الكفر بالطبع على القلوب
١١٣	بيان الاستعارة فى قوله تعالى: وعلى أبصارهم غشاوة
١١٣	المرض فى القلوب كناية عن فسادها
١١٣	معنى استهزاء الله بالكافرين
١١٤	إمداد الله للكافرين فى الطغيان
١١٤	الاستعارة فى قوله تعالى : يخادعون الله والذين آمنوا
١١٤	استبدال الغى بالرشاد والتعبير عن ذلك باشتراء الضلالة بالهدى
١١٥	ذهاب البرق بالأبصار
١١٥	معنى كون الأرض فراشا والسماء بناء
١١٥	استوى الله إلى السماء أى قصد إلى خلقها
١١٥	إلباس الحق بالباطل
١١٥	الاستعارة فى قوله تعالى : ضُرِبت عليهم الذلة . أى اشتملت عليهم

الصفحة	الموضوع
١١٦	معنى النكال لما بين يدى الأمة وما خلفها
١١٦	إحاطة الخطيئة بالمرء استعارة عن عظم خطئه
١١٦	معنى : وقالوا قلوبنا غُلفٌ
١١٧	التعبير عن مخالطة حب العجل قلوبهم بقوله : وأُشْربوا فى قلوبِهمُ العِجل
١١٧	الاستعارة فى قوله تعالى : بِئْس مايأمُركُمْ به إيمانكم
١١٧	بيان الاستعارة فى قوله تعالى : ولَبِئْسَ ماشرَوا به أنفسهم
١١٨	بيان أن إسلام الوجه لله هو الإقبال على عبادته والتوجه إليه سبحانه
١١٨	المجاز فى قوله تعالى : فثَمَّ وجْهُ الله
١١٨	التعبير عن ظهور علامات الموت بحضوره

الصفحة	الموضوع
١١٨	التعبير عن دين الله بالصبغة ولم كان ذلك ؟
١١٨	الاستعارة فى قوله تعالى : فولِّ وجْهك شطْر المسجدِ الحرام
١١٨	الانجذاب فى قياد الشيطان هو اتباع لخطواته
١١٩	الاستعارة فى قوله تعالى: ما يأكُلون فى بُطونهم إلا النارَ
١١٩	اشتراء الضلالة بالهدى
١١٩	لماذا عبر عن النساء بأنهن لباس للرجال ، وعن الرجال بأنهم لباس للنساء
١١٩	كيف يختانُ الإنسانُ نفسه ؟
١٢٠	كيف يتبين الخيْط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ؟
١٢٠	المجاز فى قوله تعالى : منْ ذا الذى يقرضُ الله قرضا حسناً
١٢٠	إفراغ الله الصبر على الناس
١٢١	استعارة النور للإيمان والظلمات للكفر
١٢١	إذا أثم القلب فهو إثم لصاحبه

الصفحة	الموضوع
	مسائل آل عمران
١٢٢	كيف تكون الآيات المحكمات أمًّا للكتاب
١٢٢	التعبير عن المتمكن فى العلم بالراسخ فيه
١٢٢	الاستعارة فى قوله : و بئس المِهادُ
١٢٢	التعبير عن فساد الأعمال بالحبوط
١٢٣	لماذا عبر الله عن دخول الليل والنهار كل منهما فى صاحبه بالإيلاج
١٢٣	لماذا أطلقت لفظة «الكلمة» على السيد المسيح عليه السلام
١٢٣	مامعنى مَكْرُ الله ، وهل يجوز المكر عليه سبحانه ؟
١٢٣	التعبير عن أول النهار بوجهه
١٢٤	وصف الله بالواسع وهو وصف لسعة عطائه أو اتساع علمه
١٢٤	التعبير عن رحمة الله بالنظر
١٢٤	التمسك بأمر الله هو اعتصام بحبله
١٢٤	تشبيه الله للمشفى بسوء عمله على دخول النار بالمشفى لزلة قدمه على الوقوع فى النار
١٢٤	مامعنى رجوع الأمور إلى الله
١٢٥	معنى : ضُربَت عليهم الذِّلة ووجه الاستعارة فيها

الصفحة	الموضوع
١٢٥	قَطْع طَرَفٍ من الكفار هو نقص عددهم لإضعافهم
١٢٥	لقاء الموت مجاز وحقيقته لقاء أسبابه
١٢٥	الانقلاب على الأعقاب هو الرجوع عن الدين
١٢٥	التعبير عن المشى فى الأرض بالضرب فيها
١٢٦	هُمْ دَرَجاتٌ عند الله . أى هم أصحاب درجات عنده
١٢٦	التعبير عن حطام الدنيا الزائل بمتاع الغرور
١٢٦	مذاق الموت هو الإحساس بكربه وعذابه
١٢٦	المجاز فى قوله تعالى : فإنَّ ذلك مِنْ عَزْمِ الأمورِ . لأن الأمور لا عزم لها
١٢٦	التعبير عن إغفال الشىء بنَبْذه وراء الظهور
١٢٦	قوله تعالى : بمفَازةٍ من العذاب . أى بمنجاة منها
١٢٦	التعبير عن كثرة السفر بالتقلب فى البلاد

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة النساء
١٢٧	معنى قوله تعالى : إنما يأ كُلُون فى بُطونهم نارا
١٢٧	الاستعارة فى قوله : حَتَّى يتوفاهنَّ الموتُ . لأن الذى يتوفى هو ملك الموت
١٢٧	معنى قوله تعالى : والَّذين عَقَدتْ أَيْمانكم . وجريان ذلك على طرائق العرب
١٢٧	إزالة الكلام عن جهة الصواب هو تحريف له عن مواضعه
١٢٨	التعبير عن الطعن والوقيعة بلىِّ الألسنة
١٢٨	التعبير عن مسخ الوجوه بطمسها
١٢٨	قلة متاع الدنيا
١٢٨	التعبير عن ضيق الصدور بحصرها
١٢٨	التعبير عن المسالمة والموادعة بإلقاء السَّلَم
١٢٨	معنى إحضار الأنفس الشُّحَّ
١٢٩	التعبير عن مناقلة الحديث بالخوض فيه
١٢٩	معنى قوله تعالى : وما قتَلُوه يقينا

الصفحة	الموضوع
١٣٠	تسمية المسيح عليه السلام بالكلمة
١٣٠	تسمية المسيح عليه السلام بالروح
	مسائل سورة المائدة
١٣١	معنى إحلال شعائر الله
١٣١	معنى مجىء الرسول على فترة من الرسل
١٣٢	التعبير عن الارتداد بالانقلاب
١٣٢	طَوَّعت له نفسه أى سهلت وسولت
١٣٢	استبقاء النفوس بعد استحقاقها القتل هو إحياء لها
١٣٢	هل تؤمن القلوب أم يؤمن أصحابها ؟ ووجه المجاز فى ذلك
١٣٢	كيف أن الكتاب نزل بالحق مصدِّقا لما بين يديه من الكتب
١٣٣	التعبير عن إطاعة الأمر باتباع الأهواء
١٣٣	المبادرة إلى فعل الخيرات هو استباق لها ، تشبيها بسباق الخيل
١٣٣	بيان المعنى فى قوله تعالى : بَلْ يداه مَبْسُوطتان
١٣٤	ليس للحرب نار على الحقيقة ، وإنما شبهت بالنار لأنها تأكل أهلها كما تأكل النار الحطب

الصفحة	الموضوع
١٣٤	مامعنى إقامة التوراة والإنجيل
١٣٤	الكناية عن سعة الرزق بالأكل من فوق ومن تحت الأرجل
١٣٤	التعبير عن توكيد الأَيمان بتعقيدها حتى تكون بمنزلة العقد المؤكد
١٣٥	لما كان الرمح مباشرا لنيل القنيصة سمى نائلا فقيل : تنال الرماح شيئا من الصيد
١٣٥	مامعنى إتيان الشهادة على وجهها ، وهل للشهادة وجه ؟
١٣٥	تأويل قوله تعالى : تَعْلَمُ ما فى نفسى ، ولا أَعْلَمُ مافى نفسِكَ
	مسائل سورة الأنعام
١٣٦	المراد بقوله تعالى فَقُطِعَ دَابِرُ القوم الَّذين ظَلَمُوا
١٣٦	التعبير عن إبطال الحواس بأخذ الله الأسماع والأبصار
١٣٦	بيان الحسن فى قوله تعالى : وعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغيب
١٣٧	التعبير عن إثارة الحديث بالخوض فيه

الصفحة	الموضوع
١٣٧	التعبير عن إحاطة الله بكل شيء بقوله :وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شيءٍ عِلْماً
١٣٧	أم القرى هى مكة ، ولماذا سميت بذلك ؟
١٣٧	التعبير عن كرب الموت بالغمرات
١٣٧	التعبير عن زوال أسباب المودة بتقطيع البين
١٣٨	كيف يُخْرِج الله الحى من الميت ويخرج الميت من الحى
١٣٨	التعبير عن إخراج الله للصبح من الليل بقوله : فَالِقُ الإِصْباحِ
١٣٨	معنى قوله :وَجَاعِل اللَّيل سَكَناً
١٣٩	التعبير عن الاتساع فى دعوى البنين والبنات لله بقوله:وخَرَقوا لهُ بنينَ و بناتٍ
١٣٩	التعبير عن تزيين القول للتغرير بزخرفته
١٣٩	التعبير عن الحيرة والمخافة بتقليب الأفئدة والأبصار
١٤٠	إذا مالت الأفئدة إلى الشيء فقد صغت إليه ، كميل السمع إلى المسموعات
١٤٠	التعبير عن الجنة بدار السلام

الصفحة	الموضوع
١٤٠	لما اغتر الناس بالدنيا حَسُن أن يقال إنها غرّتهم
١٤٠	لا تتفرق السبل بأصحابها والسالكين فيها ، ولكنهم هم الذين يفارقون نهجها
١٤١	تأويل قوله تعالى : ولا تَزِرُ وازرةٌ وِزْرَ أخرى
	مسائل سورة الأعراف
١٤٢	الخسران يكون فى الأثمان والأموال فلماذا عبر به القرآن عن النفوس
١٤٢	التعبير عن الدين بالصراط
١٤٣	انتصاب الاسم بحذف الجار ومثاله من الشعر
١٤٣	تأويل قوله تعالى :فَدَلَّاهُمَا بغُرور
١٤٤	لماذا سمى اللباس ريشا .وما معنى لباس التقوى
١٤٤	ما معنى إقامة الوجوه عند كل مسجد
١٤٤	التعبير عن الوصول إلى الجنة بتفتح أبواب السماء
١٤٤	معنى قوله تعالى : لهم مِنْ جهنم مِهادٌ ، ومِنْ فَوقهم غواشٍ
١٤٥	كيف يصح معنى نزع الغل من الصدور

الصفحة	الموضوع
١٤٥	مامعنى وراثة المؤمنين الجنة
١٤٦	الذين يلتمسون سبيل الله و يبتغون عنها المتحاول
	مسائل سورة التوبة
١٤٧	كيف يصح الأذى على الله فى قوله: إن الذين يؤذون الله ورسوله
١٤٧	المجاز فى نطق السورة و إخبارها بما فى قلوب المنافقين
١٤٨	معنى الخوالف والخالفين
١٤٨	معنى قوله : ولا تمسكوا بِعِصَمِ الكوافر
١٤٩	تسمية الأيام والشهور دوائر على سبيل الاستعارة
١٤٩	مسجد الضرار الذى بناه المنافقون . ومسجد قباء الذى رفعه المؤمنون
١٥٠	ذكر بنيان مسجد الضرار لايزال ريبة فى قلوب المنافقين
١٥٠	معنى شراء الله أنفس المؤمنين وأموالهم
١٥٠	بيان الاستعارة فى زيغ القلوب
١٥١	كيف تضيق النفوس على أصحابها

الصفحة	الموضوع
١٥١	معنى الرغبة بالنفس عن رسول الله
١٥٢	معنى أن رسول الله من أنفُس العرب
١٥٢	كيف يعز على رسول الله عنت المسلمين وحرمانهم الثواب
	مسائل سورة يونس
١٥٣	قدم الصدق هى السابقة فى الإيمان
١٥٣	الاستواء بالأجسام أما استواء الله على العرش فهو بمعنى الاستيلاء
١٥٤	تحية المؤمنين فى الجنة
١٥٥	تزين الأرض بالنبات
١٥٥	كيف تكون الأرض حصيدا مع أن الحصيد للنبات
١٥٥	لا يوصف الليل بأن له قطعا مظلمة إلا على سبيل المجاز
١٥٦	النهار المبصر هو تعبير استعارى معناه أن المبصرين هم أهله
١٥٦	معنى : لايكنْ أمركُمْ عليكم غمّةً
١٥٦	معنى الطمس على الأموال
١٥٧	معنى الشد على القلوب
١٥٧	حديث اللهمَّ اشدد وطأتكَ على مضَرَ
١٥٧	معنى إقامة الوجه للدين

الصفحة الموضوع

مسائل سورة هود

١٥٨ معنى تفصيل آيات الكتاب

١٥٨ ثنى الصدور على عداوة الله ورسوله أو ثنيها بمعنى الإخفاء والمسارة

١٥٩ الاستعارة فى إذاقة الله الناس الرحمة

١٥٩ نزع الرحمة أى إزالتها

١٦٠ الرحمة لاتوصف بالعمى ولكن الناس يعمون عنها

١٦٠ معنى : تَزْدَرِى أعينكُم

١٦٠ هل يريد الله إغواء الناس كما فى ظاهر قوله : إن كان اللهُ يُرِيد أن يُغويكم ؟

١٦١ واصنعِ الفُلك بأَعيُننا أى بأمرنا

١٦١ أمر السماء والأرض مع أنهما مما لايعقل فلا يخاطبان

١٦٢ لماذا يوصف العذاب بالغلظ

١٦٣ الاستناد إلى الكثرة من القوم والأهل هو استناد إلى ركن شديد

١٦٤ ماهى الحجارة المسوَّمة ؟

١٦٤ معنى الخيل المسومة

١٦٥ وصف اليوم بالإحاطة أو العذاب بالإحاطة فى قوله : وإنى أخافُ عليكم عذابَ يومٍ محيط

الصفحة الموضوع

١٦٥ معنى : بقيةُ اللهِ خيرٌ لكُم

١٦٦ الاستعارة فى قوله : أصلاتكَ تأمرك . لأن الصلاة لاتأمر

١٦٦ اتخاذ الله ظهرِيا معناه أنهم جعلوا أمر الله وراء ظهورهم

١٦٦ كيف تأخذ الصيحة الذين ظلموا

١٦٧ جعل النار بمنزلة الماء فى ورود الكافرين عليها

١٦٧ ليس عذاب الكافرين رفدا وإنما هو على طريق المجاز ، كقوله تعالى : فبشرهم بعذاب أليم

١٦٨ معنى القرى القائمة والحصيدة

١٦٨ تمام كلمة الله أى صدق وعيده

مسائل سورة يوسف

١٦٩ لم قال الله تعالى: والشمسَ والقمر رأيتهمُ لى ساجدين . ولم يقل ساجدة

١٧٠ معنى قوله تعالى: وجاءوا على قميصه بدمٍ كذب

١٧١ معنى تسويل النفس للإنسان

١٧١ معنى أضغاث أحلام

١٧٢ المراد بالسبع الشداد هو السنون المجدبة

الصفحة	الموضوع
١٧٢	معنى قوله: لايهدِى كَيدَ الخائِنينَ
١٧٢	معنى النفس الأمَّارة
١٧٣	رفع الدرجات ليس حقيقة وإنما هو مجاز
١٧٣	اسأل القريةَ . أى اسأل أهلها
١٧٤	رَوح الله هو فرجه الذى يأتى بعد الكرب
١٧٤	الغاشية من العذاب هو المطبق بأصحابه
	مسائل سورة الرعد
١٧٥	معنى قوله : أئنَّا لفى خلقٍ جديد
١٧٥	معنى : خلت المثلات
١٧٦	معنى: تغيضُ الأرْحام
١٧٦	كيف يسبح الرعد بحمد الله وكيف تسبح الملائكة ؟
١٧٧	معنى : ولله يسجد من فى السموات والأرض
١٧٨	معنى ضرب الله الأمثال
١٧٩	معنى القيام على كل نفس بما كسبت
١٧٩	معنى نقصان الله الأرض من أطرافها
	مسائل سورة إبراهيم
١٨٠	التذكير بأيام الله
١٨٠	معنى قوله : فردُّوا أيديَهمُ فى أفواههم
١٨٢	المقصود بمقام الله هو يوم القيامة
١٨٣	معنى : وَيَأْتِيه الموتُ مِنْ كلِّ مكانٍ وما هُوَ بميِّتٍ
١٨٤	كيف تهوى الأفئدة إلى المكان
١٨٤	معنى قوله : وَأَفئدَتُهُمْ هَوَاءٌ
١٨٥	حكاية « إنَّ وراكبها» المنسوبة إلى ابن الزبير
١٨٦	كيف تزول الجبال من مكر الكافرين
	مسائل سورة الحجر
١٨٧	العمه فى السكرات أى التردد فى الغى
١٨٧	معنى خفض الجناح للمؤمنين
١٨٧	تفسير قوله تعالى : الذين جعلوا القرآنَ عِضينَ
١٨٨	معنى قوله : فاصْدع بما تُؤمَرُ
	مسائل سورة النحل
١٩٠	معنى قوله يُنزلُ الملائكةَ بالرُّوح

الصفحة	الموضوع
١٩٠	كلام لابن جنى فى معنى قولهم: لعمر الله ماقلت ذلك
١٩١	معنى : لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفُس
١٩١	ليس الطريق جائرا ، وإنما يجور من يسير فيه
١٩١	المجاز فى قوله تعالى : ليحْملوا أَوْزارهم كاملةً
١٩٢	معنى: فأتى اللهُ بنيانهم من القواعِد
١٩٢	هل يلتى السَّلَم على الحقيقة
١٩٢	تفسير قوله تعالى : إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقولَ له كن فيكون
١٩٣	الظلال ـ على الحقيقة ـ لا تتفيأ
١٩٣	معنى قوله: فاسلُكى سُبل ربك ذُللا
١٩٣	هل العسل خارج من بطون النحل وإذا كان ذلك غير صحيح فما معنى قوله تعالى : يخرج من بطونها شراب
١٩٤	معنى إلقاء القول
١٩٥	معنى زلل القدم فى الدِّين بعد ثبوتها
١٩٥	المقصود بروح القدس هو جبريل
١٩٥	المجاز فى كلمة اللسان

الصفحة	الموضوع
١٩٦	الاستعارة فى قوله تعالى : فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوفِ
	مسائل سورة الإسراء
١٩٨	معنى : فمحونا آية الليل
١٩٨	معنى : وجعلنا آية النهار مبصرةً
١٩٩	قوله تعالى : وكل إنسان ألزمناهُ طائره فى عنقه
٢٠٠	الاستعارة فى قوله تعالى: واخفض لهما جناَح الذل من الرحمة
٢٠٠	الكناية فى قوله تعالى :ولا تجعلْ يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط
٢٠١	الاستعارة فى جعل الأكنة على القلوب
٢٠١	الوصف بالمصدر فى قوله تعالى : وإذ همْ نجوى .
٢٠١	الاستعارة فى قوله : وآتينا ثمود الناقة مبصرة
٢٠٢	معنى قوله تعالى : لأحتنكن ذريته إلا قليلا
٢٠٣	معنى دلوك الشمس
٢٠٤	معنى قوله تعالى : وزهق الباطلُ
٢٠٤	معنى قوله تعالى : قل كلٌّ يعملُ على شاكلته

الصفحة	الموضوع
٢٠٤	معنى خزائن رحمة الله
٢٠٥	معنى قوله تعالى : وقرآناً فرقناهُ
	مسائل سورة الكهف
٢٠٦	وصف الكلام بالاستقامة والعوج والمجاز فيه
٢٠٦	وصف الكلمة بالكبر استعارة
٢٠٦	الاستعارة فى قوله تعالى : وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرُزا
٢٠٧	معنى الضرب على الآذان ، ولم لايكون الضرب على الأبصار ؟
٢٠٨	معنى قوله تعالى : وربطناَ على قلوبهم
٢٠٩	معنى نشر رحمة الله
٢٠٩	المجاز فى قوله تعالى : ويهيئ لكم من أمركم مرفقا
٢٠٩	معنى تزاور الشمس
٢١٠	الاستعارة فى قوله : وإذا غربتْ تقرضهمُ ذات الشمال
٢١٠	معنى قوله تعالى : وكذلك أعثرنا عليهم
٢١٠	معنى الرجم بالغيب
٢١١	معنى : ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا

الصفحة	الموضوع
٢١٣	المجاز فى قوله : أَحاط بهم سرادقها
٢١٣	معنى قوله : وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا
٢١٤	الاستعارة فى قوله تعالى : وساءت مرتفقا
٢١٤	الاستعارة فى قوله تعالى : ولم تظلم منه شيئا
٢١٥	معنى قوله تعالى : ليدحضوا به الحق
٢١٥	الاستعارة فى قوله : ونسى ما قدمت يداه
٢١٥	هل للجدار إرادة حتى يريد أن ينقض ؟
٢١٦	أكاد أخفيها أى أريد إظهارها
٢١٧	الاستعارة فى قوله تعالى : وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض
٢١٨	الاستعارة فى قوله تعالى : الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكرى
٢١٨	معنى ضلال السعى فى الدنيا
٢١٨	معنى الكفر بلقاء الله
٢١٩	الاستعارة فى قوله : فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة مريم
٢٢٠	الاستعارة فى قوله تعالى : واشتعلَ الرأسُ شيبًا
٢٢٠	الاستعارة فى قوله: فأجاءَها المخاضُ إلى جذع النخلة
٢٢٠	اللسان هو الثناء الجميل
	مسائل سورة طه
٢٢١	تفسير قوله تعالى: إنَّ الساعةَ آتيةٌ أكادُ أخْفيها
٢٢٣	بيان قوله تعالى :سنعيدُها سيرتَها الأُولى
٢٢٣	الاستعارة فى قوله تعالى واضممْ يدكَ إلى جَناحك تخرجْ بيضاءَ من غير سُوء
٢٢٤	تفسير قوله تعالى : واحلُل عقدةً من لسانى . و بيان أن المقصود بذلك إزالة لفف فى لسانه يعطله عن الكلام
٢٢٤	تفسير قوله تعالى :وألقيتُ عليك محبة منى ولتصنعَ على عينى
٢٢٥	الاستعارة فى قوله تعالى : واصطنعتُك لنفسى
٢٢٥	بيان الاستعارة فى قوله : ربُّنا الذى أعطى كلَّ شىءٍ خلقهُ ثم هدَى

الصفحة	الموضوع
٢٢٦	تشبيه الأرض بالمهاد
٢٢٦	الاستعارة فى قوله :وعنتِ الوجوهُ للحى القيوم
	مسائل سورة الأنبياء
٢٢٧	الاستعارة فى قوله تعالى : وكَم قصمناَ من قرية كانت ظالمةً
٢٢٧	الاستعارة فى قوله : فمازالت تلكَ دعْواهم حتى جعلناهم حَصيدا خامدين
٢٢٨	الاستعارة فى قذف الحق على الباطل
٢٢٨	الاستعارة فى فَتْق السموات والأرض بعد أن كانتا رتقا
٢٢٩	الاستعارة فى قوله تعالى : وَجَعلنا السماء سقفا محفوظًا
٢٢٩	تفسير قوله تعالى : كلٌّ فى فلكٍ يسبحُون
٢٣٠	معنى قوله: خُلق الإنسانُ من عَجَل
٢٣٠	معنى النفحة من العذاب
٢٣١	المجاز فى قوله : ثم نُكسُوا على رُءوسهم
٢٣١	الاستعارة فى قوله : ونجيناهُ من القرية
٢٣١	معنى تسبيح الطير والجبال

الصفحة	الموضوع
٢٣٢	معنى قوله : فنفخنا فيها من رُوحنا
٢٣٢	الاستعارة فى قوله: وتقطَّعوا أمرهم بينهم
٢٣٣	كيف يكون المشركون وآلهتهم حصب جهنم
٢٣٤	الاستعارة فى قوله : يومَ نطْوى السماء كطىِّ السجلِّ للكتاب
	مسائل سورة الحج
٢٣٦	الاستعارة فى زلزلة الساعة
٢٣٦	الاستعارة فى اهتزاز الأرض بنزول الماء
٢٣٧	بيان الاستعارة فى قوله: ثانىَ عطفِه
٢٣٧	معنى عبادة الله على حرْف، و بيان المجاز فيها
٢٣٧	ما معنى سجود الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب
٢٣٨	بيان الاستعارة فى قوله : قطعتْ لهم ثيابٌ من نار
٢٣٩	لماذا وصف الله القلوب بقوله: التى فى الصُّدور ؟
٢٤٠	كيف يكون اليوم عقيما فى قوله تعالى : أوْ يأتيهم عذابُ يومٍ عقيم
٢٤١	الاستعارة فى قوله تعالى: من سُلالة منْ طين
٢٤١	المراد بالطرائق : السموات
٢٤١	معنى قوله تعالى : واصنَع الفلكَ بأعيُننا
٢٤٢	الاستعارة فى قوله : فجعلناهم غثاءً
٢٤٢	كيف ينطق الكتاب بالحق و بيان المجاز فيه
٢٤٣	معنى قوله تعالى : بل قلوبهمْ فى غمْرة من هذا
٢٤٣	المجاز فى قوله : ولو اتبَّع الحقُّ أهواءَهُم
	مسائل سورة النور
٢٤٤	الاستعارة فى شهادة الألسنة والأيدى والأرجل
٢٤٥	المجاز فى ضرب الخمار على الجيوب
٢٤٥	الاستعارة فى قوله تعالى : اللهُ نُور السمواتِ والأرضِ
٢٤٥	الاستعارة فى قوله : يكاد زيتُها يضىء
٢٤٥	معنى تقلُّب القلوب والأبصار
٢٤٦	الاستعارة فى قوله: ووجدَ اللهَ عنده

الصفحة	الموضوع
٢٤٦	الاستعارة فى قوله : وينزِّلُ من السماء منْ جبال فيها من بردٍ
٢٤٧	المجاز فى قوله تعالى : يقلبُ اللهُ الليلَ والنهارَ
	مسائل سورة الفرقان
٢٤٨	هل ترى جهنم أهلها ؟
٢٤٨	المجاز فى تغيظ النار وزفيرها
٢٤٩	الاستعارة فى قوله تعالى : وقدِمنا إلى ماعملوا من عمل
٢٤٩	الاستعارة فى قوله : فجعلناهُ هباءً منثورا
٢٥٠	الاستعارة فى وصف الجنة بكونها « أحسنَ مقيلا » .
٢٥٠	الاستعارة فى تشقُّق السماء بالغمام
٢٥١	معنى قوله تعالى : أرأيتَ من اتخذَ إلٰهه هواهُ
٢٥١	الاستعارة فى قوله تعالى : ألمْ ترَ إلى ربك الخ
٢٥٢	الاستعارة فى جعل الليل لباسا
٢٥٣	الاستعارة فى جعل النهار نشورا
٢٥٣	إحياء الأرض بالنبات و بيان الاستعارة فيه
٢٥٣	معنى قوله تعالى : مرجَ البحريْنِ

الصفحة	الموضوع
٢٥٤	تشبيه الشمس أوالنجوم بالسراج فى الهداية
٢٥٤	معنى خلفةِ الليل للنهار
٢٥٥	الصمم عن قوارع النذر والتعبير عن ذلك بقوله تعالى : لم يخرُّوا عليها صمًّا وعميانا
	مسائل سورة الشعراء
٢٥٦	بيان قوله تعالى : فلما تراءى الجمعان
٢٥٧	الفتح والفتاحة معناه الحكم
٢٥٧	معنى النخل الهضيم
٢٥٨	المجاز فى قوله: وتقلبكَ فى الساجدين
٢٥٨	معنى قوله تعالى . يلقوُن السمعَ وأ كثرهم كاذبون
٢٥٩	وصف الشعراء بالهيمان فى كل وادٍ
	مسائل سورة النمل
٢٦٠	آنس النار بمعنى رآها
٢٦٠	المجاز فى قوله : قاطعةً أمرا
٢٦١	المقصود بارتداد الطرف و بيان الاستعارة فيه
٢٦١	العمى المجازى لايقصد به فقد عضو الإبصار
٢٦٢	المجاز فى قوله تعالى: إنّ هذا القرآنَ يقصُّ الخ

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة الأحزاب
٢٦٤	التعبير عن إلقاء الرعب بقذفه فى القلوب
٢٦٤	الفاحشة التى تبين حال صاحبها
٢٦٤	صفة النبى بالسراج المنير وبيان المجاز فيه
٢٦٥	إباء السموات والأرض حملَ الأمانة وحملُ الإنسان إياها
	مسائل سورة سبأ
٢٦٦	معنى قوله تعالى : فزِّعَ عن قلوبهم
٢٦٦	الكتب السابقة على القرآن كأنها بين يديه
٢٦٧	المراد بمكر الليل والنهار
٢٦٧	صفة النبى عليه السلام بالنذير
٢٦٧	الاستعارة فى قوله تعالى : وما يبدئ الباطل وما يعيدُ
٢٦٨	الاستعارة فى قوله : ويقذِفون بالغيبِ من مكانٍ بعيد
	مسائل سورة فاطر
٢٦٩	كيف يصعد الكلم الطيب إلى السماء
٢٧٠	معنى قوله تعالى : وإن تدعُ مثقلةٌ إلى حمْلها لا يحملْ منه شىء

الصفحة	الموضوع
٢٧١	كيف يحيق المكر السيىء بأهله
	مسائل سورة يس
٢٧٢	الإقماح فى قوله تعالى : فهى إلى الأذقان فهم مقمحون
٢٧٤	معنى سلخ الليل من النهار والنهار من الليل
٢٧٤	التعبير عن الممات بالمرقد ووجه الاستعارة فيه
٢٧٥	معنى الطمس على العيون
٢٧٥	معنى التعمير والتنكيس فى الخلق
٢٧٥	التعبير عن الغافل إذا تيقظ بالحى
٢٧٥	الاستعارة فى قوله تعالى : مما عملتْ أيدينا
	مسائل سورة الصافات
٢٧٧	المراد بقاصرات الطرف ووجه الاستعارة فيه
	مسائل سورة ص
٢٧٨	معنى « وفرعونُ ذُو الأوتاد »
٢٧٨	الصيحة التى مالها من فواق والأقوال فى ذلك

الصفحة	الموضوع
٢٧٩	الكناية عن المرأة بالنعجة
٢٨٠	معنى المسح بالسوق والأعناق
٢٨١	استطراد فى مسح بعض الرأس فى الوضوء
٢٨١	أولو الأيدى معناها : أولو القوة
	مسائل سورة الزمر
٢٨٣	الاستعارة فى تكوير كل من الليل والنهار على صاحبه
٢٨٣	معنى الحديث المأثور : نعوذ بالله من الحور بعد الكور
٢٨٤	الاستعارة فى قوله تعالى: اللهُ يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمتْ فى منامها
٢٨٥	الاستعارة فى قوله تعالى : ياحسرتا على مافرطتُ فى جنب الله
٢٨٥	الاستعارة فى قوله : له مقاليدُ السموات والأرض
٢٨٧	الاستعارة فى قوله تعالى : والأرضُ جميعا قبضته يومَ القيامة
٢٨٧	معنى قوله تعالى : والسموات مطوياتٌ بيمينه
	مسائل سورة المؤمن
٢٨٩	الاستعارة فى قوله تعالى : ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما
٢٨٩	الاستعارة فى قوله: رفيعُ الدرجات
٢٩٠	الروح كناية عن الوحى
٢٩٠	المراد بخائنة الأعين
	مسائل سورة السجدة
٢٩٢	كيف تكون القلوب فى أكنة ؟
٢٩٣	خطاب الله للسموات والأرض
٢٩٣	لماذا قال تعالى : أتينا طائعين . ولم يقل طائعات
٢٩٤	العمى : هو ظلام البصيرة
٢٩٥	التعبير عن جدب الأرض بالخشوع فى قوله تعالى : ترى الأرض خاشعة
٢٩٥	الاستعارة فى وصف القرآن بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه
٢٩٦	المجاز فى قوله تعالى : أولئك ينادَون من مكان بعيد
٢٩٦	الاستعارة فى صفة الدعاء بالعريض
٢٩٧	الاستعارة فى إقامة الدين
٢٩٧	الاستعارة فى قوله تعالى : حجتهم داحضةٌ
٢٩٨	الاستعارة فى حرث الدنيا والآخرة
٢٩٨	بيان المجاز فى نشر رحمة الله

الصفحة	الموضوع
٢٩٨	النظر من طرف خفى و بيان المجاز فيه
	مسائل سورة الزخرف
٣٠٠	معنى قوله تعالى : أفنضربُ عنكم الذكر صفحاً
٣٠٠	لماذا قال الله تعالى: فأنشرنا به بلدة ميتا . ولم يقل : فأحيينا
٣٠١	الكلمة الباقية فى عقب إبراهيم هى كلمة الإخلاص والتوحيد
٣٠١	الاستعارة فى قوله تعالى: واسألْ منْ أرسْلنا منْ قبلك من رُسلنا
	مسائل سورة الدخان
٣٠٣	معنى قوله تعالى : فيها يفرقُ كلُّ أمرٍ حكيم
٣٠٣	العلو : هو مجاز يقصد به الاستكبار
٣٠٣	الاستعارة فى قوله تعالى: فَمَا بكتْ عليهمُ السماءُ والأرض، وما قيل فى ذلك من أقوال
	مسائل سورة الجاثية
٣٠٥	معنى قوله تعالى: على شريعة من الأمر
٣٠٥	كيف ينطق الكتاب بالحق ؟
	مسائل سورة الأحقاف
٣٠٦	معنى الأثارة من العِلْم

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة محمد
٣٠٨	الاستعارة فى قوله تعالى : حتى تضع الحرب أوزارها
٣٠٨	الاستعارة فى قوله: فإذا عزمَ الأمر
٣٠٩	الاستعارة فى قوله : أم على قلوب أقفالها
	مسائل سورة ق
٣١٠	معنى سكرة الموت
٣١٠	معنى كشف الغطاء يوم القيامة
٣١١	كيف تنطق جهنم و بيان المجاز فى ذلك
٣١٢	الاستعارة فى قوله :لمن كان له قلب
	مسائل سورة الذاريات
٣١٣	معنى الحجارة المسومة
٣١٣	الاستعارة فى قوله : فتولى بركنه
٣١٤	معنى الريح العقيم و بيان المجاز فيها
	مسائل سورة الطور
٣١٥	معنى قوله : أم تأمرهم أحلامهم
٣١٥	الاستعارة فى قوله : ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم
	مسائل سورة النجم
٣١٧	الاستعارة فى قوله: ما كذب الفؤاد ما رأى

الصفحة	الموضوع
٣١٧	الاستعارة فى قوله : مازاغ البصر وما طغى
	مسائل سورة القمر
٣١٨	كيف تفتح أبواب السماء بماء منهمر
٣١٨	الاستعارة فى إلقاء الذِّكر
٣١٨	الاستعارة فى قوله تعالى: والساعة أدهى وأمر
	مسائل سورة الرحمن
٣٢٠	كيف يسجد النجم والشجر والاستعارة فى ذلك
٣٢٠	الاستعارة فى قوله : ووضع الميزان
٣٢٠	الاستعارة فى قوله : مرج البحرين يلتقيان
٣٢١	الاستعارة فى قوله : ويبقى وجه ربك
٣٢٢	معنى قوله تعالى : سنفرُغ لكم أيها الثقلان
	مسائل سورة الواقعة
٣٢٥	الاستعارة فى قوله : ليس لوقعتها كاذبة

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة الحديد
٣٢٦	الاستعارة فى قوله : هو الأول والآخر، والظاهر والباطن
٣٢٧	كيف يرث الله السموات والأرض، والاستعارة فى ذلك
٣٢٧	الاستعارة فى قوله: مأواكُمُ النارُ هى مولاكم
٣٢٧	بيان المجاز فى قوله تعالى : وأنَّ الفضلَ بيدِ الله
	مسائل سورة المجادلة
٣٢٨	الاستعارة فى قوله تعالى : مايكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم
٣٢٨	كيف تكون الأيمان جُنة
٣٢٩	الاستعارة فى قوله : كتب الله إلخ
٣٢٩	كيف يؤيدُ اللهُ بروح منه ؟
	مسائل سورة الحشر
٣٣٠	الاستعارة فى قوله : والذين تبوءوا الدارَ والإيمان
٣٣٠	كيف يتصدع الجبل من خشية الله . و بيان المجاز فيه
	مسائل سورة الممتحنة
٣٣١	الاستعارة فى الإلقاء بالمودة
٣٣١	بسط الألسن بالسوء على المجاز

الصفحة	الموضوع
٣٣٢	معنى قوله تعالى: ولا تمسكوا بعِصَم الكوافر
	مسائل سورة الصف
٣٣٣	الاستعارة فى قوله تعالى: فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم
	مسائل سورة الجمعة
٣٣٤	الاستعارة فى قوله تعالى: ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم
	مسائل سورة « المنافقون »
٣٣٤	الاستعارة فى قوله تعالى: ولله خزائنُ السموات والأرض
	مسائل سورة التغابن
٣٣٥	القرآن هو النور الذى أنزل على النبى عليه السلام
٣٣٥	المجاز فى « يوم التغابن »
	مسائل سورة التحريم
٣٣٦	الاستعارة فى قوله: فقد صَغَت قلوبكما
٣٣٧	المراد بقطع يد السارق والسارقة قطع اليمين
٣٣٧	ما معنى التوبة النصوح ؟
٣٣٨	الاستعارة فى قوله: كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين
	مسائل سورة الملك
٣٣٨	كيف يكون المُلك بيد الله ؟
٣٣٨	ترديد البصر فى السماء
٣٣٩	المجاز فى شهيق النار
٣٣٩	معنى تميز النار من الغيظ
٣٤٠	الاستعارة فى صفة الأرض بالذلول
٣٤١	لماذا جعل الخابط فى الضلال مكبا على وجهه
	مسائل سورة القلم
٣٤١	الكناية عن هول الأمور بالكشف عن السوق
٣٤٢	تغليظ الوعيد بقوله تعالى: ذرنى
٣٤٣	معنى قوله تعالى: ليزلقونك بأبصارهم
	مسائل سورة الحاقة
٣٤٣	معنى الريح الصرصر، والاستعارة فى وصفها بالعتوّ
٣٤٣	المقصود بالأخذة الرابية
٣٤٤	الاستعارة فى قوله: طغى الماء
٣٤٤	المجاز فى قوله: عيشة راضية
٣٤٥	الاستعارة فى قوله: لأخذنا منه باليمين

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة سأل سائل
٣٤٦	كيف تدعو النار من أدبر وتولى.
	مسائل سورة نوح
٣٤٧	معنى قوله تعالى: لا ترجون لله وقارا. وتفسير لا ترجون بمعنى لا تخافون. والشاهد على ذلك من كلام العرب
٣٤٨	معنى إنباتنا من الأرض
٣٤٩	معنى: والله جعل لكم الأرض بساطا
	مسائل سورة الجن
٣٤٩	كنا طرائق قِددا، أى ضروبا مختلفة
٣٥٠	كيف يكون القاسطون حطبا لجهنم
٣٥٠	الكناية عن الجماعات باللِّبَد
	مسائل سورة المزمل
٣٥١	وصف القرآن بالثقل معناه وصفه برجاحة القدر
٣٥١	معنى ناشئة الليل. ولما ذا كانت أشد وطأ وأقوم قيلا
٣٥٢	السَّبح الطويل فى النهار هو استعارة للتصرف والعمل الواسع بالنهار

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة المدثر
٣٥٣	المقصود بتطهير الثياب تطهير النفس على سبيل المجاز فى قوله تعالى: وثيابك فطهر
٣٥٤	الاستعارة فى قوله تعالى: والصبح إذا أسفر
	مسائل سورة القيامة
٣٥٥	بيان قوله تعالى: بل الإنسان على نفسه بصيرة
٣٥٦	الاستعارة فى قوله تعالى: والتفَّت الساق بالساق
	مسائل سورة الدهر
٣٥٦	كيف يستطير الشر
٣٥٦	الاستعارة فى وصف اليوم بالعبوس
٣٥٧	المجاز فى قوله تعالى: وذللت قطوفها تذليلا
٣٥٧	الاستعارة فى وصف اليوم بالثقيل
	مسائل سورة المرسلات
٣٥٨	الاستعارة فى قوله: فإذا النجوم طمست
	مسائل سورة عم
٣٥٨	الاستعارة فى قوله تعالى: ألم نجعل الأرض مهادا والجبال أوتادا

الصفحة	الموضوع
	مسائل سورة النازعات
٣٥٨	لماذا سميت الأرض بالساهرة ؟
	مسائل سورة التكوير
٣٥٩	سؤال الموءودة عن سبب قتلها
٣٥٩	الاستعارة فى صفة النجوم بالخُنَّس الكُنَّس
٣٦٠	الاستعارة فى قوله تعالى: والصبح إذا تنفس
	مسائل سورة «المطففون»
٣٦١	كيف يحجب الكفار عن ربهم ؟
	مسائل سورة الانشقاق
٣٦١	المراد بإلقاء الأرض مافيها هو بعث الأموات و إعادة الرفات
٣٦٢	الاستعارة فى قوله تعالى : والليل وما وسق
٣٦٢	التعبير عن الانقلاب من حال شديدة إلى حال مثلها بقوله تعالى : لتركبنَّ طبقا عن طبق
٣٦٣	مجاز قوله تعالى: والله أعلم بما يوعون
	مسائل سورة الطارق
٣٦٣	الطارق كناية عن النجم
٣٦٣	لماذا قال تعالى : من ماء دافق ولم يقل : مدفوق ؟
٣٦٤	الاستعارة فى قوله تعالى : والسماء ذات الرَّجع
	مسائل سورة الغاشية
٣٦٤	المقصود بالوجوه هو أصحاب الوجوه فى قوله تعالى : وجوه يومئذ خاشعة
٣٦٥	المجاز فى قوله تعالى : لاتسمع فيها لاغية
	مسائل سورة الفجر
٣٦٥	الاستعارة فى قوله تعالى : والليل إذا يسرِ
٣٦٥	الاستعارة فى قوله تعالى: وفرعون ذى الأوتاد
٣٦٦	بيان الاستعارة فى قوله تعالى: فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب
	مسائل سورة البلد
٣٦٦	معنى قوله تعالى: يقول أهلكت مالا لبدا . وبيان الاستعارة فيه
٣٦٦	المراد بالنجدين فى قوله تعالى: وهديناه النَّجدين

الصفحة	الموضوع
٣٦٧	الاستعارة فى قوله تعالى: فلا اقتحم العقبة
	مسائل سورة الضحى
٣٦٧	معنى سجا الليل ، ووجه المجاز فيه
	مسائل سورة الانشراح
٣٦٧	بيان وضع الوزر الذى أنقض ظهر النبى عليه السلام

٤ — فهرس السور

الصفحة	اسم السورة
١١٣	سورة البقرة
١٢٢	« آل عمران
١٢٧	« النساء
١٣١	« المائدة
١٣٦	« الأنعام
١٤٢	« الأعراف
١٤٧	« التوبة
١٥٣	« يونس
١٥٨	« هود
١٦٩	« يوسف
١٧٥	« الرعد
١٨٠	« إبراهيم
١٨٧	« الحجر
١٩٠	« النحل
١٩٨	« الإسراء « بنوإسرائيل »
٢٠٦	« الكهف
٢٢٠	« مريم
٢٢١	« طه
٢٢٧	« الأنبياء
٢٣٦	« الحج
٢٤١	« المؤمنون
٢٤٤	« النور
٢٤٨	« الفرقان
٢٥٦	« الشعراء
٢٦٠	« النمل

الصفحة	اسم السورة
٢٦٤	سورة الأحزاب
٢٦٦	« سبأ
٢٦٩	« فاطر « الملائكة
٢٧٢	« يس
٢٧٧	« الصافات
٢٧٨	« ص
٢٨٣	« الزمر
٢٨٩	« المؤمن
٢٩٢	« فصلت
٢٩٧	« الشورى
٣٠٠	« الزخرف
٣٠٣	« الدخان
٣٠٥	« الجاثية
٣٠٦	« الأحقاف
٣٠٨	« محمد
٣١٠	« ق
٣١٣	« الذاريات
٣١٥	« الطور
٣١٧	« النجم
٣١٨	« القمر
٣٢٠	« الرحمن
٣٢٥	« الواقعة
٣٢٦	« الحديد
٣٢٨	« المجادلة

الصفحة	اسم السورة	
٣٣٠	سورة	الحشر
٣٣١	«	الممتحنة
٣٣٣	«	الصف
٣٣٤	«	سورة الجمعة
٣٣٤	«	المنافقون
٣٣٥	«	التغابن
٣٣٦	«	التحريم
٣٣٨	«	الملك
٣٤١	«	القلم
٣٤٣	«	الحاقة
٣٤٦	«	المعارج
٣٤٧	«	نوح
٣٤٩	«	الجن
٣٥١	«	المزمل
٣٥٣	«	المدثر

الصفحة	اسم السورة	
٣٥٥	سورة	القيامة
٣٥٦	«	الدهر
٣٥٨	«	المرسلات
٣٥٨	«	عم يتساءلون
٣٥٨	«	النازعات
٣٥٩	«	عبس
٣٥٩	«	التكوير
٣٦٠	«	الانفطار
٣٦١	«	المطففين
٣٦١	«	الانشقاق
٣٦٣	«	الطارق
٣٦٤	«	الغاشية
٣٦٥	«	الفجر
٣٦٦	«	البلد
٣٦٧	«	الضحى
٣٦٧	«	الانشراح

٥ — فهرس الآيات والسور (١)

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
وعلى أبصارهم غشاوة	٧	البقرة	١١٣
فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا	١٠	«	١١٣
الله يستهزئ بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون	١٥	«	١١٣
يخادِعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم	٩	«	١١٤
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدَى فمار بحت تجارتهم	١٦	«	١١٤
يكاد البرق يخطف أبصارهم	٢٠	«	١١٤
يكاد سَنا بَرْقه يذهب بالأبصار	٤٣	النور	١١٥
الذى جعل لكم الأرض فِراشا والسَّماء بناء	٢٢	البقرة	١١٥
ثم استوى إلى السماء فسوَّاهن سَبعَ سموات	٢٩	«	١١٥
ولا تلبسوا الحق بالباطل	٣٩	«	١١٥
وضُربت عليهم الذِّلَّة والمسكنة	٦١	«	١١٥
فجعلناهاَ نكالا لما بين يديها وما خلفها	٦٦	«	١١٥
وإن منها لماَ يهبط من خشيَة الله	٧٤	«	١١٦
بلى من كَسَبَ سيئة وأحاطت به خطيئته	٨١	«	١١٦
وقالوا قلوبنا غُلفُ	٨٨	البقرة	١١٦
وقالوا قلوبنا فى أكنَّةٍ مما تدْعونا إليه	٥	فصلت	١١٦

(١) قد أثبتنا رقم الآيات فى السور تسهيلا المراجعة ، واعتمدنا فى ذلك المصحف الذى قام بطبعه ونشره عيسى البابى الحلبى بتصريح من وزارة الداخلية ومشيخة عموم المقارىء المصرية.

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
وأشربوا فى قلوبهمُ العجْلَ بكفرهم	٩٣	البقرة	١١٧
بئس مايأمركم به إيمانــكم إن كنتم مؤمنين	٩٣	«	١١٧
ولبئس ما شَروا به أنفسهم لوكانوا يعلَمون	١٠٢	«	١١٧
بلى من أسلم وَجهَه لله وهو محسن	١١٢	«	١١٨
فأينما تولوا فثمَّ وجْهُ الله	١١٥	«	١١٨
إلا من سَفِهَ نفسهَ	١٣٠	«	١١٨
إذ حضر يعقوبَ الموتُ	١٣٣	«	١١٨
صِبغة الله ومن أحسنُ من الله صبغة	١٣٨	«	١١٨
فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام	١٥٠	«	١١٨
ولاتتَّبعوا خطوات الشيطان	١٦٨	«	١١٨
مايأكلون فى بطونهم إلا النار	١٧٤	«	١١٩
أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى	١٧٦	«	١١٩
هُنَّ لباس لــكم وأنتم لباس لهن	١٨٧	«	١١٩
علم الله أنــكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليــكم	١٨٧	«	١١٩
حتى يتبين لــكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر	١٨٧	«	١٢٠
ولاتأكلوا أموالــكم بينــكم بالباطل وتُدْلوا بها إلى الحكام	١٨٨	«	١٢٠
من ذا الذى يُقرِض الله قرضا حسنا	٢٤٥	«	١٢٠
ربنا أَفرِغ علينا صبرا	٢٥٠	«	١٢٠
الله ولىُّ الذين آمنوا يُخرجهم من الظلمات إلى النور	٢٥٧	«	١٢١
ومن يَكتمْها فأنه آثم قلبهُ	٢٨٣	«	١٢١
منه آيات مُحكَمات هن أمُّ الـكتاب	٧	آل عمران	١٢٢
والراسخون فى العلم يقولون آمنابه	٧	«	١٢٢

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد	١٢	آل عمران	١٢٢
أولئك الذين حَبِطت أعمالهم	٢٢	«	١٢٢
تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل	٢٧	«	١٢٣
مصدقا بكلمةٍ من الله	٣٩	«	١٢٣
ومكروا ومكر الله	٥٤	«	١٢٣
آمنوا بالذى أُنزل على الذين آمنوا وجْه النهار واكفروا آخِرَهُ	٧٢	«	١٢٣
والله واسع عليم	٧٣	«	١٢٤
ولا ينظر إليهم يوم القيامة	٧٧	«	١٢٤
واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرَّقوا	١٠٣	«	١٢٤
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها	١٠٣	«	١٢٤
وإلى الله ترجعُ الأمور	١٠٩	«	١٢٤
ضربت عليهم الذلة أينما ثُقفوا إلا بحبل من الله	١١٢	«	١٢٥
ليقطعَ طرَفاً من الذين كفروا	١٢٧	«	١٢٥
ولقد كنتم تمنَّون الموْت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون	١٤٣	«	١٢٥
أفإن مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم	١٤٤	«	١٢٥
وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أوكانوا غزًّا	١٥٦	«	١٢٥
هم درجات عند الله واللهُ بصير بما يعملون	١٦٣	«	١٢٦
وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور	١٨٥	«	١٢٦
كلُّ نفس ذائقةُ الموت	١٨٥	«	١٢٦
وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عَزْمِ الأمور	١٨٦	«	١٢٦
فنبذوه وراء ظهورهم	١٨٧	«	١٢٦

الآيــة	رقمها	السورة	صفحة
فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب	١٨٨	آل عمران	١٢٦
لا يغرنّك تقلبُ الذين كفروا فى البلاد . متاع قليل	١٩٦	«	١٢٦
إنما يأكلونَ فى بطونهم ناراً وسيَصْلَوْن سعيرا	١٠	النساء	١٢٧
فأمسِكوهنَّ فى البيوت حتى يتوفاهنَّ الموت	١٥	«	١٢٧
والذين عَقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم	٣٣	«	١٢٧
يحرِّفون الكلمَ عن مواضعه	٤٦	«	١٢٧
ليًّا بألسنتهم وطعناً فى الدين	٤٦	«	١٢٨
من قَبْل أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فنردَّها عَلَى أدبارهَا	٤٧	«	١٢٨
قُل متاعُ الدنيا قليل والآخرة خيرٌ لمن اتقى	٧٧	«	١٢٨
حصرتْ صدُورهم أن يقاتلوكم	٩٠	«	١٢٨
فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلمَ	٩٠	«	١٢٨
وأحضرتِ الأنفسُ الشحَّ	١٢٨	«	١٢٨
وما قتلوه وما صلَبوه ولكن شبِّه لهم	١٥٧	«	١٢٨
فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديثٍ غيره	١٤٠	«	١٢٩
مالهم به من علم إلا اتباعَ الظن وما قتلوه يقينا	١٥٧	«	١٢٩
إنما المسيح عيسى بن مريم رسولُ الله وكلمته ألقاها إلى مريم	١٧١	«	١٣٠
يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله	٢	المائدة	١٣١
يهدى به الله من اتبع رضوانه سبلَ السلام	١٦	«	١٣١
قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل	١٩	«	١٣١
ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين	٢١	«	١٣١
فطوعتْ له نفسهُ قتلَ أخيه فقتله فأصبحَ من الخاسرين	٣٠	«	١٣٢
أنه من قتل نفسا بغير نفسْ أو فسادٍ فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا	٣٢	«	١٣٢

الآيـة	رقمها	السورة	صفحة
منَ الذين قالوا آمنّا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم	٤١	المائدة	١٣٢
وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدِّقا لما بين يديه من الكتاب	٤٨	«	١٣٢
ولا تتبع أهواءَهمُ	٤٨	«	١٣٣
فاستبقوا الخيرات	٤٨	«	١٣٣
فسوف يأتى الله بقومٍ يحبهم ويحبونه	٥٤	«	١٣٣
وقالتِ اليهود يدُ الله مغلولةٌ غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا			
بل يداه مبسوطتان	٦٤	«	١٣٣
كلَّما أوقدوا نارا للحرْب أطفأها الله	٦٤	«	١٣٣
ولوْ أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم			
لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم	٦٦	«	١٣٤
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض	٩٦	الأعراف	١٢٤
ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان	٨٩	المائدة	١٣٤
ليبلوَّنكم اللهُ بشىء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم	٩٤	«	١٣٥
ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها	١٠٨	«	١٣٥
تعلم مافى نفسى ولاأعلمُ مافى نفسك	١١٦	«	١٣٥
فقطع دابرُ القوم الذين ظلموا والحمدُ لله رب العالمين	٤٥	الأنعام	١٣٦
قل أرأيتمُ إن أخذ اللهُ سمعكم وأبصاركم	٤٦	«	١٣٦
وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو	٥٩	«	١٣٦
وإذا رأيتَ الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم	٦٨	«	١٣٧
وسعَ ربى كلَّ شىء علما	٨٠	«	١٣٧
ولتنذرَ أمَّ القرى ومن حولها	٩٢	«	١٣٧
ولوترى إذ الظالمون فى غمرَاتِ الموت	٩٣	«	١٣٧

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
لقد تقطع بينكم	٩٤	الأنعام	١٣٧
يخرج الحىَّ من الميت ومخرجُ الميت من الحى	٩٥	«	١٣٨
فالق الإصباح وجاعلُ الليل سكنا	٩٦	«	١٣٨
وخرقوا له بنين و بناتٍ بغير علم	١٠٠	«	١٣٩
يوحى بعضهم إلى بعضٍ زخرفَ القول غرورا	١١٢	«	١٣٩
ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة	١١٠	«	١٣٩
ولتصغى إليه أفئدت الذين لايؤمنون بالآخرة	١١٣	«	١٤٠
لهم دار السلام عند ربهم	١٢٧	«	١٤٠
قالوا شهدْنا على أنفسنا وغرتهم الحياةُ الدنيا	١٣٠	«	١٤٠
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله	١٥٣	«	١٤٠
ولاتزرُ وازرة وزرَ أُخرى	١٦٤	«	١٤١
واتقوا يوما لاتجزى نفس عن نفس شيئا	٤٨	البقرة	١٤١
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهمَ	٧	الأعراف	١٤٢
قال فبما أغويتنى لأقعدنّ لهم صراطك المستقيم	١٦	«	١٤٢
فدلّاهما بغرور	٢٢	«	١٤٣
يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوْءاتكم	٢٦	«	١٤٣
وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد	٢٩	«	١٤٤
إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء	٤٠	«	١٤٤
ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر	١١	القمر	١٤٤
لهم من جهنمَ مهاد ومن فوقهم غواشٍ	٤١	الأعراف	١٤٤
ونزعنا مافى صدورهم من غلٍّ	٤٣	«	١٤٥
ونودوا أن تلكمُ الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون	٤٣	«	١٤٥

الآيــة	رقمها	السورة	صفحة
وكنا نحن الوارثين	٥٨	القصص	١٤٥
ولله ميراثُ السموات والأرض	١٨٠	آل عمران	١٤٥
وأورثنا القومَ الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها	١٣٧	الأعراف	١٤٥
وأورثـكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤوها	٢٧	الأحزاب	١٤٦
الذين يصدّون عن سبيل الله و يبغونها عوجا	٤٥	الأعراف	١٤٦
خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون	٥٣	«	١٤٦
يغشى الليل النهارَ يطلبهُ حثيثا	٥٤	«	١٤٦
إن الذين يؤذون الله ورسوله	٥٧	الأحزاب	١٤٧
يحذرُ المنـافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم	٦٤	التوبة	١٤٧
رضوا بأن يكونوا مع الخوالف	٨٧	«	١٤٨
فاقعدُوا مع الخالفين	٨٣	«	١٤٨
ولا تمسكوا بعِصَم الـكوافر	١٠	الممتحنة	١٤٨
و يتربصُ بكم الدوائرَ عليهم دائرةُ السوْء	٩٨	التوبة	١٤٩
أفمنْ أسسَ بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جُرُف هارٍ فانهار به فى نار جهنم	١٠٩	«	١٤٩
لا يزالُ بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم	١١٠	«	١٥٠
إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة	١١١	«	١٥٠
من بعد ما كاد يزيغُ قلوبُ فريقٍ منهم	١١٧	«	١٥٠
حتى إذا ضاقت عليهم الأرضُ بما رحبتْ	١١٨	«	١٥١
ما كان لأهل المدينة ومنْ حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله	١٢٠	«	١٥١
و إذا ما أنزلت سورة فمنهم مَن يقولُ أيكم زادته هذه إيمانا	١٢٤	«	١٥١

الآيـة	رقمها	السورة	صفحة
فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا وهم يستبشرون ، وأما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجْسا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون	١٢٥	التوبة	١٥١
لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزٌ عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم	١٢٨	«	١٥٢
وبشر الذين آمنوا أن لهم قدمَ صدقٍ عند ربهم	٢	يونس	١٥٣
ثم استوى على العرش	٣	«	١٥٣
رب العرش العظيم	١٢٩	التوبة	١٥٤
	٢٦	النمل	١٥٤
	٨٦	المؤمنون	١٥٤
وتحيتهم فيها سلام	١٠	يونس	١٥٤
حتى إذا أخذت الأرضُ زخرُفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها	٢٤	«	١٥٥
خذوا زينتكم عند كل مسجد	٣١	الأعراف	١٥٥
فجعلناها حصيدا	٢٤	يونس	١٥٥
كأنما أُغشيتْ وجوهُهم قطعاً من الليل مُظلما	٢٧	«	١٥٥
هو الذى جعَل لكم الليلَ لتسكنوا فيه والنهارمبصراً	٦٧	«	١٥٥
فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكنْ أمركم عليكم غُمة	٧١	«	١٥٦
ربنا اطمس على أموالهم واشددْ على قلوبهم	٨٨	«	١٥٦
وأن أقم وجهك للدِّين حنيفا ولاتكونن من المشركين	١٠٥	«	١٥٧
ألر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيمٍ خبير	١	هود	١٥٨

الآية	رقمها	السورة	صفحة
ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه	٥	هود	١٥٨
ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئوس كفور	٩	«	١٥٩
ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيئات عنى	١٠	«	١٥٩
وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم	٢٨	«	١٦٠
ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا	٣١	«	١٦٠
ولا ينفعكم نصحى إن أردتُ أن أنصحَ لكم	٣٤	«	١٦٠
فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات	٥٩	مريم	١٦١
واصنع الفلك بأعيننا ووحينا	٣٧	هود	١٦١
وقيل ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى	٢٤	«	١٦١
ونجيناهم من عذاب غليظ	٥٨	«	١٦٢
ولما جاء أمرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا	٥٨	«	١٦٣
قال لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد	٨٠	«	١٦٣
مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد	٨٣	«	١٦٤
يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين	١٢٥	آل عمران	١٦٤
والخيل المسومة	١٤	«	١٦٤
وإنى أخاف عليكم عذاب يوم محيط	٨٤	هود	١٦٥
بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين	٨٦	«	١٦٥
أصلاتك تأمرك أن نتركَ مايعبد آباؤنا أو أن نفعلَ فى أموالنا مانشاء	٨٧	«	١٦٦
أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا	٩٢	«	١٦٦
وأخذت الذين ظلموا الصيحة	٩٤	«	١٦٦

الآية	رقمها	السورة	صفحة
فأوردهم النار و بئس الوردُ المورود	٩٩	هود	١٦٧
وأتبعوا فى هذه لعنةً ويوم القيامة بئس الرفد المرفود	٩٩	«	١٦٧
فبشرهم بعذاب أليم	٢١	آل عمران	١٦٨
ذلك منْ أنباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد	١٠٠	هود	١٦٨
و بئر معطلةٍ وقصر مشيد	٤٥	الحج	١٦٨
وهى خاوية على عروشها	٢٥٩	البقرة	١٦٨
وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	١١٩	هود	١٦٨
ياأبت إنى رأيت أَحدَ عشرَ كوكبا والشمس والقمرَ رأيتهم لى ساجدين	٤	يوسف	١٦٩
ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده	١٨	النمل	١٦٩
وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا	٢١	فصلت	١٦٩
فظلتْ أعناقهمُ لها خاضعين	٤	الشعراء	١٧٠
وجاءوا على قميصه بدم كذب	١٨	يوسف	١٧٠
إنا ذهبنا نستبقُ وتركنا يوسف عند متاعنا فأكلهُ الذئب	١٧	«	١٧٠
قال بل سولت لكم أنفسكم أَمرا فصبرٌ جميل	١٨	«	١٧١
قد شغفها حُبا	٣٠	«	١٧١
قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين	٤٤	«	١٧١
ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ماقدمتم لهن	٤٨	«	١٧٢
لا يهدى كيد الخائنين	٥٢	«	١٧٢
وما أبرئ نفسى إن النفسَ لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى	٥٣	«	١٧٢
نرفع درجات منْ نشاء	٧٦	«	١٧٣

الآية	رقمها	السورة	صفحة
واسأل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها	٨٢	يوسف	١٧٣
ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين	٧٤	الأنبياء	١٧٣
إنهم كانو قوم سوْء فأغرقناهم أجمعين	٧٧	«	١٧٣
ولما فصلت العير	٩٤	يوسف	١٧٤
ولا تيأسوا من روح الله	٨٧	«	١٧٤
أفأَمنوا أَن تأتيهم غاشية من عذاب الله	١٠٧	«	١٧٤
أئنا لفى خلْق جديد	٥	الرعد	١٧٥
ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثُلات	٦	«	١٧٥
الله يعلم ماتحمل كلُّ أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد	٨	«	١٧٦
ويسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته	١٣	«	١٧٦
ولله يَسجد مَن فى السموات والأرض طوعا وكَرها	١٥	«	١٧٧
كذلك يضربُ اللهُ الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاءً ، وأما ماينفع الناس فيمكثُ فى الأرض ، كذلك يضربُ اللهُ الأمثال	١٧	«	١٧٨
أَفمن هو قائم على كل نفس بما كَسبتْ	٣٣	«	١٧٨
ومنهم منْ إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا مادمت عليه قائما	٧٥	آل عمران	١٧٩
أولمْ يروا أَنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها	٤١	الرعد	١٧٩
وذكرهم بأيام الله ، إن فى ذلك لآيات لكل صبَّار شكور	٥	إبراهيم	١٨٠
جاءتهم رسُلهم بالبينات فردوا أيديهم فى أفواههم	٩	«	١٨٠

الآيـة	رقمها	السورة	صفحة
وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا	٧	نوح	١٨٢
ذلك لمنْ خاف مقامى وخاف وعيدِ	١٤	إبراهيم	١٨٢
يومَ يقومُ الناس لرب العالمين	٦	المطففين	١٨٢
ولمن خاف مقام ربه جنتان	٤٦	الرحمن	١٨٢
أنا آتيك به قبل أن تقومَ من مقامك	٣٩	النمل	١٨٣
ويأتيه الموتُ من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ	١٧	إبراهيم	١٨٣
أعمالهم كرمادٍ اشتدتْ به الريح فى يوم عاصف	١٨	«	١٨٤
واجعلْ أفئدةً من الناس تهوى إليهم	٣٧	«	١٨٤
لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواءٌ	٤٣	«	١٨٤
وأصبح فؤادُ أم موسى فارغا	١٠	القصص	١٨٥
وإن كان مكرهم لتزولَ منه الجبالُ	٤٦	إبراهيم	١٨٥
لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون	٧٢	الحجر	١٨٧
ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين	٨٨	«	١٨٧
الذين جعلوا القرآن عِضينَ	٩١	«	١٨٧
فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	٩٤	«	١٨٨
ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده	٢	النحل	١٩٠
وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا	٥٢	الشورى	١٩٠
إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمتهُ ألقاها إلى مريم	١٧١	النساء	١٩٠
ونفخَ فيه من روحه	٩	السجدة	١٩٠
ألم تكن أرض الله واسعةً فتهاجروا فيها	٩٧	النساء	١٩٠
إلى بلدٍ لم تكونوا بالغيه إلا بشقِّ الأنفس	٧	النحل	١٩١

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
وعلى الله قصدُ السبيل ومنها جائر	٩	النحل	١٩١
ليحملوا أوزارهم كاملةً يوم القيامةِ	٢٥	«	١٩١
فأتى الله بنيانهم من القواعد	٢٦	«	١٩٢
فألقوا السلم ما كنا نعملُ من سوء	٢٨	«	١٩٢
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة	١٩٥	البقرة	١٩٢
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون	٤٠	النحل	١٩٢
أولم يروا إلى ما خلق اللهُ من شيء يتفيأ ظلالهُ عن اليمين والشمائل	٤٨	«	١٩٣
فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانهُ فيه شفاءٌ للناس	٦٩	«	١٩٣
فألقوا إليهمُ القولَ إنكم لكاذبون	٨٦	«	١٩٤
يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة	١	الممتحنة	١٩٤
تنبتُ بالدهن وصبغ للآكلين	٢٠	المؤمنون	١٩٤
يلقون السمع وأكثرهم كاذبون	٢٢٣	الشعراء	١٩٤
وإذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذينَ كنا ندعو منْ دونك	٨٦	النحل	١٩٤
وألقوا إلى الله يومئذ السلمَ	٨٧	«	١٩٥
ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها	٩٤	«	١٩٥
قل نزله روح القدس من ربك بالحق	١٠٢	«	١٩٥
لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسانٌ عربى مبين	١٠٣	«	١٩٥
وضرب اللهُ مثلا قريةً كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون	١١٢	«	١٩٦

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة	١٢	الإسراء	١٩٨
وكلَّ إنسان ألزمناه طائرهُ فى عنقه	١٣	«	١٩٩
واخفض لهما جناحَ الذل من الرحمة	٢٤	«	٢٠٠
ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كلَّ البسط	٢٩	«	٢٠٠
والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يَقْتُروا وكان بين ذلك قواما	٦٧	الفرقان	٢٠٠
وجعلنا على قلوبهم أكنَّةً أن يفقهوهَ وفى آذانهم وقرا	٤٦	الأسراء	٢٠١
نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى	٤٧	«	٢٠١
وآتينا ثمود الناقةَ مبصرة	٥٩	«	٢٠١
لها شربٌ ولكم شربُ يوم معلوم	١٥٥	الشعراء	٢٠١
لأحتنكنَّ ذريته إلا قليلا	٦٢	الإسراء	٢٠٢
أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل	٧٨	«	٢٠٣
وقلْ جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا	٨١	«	٢٠٣
وتزهق أنفسهم وهم كافرون	٥٥	التوبة	٢٠٤
قل كلٌّ يعملُ على شاكلته	٨٤	الإسراء	٢٠٤
قل لوأنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذن لأمسكتم خشية الإنفاق	١٠٠	«	٢٠٤
وقرآنا فرقناهَ لتقرأه على الناس على مكث	١٠٦	الإسراء	٢٠٥
الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما			
لينذر بأسا شديدا من لدنه	١	الكهف	٢٠٦
كبرت كلمةً تخرجُ من أفواههم إن يقولون إلا كذبا	٥	«	٢٠٦
وإنا لجاعلون ماعليها صعيدا جرزا	٨	«	٢٠٦
فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا	١١	«	٢٠٧

الآية	رقمها	السورة	صفحة
ور بطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض	١٤	الكهف	٢٠٨
فأووا إلى الكهف ينشرْ لكم ربكم من رحمته	١٦	«	٢٠٩
ويهيىء لكم من أمركم مرفقا	١٦	«	٢٠٩
وترى الشمس إذا طلعتْ تزاوَر عن كهفهم ذات اليمين			
وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال ، وهم فى فجوة منه	١٧	«	٢٠٩
وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق	٢١	«	٢١٠
فأن عثر على أنهما استحقا إثما	١٠٧	المائدة	٢١٠
ويقولون خمسة سادسهم كلبُهم رَجما بالغيب	٢٢	الكهف	٢١٠
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمرُه فرطا	٢٨	«	٢١١
أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه	٢٢	المجادلة	٢١١
إنا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا			
يُغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا	٢٩	الكهف	٢١٣
وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا	٨	الإسراء	٢١٣
إنها عليهم مؤصدة فى عمدٍ ممددة	٨،٩	الهمزة	٢١٣
ومأواهم جهنم وبئس المهادُ	١٨	الرعد	٢١٤
متكئين فيها على الأرائك نعم الثوابُ وحسنت مرتفقا	٣١	الكهف	٢١٤
كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا	٣٣	«	٢١٤
ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق	٥٦	«	٢١٥
ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ماقدمت يداه	٥٧	«	٢١٥
ذلك بما قدمت أيديكم	١٨٢	آل عمران	٢١٥
فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض فأقامه	٧٧	الكهف	٢١٥

الآية	رقمها	السورة	صفحة
كذلك كدنا ليوسف	٧٦	يوسف	٢١٦
إن الساعة آتية أكاد أخفيها	١٥	طه	٢١٦
وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض	٩٩	الكهف	٢١٧
الذين كانت أعينُهم فى غِطاء عن ذكرى	١٠١	«	٢١٨
الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم	١٠٤	«	٢١٨
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا	١٠٥	«	٢١٨
قال رب إنى وَهن العظمُ منى واشتعل الرأس شيبا	٤	مريم	٢٢٠
فأجاءها المخاض إلى جذْع النخلة	٢٣	«	٢٢٠
وَوَهبنا لهم منْ رحمتنا وجعلنا لهم لسانَ صدق عليا	٥٠	«	٢٢٠
إن الساعة آتية أكاد أخفيها	١٥	طه	٢٢١
لتجزى كل نفس بما تسعى	١٥	«	٢٢٣
قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى	٢١	«	٢٢٣
هى عصاى أتوكأُ عليها وأهش بها على غنمى	١٨	«	٢٢٣
واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء	٢٢	«	٢٢٣
وأَدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء	١٢	النمل	٢٢٣
واحلل عقدةً من لسانى يفقهوا قولى	٢٧،٢٨	طه	٢٢٤
وأَلقيت عليك محبة منى ولتصنعَ على عينى	٣٩	«	٢٢٤
واصطنعتك لنفسى	٤١	«	٢٢٥
قال ربنا الذى أَعطى كلَّ شىء خلقه ثم هدَى	٥٠	«	٢٢٥

الآية	رقمها	السورة	صفحة
وآتاكم من كلٍّ ماسألتموه	٣٤	إبراهيم	٢٢٥
الذى جعل لكمُ الأرضَ مهادا	٥٣	طه	٢٢٦
وعنتِ الوجوهُ للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلما	١١١	«	٢٢٦
وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة	١١	الأنبياء	٢٢٧
فما زالت تلكَ دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين	١٥	«	٢٢٧
بل نقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويلُ مما تصفون	١٨	«	٢٢٨
أولم يرَ الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما	٣٠	«	٢٢٨
وجعلنا السماء سقفا محفوظا	٣٢	«	٢٢٩
وهو الذى خلق الليل والنهار والشمسَ والقمر كل فى فلك يسبحون	٣٣	«	٢٢٩
إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمسَ والقمرَ رأيتهم لى ساجدين	٤	يوسف	٢٣٠
قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم	١٨	النمل	٢٣٠
خلق الإنسان من عجل	٣٧	الأنبياء	٢٣٠
ولئن مستهم نفحةٌ من عذاب ربك ليقولنّ ياويلنا إنا كنا ظالمين	٤٦	«	٢٣٠
ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمتَ ماهؤلاء ينطقون	٦٥	«	٢٣١
ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين	٧٤	«	٢٣١
وسخرنا مع داودَ الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين	٧٩	الأنبياء	٢٣١
ويسبح الرعدُ بحمده	١٣	الرعد	٢٣١
ياجبال أوِّبى معه والطير	١٠	سبأ	٢٣٢

الآية	رقمها	السورة	صفحة
إن لك فى النهار سبحا طويلا	٧	المزمل	٢٣٢
والتى أحصنتْ فرجها فنفخنا فيها من روحنا	٩١	الأنبياء	٢٣٢
وتقطعوا أمرهم بينهم كلٌّ إلينا راجعون	٩٣	«	٢٣٢
إنكم وما تعبدون من دون الله حصبُ جهنم أنتم لها واردون	٩٨	«	٢٣٣
فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين	٢٤	البقرة	٢٣٤
يوم نطوى السماء كطىِّ السجل للكتب	١٠٤	الأنبياء	٢٣٤
يأيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم	١	الحج	٢٣٦
وترى الناسَ سكارى وماهم بسكارى	٢	«	٢٣٦
وترى الأرضَ هامدةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت			
وأنبتت من كل زوج بهيج	٥	«	٢٣٦
ثانىَ عِطفه ليضلَّ عن سبيل الله	٩	«	٢٣٧
وإذا أنعمنا على الإنسانَ أعرض ونأى بجانبه	٨٣	الإسراء	٢٣٧
	٥١	فصلت	
ومن الناس من يعبد الله عَلَى حرف فإن أصابه خير اطمأن به	١١	الحج	٢٣٧
ألم تر أن الله يسجد له من فى السموت ومن فى الأرض			
والشمسُ والقمرُ والنجومُ والجبالُ والشجرُ والدوابُّ	١٨	الحج	٢٣٧
فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار	١٩	«	٢٣٨
سرابيلهم من قطران	٥٠	إبراهيم	٢٣٨
فإنها لا تعمى الأبصارُ ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور	٤٦	الحج	٢٣٨
ما كذب الفؤاد ما رأى	١١	النجم	٢٣٨
حتى تأتيهم الساعة بغتةً أو يأتيهم عذاب يوم عقيم	٥٥	الحج	٢٤٠
وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف فى وجوه الذين كفروا المنكر	٧٢	«	٢٤٠

الآية	رقمها	السورة	صفحة
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين	١٢	المؤمنون	٢٤١
ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين	١٧	«	٢٤١
اصنع الفلك بأعيننا ووحينا	٢٧	«	٢٤١
ولتصنع على عينى	٣٩	طه	٢٤١
فجعلناهم غثاءً فبعدا للقوم الظالمين	٤١	المؤمنون	٢٤٢
ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون	٦٢	«	٢٤٢
بل قلوبهم فى غمرة من هـذا	٦٣	«	٢٤٢
ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن	٧١	«	٢٤٣
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون	١٠٣	«	٢٤٣
يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون	٢٤	النور	٢٤٤
اليوم نختمُ على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون	٦٥	يس	٢٤٤
وليضربن بخمرهنَّ على جيوبهن	٣١	النور	٢٤٥
الله نور السموات والأرض	٣٥	النور	٢٤٥
يكاد زيتها يضيء ولولم تمسسهُ نار	٣٥	«	٢٤٥
يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار	٣٧	«	٢٤٥
والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئا وَوَجد الله عنده	٣٩	«	٢٤٦
وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمنَّ يشاء	٤٣	«	٢٤٦
يقلب الله الليل والنهار	٤٤	«	٢٤٧

الآية	رقمها	السورة	صفحة
إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا	١٢	الفرقان	٢٤٨
وقدمنا إلى ماعملوا من عملٍ فجعلناهُ هباءً منثورا	٢٣	«	٢٤٩
أصحابُ الجنة يومئذ خيرٌ مستقرا وأحسنُ مقيلا	٢٤	«	٢٥٠
ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا	٦٢	مريم	٢٥٠
ويومَ تشققُ السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا	٢٥	الفرقان	٢٥٠
يومَ تبدل الأرضُ غير الأرضِ والسموات	٤٨	إبراهيم	٢٥٠
يومَ نطوى السماء كطى السجل للكتبِ	١٠٤	الأنبياء	٢٥٠
هل ينظرون إلا أن يأتيهمُ الله فى ظلل من الغمام			
والملائكة وقضى الأمر وإلى الله ترجع الأمور	٢١٠	البقرة	٢٥١
أرأيت من اتخذ إلاهه هواه أفأنتَ تكون عليه وكيلا	٤٣	الفرقان	٢٥١
ألم ترَ إلى ربك كيف مد الظلَّ ولوشاءَ لجعله ساكنا			
ثم جعلنا الشمسَ عليه دليلا ، ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا	٤٥ ، ٤٦	«	٢٥١
وهو الذى جعل لكم الليل لباسا والنومَ سباتا	٤٧	«	٢٥٢
وجعل النهار نشورا	٤٧	«	٢٥٢
لنحيي به بلدةً ميتا	٤٩	«	٢٥٣
وهو الذى مرج البحرين هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملح أجاج	٥٣	«	٢٥٣
تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا	٦١	«	٢٥٤
وجعل الشمس سراجا	١٦	نوح	٢٥٤
وهو الذى جعل الليل والنهار خلفةً لمن أراد أن			
يذَّكَّر أو أراد شكورا	٦٢	الفرقان	٢٥٤
والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا	٧٣	الفرقان	٢٥٥
فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون	٦١	الشعراء	٢٥٦
فافتح بيني وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين	١١٨	«	٢٥٧

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
وهو الفتاح العليم	٢٦	سبأ	٢٥٧
وزروع ونخل طلعها هضيم	١٤٨	الشعراء	٢٥٧
فلا يخاف ظلما ولا هضما	١١٢	طه	٢٥٨
وتقلبكَ فى الساجدين	٢١٩	الشعراء	٢٥٨
يلقونَ السمع وأ كثرهم كاذبون	٢٢٣	«	٢٥٨
والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون	٢٢٤ ٢٢٥	«	٢٥٩
إذ قال موسى لأهله إنى آنست نارا	٧	النمل	٢٦٠
ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا	٢٨	الكهف	٢٦٠
وغرتهم الحياة الدنيا	٥١	الأعراف	٢٦٠
ما كنتُ قاطعةً أمرا حتى تشهدون	٣٢	النمل	٢٦٠
أنا آتيك به قبلَ أن يرتدَّ إليك طرفك	٤٠	«	٢٦١
بل ادارك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمُون	٦٦	«	٢٦١
قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون	٧٢	«	٢٦٢
إن هذا القرآن يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى هم فيه يختلفون	٧٦	النمل	٢٦٣
وقذف فى قلوبهم الرُّعبَ	٢٦	الأحزاب	٢٦٤
من يأت منكنَّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين	٣٠	«	٢٦٤
وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا	٤٦	«	٢٦٤

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
إنا عرضنا الأمانةَ على السموات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا	٧٢	الأحزاب	٢٦٤
حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحقَّ وهو العلى الكبير	٢٣	سبأ	٢٦٦
وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه	٣١	«	٢٦٦
بل مكرُ الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا	٣٣	«	٢٦٧
إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد	٤٦	«	٢٦٧
قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد	٤٩	«	٢٦٧
وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده	٢٧	الروم	٢٦٧
و يقذفون بالغيب من مكان بعيد	٥٣	سبأ	٢٦٨
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالحُ يرفعهُ	١٠	فاطر	٢٦٩
ولا تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لايحملْ منه شىء ولو كان ذا قربى	١٨	«	٢٦٩
ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله	٤٣	«	٢٧٠
إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى إلى الأذقان فهم مقمحون ، و جعلنا من بين يديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون	٧ ، ٨	يس	٢٧٢
وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون	١٠	«	٢٧٢

الآية	رقمها	السورة	صفحة
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة	٧	البقرة	٢٧٢
وآية لهم الليلُ نسلخُ منه النهار فإذاهم مظلمون	٣٧	يس	٢٧٤
قالوا ياويلنا منْ بعثنا منْ مرْقدنا ، هذا ماوعدَ الرحمنُ وَصدَق المرسلون	٥٢	»	٢٧٤
ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون	٦٦	»	٢٧٥
ومن نعمره ننكسه فى الخلْق أفلا يعقلون	٦٨	»	٢٧٥
لينذر مَن كان حيا ويحق القولُ على الكافرين	٧٠	»	٢٧٥
أوَلم يروا أناخلقنالهم مماعملت أيدينا أنعامافهمْ لها مالكون	٧١	»	٢٧٥
وعندهم قاصرات الطَّرف عينٌ ، كأنهنَّ بيض مكنون	٤٨، ٤٩	الصافات	٢٧٧
ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم	٧	البقرة	٢٧٧
وفرعون ذو الأوتاد	١٢	ص	٢٧٨
ألم نجعل الأرض مهادا والجبالَ أوتادا	٧	عم	٢٧٨
وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فوَاق	١٥	ص	٢٧٨
إن هـذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكْفِلنيها وعزنى فى الخطاب	٢٣	»	٢٧٩
ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق	٣٣	»	٢٧٩
وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين	٦	المائدة	٢٨٠
واذكرعبادنا إبراهيم وإسحاقَ ويعقوبَ أولى الأيدى والأبصار	٤٥	ص	٢٨١
مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدىَّ	٧٥	»	٢٨٢

الآيــة	رقمها	السورة	صفحة
أوَ لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون	٧١	يس	٢٨٢
يكوِّر الليلَ على النهار و يكور النهار على الليل	٥	الزمر	٢٨٣
اللهُ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمتْ في منامها ، فيمسكُ التي قضى عليها الموت ، و يرسلُ الأخرى إلى أجل مسمى	٤٢	«	٢٨٤
أن تقول نفسٌ ياحسرتا على ما فرطت في جنْب الله و إن كنت لمن الساخرين	٥٦	«	٢٨٥
له مقاليد السموات والأرض	٦٣	«	٢٨٥
لا تفتح لهم أبوابُ السماء	٣٩	الأعراف	٢٨٦
ففتحنا أبوابَ السماء بماء منهمر	١١	القمر	٢٨٦
ولله خزائنُ السموات والأرض	٧	المنافقون	٢٨٦
والأرض جميعا قبضته يومَ القيامة والسمواتُ مطو ياتٌ بيمينه	٦٧	الزمر	٢٨٧
يومَ نطوى السماء كطى السجل للكتب	١٠٤	الأنبياء	٢٨٧
ر بنا وسعت كل شيء رحمةً وعلما	٧	المؤمن	٢٨٩
ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء	٢٥٥	البقرة	٢٨٩
رفيع الدرجات ذو العرش يُلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده	١٥	المؤمن	٢٨٩
وكذلك أَوحينا إليك روحاً من أَمرنا	٥٢	الشورى	٢٩٠
يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور	١٩	المؤمن	٢٩٠
وقالوا قلو بنا في أ كنةٍ مما تدعونا إليه وفي آذاننا وَقر	٥	فصلت	٢٩٢
ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأَرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أَتينا طائعين	٥	«	٢٩٣
إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون	٤٠	النحل	٢٩٣

الآية	رقمها	السورة	صفحة
كُتب عليكم القتال وهو كرهٌ لكم	٢١٦	البقرة	٢٩٣
والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين	٤	يوسف	٢٩٤
وأما ثمود فهديناهم فاستحبُّوا العمى على الهدى	١٧	فصلت	٢٩٤
وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرْداكم فأصبحتم من الخاسرين	٢٣	«	٢٩٤
ومن آياته أنك ترى الأرضَ خاشعةً فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وَربت	٣٩	«	٢٩٥
وإنه لكتاب عزيز لَا يأْتيهِ الباطلُ منْ بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد	٤١ ، ٤٢	«	٢٩٥
أولئك ينادوْن من مكان بعيد	٤٤	«	٢٩٦
وإذا أنعمنا على الإنسان أعرضَ ونأى بجانبه ، وإذا مسه الشرُّ فذو دُعاء عريض	٥١	«	٢٩٦
أن أقيموا الدين ولا تتفرقُّوا فيه	١٣	الشورى	٢٩٧
حجَّتهم داحضة عند ربهم	١٦	«	٢٩٧
من كان يريدُ حرث الآخرة نزدْ له فى حرثه ، ومن كان يريدُ حرْث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة منْ نصيب	٢٠	«	٢٩٧
وينشر رحمته وهو الولىُّ الحميد	٢٨	«	٢٩٨
وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون منْ طرف خفى	٤٥	«	٢٩٨
أفنضرب عنكمُ الذكرَ صفحا أن كنتم قوما مسرفين	٥	الزخرف	٣٠٠
والذى نزَّل من السماء ماءً بقدر فأنشرنا به بلدةً ميتا كذلك تخرَجون	١١	«	٣٠٠
وجعلها كلمةً باقيةً فى عقبه لعلهم يرجعون	٢٨	«	٣٠١
إننى براءٌ مما تعبدون ، إلا الذى فطرنى فإنه سيَهْدين	٢٦ ، ٢٧	«	٣٠١

الآيـة	رقمها	السورة	صفحة
واسأل من أرسلنا منْ قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدونَ	٤٥	الزخرف	٣٠١
واسأل القرية التى كنا فيها	٨٢	يوسف	٣٠١
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا	٣٤	الإسراء	٣٠١
وإذا الموءودة سُئلت ، بأى ذنب قتلتْ	٨،٩	التكوير	٣٠٢
فيها يفرقُ كل أمرٍ حكيم	٤	الدخان	٣٠٣
وألا تعلوا على الله إنى آتيكم بسلطان مبين	١٩	«	٣٠٣
إن فرعون علا فى الأرض	٤	القصص	٣٠٣
فما بكتْ عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين	٢٩	الدخان	٣٠٣
ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها	١٨	الجاثية	٣٠٥
هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق	٢٩	«	٣٠٥
ايتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين	٤	الأحقاف	٣٠٦
فإما منا بعد وإما فداءً حتى تضعَ الحرب أوزارها	٤	محمد	٣٠٨
فإذا عزمَ الأمر فلو صدَقوا الله لـكان خيراً لهم	٢١	«	٣٠٨
أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	«	٣٠٩
ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد	١٦	ق	٣١٠
وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد	١٩	«	٣١٠
لقد كنت فى غفلة منْ هذا فكشفنا عنك غطاءك ، فبصرك اليومَ حديد	٢٢	«	٣١٠
يومَ نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد	٣٠	«	٣١١

الآية	رقمها	السورة	صفحة
واسأل القرية التي كنا فيها	٨٢	يوسف	٣١١
لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين	١١٩	هود	٣١١
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمعَ وهو شهيد	٣٧	ق	٣١٢
مسومة عند ربك للمسرفين	٣٤	الذاريات	٣١٣
فتولى بركنه وقال ساحرٌ أو مجنون	٣٩	«	٣١٣
لو أن لي بكم قوةً أو آوي إلى ركن شديد	٨٠	هود	٣١٤
وفي عاد إذ أرسلنا عليهمُ الريح العقيمَ	٤١	الذاريات	٣١٤
أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون	٣٢	الطور	٣١٥
قالوا ياشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك مايعبد آباؤنا	٨٧	هود	٣١٥
ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم	٤٩	الطور	٣١٥
ما كذبَ الفؤاد مارأى	١١	النجم	٣١٧
مازاغ البصَر وما طغى	١٧	«	٣١٧
ففتحنا أبوابَ السماء بماء منهمر، وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر	١١، ١٢	القمر	٣١٨
أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أَشر	٢٥	«	٣١٨
إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا	٥	المزمل	٣١٨
بل الساعة موعدهم والساعةُ أدهى وأمرُّ	٤٦	القمر	٣١٨
تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحونَ	١٠٤	المؤمنون	٣١٩
والنجم والشجرُ يسجدان	٦	الرحمن	٣٢٠
والسماءَ رفعها ووَضع الميزان	٧	«	٣٢٠
وزنوا بالقسطاس المستقيم	٣٥	الإسراء	٣٢٠

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
مرج البحرين يلتقيان ، بينهما برزخ لا يبغيان	١٩،٢٠	الرحمن	٣٢٠
ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام	٢٢	«	٣٢١
تبارك اسم ربك ذى الجلال والإكرام	٧٨	«	٣٢١
سنفرغ لكم أيها الثقلانِ	٣١	«	٣٢٢
ذرنى ومَن خلقتُ وحيدا	١١	المدثر	٣٢٣
وجاء ربك والملك صفًّا صفًّا	٢٢	الفجر	٣٢٣
ليس لوقعتها كاذبة	٢	الواقعة	٣٢٥
هو الأول والآخرُ والظاهرُ والباطن وهو بكل شىء عليمٌ	٣	الحديد	٣٢٦
ولله ميراثُ السموات والأرض	١٠	«	٣٢٧
يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم	١٢	«	٣٢٧
مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير	١٥	«	٣٢٧
وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم	٢٩	«	٣٢٧
مايكونُ منْ نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ،ولا أدنى من ذلك ولا أكثرَ إلا هو معهم أينما كانوا	٧	المجادلة	٣٢٨
يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدَى نجواكم صدَقةً	١٢	«	٣٢٨
وهو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته	٥٦	الأعراف	٣٢٨
اتخذوا أيمانهم جنة فصدُّوا عن سبيل الله	١٦	المجادلة	٣٢٨
كَتب الله لأغلبن أنا ورسُلى إن الله قوى عزيز	٢١	«	٣٢٩
أولئك كَتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه	٢٢	«	٣٢٩

الآيــة	رقمها	السورة	صفحة
وكذلك أوحينا إليك رُوحا من أمرنا	٥٢	الشورى	٣٢٩
ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهَبَ ريحكم	٤٦	الأنفال	٣٢٩
والذين تبوّءوا الدار والإيمان من قبلهم	٩	الحشر	٣٣٠
لوأنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله	٢١	الحشر	٣٣٠
يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوّكم أولياءَ تلقون إليهم بالمودة	١	الممتحنة	٣٣١
ويبسطوا إليكم أيديَهم وألسنتهم بالسُّوء	٢	«	٣٣١
ولا تمسكوا بعِصَم الكوافر	١٠	«	٣٣٢
فلما زاغُوا أزاغ الله قلوبهم	٥	الصف	٣٣٣
ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا	٨	آل عمران	٣٣٣
فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوْكم ذكرى	١١٠	المؤمنون	٣٣٤
ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليمٌ بالظالمين	٧	الجمعة	٣٣٤
ولله خزائن السموات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون	٧	المنافقون	٣٣٤
فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا	٨	التغابن	٣٣٥
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابُن	٩	التغابن	٣٣٥
هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله	١٠،١١	الصف	٣٣٥
إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما	٤	التحريم	٣٣٦
والسارق والسارقة فاقطعوا أيديَهما	٣٨	المائدة	٣٣٧
يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبةً نصوحا	٨	التحريم	٣٣٧

الآيـة	رقمها	السورة	صفحة
ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما	١٠	«	٣٣٨
الرجال قوّامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض	٣٤	النساء	٣٣٨
تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قديرٌ	١	الملك	٣٣٨
ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير	٤	«	٣٣٨
إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور ، تكاد تميز من الغيظ	٨،٧	«	٣٣٩
هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى منا كبها	١٥	«	٣٤٠
أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أم من يمشى سويا على صراط مستقيم	٢٢	«	٣٤١
يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون	٤٢	القلم	٣٤١
فذرنى ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون	٤٤	القلم	٣٤٢
وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا	١١	المزمل	٣٤٢
ذرنى ومنْ خلقت وحيدا	١١	المدثر	٣٤٢
وإن يكاد الذين كفروا ليزْلقُونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون إنه لمجنون	٥١	القلم	٣٤٢
وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية	٦	الحاقة	٣٤٣
فأخذهم أخذةً رابية	١٠	«	٣٤٣
إنا لما طغى الماء حملنا كم فى الجارية	١١	«	٣٤٣
فهو فى عيشة راضية	٢١	«	٣٤٤
ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين	٤٥،٤٤	«	٣٤٥

الآيـــة	رقمها	السورة	صفحة
تنبتُ بالدهن	٢٠	المؤمنون	٣٤٥
كلاَّ إنها لظى ،نزاعة للشوى، تدعو منَ أدبرَ وتولَّى	١٧	المعارج	٣٤٦
مالـكمُ لاترجون لله وقارا	١٣	نوح	٣٤٧
والله أنبتـكمُ من الأرض نباتا	١٧	«	٣٤٨
واللهُ جعل لـكمُ الأرضَ بساطا لتسلـكوا منها سبلا فجاجا	١٩ ، ٢٠	«	٣٤٩
وأنا منا الصالحون ومنا دونَ ذلك كنا طرائقَ قددا	١١	الجن	٣٤٩
وأما القاسطون فـكانوا لجهنم حطبا	١٥	«	٣٥٠
وأنه لما قام عبدُ الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا	١٩	«	٣٥٠
إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا	٥	«	٣٥١
إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا	٦	«	٣٥١
إن لك فى النهار سبحاً طويلا	٧	المزمل	٣٥٢
فـكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعلُ الولدانَ شيبا	١٧	«	٣٥٢
وثيابك فطهِّر	٤	المدثر	٣٥٣
هنَّ لباس لـكم وأنتم لباس لهن	١٨٧	البقرة	٣٥٤
والصبْح إذا أسفر	٣٤	المدثر	٣٥٤
بل الأنسانُ على نفسه بصيرةٌ ولو ألقى معاذيره	١٤ ، ١٥	القيامة	٣٥٥
والتفَّت الساقُ بالساقِ إلى ربك يومئذٍ المساقُ	٢٩ ، ٣٠	«	٣٥٥
ويخافون يوما كان شره مستطيرا	٧	الدهر	٣٥٦
إنا نخافُ من ربنا يوما عبوسا قمطريرا	١٠	«	٣٥٦
ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا	١٤	«	٣٥٧
إن هؤلاء يحبون العاجلةَ ويذرون وراءهم يوما ثقيلا	٢٧	«	٣٥٧
فإذا النجوم طمست	٨	المرسلات	٣٥٨

الآيــة	رقمها	السورة	صفحة
ألم نجعل الأرض مهاداوالجبال أوتادا	٦ ، ٧	عم	٣٥٨
فإنما هى زجرةٌ واحدة ،فإذا هم بالساهرة	١٣ ، ١٤	النازعات	٣٥٨
عبس وتولى	١	عبس	٣٥٩
و إذا الموءودةُ سئلت بأى ذنب قتلت	٨ ، ٩	التكوير	٣٥٩
ولا يؤوده حفظهما وهو العلىُّ العظيم	٢٥٥	البقرة	٣٥٩
فلا أقسمُ بالخنسِ الجوارِ الكنسِ	١٥ ، ١٦	التكوير	٣٥٩
والصبْح إذا تنفسَ	١٨	«	٣٦٠
إذا السماء انفطرتْ	١	الانفطار	٣٦٠
كلا إنهم عنْ ربهمْ يومئذٍ لمحجو بون	١٥	المطففون	٣٦١
و إذا الأرض مدت وألقت مافيها وتخلتْ	٣ ، ٤	الانشقاق	٣٦١
والليل وما وسق	١٧	«	٣٦١
لتركبنَّ طبقا عنْ طبق	١٩	«	٣٦٢
واللهُ أعلم بما يوعون	٢٣	«	٣٦٣
والسماء والطارق ، وما أدراك ماالطارق	١ ، ٢	الطارق	٣٦٣
خلق منْ ماء دافق ، يخرجُ منْ بين الصلب والترائب	٦ ، ٧	«	٣٦٣
والسماء ذات الرجع،والأرض ذات الصدع	١١ ، ١٢	«	٣٦٤
وجوه يومئذ خاشعةٌ عاملةٌ ناصبة	٢ ، ٣	الغاشية	٣٦٤
وجوه يومئذ ناضرة،إلى ربها ناظرة	٢٢ ، ٢٣	القيامة	٣٦٥
ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل بها فاقرةٌ	٢٤ ، ٢٥	«	٣٦٥
وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية	٨ ، ٩	الغاشية	٣٦٥
فى جنة عالية ، لاتسمع فيها لاغية	١٠ ، ١١	«	٣٦٥
والليل إذا يسر	٤	الفجر	٣٦٥

الآيــة	رقمها	السورة	صفحة
وفرعون ذى الأوتاد	١٠	الفجر	٣٦٥
فصب عليهم ربكَ سوط عذاب	١٣	«	٣٦٦
يقولُ أهلكت مالا لبدا	٦	البلد	٣٦٦
وهديناه النجدين، فلا اقتحم العقبةَ	١٠ ، ١١	«	٣٦٦
فكُّ رقبة ،أو إطعام فى يومٍ ذى مسغبة	١٣ ، ١٤	«	٣٦٧
والضحى، والليل إذا سجى	١ ، ٢	الضحى	٣٦٧
ألم نشرح لك صدرك، ووضعنا عنك وزرك، الذى أنقض ظهرك	١،٢،٣	الانشراح	٣٦٧

٦ — فهرس الأحاديث

صفحة

الريح من نفس الله ١٧٤

الريح من روح الله ١٧٤

اللهم اشددْ وطأتكَ على مضرَ ١٥٧

اللهمّ إنا نعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، والحور بعد

الكور ، وسوء المنظر فى الأهل والمال ٢٨٣

العيادة قدر فواق الناقة ٢٧٨

أنا برىء من كلّ مسلم مع مشرك . لاتتراءى ناراهما ٢٤٨ ، ٢٥٦

إنكم تموتون كما تنامون ، وتبعثون كما تستيقظون ٢٧٤

مامن مؤمن إلا وله فى السماء بابان ، باب ينزل منه رزقه ، وباب يدخل منه

كلامه وعمله ، فإذا مات فقداهُ فبكيا عليه ٣٠٤

نعوذ بالله من الحورِ بعد الكورِ ٢٨٣

وهل ترك عقيل لنا من دار ؟ ٣١٢

٧ — فهرس الأشعار والأراجيز

الهمزة

		صفحة
وجاءت سلتم لا رجع فيها	ولا صدع فتحتلب الرعاء	٣٦٤
من بنى عامر لها نصف قلبى	قسمة مثلما يشق الرداء	١٩١
بدت شواكل حب كنت تضمره	فى القلب أن هتفت فى الدار ورقاء	٢٠٤
فأصبح لايدرى وإن كان حازما	أقدامه خير له أم وراؤه	٢٧٤

ب

لدْن بهز الكف يعسل متنه	فيه كما عسل الطريق الثعلب	١٤٣
ظلت دماء بنى عوف كأنهم	عند الهياج رعاة بين أكداب	١٧١
نمشّ بأعراف الجياد أكفنا	إذا نحن قمنا عن شواء مضهب	٢٨٠
خليلى مرا بى على أم جندب	نقض لبانات الفؤاد المعذب	٢٨٠
غدا بوهنين مجتازا لمرتعه	بذى الفوارس تدعو أنفه الربب	٣٤٦
كلينى لهم ياأميمة ناصب	وليل أقاسيه بطىء الكواكب	٣٤٥
ألان وقد فرغت إلى نمير	فهذا حين صرت لها عذابا	٣٢٢

ت

نشكو إليك سنة قد أجحفت	واحتنكت أموالنا وجلفت	٢٠٣

ج

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج	نضرب بالسيف ونرجو بالفرج	٣٤٥

ح

ونحن على جوانبها قعود	نغض الطرف كالإبل القماح	٢٧٣

صفحة

د

قــــد شمرت عن ساقها فشدوا	وجدت الحرب بكم فجــــدوا	٣٤٢
لاترتجى حــــين تلاقى الذائدا	أخمسة لاقت معا أم واحــــدا	٣٤٨
فأن تجمــــع أوتاد وأعمــــدة	وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا	٢١٦
ولاشبوب من الثــــيران أفرده	عن كوره كثرة الإغراء والطرد	٢٨٤
أجدك ودعت الصبا والولائدا	وأصبحت بعد الجور فيهن قاصدا	٢٨٦
فتى لو ينادى الشمس ألقت قناعها	أو القمر السارى لألقى المقالدا	٢٨٧
أمنخرم شعبان لم تقض حاجة	من الحاج كنا فى الأصم نكيدها	٢٢٢
لعمرك ما أمرى على بغمّــــة	نهارى ولاليلى على بسرمد	١٥٦

ر

شربنا شربة من ذات عرق	بأطراف الزجاج من العصــــير	١٧٩
وإنك إن أرسلت طرفك رائدا	لقلبك يوما أتعبتــــك المناظر	٢٧٧
وذات أثارة أكلت عليها	نباتا فى أكمته قفارا	٣٠٦
وأعددت للحرب أوزارها	رماحا طوالا وخيلا ذكورا	٣٠٨
ألا أبلغ أبا حفــــص رسولا	فدى لك من أخى ثقة إزارى	٣٥٣
سكنت جروتها وقلت لها اصبرى	وشددت فى ضيق المقام إزارى	٣٥٣
جدلت على ليــــلة ساهرة	بصحراء شرج إلى ناظرة	٣٤٤

س

إذا ما الضجيع ثنى عطفها	تثنت عليه فــكانت لباسا	١١٩

ص

أولّيت العراق ورافديه	فزاريا أحذّ يد القميص	٢٩١
أكاشره وأعلم أنْ كلانا	على ماساء صاحبه حريص	١٨٦

صفحة

ض

ودون يد الحجاج من أن ينالنى بساط لأيدى الناعجات عريض ٣٤٩
كادت وكدت وتلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى ٢١٦

ع

أمن المنون وريبها نتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع ٢٨٣
حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن للغدر خائنة مغل الأصبع ٢٩٠
إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع ٢١٢
أيتها النفس أجملى جزعا إن الذى تحذرين قد وقعا ٣٤٤

ق

قد استوى بشر على العراق بغير سيف ودم مهراق ١٥٤
قد طرقت ببكرها أم طبق فنتجوها خبرا ضخم العنق ٣٦٢

ل

وإن تك قد ساءتك منى خليقة فسلّى ثيابى من ثيابك تنسل ٣٥٤
والنبع فى الصخرة الصماء منبته والنخل ينبت بين الماء والعجل ٢٣٠
متكورين على المعارى بينهم ضرب كتعطاط المزاد الأنجل ٢٨٣
أبيض كالرجع رسوب إذا ماثاخ فى محتفل يختلى ٣٦٤
إذا لسعته الدبر لم يرج لسعها وحالفها فى بيت نوب عواسل ٣٤٧
يريد الرمح صدر أبى براء ويرغب عن دماء بنى عقيل ٢١٧
سألنا فأحمدنا ابن كل مرزأ جواد وأبخلنا ابن كل بخيل ٢١٢
فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها ٢٧٩
لقد علم الأيقاظ أخفية الكرى تزججها من حالك واكتحالها ٢١٢
إذ أشرف الديك يدعو بعض أسرته لدى الصباح وهم قوم معازيل ١٦٩

		صفحة
ثمت قمنا إلى جرد مسومة	أعرافهن لأيدينا مناديل	٢٨٠
فى مهمه فلقت به هاماتها	فلق الفئوس إذا أردن نصولا	٢١٧
	م	
وكلام سيء قد وقرت	أذنى عنه وما بى من صمم	٢٩٢
ندمت على لسان كان منى	وددت بأنه فى جوف عكم	١٩٦
فإن أباكم تارك ماسألتم	فمهما أتيتم فاقدموه على علم	٢٤٩
ياشاة ماقنص لمن حلت له	حرمت على ، وليتها لم تحرم	٢٧٩
فإن شمرت لك عن ساقها	فويها ربيع فلا تسأم	٣٤٢
يتقارضون إذا التقوا فى موقف	نظرا يزيل مواقف الأقدام	٣٤٣
وآخذ من كل حى عصم		٣٣٢
فما كان قيس هلكه هلك واحد	ولكنه بنيان قوم تهدما	١٦٩
بانت سعاد وأمسى حبلها انجذما	واحتلت الشرع فالأجزاع من أضما	٣٠٩
حياك ود فأنا لا يحل لنا	لهو النساء لأن الدين قد عزما	٣٠٩
وذات أثارة أكلت عليها	نباتا فى أكمته تؤاما	٣٠٦
	ن	١٨٤
قل لخفيف القصبات الجوفان	جيئوا بمثل عامر والعلهان	١٨٤
ومهمهين قذفين مرتين	ظهراهما مثل ظهور الترسين	٣٣٧
لسان السوء تهديها إلينا	وحنت وما حسبتك أن تحينا	١٩٦
إذا ما الغانيات برزن يوما	وزججن الحواجب والعيونا	٢٢٢
امتلأ الحوض وقال قطنى	مهلا رويدا قد ملأت بطنى	٣١١
	ى	
وعمى الذى كانت فتاحة قومه	إلى بيته حتى تجهز غاديا	٢٥٧
ألا من مبلغ عمرا رسولا	فإنى عن فتاحتكم غنى	٢٥٧

٨ — فهرس الأعلام

ا

آدم : ١٤٣، ٢٤١، ٢٥٨، ٢٨٢، ٣٤٨

الآمدي : ٢١٢ ، ٣٣٦

إبراهيم « النبي عليه السلام» ١٨٠ ، ٢٥٠ ، ٣٠١

إبليس : ١٤٢ ، ١٤٣

ابن الأثير : ٢٧٤

أحمد أمين : ٣٤٢

أحمد محمد شاكر : ١٥٧، ١٦٩، ١٧٩، ٢٠٢ ، ٢٧٢

أحمد بن فارس : ٣٠٦

أحمد بن يحي البلاذرى : ٢٥١

الأخطل : ٢٧٩

الأخفش : ٣٤٩

آرثر جفرى : ٣٢٠

ابن أبي إسحاق : ٣٥١

الأشعر الجعفى : ٢٥٧

الأصمعى : ٣٤٩ ، ٣٦٢

الأعرج : ٣٢٤

الأعشى : ٢٧٩ ، ٢٨٦ ، ٣٠٨

الأعمش : ١٦٠

الأفوه الأودى : ٢١٦

امرؤ القيس : ٢٨٠ ، ٣٥٤

الأمين العباسي : ١٨٥

الأمينى = عبدالحسين الأمينى : ٢١٢

الأنبارى : ٢١٦

أنس بن مالك : ٣٠٤

أوس بن حجر : ٣٤٤

أيوب القارىء : ٣١٥

ب

البخارى : ١٥٧

أبو براء : ٢١٧

أبو بردة ٣٦٢

بشر : ١٥٤

بشر بن أبي خازم : ٢٧٢

بقيلة الأكبر الأشجعى : ٣٥٣

البكرى : ٣٤٥

البلاذرى = أحمد بن يحي

البلخى = أبو القاسم عبد الله

أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى : ٢٨٠

أبو بكر بن عياش : ٣٣٧

البيضاوى : ٢٢٦

البيهقى : ١٧٤

ت

تأبط شرا : ٢٨٣

التبريزى : ٢٧٩

ث

الثعالبي : ٣٦٢

ثعلب = أحمد بن يحي ، ٢٥٦ ، ٣٤٦
ثمود : ١٨٠

ج

جابر بن حيان: ١٧٧
الجاحظ ٢١٢ ، ٢٥٤
الجبائى = أبو على محمد
جرير : ١٨٤ ، ٣٠٦ ، ٣٢٢
جرير بن عبدالله : ٢٤٨
جعدة بن عبدالله : ٣٥٣
جعفر بن محمد الصادق : ١٧٧
أبو جعفر الطحاوى : ٢٨١
ابن جنى = أبوالفتح عثمان
جورجى زيدان : ٣٢٠
الجوهرى: ٢٧٨

ح

أبو الحارث غيلان = ذو الرمة ٣٤٦
الحارث بن قيس بن عدى : ٢٥١
الحارث بن وعلة بن مجالد الرقاشى: ٢٨٦
الحجاج بن يوسف: ٣٤٩
الحسن : ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٧١
الحسن بن أحمد بن عبدالغفار = أبو على الفارسى
الحسين بن موسى = أبو أحمد والد الشريف: ٣٢٢
الحسين : ١٧٧
الحسين بن على الجعفى : ١٤٤
الحسين بن مسعود: ١٨٦
أبو الحسين عبدالجبار بن أحمد = قاضى القضاة: ٢١٢، ٢٤٢
الحطيئة : ١٩٦
حفص : ٢٣٤
حماد الراوية : ٣٦٢
حمزة : ١١٤ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٦٠ ، ١٦٤، ٢٣٤ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ ، ٣٢٤
حميد: ٣٥١
ابن حنبل : ١٥٧
أبو حنيفة : ١٧٧ ، ٢٨١ ، ٣٣٢
ابن حوقل : ١٦٧
أبو حيوة : ٣٥١

خ

الخانجي : ٣٢٠
الحطام الشاعر: ٣٣٦
خلف الأحمر : ٣٦٢
خلف القارىء: ٢٣٤
ابن خلكان: ٢٨١
الخليل بن أحمد : ٢٢٢، ٣٤٦ ، ٣٦٤

د

داود عليه السلام : ٢٣١، ٢٣٢

ذ

ذو الرمة : ٣٤٦
أبو ذؤيب الهذلى : ٢٨٣ ، ٣٤٧

ر

الراعى : ٢١٧ ، ٢٢٢ ، ٣٠٦
الرشيد العباسى : ١٨٥ ، ٢٥٤ ، ٣٣٢
الرمانى = على بن عيسى

رويس : ١٣٨
رويشد بن رميض العنبرى :٣٤٢

ز

زبان بن عمار = أبو عمرو بن العلاء:١٧١
الزبير بن العوام : ٣١٢
ابن الزبير : ١٨٥
الزرقانى : ٢٢٩
الزركلى = خيرالدين : ٢١٢،١٧١ ، ٢٨١ ، ٣٣٧
الزمخشرى : ٢٣٩ ، ٢٥٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣٤٣
زين العابدين « رضى الله عنه »:١٧٧

س

ساعدة بن جؤيه : ١٤٣ ، ٢٨٣
سالم بن أبى الجعد : ٣١٥.
سامى الخانجى : ٢٠٣
السجستانى : ٢١٧
ابن السراج : ٢٨١
ابن سعد : ١٥٧
سعيد بن جبير : ١٢٢ ، ٣٢٠
ابن السكيت : ٢٠٢
سلام القارئ : ٣١٥
سلمة بن هشام : ١٥٧
أم سلمة « رضى الله عنها» : ٣١٢.
سليمان النبي « عليه السلام » : ١٨٣ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩
سيبويه : ٢٨١ ، ٣٦٤
السيوطى : ١٧١ ، ٢٢٩

ش

ابن الشجرى : ٢٧٢
شرف الدولة بن بويه : ٣٢٢
شريح بن ضبيعة = رويشد العنبرى
الشريف الرضى : ١٤٨ ، ١٨٦، ٢٢١، ٢٢٩ ، ٢٧٠ ، ٢٨١، ٣٠٦، ٣٠٨، ٣٢٢، ٣٣٥، ٣٥٩
الشريف المرتضى : ٣٢٢
شعيب عليه السلام : ١٦٦ ، ٣١٥
ابن شهاب : ٣٢٤

ص

أبو صالح : ١٢٢

ط

طرفة الشاعر : ١٥٦

ع

عائشة : ١٧١
عاد : ١٨٠
عاصم : ١١٤ ، ١٥٦ ، ١٦٤ ، ٣٣٧
أبو العالية : ٣٥١
ابن عامر : ١١٤ ، ١٦٤ ، ٣٥١
العباب الشاعر = العديل: ٣٤٩
ابن عباس : ١٢٢ ، ٢٢٩ ، ٣٠٤ ، ٣٢٠ ، ٣٥٠

عبدالسلام محمدهارون:١٦٩ ، ٢٠٢، ٣٤٢،٣٠٦،٢٧٢،٢٥٦
عبد العزيز الميمنى : ٢١٢
عبد القادر البغدادى : ٣٣٦
عبد الله بن الزبير : ٢٨٣
عبد المؤمن=أبو الهندى : ١٧٩
عبد الوهاب حمودة : ٣٣٧
عبدة بن الطبيب : ١٦٩ ، ٢٨٠
أبو عبيد : ٢٤٨
أبو عبيدة : ٢٥٤،٢١٧،٢٠٣،١١٦، ٢٨٥،٢٧٨ ، ٣٠٦ ، ٣٣٢
العديل بن الفرخ الشاعر=العباب ٣٤٩
عضد الدولة بن بويه : ٣٢٢
ابن عطية : ٣٢٠
عقيل بن أبى طالب : ٣١٢
عكرمة : ١٢٢
على بن أبى طالب :٢٢٩ ،٣٢٠،٣٠٤
أبو على = محمد الجبائى : ١٦٧
أبو على الفارسى : ٢٢١ ، ٢٨١
أبو على القالى : ٢١٢
على بن عيسى الرمانى : ٢٨١
على بن كبشة : ١٢٧
عمر بن أبى ربيعة : ٢١٦
عمر بن الخطاب : ٣٥٣
عمر بن هبيرة : ٢٩١
أبو عمرو بن إسحاق بن مرار الشيبانى ٣٠٧
أبو عمرو : ١١٤ ، ١٤٤ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ٢٨٦ ، ٣٦٧،٣٥١،٣٣٢
عمرو بن معد يكرب الزبيدى : ٢١٢
عنترة الشاعر : ٢٧٩
عياش بن أبى ربيعة : ١٥٧
عيسى « النبي عليه السلام » : ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥، ١٩٠، ٢٣٢
عيسى الحلبى : ١٧٩
عيسى بن عمر : ١٣٨

غ

أبو الغصن الأعرابى : ٢٧٧

ف

أبو الفتح عثمان بن جنى : ١٤٨ ، ١٩٠ ، ٢٢١
الفراء = يحيى بن زياد : ١٨٦
الفرزدق : ٢٩١ ، ٣٠٦ ، ٣٥٣
فرعون : ١٦٧ ، ٢٢٤ ، ٣٠٣ ، ٣٦٥
الفيروز أبادى : ٢٠٧

ق

القاسم بن سلام = أبو عبيد : ٣٠٧
أبو القاسم البلخى = البلخى ١٦٧
ابن قتيبة :١١٩ ، ١٦٩، ١٧٩، ٢١٧، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٩١، ٣٤٧
القرطبى : ١٤٤ ، ١٥٤ ، ١٨٦ ، ١٩٦، ١٩٨ ، ٢٠٣، ٢١٦، ٢٣٠، ٢٧٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٥ ، ٣٣٦ ، ٣٥١

قيس : ٢٤٨
قيس بن زهير بن جذيمة : ٣٤١
قيس بن معديكرب : ٢٧٩
قيصر ملك الروم : ٣٤٩

ك

أبو كبير الهذلى : ٢٨٣
ابن كثير : ١١٤ ، ١٦٤ ، ٣٦٧
الكسائى : ١١٤،١٣٨،١٦٠،١٦٤، ١٨٥ ، ٢٠٢،٢٣٤، ٢٥٤، ٢٧٨، ٣٢٤ ، ٣٣١ ، ٣٥٥ ، ٣٦٧
الكلابى الشاعر : ٢٩٠

ل

لقمان « عليه السلام » : ٣٦٦
لوط « عليه السلام » : ١٦٣ ، ١٦٤، ٣١٤ ، ٣٣٨
لويس شيخو ـ الأب : ٢٨٠

م

المأمون العباسى : ١٨٦ ، ٢٥١، ٣٣٦
ابن مالك . ٢٢٢
مالك ـ الأمام : ١٧٧ ، ٢٨٠
المبرد : ٢٠٢ ، ٣٤٦
المتنبى : ١٤٨
المتنخل الهذلى : ٣٦٤
المتوكل العباسى : ٢٥١
مجاهد : ٣٢٠ ، ٣٥١
محب الدين أفندى : ٢١٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩٠ ، ٣٣٦
محمد « صلى الله عليه وسلم » : ١١٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠، ١٥١، ١٥٧، ١٥٨ ، ١٧٤ ، ١٩٤، ٢٠١ ، ٢١٢، ٢٤٨، ٢٥٢ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٧ ، ٢٧٤، ٣٠٢ ، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣١٢ ، ٣٢٨، ٣٣١ ، ٣٣٢، ٣٣٥، ٣٣٦ ، ٣٣٧، ٣٤٢ ، ٣٤٥، ٣٥٠، ٣٦٧ ، ٣٦٨
محمد الباقر : ١٧٧
محمد بن الحسن الشيبانى : ٣٣٢
م . محمد حسين : ٢٧٩
المرزوقى : ٢٧٧ ، ٣٤٢
مريم «عليها السلام» : ١٩٠ ، ٢٢٠ ، ٢٥٠
ابن مسعود : ١٩٨
مسلم : ١٥٧
ابن مطرف الكنانى : ٢١٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٣٣٦، ٣٤٥ ، ٣٥٣
المعتمد : ٢٥١
المعرى = أبو العلاء : ٣٢٢
معمر بن المثنى = أبو عبيدة
المفضل الضبى : ١٤٤ ، ١٦٩
المغيرة : ٣٥١
المقريزى المؤرخ : ٣١٢

ملاعب الأسنة : ٢١٧
أبو المنذر : ٢٨٦
المنصور العباسى : ٣٦٢
أبو المنهال = بقيلة: ٣٥٣
المهدى العباسى: ٣٣٢
مهيار الديلمى : ٣٢٢
موسى « عليه السلام » : ١٥٦ ، ١٨٥، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٦٠
ميمونة « رضى الله عنها »: ٣١٢

ن

النابغة الجعدى : ١١٩ ، ٣٤٥
النابغة الذبيانى : ٣٠٩ ، ٣٤٥
نافع القارىء: ١١٤ ، ١٢٢ ، ١٦٤ ، ٢٣٤
نافع بن خليفة الغنوى : ٢١٢
ابن النديم : ٣٣٧
النسائى : ٢٤٨
النضر بن شميل : ٣٣٦ ، ٣٦٤
النعمان بن المنذر : ٣٤٥
أبو نواس : ٢٧٩
نوح « عليه السلام » : ١٥٦، ١٨٢ ، ٢٥٤ ، ٣٣٨ ، ٣٤٧

هـ

الهادى العباسى : ٣٣٢
ابن هشام النحوى : ١٤٣
هناد بن السرى : ٢٤٨
أبو الهندى الشاعر = عبد المؤمن : ١٧٩
هود « عليه السلام » : ١٥٨ ، ١٨٨، ٣١١ ، ٣١٤
هوذة بن على الحنفى : ٢٨٦

و

وليام أهلورت : ٣٤٩
الوليد بن الوليد : ١٥٧

ى

يحى القارىء : ٢٣٤
يحى بن زياد = الفراء : ١٨٦
يزيد الرقاشى : ٣٠٤
يزيد بن عبد الملك الأموى : ٢٩١
يعقوب « عليه السلام » : ١١٨
يعقوب القارىء : ١٣٨ ، ٣١٥
يعقوب = ابن السكيت
يوسف « عليه السلام »: ١٥٧، ١٦٩، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢١٦، ٢٩٤، ٣٠١، ٣١١
أبو يوسف صاحب أبى حنيفة : ٣٣٢
يونس « عليه السلام » : ١٥٣
يونس النحوى: ٣٦٢

٩ — فهرس الأعلام المترجمة بالهوامش

الأصمعى : ٣٤٩
الأعشى : ٢٧٩ ، ٢٨٦
الأفوه الأودى: ٢١٦
امرؤ القيس : ٢٨٠
أوس بن حجر : ٣٤٤
أبو براء : ٢١٧
بشر بن أبى خازم : ٢٧٢
بقيلة الأكبر الأشجعى : ٣٥٣
البلاذرى : ٢٥١
البلخى : ١٦٧
أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمى :
٢٨١
أبو بكر بن عياش : ٣٣٧
ثعلب : ٢٥٦
الجبائى : ١٦٧
جعفر بن محمد الصادق : ١٧٧
أبو جعفر الطحاوى:٢٨١
ابن جنى : ١٤٨ ، ٢٢١
أبو الحسن الرمانى: ٢٨١
الحسين أبو أحمد بن موسى : ٣٢٢
أبو الحسين عبدالجبار بن أحمد قاضى
القضاة : ٢١٢
الحطام الشاعر : ٣٣٦
خلف الأحمر : ٣٦٢
الخليل بن أحمد : ٣٦٤
ذو الرمة : ٣٤٦
أبو ذؤيب الهذلى : ٢٨٣ ، ٣٤٧
الراعى النميرى: ٣٠٦
رويشد بن رميض العنبرى : ٣٤٢
ابن السكيت : ٢٠٢
عاصم : ٣٣٧
عبدة بن الطبيب : ١٦٩
أبو عبيد القاسم بن سلام : ٣٠٧
أبو عبيدة : ٢٥٤
العديل بن الفرخ الشاعر : ٣٤٩
أبو على الفارسى : ٢٢١ ، ٢٨١
على بن عيسى الرمانى : ٢٨١
عمرو بن معد يكرب : ٢١٢
أبو عمرو بن العلاء : ١٧١ ، ٢٨٦
الفراء : ١٨٦
الفرزدق : ٢٩١
أبو القاسم البلخى : ١٦٧
قيس بن زهير بن جذيمة : ٣٤١
أبو كبير الهذلى : ٢٨٣
الكسائى : ١٨٥
المتنخل الهذلى : ٣٦٤
مجاهد : ٣٢٠

محمد بن الحسن الشيبانى : ٣٣٢
النابغة الجعدى : ٣٤٥
النابغة الذبيانى : ٣٤٥
نافع بن خليفة الغنوى : ٢١٢
النضر بن شميل : ٣٣٦
أبو الهندى الشاعر : ١٧٩
يعقوب بن السكيت : ٢٠٢
أبو يوسف : ٣٣٢

١٠ — فهرس اللغة *

(ا)

صفحة		المعنى
٣٥٩	آدنى هذا الأمر	أى أثقلنى
٢١١	أبخلت فلانا	إذا نسبته إلى البخل
١٩٢	أُتى فلان من مأمنه	أى ورد عليه الخوف من طريق الأمن
٢٢٥	اتخذت هذا الغلام لنفسى	أى جعلته خاصا لخدمتى لا يشاركنى فيه أحد غيرى
١٩٢	أُتيت من جهة فلان	أى جاءنى المكروه من قبله ، أى من ناحيته
٢٠٣	احتنك الجراد الأرض	إذا أتى على نباتها
٢١٢	أحمدت فلانا	أى وجدته محمودا
١٥٥	أخذت المرأة قناعها	أى لبسته
١٨١	أخذت هذا الأمر باليد	أى أخذته بالسلطان
١٢٧	أخذت يد فلان مصافحة على كذا	إذا عاقدته على أمر
٢٦٩	ارتفع أمر القوم إلى القاضى	إذا انتهوا إلى أن يحكم بينهم ويفصل خصامهم
٣٥٦	استطار لهيب النار	أى انتشر وعلا
١٥٤	استوى الملك على سرير ملكه	أى استولى على تدبير الملك

* يشتمل هذا الفهرس على التراكيب والعبارات والاستعمالات الفصاح الواردة بهذا الكتاب . وقد رتبت أبجديا بحسب أوائلها لا بحسب اشتقاقها أوردها إلى أصولها . فالفعل « اقتحم » يأتى فى باب الهمزة لا فى باب القاف . والفعل تنطق يأتى فى باب التاء لا فى باب النون . وذلك تسهيلا للمراجعة ، وتيسيرا للكشف دون حاجة إلى النظر فى المجرد والمزيد .

صفحة		المعنى
١٣١	أشعرت البدنة	إذا جرحتها فى سنامها ليسيل دمها
١٣٠	أصاب شاكلة الأمر	أى بلغ حقيقته
٣٠٠	أضربت عنه صفحا	أى أعرضت عنه بصفحة وجهى
٣٠٠	أعرضت عنه صفحا	أى تركته وأهملته
١٢٧	أعطانى فلان صفقة يمينه	إذا عاهدنى على شىء
١٤٤	أعطيته رجلا بريشه	أى بكسوته
٢٧٥	أعمى مطموس ، وطميس	أى ملتحم الشقوق بين الأجفان
١٣٦	افتح علىّ	أى بين لى
١٦٠	اقتحمت فلانا عينى	أى قبح منظره فى عينى
٢١١	أكفرت فلانا	إذا نسبته إلى الكفر
١٧٢	أكلت آلَ فلان السنة	أى مسهم الضر فى عام الجدب
١٧٢	أكلتهم الضبع	أى نهكتهم سنة الجدب
١١٥	ألبس على هذا الأمر	إذا انغلقت أبوابه
٢٨٦	ألقى إليه مقاليده	أى أطاعه وفوض إليه أمره
١٩٢	ألقى إلىّ فلان بيده	إذا سلم لأمرى
١٩٥	ألقى فلان يَدَ العانى	أى خضع خضوع الأسير
٣١٨	ألقيت عليه حسابا	أى سألته
٣٣١	ألقيت إليه المودة	إذا منحته الود
٢٥٩	ألقيت إليك سمعى	أى صرفت سمعى نحو حديثك
٢٤٦	الله عند لسان كل قائل	أى يجازيه على الحق والباطل من القول
٣٦٢	أم طبق	هذه كناية عن الداهية

صفحة		المعنى
١٦١	أنا بعين الله	أى أنا بمكان من حفظ الله
١١٦	أنا بين يديك	أى قريب منك
٢٦١	أنا ممدود الطرف إليك	أى أنا بانتظار أمر يرد علىّ من جهتك
١٥٢	أنت من قلبى	أى أنت قسيم قلبى
١٥٢	أنت من نفسى	« « شقيق نفسى
٢٢٥	أنت منى بمرأى ومسمع	إذا كان منصرفا إليه بالعناية
٣٠١	أنشر الله الأموات	أى أحياهم بعد موتهم
٣٠٩	انفتح قلبه وانفسح صدره	إذا كان واسع الصدر
٢٣٠	إنما هو حجر جامد	إذا كان بليد الطبع والحس
٢٣٠	إنما هو نار تتوقد	إذا كان ذكيا شديد الذكاء
١٢٩	أين يذهب بك ؟	أى أين تذهب ؟

(ب)

١٧١	بطن الرحل	أى أصاب بطنه
١٦٦	البقية ! البقية !	أى نسألكم الإبقاء علينا
٣٠٤	بكينا فلانا بأطراف الرماح	أى طلبنا دمه وأدركنا ثأره
٣٠٤	بكينا فلانا بمضارب الصفاح	« « « «
٢٥٦	بيوتهم رياء أو رئاء	أى متقابلة

(ت)

١٥٣	تخطى فلان إلى غير الواجب	أى انتقل اليه
٢٦٩	ترقى الأمر إلى الأمير	أى عرفه على حقيقته
١٦٦	تركت مقالتى دبر أذنك	إذا أهملت أمرى فلم تطعه

صفحة		المعنى
٢٥٠	تشققت السحاب بالرعد	أى كثر فيها الرعد
٢٥٠	« الغمائم بالبرق	أى كثر فيها البرق
٢٣٩	تغيظت القدر	إذا اشتد غليانها
٢٠٢	تقاد الدابة بحنكها	أى تؤخذ بحنكها
٣٦٠	تنفس الإناء	إذا انشق
٣٦٠	تنفست القوس	أى انصدعت
	(ث)	
٣٥٧	ثقل علىّ خطاب فلان	أى صار غير محتمل على نفسى
	(ج)	
٣١٦	جاء فلان فى أعقاب القوم	أى فى أواخرهم
٢٢٠	جاءنى لسان فلان	أى بلغنى مدحه أو ذمّه
١٩١	جار عن الطريق	أى ضل عن نهجه وخرج عن سمته
١٦٦	جعلت حاجتى وراء ظهرك	أى لم تعن بحاجتى
٢٢٨	جعله الله حصيد سيفك	أى جعل الله سيفك يحصده كما يحصد الزرع بالمنجل
	(ح)	
٢٣٣	حصب فلان فلانا	إذا قذفه بالحصباء
٢٣٣	حصبنا الجمار	أى قذفناها بالحصبات
٢٠٢	حنك الدابة	إذا شد فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به
	(خ)	
١٥٥	خذى عليك ثوبك	أى البسيه
٣٣٩	خسأت الـكلب	أى أبعدته وزجرته

صفحة		المعنى
١٨٧	خفض جناحه	أى صار لين الـكنف كاظما عند الغضب
١٩١	خفيف الظهر	أى قليل عدد العيال ، أو قليل الذنوب والآثام
١٧٥	خلت الدار	أى خلا سكانها
		(د)
١٤٩	دارت عليهم الدوائر	إذا أهلـكتهم الأيام وأفنتهم الأعوام
١٤٩	دارت لهم الدنيا	إذا واتاهم الإقبال
٢١٩	دارى تلقاء دار فلان	أى فى مقابلتها
٢٣٦	دكه الله ودكدكه	أى زلزل قدمه
٢٤٨	دُور بنى فلان تتراءى	أى يتقارب بعضها من بعض
		(ذ)
٣٢٣	ذرنى وفلانا	هذه صيغة للمبالغة فى الوعيد والتخويف
٣٤٢	ذرنى وفلانا فستعلم ماأنزل به	صيغة يراد بها تغليظ الوعيد
١٩٦	ذق غِبَّ فعلك	أى لاق جزاء جريرتك
٣٠٠	ذهبتُ عنه صفحا	إذا أعرضتُ عنه بصفحة وجهى
		(ر)
٢٠٨	ربط الله على قلبك بالصبر	أى شد على قلبك بالصبر
٢٢٨	رتق فَتْقَ الخباء	أى خاط الفتق بالخيمة أو الفسطاط
٢٢٨	رتق فلان الفتق	أى خاطه
٣٦٦	رجل لبد	إذا كان ملازما لبيته
١٩٩	رجل مخبث أو مضعف	إذا كان أهله خبثاء أو ضعفاء

صفحة		المعنى
١٥١	رغبت بنفسى عن الضيم	أى صنت نفسى عن الذل والهوان
٣٣١	رميت إليه بما فى نفسى	إذا أفضيت إليه بما فى نفسى

(ز)

١٨٠	زالت يد الأمير	أى عزل عن ولايته
٢٣٦	زلزل الله قدمه	أى أزالها عن ثباتها فعثر
٢٠٤	زهقت نفس فلان	أى فاضت روحه

(س)

٢١٢	سألنا كم فما أبخلنا كم	أى سألنا كم فلم نصادفكم بخلاء
٣٦٣	سر كاتم	أى مكتوم
٢٦٧	سكت فلان فلم يُعِد ولم يُبْدِ	أى لم يتكلم ابتداء ولا أحار جوابا
٢٦٨	سكت فما أعاد ولا أبدى	أى تحير فلم يتكلم
١٧١	سلبت الرجل	إذا أخذت سلبه
٣٠٧	سمنت الناقة على أثارة	أى على سِمَنٍ متقدم
٢٠٧	سيف جراز	أى قاطع يبرى المفاصل

(ش)

٢٦١	شاخص البصر نحوك	أى منتظر منك أمرا يَرد من جهتك
٣٤٤	شعرٌ شاعر	مبالغة فى وصف الشعر بالشعور
١٧١	شغفها حبا	أى أن حبه تغلغل إليها وأصاب شغافها
١٩١	شقيق النفس	أى قسيمها ، كأنه شِقٌّ لها

(ص)

١٦١	صحبتك عين الله	أى لازمتك رعاية الله

صفحة		المعنى
٣٠٩	صدرى ضيق	أى شديد التبرم بالأمر
١٨٨	صَدَع الرداء	أى شقه فأصابه بصدع
١٨٨	صدْع الزجاجة	أى ظهور الكسر فيها
٣٢٥	صدق فلان الحملة ولم يكذب	أى لم يرجع على عقبه
٢٦١	صرمَ الأمر	أى فرغ من فعله بسرعة
١٤٠	صغى فلان إلى فلان	أى مال إليه

(ض)

صفحة		المعنى
١٧٨	ضربت الخباء	إذا نصبته
٣٠٠	ضربت عنه صفحا	أى أعرضت عنه
٢٤٥	ضربت الفسطاط	أى أقمته ونصبت أوتاده
٢٠٨	ضرب فلان على مالى	أى أخذه وحال بينى و بينه
١٧٨	ضرب فى الأرض	أى أوغل السير فيها وأبعد
٢٨٩	ضقت بهذا الأمر ذرعا	أى لم يتسع له صدرى

(ط)

صفحة		المعنى
٢١٤	طارقْتُ النعل	أى وضعت لها الطرائق وهى قطع الجلود
١٨٧، ٢٠٠	طار طيره	أى ذهب عنه حلمه
١٨٧	طاش وقاره	أى ذهب عنه الحلم والوقار
١٨٨	طبق المفصل	أى أصاب فى كلامه
١٣٠	طبق مفصل الرأى	أى أدرك حقيقته
١٩١	طريق جائر	أى يجار فيه بالسير

صفحة		المعنى
١٩١	طريق قاصد	أى يُبلغ القصد فيه
١٥٦	طمست الريح ربع الحى	أى محت رسومه ومعالمه
٢٣٤	طوى الدهر آل فلان	إذا أهلكهم

(ع)

صفحة		المعنى
١٦٢	عرض فلان دقيق	وصف للرجل المنثلم العرض
٢٤٠	عرفت فى وجه فلان الشر	أى عرفت منه إرادة فعل القبيح
٢٢٤	على وجه فلان ~~قول~~ قبول	أى يسر به كل ناظر إليه
١٦٠	عمى علىَّ خبرهم	أى خفى عنى خبرهم
١٦٠	عُمِّى علىَّ أثرهم	أى خفى على أثر القوم
٢٢٦	عوان عند أزواجهن	أى النساء أسيرات عند الأزواج

(غ)

صفحة		المعنى
١٢١	غُمَّ عليه أمره	إذا كان جاهلا بما يراه ويفعله
١٥٦	غمَّ الهلال	إذا تغطى وجهه بما يحجب رؤيته
٢١١	غيبٌ مرجَّم	أى يرميه الناس بظنونهم

(ف)

صفحة		المعنى
٣٣٨	فلان الجندى تحت يدى الأمير فلان	أى أنه متصرف على أمره
١٩١	فلان خفيف الظهر	أى قليل عدد العيال ، أو قليل الذنوب
٣٥١	« راجح ركين	أى له وزن فى الفضل ورجحان العقل
١٣٨	« سَكَن فلان	إذا كانت تطمئن نفسه إليه
٣٥٤	فلان طاهر الثياب	كناية عن طهارة النفس

صفحة		المعنى
٢١٩	فلان عندى بالميزان الراجح	أى هو كريم علىّ، حبيب إلىّ
١٣٤	« مغمور فى النعيم	أى أنه واسع الرزق
١٥٢	« من أنفُس بنى فلان	أى من صميم أنسابهم
٢٧٣	« لا ينفذ فى طريق يسلكه	كناية عن الضلال والحيرة
٢٧٣	« لا يعلم أمامه أم وراءه خير له	« « « «

(ق)

٢١٢	قاتلنا كم فما أجبنّا كم	أى لم نجدكم جبناء عند القتال
٢٤٩	قام فلان بفلان فى الناس	إذا أظهر ذمه وعيبه فى الناس
١٢٩	قتل أرضا عالمها	
١٢٩	قتلتْ أرضٌ أهلها	أهلها : جاهلها
١٢٩	قتلتُ الخبر علما	إذا استقصيت بحثه ومعرفته
١٧٣	قرَى الماء فى الحوض	أى جمع الماء فى الحوض
٣٠٩	قلبى مقفل	أى صدرى ضيق وفكرى متشعب
٢٥٦	قوم رياء ، ورئاء	أى يقابل بعضهم بعضا

(ك)

١١٦	كذا بين يدى كذا	أى قريب منه ، أو متقدم أمامه

(ل)

٣٣٨	لا آخذ رزقى من تحت يد فلان	أى ليس فلان متصرفا فى أمر رزقى
٢٦١	لا أقطع أمرا دونك	أى لا أقرر العزم على أمر حتى آخذ رأيك فيه
٢٥٧	لا تتراءى ناراهما	أى لا تتقارب دورهما

صفحة		المعنى
٢١٠	لأعثرن عليك بخطيئة فأعاقبك	أى لأقفن على خطيئة منك
٢٩٨	لا يملأ عينيه من فلان	أى يخافه و يهابه
٢٢٤	لسان فلان منطلق	أى أنه جرىء على الكلام
٢٢٤	« « معقود	« « يخاف من الكلام
١٦٢	لقى فلان فلانا بكلام غليظ	أى قابله بكلام شديد الوقع على النفس
٣٥٣	لقيت من هذا الأمر ما تشيب منه النواصى	هذه كناية عن لقاء الأمر الفظيع
١٣٣	ليس لى بهذا الأمر يدان	أى لا قبل لى به ،ولا طاقة لى عليه
١٩٩	لى فى رقبة فلان دم	أى لى عند فلان دم وثأر
١٩٩	لى فى رقبة فلان دين	أى لى عند فلان دين
١٥٦	ليل أعمى	أى لا يبصر الناسُ فيه لشدة ظلمته
١٧٢	ليل خائف	أى يخاف الناس فيه
٣٤٤	ليل ساهر	أى يسهر فيه
١٩٩ ، ٣٦٣	ليل نائم	أى ينام فيه
١٥٦	ليلة عمياء	لا يبصر الناس فيها لظلامها

(م)

صفحة		المعنى
٢٦٧	مازال بنا سيرُ الليل والنهار	أى ما زلنا نَصِلُ السير ليلاِ ونهارا
٣٣٦	مال إلى فلان قلبى	أى أحببته
١٨٠	مالفلان على فلان يد	أى ليس له عليه سلطان
٢٥٤	مرج الأميرُ الناس	أى خلاهم بعضهم على بعض
١١٦	مضى فلان بين يديك	أى تقدم أمامك
١٣٤	مغمور فى النعيم	كناية عن كثرة الرزق وسعته

صفحة		المعنى
٢١٥	مكان دحِض	أى مزلق
١٥٢	من أنفُس بنى فلان	أى من صميم أنسابهم

(ن)

٢٣٠	نار تتوقد	يقال للرجل الذكى : هو نار تتوقد
٢٢٦	النساء عوان عند أزواجهن	أى أسيرات عند الأزواج
٣٤٣	نظر إلى نظرا يكاد يصرعنى به	إذا نظر إلى بمقت وكراهة
١٣٤	النعمة من قرنه إلى قدمه	هذه كناية عن سعة الرزق
٢٨٣	نعوذ بالله من الحور بعد الكور	هذا حديث شريف معناه نعوذ بالله من النقصان بعد الزيادة
٢٣١	نفح الفرس فلانا بحافره	إذا أصابه إصابة خفيفة
٢٣١	نفح فلان فلانا بيده	» » » »
٣٦٠	نُفِّسَ عن فلان الخناق	أى انجلى كربه ، وانفسح قلبه
١١٨	نفسُ فلان سفيهة	أى أن صاحبها سفيه
١٩٩	نهار صائم	أى يصام فيه

(هـ)

٢١٢	ها جيناكم فما أفحمناكم	أى لم نجدكم ذوى عى فى المقال
٢١١	هذا الأمر غيب مرجَّم	أى يرميه الناس بظنونهم
٢٨٥	هذا الأمر مغال فى جنب ذلك الأمر	أى قريب منه قربا شديدا
١٥٨	هذا الأمر فى طى ضميرى	أى قد اشتمل عليه قلبى
٢٣٩	هذا الشىء منى بمرأى ومسمع	أى بحيث أعرفه وأعلمه
٢٢٦	هذه المرأة فى حبال فلان	أى فى عصمة فلان

صفحة		المعنى
٢٥٨	هضيم الحشا	أى لطيف البطن . وهو وصف ملاحة
١٨٧	هفا حلمه	أى ذهب عنه الحلم واشتد به الغضب
٢٥١	الهوى إله معبود	أى أنه يطاع أمره
٣٢٩	هو أبقى من النقش فى الحجر	أى ثابت دائم
٢٣٩	هو عربى قلبا	أى هو عربى صريح خالص النسب
١٢١	هو على الواضحة من أمره	إذا كان عالما بما يقدم عليه من الأمر
٢٣٠	هو نار تتوقد	أى ذكى شديد الذكاء
	(و)	
١٥٣	وضع فلان رجله فى الباطل	أى اشترك فى عمل الباطل
٣٤٨	وَقر قولُ فلان فى قلبى	أى ثبت واستقر فى نفسى
	(ى)	
٣١١	ياخيل الله اركبى	أى يارجال الله اركبى
٢٥٩	يطير بكل جناح	إذا كان تابعا لكل قائد
١٨٨	يفصل الخطاب	أى يصيب حقائقه
٣٣٩	يكاد يتميز غيظا	أى تكاد أعصابهُ المتلاحمة تتزايل
٣٤١	يمشى على وجهه	أى ينحرف عن طريق الرشاد
٣٤١	يمضى على وجهه	» » » »
٢٥٩	يهب مع كل ريح	إذا كان تابعا لكل قائد
١٧٢	يوم آمن	أى ينتشر الأمن فيه
٣٥٧	يوم قمطرير	إذا كان شديدا ضره ، طويلا شرُّه
٣٥٧	يوم قماطر	» » » » »

١١ — فهرس مراجع

التحقيق والبحث

مرتبة وفق الحروف الأبجدية

الإتقان فى علوم القرآن : للسيوطى . القاهرة ١٣٥٤ هـ

أدب الكاتب : لابن قتيبة . مصر ١٣٥٥ هـ

الأدب فى ظل بنى بويه : لمحمود غناوى الزهيرى . القاهرة ١٣٦٨ هـ

أساس البلاغة : للزمخشرى . دار الكتب المصرية سنة ١٣٤١ هـ

إصلاح المنطق : لابن السكيت . دار المعارف ، مصر سنة ١٣٦٨ هـ

إعجاز القرآن : للباقلانى . السلفية ، سنة ١٣٤٩ هـ

إعجاز القرآن : للخطابى . دار التأليف سنة ١٣٧٢ هـ

الأعلام : لخير الدين الزركلى . القاهرة ١٣٤٧ هـ

الإفصاح : لعبدالفتاح الصعيدى ، وحسين يوسف موسى : دارالكتب المصرية ١٣٤٨هـ

الأمالى : لأبى على القالى . دار الكتب المصرية . سنة ١٣٤٤ هـ

أمالى المرتضى : للشريف المرتضى . مطبعة السعادة سنة ١٣٢٥هـ

إمتاع الأسماع : للمقريزى . القاهرة ١٩٤١ م

أنوار التنزيل وأسرار التأويل . القاهرة ١٣٣٠ هـ

أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : لابن هشام المصرى . القاهرة سنة ١٣٦٨ هـ

البداية والنهاية : لابن كثير . القاهرة

بغية الوعاة : للسيوطى . مصر ١٣٢٦ هـ

البلاغة العربية فى دور نشأتها : لسيد نوفل . القاهرة سنة ١٩٤٨ م

البيان والتبيين : للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة ١٣٦٧ هـ

تأويل مشكل القرآن : لابن قتيبة . دار إحياء الكتب العربية . القاهرة ١٣٧٣ هـ
تاريخ آداب اللغة العربية : لجورجى زيدان . القاهرة
تاريخ بغداد : للخطيب البغدادى . القاهرة ١٣٤٩ هـ
تحقيق النصوص ونشرها : لعبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٧٤ هـ
تفسير الكشاف : للزمخشرى .
تفسير النسفى : للنسفى
تنزيل الآيات ، على الشواهد من الأبيات : لمحب الدين أفندى . المطبعة الأميرية بولاق سنة ١٢٨١ هـ
ثمار القلوب : للثعالبى . القاهرة ١٩٠٨ م
الجامع فى أحكام القرآن : للقرطبى. دار الكتب المصرية ١٩٣٥م
جمهرة أشعار العرب : بولاق سنة ١٣٠٨ هـ
جمهرة أنساب العرب : لابن حزم. دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ م
جمهرة خطب العرب : لأحمد زكى صفوت . القاهرة ١٩٣٣ م
جمهرة رسائل العرب « « «
الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى : للمستشرق آدم متز . القاهرة ١٩٤٠ م
حماسة ابن الشجرى : طبع حيدر آباد الدكن ١٣٤٥ هـ
الحيوان : للجاحظ . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة سنة ١٣٦٤ هـ
خزانة الأدب : لعبد القاهر البغدادى . القاهرة ١٣٥١ هـ
دائرة المعارف الإسلامية : الترجمة العربية
ديوان الأعشى الكبير : تعليق وشرح م . محمد حسين . القاهرة ـ ١٩٥١م
ديوان امرئ القيس : المطبعة الرحمانية . سنة ١٩٣٠م
ديوان حسان بن ثابت : مطبعة السعادة ١٣٣١ هـ
ديوان عمر بن أبى ربيعة : الميمنية . القاهرة ١٣١١ هـ
ديوان النابغة الذبيانى : من مجموعة فحول الشعراء. بيروت ١٩٣٤ م

ديوان الهذليين : دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ
زهر الآداب : للحصرى تحقيق على البجاوى . القاهرة ١٩٥٣ م
سمط اللآلى : للبكرى . القاهرة ١٣٥٤ هـ
سنن النسائى : لأبى عبدالرحمن أحمد بن شعيب : المطبعة الميمنية
سيرة ابن هشام : بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازى ١٣٥٦ هـ
شذرات الذهب : لابن العماد الحنبلى . حسام الدين القدسى سنة ١٣٥٠ هـ
شرح ديوان الحماسة : للمرزوقى . تحقيق أحمد أمين وعبدالسلام هارون . القاهرة١٣٧١هـ
شرح ديوان الشريف الرضى : دار إحياء الكتب العربية ١٣٦٨ هـ
شرح شذور الذهب : لابن هشام . القاهرة ١٩٤٨ م
شرح القصائد العشر : للتبريزى . مصر ١٣٤٣ هـ
شروح سقط الزند : دار الكتب المصرية ـ ١٩٤٨ م
الشعر والشعراء : لابن قتيبة، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . القاهرة ١٣٦٤ هـ
شعراء النصرانية : للأب لويس شيخو . بيروت ١٩٢٦ م
صحيح أبى داود : لأبى داود سليمان بن الأشعث . القاهرة ١٢٨٠ هـ
صحيح البخارى : المطبعة الأميرية . بولاق ١٣١٤ هـ
صحيح مسلم : القاهرة بدون تاريخ
الصناعتين : لأبى هلال العسكرى . القاهرة ١٣٧١ هـ
عبقرية الشريف الرضى : لزكى مبارك . بغداد ١٣٥٧ هـ
العقد الفريد : لابن عبد ربه . لجنة التأليف والترجمة والنشر
العمدة فى صناعة الشعر ونقده : لابن رشيق . مصر سنة ١٩٢٥ م
عيون الأخبار : لابن قتيبة . دار الكتب المصرية ١٣٤٣ هـ
الغدير : للشيخ عبدالحسين أحمد الأمينى . النجف ١٣٦٥ هـ
الفائق فى غريب الحديث : للزمخشرى . القاهرة

فتح الرحمن ، لطالب آيات القرآن : بيروت ١٣٢٣ ه
الفقه على المذاهب الأربعة : للجنة من العلماء . القاهرة ١٣٥٥ ه
الفهرست : لابن النديم . القاهرة
القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب : لعبدالفتاح القاضى . القاهرة
القرطين : لابن مطرف الكنانى . القاهرة سنة ١٣٥٥ ه
الكامل : لابن الأثير . القاهرة
الكامل : للمبرد
كشف الظنون : لملا كاتب چلبى ، استنبول ١٣١٠ ه
لسان العرب : لابن منظور . بولاق سنة ١٣٠٨ ه
المثل السائر : لابن الأثير . القاهرة ١٩٣٩ م
المجازات النبوية : للشريف الرضى. القاهرة ١٣٥٦ ه
مجاز القرآن : لأبى عبيدة . القاهرة سنة ١٣٧٤ ه
مجالس ثعلب : تحقيق عبد السلام محمد هارون . دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٨ م
محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية : للشيخ محمد الخضرى . القاهرة بدون تاريخ
محمد : لمحمد رضا . القاهرة ١٩٣٨م
المسند : لابن حنبل . تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر . دار المعارف . مصر سنة١٣٦٥ه
معجم ألفاظ القرآن الكريم : مجمع اللغة العربية . القاهرة ١٩٥٣ م
معجم الشعراء : للمرزبانى . القاهرة ١٣٥٤ ه
معجم غريب القرآن : لمحمد فؤاد عبد الباقى . القاهرة ١٩٥٠ م
معجم ماستعجم : للبكرى . القاهرة سنة ١٣٦٤ ه
معجم مقاييس اللغة : لابن فارس . تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة سنة ١٣٦٦ ه
معجم المطبوعات العربية والمعربة : ليوسف سركيس . القاهرة سنة ١٩٢٨ م

المعول عليه فى المضاف والمضاف إليه : للمحبى . مخطوط مصور بمجمع اللغة العربية . القاهرة
مغنى اللبيب : لابن هشام . القاهرة سنة ١٣٥٦ هـ
المفضليات : للمفضل الضبى . القاهرة سنة ١٣٦١ هـ
مقدمتان فى علوم القرآن : لابن عطية وآخر . القاهرة سنة ١٩٥٤ م
المنتظم : لابن الجوزى . حيدر أباد الدكن . الهند ١٣٥٩ هـ
المؤتلف والمختلف : للآمدى . القاهرة ١٣٥٤ هـ
نهاية الأرب : للنويرى . دار الكتب المصرية
نهج البلاغة : القاهرة بدون تاريخ
وفيات الأعيان : لابن خلكان . طبع بولاق
يتيمة الدهر : للثعالبى . القاهرة ١٩٣٤ م

﴿ والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ﴾